



سازمان اسناد و کتابخانه ملی  
جمهوری اسلامی ایران



سازمان اسناد و کتابخانه ملی  
جمهوری اسلامی ایران

تَنْبِيْهَاتٌ

حَوْلَ الْمَبْدِ وَالْمَعَادِ

الْفَقِيْهُ الرَّبَّانِيُّ آيَةُ اللَّهِ  
الْمَيْرَزا حَسَنُ عَلِيٍّ مُرَوَّارِيْدُ  
قَلْبَسِ سُرَّةِ

الطَّبْعَةُ الثَّلَاثَةُ  
مُنْقَحَةٌ وَمَهْرِيَّةٌ



تَنْبِيْهَاتٌ  
حَوْلَ الْمَبْدِ وَالْمَعَادِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مصومات  
مكتبة الصدوق



تَنْبِيْهَاتٌ

حَوْلَ الْمَبْدِئِ وَالْمَعَادِ

الْفَقِيْهُ الرَّبَّانِيُّ آيَةُ اللَّهِ  
الْمَيْرِزَا حَسَنٌ عَلِيٌّ مُرْوَارِيْدٌ  
قُدِّسَ سِرُّهُ

الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ  
مُنْقَحَةٌ وَمَزِيْدَةٌ

مرواريد، حسنعلي، ۱۳۸۳ - ۱۳۸۹.

تنبيهات حول المبدأ والمعاد / حسن علي مرواريد. - مشهد: مجمع البحوث الإسلامية، ۱۴۳۴ق. = ۱۳۹۱ش.

ISBN 978-964-971-592-6

ص. ۳۸۸.

فيما.

كتابنامه: به صورت زيرنويس.

۱. آفرينش. ۲. معاد. ۳. كلام شيعه اماميه الف. بنياد پژوهشهاي اسلامي.

ب. عنوان.

۲۹۷/۴۲

BP ۲۳۲ / ۴ / م ۴ / ت ۹ ۱۳۹۱

۴۰۰۷۴

کتابخانه ملی ایران



## تنبيهات حول المبدأ والمعاد

الفیه الربانی آیه الله المرزا حسن علی مروارید

الطبعة الثالثة منقحة و مزیدة: ۱۴۳۴ق / ۱۳۹۱ش.

۱۰۰۰ نسخة - وزیري

الطبعة: مؤسسة الطبع والنشر التابعة للأستانة الرضویة المقدسة

مجمع البحوث الإسلامية، ص. ب. ۳۶۶-۹۱۷۳۵

هاتف و فاكس وحدة المبيعات في مجمع البحوث الإسلامية: ۲۲۳۰۸۰۳

معارض بيع كتب مجمع البحوث الإسلامية، (مشهد) ۲۲۳۳۹۲۳، (قم) ۷۷۳۳۰۲۹

شركة به نشر، (مشهد) الهاتف ۷-۸۵۱۱۱۳۶، الفاكس ۸۵۱۵۵۶۰

[www.islamic-ri.ir](http://www.islamic-ri.ir)

[info@islamic-ri.ir](mailto:info@islamic-ri.ir)

حقوق الطبع محفوظة للناسخ

## كلمة الناشر

منذ انتقل آية الله الميرزا مهديّ الغرويّ الإصفهانيّ (١٣٠٣ - ١٣٦٥ هـ) من النجف الأشرف إلى مدينة مشهد المقدّسة عام ١٣٤٠ هـ عمل على تكوين نواة بين تلاميذه للاتّجاه الذي آمن به في اكتساب المعرفة الإسلاميّة.

كان الميرزا قد خرج من تجرّبة معرفيّة لم يطمئنّ إليها، فعكف على النصّ الإسلاميّ من خلال القرآن والحديث، من أجل إنارة العقل والفطرة الصافية. وعمد إلى تخليص قضايا العقل من شوائب الأوهام، مستعيناً على ذلك بتزكية النفس وتقواها، مقتفياً إلى هدفه خُطى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، ذلك أنّه كان يرى في القرآن والحديث النبع الصافي الذي تُستلهم منه المعرفة الأصيلة، ويُلتمس فيه الهدى والنجاة. وفي ربيع القرن الذي سلّخه الميرزا في مشهد المقدّسة عمّد حلقات درسه، وألف ما أُلّف من كتبه، جاداً في طريقته، شديداً في نقده، معنياً بإيصال ما يهّمه إلى تلاميذه.

وكان ﷺ مع ذلك من أعلام الفقه وفحول الأصول، وألقى دروساً فيها مدة من الزمان، وحيث كان يرى سدّ الفراغ في معرفة أصول الدين أهمّ وألزم، أضاف إلى جلسات درسه في الفقه والأصول دروساً في معرفة المبدأ والمعاد.

كان له ﷺ تلاميذ، ثم لتلاميذه تلاميذ... فيهم أعلام بارزون، وفيهم مؤلفون، مزيتهم أنهم التزموا المنهج وحافظوا عليه. وحاول بعضهم تنظيم هذا الاتجاه في طرائقه ومضامين معارفه، واختار له اسم «مدرسة التفكيك» التي يراد بها: العودة إلى النصّ الأصيل بعيداً عن الامتزاج والتأويل<sup>(١)</sup>.

وكتاب تنبيهات حول المبدأ والمعاد الذي يقدمه مجمع البحوث الإسلامية اليوم هو أحد نتاجات هذه المدرسة، يسلك بطالب المعرفة هذه المحجّة، ويستدلّ بأصولها على فروعها.

مولفه آية الله الميرزا حسن علي مرواريد - المتولّد سنة ١٣٢٩ هـ - من علماء مشهد البارزين. وهو ينحدر من أسرة كريمة أنتجت طائفة من العلماء، منهم والده المرحوم الشيخ محمّد رضا (١٢٩٩ - ١٣٣٨ هـ) المعروف بالتقى والصلاح وعمّه الشيخ علي أكبر الذي كان من تلاميذ آية الله محمّد كاظم الخراساني. ومن أجداده الخواجة شهاب الدين عبد الله مرواريد الكرمانّي (٨٦٥ - ٩٩٢ هـ) الذي كان من أدباء عصره ومشاهير الكتّاب فيه. وأمّا جدّه لأُمّه فهو آية الله الشيخ حسن علي الطهراني - المتوفّي سنة ١٣٢٥ هـ - الذي كان من أبرز تلاميذ الميرزا محمّد حسن الشيرازي الكبير<sup>(٢)</sup>.

---

١. ينظر كتاب مكتب التفكيك، تأليف العلامة محمّد رضا الحكيمي. طبع الكتاب عام ١٤١٤ هـ في ٣٦٥ صفحة، وكان في أصله بحثاً نشرته مجلّة «كيهان فرهنگي» في عددها الثاني عشر الخاصّ في إسفند سنة ١٣٧١ هـ. ش.

٢. للاطلاع على تراجم طائفة من أعلام أسرة المؤلف تُنظر هذه المصادر:

وقد درس المؤلف على عدّة من العلماء، منهم: العالم الورع الشيخ حسن علي النخودكي الإصفهاني، فضيلة أستاذ الحوزة العلميّة آية الله الشيخ هاشم القزويني. بيد أن جُلّ تتلمذه كان على آية الله الميرزا مهديّ الإصفهاني، إذ لازمه حتّى وفاة الميرزا رحمته سنة ١٣٦٥ هـ<sup>(١)</sup>. وابتدأ بتدريس البحث الخارج في الفقه بعد سنتين أو

- 
- أعيان الشيعة: السيّد محسن الأمين العامليّ ٩: ١٨٥.
- الذريعة إلى تصانيف الشيعة: آقا بزرگ الطهرانيّ ٤: ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٩.
- مونس الأحباب: خواجه عبد الله مرواريد الكرمانيّ، تصحيح السيّد علي مير أفضلي، طهران مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ، ١٣٩٠ ش.
- طبقات أعلام الشيعة - نقباء البشر: آقا بزرگ الطهرانيّ ١٣: ٤٥٤ - ٤٥٥؛ ١٦: ١٣٠١.
- تاريخ علماء خراسان: ميرزا عبد الرحمن المدرّس (ملحقات): ٢٨٧ - ٢٨٨، ٣٠٢.
- فهرست كتابخانه آستان قدس رضوي ٥: ٥٧٥.
- اطلس خطّ: حبيب فضائلي ٣٢٧، ٣٤٦، ٤٠٨.
- كرامات رضويّة: علي أكبر مروّج الإسلام ١: ٣٠١ - ٣٠٢.
- الكلام يجرّ الكلام: السيّد أحمد الزنجانيّ ١: ٥٥ - ٥٦؛ ٢: ٨٨ - ٨٩.
- گنجينه دانشمندان: محمّد شريف الرازيّ ٧: ١٢٢ - ١٢٥، ١٦٤.
- منتخب التواريخ: محمّد هاشم الخراسانيّ ٦٢٦، ٦٣١، ٧٠٠.
- هديّة الرازي إلى الإمام المجدّد الشيرازيّ: آقا بزرگ الطهرانيّ ٨٧ - ٨٩.
- مشاهير مدفون در حرم رضوي: غلام رضا جلاي ١: ١٣٧، ٤١، ٤١٥.
- گلشن ابرار: محمدعلي رحيميان ٦: ٣١٧ - ٣٢٩.
- مرواريد علم وعمل: محمّد إلهي خراسانيّ.
١. كان المرحوم الميرزا مهديّ الإصفهانيّ من أوائل تلاميذ الميرزا النائيّ ومن المبرزين لديه. ودرس كذلك على السيّد محمّد كاظم اليزديّ، والسيّد إسماعيل الصدر. وتهلّ في السير والسلوك على عدّة من العلماء منهم السيّد أحمد الكربلائيّ رضوان الله عليهم أجمعين.

ثلاث سنين من وفاة الأستاذ إلى زهاء أربعين سنة، وألقى خلال هذه السنين دروساً في المعارف، وتخرّج عليه العديد من العلماء والفضلاء.

آية الله مرواريد مَن قَلَّ نظيره في دقة النظر في فهم أحاديث أهل البيت عليهم السلام، ومَن كان له براعة في فقه الحديث وتفسير الروايات، وجُلَّ شهرته في بيانه للمعتقدات والمرتكزات الدينية.

ومن سمات مدرسته الفكرية التربوية، كثرة التوصية بتهديب النفس وبالالتزام العملي، إذ كان يرى أنّ الفهم الصحيح للمعارف الدينية إنّها يمكن أن يتحقّق في ظلّ تعاليم الدين. وعلى الرغم من تأكيده على المزاوجة بين العلم والعقل في تحصيل المعارف فإنّه كان يؤكّد في الوقت نفسه على محدودية العقل في معرفة الكثير من الحقائق؛ فالعقل مخلوق من مخلوقات الله تبارك وتعالى، وآتى للمخلوق أن يحيط بكُنه الخالق العظيم! وكان يرى أيضاً أنّ معرفة الحقّ موهبة إلهية ابتدأت من «عالم الذرّ»، وكلّما ازداد التزام المرء بطريق الوحي ازداد تجلّي أنوار المعارف في قلبه.

وهذا الكتاب الذي نضعه في أيدي القراء الأعزّاء هو خلاصة من دروس ألقاها سماحته على جمع غفير من الفضلاء والعلماء في دورات متعدّدة، ثمّ جعلها في كتاب مستقلّ استجابةً لرغبة ثلّة من تلاميذه، ليكون في متناول أيدي الطلبة والدارسين.

وقد عُني كتاب تنبيهات حول المبدأ والمعاد - كما يدلّ عنوانه - بقضايا المعتقّد الإسلاميّ في التوحيد والصفات، وفي خلق الروح الإنسانية، وفي أفعال الإنسان، وفي المصير والعودة إلى الله تعالى، وفيما يتّصل بهذه القضايا الاعتقادية من فروع وتفصيلات.

إنّ غاية المجمع، في تقديم هذا الكتاب، أن يهيئ للقارئ فرصة جديدة للاطلاع على لون من نتاجات مدرسة التفكيك، وللوقوف على مقوماتها وملامح تفكيرها ...

والله جلّ جلاله الهادي إلى السبيل. هذا، وقد آثر نجل المؤلف فضيلة الشيخ محمد جواد مرواريد أن يدوّن تعليقات على كتاب التنيّهات هذا؛ توضيحاً لبعض الموارد، وبسطاً لبعضها الآخر، وتوثيقاً لغيرها بذكر ما استند إليه المؤلف رضوان الله عليه من المصادر. وقد أدرجنا هذه التعليقات في هوامش هذه الطبعة الثالثة من الكتاب، راجين من الله تعالى له الخير والسداد.

مجمع البحوث الإسلامية





تنبهات  
حول المبدأ والمعاد



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمّد وآله الطاهرين،  
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

وبعد، فهذه جملة من الأمور الاعتقاديّة المرتبطة بمعرفة الحقّ المتعال جلّت  
عظمته، ومعرفة النفس التي فيها معرفة الربّ، ومعرفة أنّها من أين؟ وفي أين؟ وإلى  
أين؟

اهتدينا إليها بالآيات المباركة، وبما روي عن المعصومين سلام الله عليهم، إمّا  
بالاستضاءة منها في تبيّن الحقائق، والانتباه لوجوه الاستدلال وإقامة البراهين في ما  
يستقلّ به العقل، أو التمسك بها في ما لا يثبت إلا من طريق الوحي.  
كتبها تذكراً لنفسي ورجاءً لانتفاع غيري من طالبي العلم والحكمة، والله المؤيد  
المعين.

### تنبهات في المبدأ

#### ضرورة البرهان

لا بدّ في إثبات كلّ أمر من حجّة وبرهان، كما تشير إليه الآيات الكريمة التالية:

- ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(١)</sup> .  
 ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> .  
 ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾<sup>(٣)</sup> .  
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾<sup>(٤)</sup> .  
 ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَيْهِ﴾<sup>(٥)</sup> .  
 ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾<sup>(٦)</sup> .  
 ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾<sup>(٧)</sup> .

وتلك الحجّة والبرهان لا بدّ من أن تكون حجيتها ذاتية أو منتهية إليها، وإلا لزم الدور أو التسلسل الباطلان، وأن لا يثبت أمر، فإن إثبات صدق القضية في صغرى البرهان المصطلح أو كبراه الذي يتوقف عليه الإنتاج، إن لم يكن بحجّة ذاتية أو منتهية إليها، فإمّا أن ينتهي إلى نفس البرهان ويتوقف عليه فهو الدور، وإلا فيتسلسل.

### «البرهان» في القرآن الكريم

يظهر من التدبّر في الآيات المتقدّمة وغيرها وموارد نزولها أن البرهان والحجّة

١ . النمل (٢٧) ٦٤ .

٢ . الأنبياء (٢١) ٢٤ .

٣ . المؤمنون (٢٣) ١١٧ .

٤ . النساء (٤) ١٧٤ .

٥ . القصص (٢٨) ٣٢ .

٦ . الأنعام (٦) ١٤٩ .

٧ . الأنعام (٦) ٨٣ .

عبارة عن كَلِّ ما يوضح الأمر، ويصحّ أن يحتجّ به، سواء كان مؤلفاً من القضايا أم لا، كالعقل والعلم، والنبّي والإمام، والمعجزة، ومطلق الآيات التكوينية، فلا وجه لحمله على البرهان المصطلح بها له من تفصيل الشرايط.

فمتى قام أحد الأمور المذكورة ممّا يصحّ إطلاق الحجّة والبرهان بمعناها اللغويّ عليه - وإن كان مجازاً من باب تسمية الجزء باسم الكلّ، وتسمية السبب باسم المسبّب - فإنّه يُكتفى به عقلاً و عرفاً، كما عليه السيرة العقلائيّة حتّى من علماء المنطق والفلسفة، فإنّهم كثيراً ما يعتمدون في إثبات مرامهم على ما يوضح المطلوب، أي على المنطق الارتكازي، من دون تكلف النظر إلى مباحث المنطق المصطلح.

### الحجّة الذاتية هو العلم والعقل

الحجّة الذاتية التي لا بدّ من أن ينتهي جميع الحجج والبراهين إليها - بل بها قوامها - هي حقيقة العلم، والعقل الذي حقيقته من حقيقة العلم، كما سيأتي التنبيه عليه.

وممّا يشهد على ما ذكرنا احتجاج العقلاء وكذلك الكتاب والسنة بها في قولهم: ألم تعلم وألم تعقل، ونحوهما، فتدبّر.

### الإنكار أو التشكيك في حجّة العقل من بعض الأخباريين

من العجب خفاء حجّة العقل على بعض، كما يظهر من ملاحظة التعبيرات المحكيّة عنهم. فعن غير واحد من الأخباريين - على ما في رسائل الشيخ الأنصاري رحمته - عدم الاعتماد على القطع الحاصل من المقدمات العقلية غير الضرورية. وعن بعض الأعظم رحمته تذيلاً لكلام الشيخ: أنّ مرادهم ليس هو القطع - الذي

هو حالة نفسانية بخلاف العلم والعقل - فإنّ الذي قاله الأصوليون وأنكر عليهم الأخباريون القول بأن أدلة الأحكام الشرعية أربعة، منها العقل فأنكروا عليهم تارة بعدم حجّية العقل فيها رأساً، كما يظهر عن بعضهم، وأخرى بعدم حصول القطع من المقدمات العقلية، كما هو ظاهر كلمات بعض آخر<sup>(١)</sup>.

وعن بعض المحدّثين - بعد الإشكال بوقوع الخطاء في العقليات والشرعيّات كليهما - قال: إنّها نشأ ذلك من ضمّ مقدّمة باطلة عقلية بالمقدّمة النقلية<sup>(٢)</sup>، وقال الشيخ<sup>رحمته</sup>: المستفاد من كلامه عدم حجّية إدراكات العقل في غير المحسوسات وما تكون مباديه قريبة من الإحساس، إذا لم تتوافق عليه العقول<sup>(٣)</sup>.

وعن بعضهم<sup>(٤)</sup> في ذيل كلام المحدّث المذكور: وتحقيق المقام يقتضي ما ذهب إليه فإن قلت: قد عزلت العقل عن الحكم في الأصول والفروع، فهل يبقى له حكم في مسألة من المسائل؟ قلت: أمّا البديهيّات فهي له وحده وهو الحاكم فيها. وأمّا النظريات فإن وافقه النقل وحكم بحكمه قدّم حكمه على النقل وحده. وأمّا لو تعارض هو والنقل فلا شكّ عندنا في ترجيح النقل وعدم الالتفات إلى ما حكم له العقل<sup>(٥)</sup>.

١. انظر خاتمة مستدرک الوسائل، الفاتحة الحادية عشرة. ٩: ٣٠٣؛ كفاية الأصول: ٢٦٩ - ٢٧١.

٢. الفوائد المدنية: ٢٥٨، للمحدّث محمد أمين الأسترابادي<sup>رحمته</sup>.

٣. فرائد الأصول: ١: ٥٤، مبحث القطع، التنبيه الثاني. في بعض نسخ الفوائد: بدل «إذا لم تتوافق

عليه العقول»: «إذا لم يتوافق عليه النقل»، وهذا أنسب بكلام المحدّث الأسترابادي.

٤. هو السيّد الجزائري<sup>رحمته</sup> في شرح التهذيب على ما حكاها عنه الشيخ<sup>رحمته</sup>.

٥. فرائد الأصول: ١: ٥٤.

### الجواب عن مقالاتهم بذكر بعض الآيات والأحاديث

أقول: كيف تتلاءم هذه التعابير مع ما ورد في القرآن الكريم في شأن العقل وأولي الألباب المفسرة بأولي العقول، من حث الناس على التعقل، والإنكار على ترك التعقل، وذمه بقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾<sup>(١)</sup>، والتوعيد بقوله: ﴿وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وما عن رسول الله ﷺ: استرشدوا العقل ترشدوا، ولا تعصوه فتندموا<sup>(٣)</sup>.

وعنه ﷺ: إنها يدرك الخير كله بالعقل، ولا دين لمن لا عقل له<sup>(٤)</sup>.

وعن الصادق عليه السلام: حجة الله على العباد النبي، والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل<sup>(٥)</sup>.

وعن الصادق عليه السلام: العقل دليل المؤمن<sup>(٦)</sup>.

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام في خبر ابن السكيت: حيث قال: فما الحجة على الخلق اليوم؟ قال: العقل، يعرف به الصادق على الله فيصدقه، والكاذب فيكذبه<sup>(٧)</sup>.

وعن موسى بن جعفر عليه السلام في وصيته لهشام: إن الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه فقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ \* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ

١. يس (٣٦) : ٦٢.

٢. يونس (١٠) : ١٠٠.

٣. البحار ١: ٩٦، عن كنز الفوائد.

٤. تحف العقول: ٥٤، وعنه البحار ٧٧: ١٥٨.

٥. الكافي ١: ٢٥.

٦. الكافي ١: ٢٥.

٧. الكافي ١: ٢٥، البحار ١: ١٠٥.



الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَبَابِ ﴿١﴾ ... ثم ذم الذين لا يعقلون فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (٢). وقال: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٣) ... إِنَّ اللَّهَ عَلَى النَّاسِ حَجَّتَيْنِ: حجة ظاهرة، وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة، وأما الباطنة فالعقول ... ولا علم إلا من عالم ربّاني، ومعرفة العالم بالعقل (٤).

وفي تفسير الإمام عليه السلام في قصة آدم وحواء: ... فأرادت الملائكة أن تدفعها عنها بحرابها، فأوحى الله إليهم: إني تدفعون بحرابكم من لا عقل له يزره، فأما من جعلته ممكناً مميّزاً مختاراً فكلوه إلى عقله الذي جعلته حجة عليه ... الخبر (٥).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: العقول أئمة الأفكار (٦).

وعنه عليه السلام: العقل شرع من داخل، والشرع عقل من خارج (٧).

وبالجملة: التعبير بأنه حجة الله وسائر ما ورد في تعظيمه ينافي التشكيك في حجّيته واحتمال الخطأ في أحكامه، أو التبعض فيها بعد فرض إدراك العقل لها. وليس ذلك

١. الزمر (٣٩) ١٧، ١٨.

٢. البقرة (٢) ١٧٠.

٣. الأنفال (٨) ٢٢.

٤. تحف العقول: ٣٨٣، وعنه البحار ١: ١٣٢، ورواه في الكافي ١: ١٣ بتفاوت.

٥. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ٢٢٣، وعنه البحار ١١: ١٩١.

٦. البحار ١: ٩٦، عن كنز الفوائد.

٧. مجمع البحرين ٥: ٤٢٥. وفي تحف العقول (١٩٦): قال كميل بن زياد: سألت أمير المؤمنين عليه السلام

عن قواعد الإسلام، ما هي؟ فقال: قواعد الإسلام سبعة، فأولها العقل وعليه بني الصبر ...

إلا من جهة عدم عرفان حقيقة العقل وأحكامه، وتوهم أن كل ما يحصّله الإنسان ويستنتجه من المقدمات فهو حكم العقل.

فلا بدّ من التحقيق في هذين المقامين، كما أشار إليه ما عن أبي عبد الله عليه السلام: اعرفوا العقل وجنده، والجهل وجنده تهتدوا... وإنما يدرك الحقّ بمعرفة العقل وجنوده، وبمجانبة الجهل وجنوده<sup>(١)</sup>.

### العقل والنفس عند الفلاسفة، وفي الكتاب والحديث

ينبغي ذكر إجمال ممّا قاله بعض الحكماء في شأن النفس والعقل وحقيقتهما، كي يمتاز ما قالوا به في هذا الباب عمّا نطق به الكتاب الكريم والرسول الأكرم والأئمة المعصومون عليهم السلام، ويظهر أنّ الحقيقة التي سمّوها بالعقل أجنبية عن الحقيقة المسماة في الروايات - بل وعند العرف أيضاً - بالعقل.

فمن غير واحد: أنّ للنفس قوى يشترك فيها النبات، والحيوان، والإنسان، وقوى تختصّ بالإنسان، والقوى المشتركة في الثلاثة أصولها ثلاثة: الغذائية<sup>(٢)</sup>، والنامية،

١. علل الشرائع: ١١٣؛ وفي المحاسن: ١٩٨، والخصال: ٥٩١؛ وإنما يدرك الفوز....

٢. قال المحقق الطوسي رحمته الله في التجريد (كشف المراد: ١٩٣): فللغاذية: الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة، وقد تتضاعف هذه لبعض الأعضاء. أقول جاء ذكر هذه القوى الأربعة وشرح أفعالها في رواية توحيد المفضل - البحار ٣: ٧٩ - لكن فيها «المسكة» بدل «الماسكة» والظاهر أنّها الصحيح لا ما جاء في التجريد. وجاءت في هذه الرواية أيضاً من القوى التي في نفس الإنسان: الفكر والوهم والعقل والحفظ. ومن لاحظ هذا الحديث الشريف وبيان الإمام عليه السلام في ذكر هذه القوى وسائر خلق الله تعالى عرف أنّ مقصد الإمام عليه السلام وغرضه من تفصيل هذه الأمور التنبيه على دلالتها على الله تعالى وعلمه وحكمته، وظهر له أنّه لم ترد في هذا الحديث بطوله إشارة إلى تجرّد الإنسان أو اتصاله بالعقل الفعال ونحو ذلك من مقالات الفلاسفة، ولم يتضح لنا أيّ فقرة

والمولدة. والقوى المشتركة بين الإنسان والحيوان على قسمين: مدركة، ومحركة، والقوى المدركة عشر: خمس في الظاهر، وخمس في الباطن، والقوى الظاهرة: الباصرة، والسامعة، والذائقة، واللامسة، والشامة.

والقوى الباطنة - على ما قاله بعضهم - : أولها الحس المشترك، وهو الذي ترسم فيه صور الأشياء المحسوسة بالحواس الظاهرة.

والثانية: الخيال، وهو الذي يحفظ ما يرتسم في الحس المشترك.

والثالثة: الواهمة، وهي التي تُدرَك بها المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات.

والمراد بالمعنى ما لا يُدرَك بالحواس الظاهرة، كعداوة زيد، ومحبة عمرو، ومحبة الشاة لولدها، وعداوة الذئب لها.

والرابعة: الحافظة، وهي التي تحفظ المعاني الجزئية، ونسبتها إلى الواهمة كنسبة الخيال إلى الحس المشترك.

والخامسة: المتخيلة<sup>(١)</sup>، وهي التي تتركب بين الصور والمعاني، فتثبت بعضها لبعض، وتنفي بعضها عن بعض. وعن بعضهم: أن محل تلك القوى الدماغ<sup>(٢)</sup>.

والقوى المحركة المشتركة بين الإنسان والحيوان تنقسم إلى: باعثة، وفاعلة، والباعثة هي التي إذا حصلت في الخيال صورة أمر مطلوب حصوله، أو أمر مطلوب

منه تشير إلى تجرد النفس بالمعنى المصطلح - كما ادّعاه بعض - وهل التعبير باللطيف أو الروحاني يومية إلى المجرد الفلسفي؟!

١. قال العلامة الحلي رحمته في كشف المراد: ١٩٩: الخامسة: القوة المتصرفة في الصور الجزئية والمعاني الجزئية بالتركيب والتحليل... وهذه القوة تسمى متخيلة إن استعملتها القوة الوهمية، ومتفكرة إن استعملتها القوة الناطقة.

٢. النجاة لابن سينا: ١٦٢ - ١٦٣.

دفعه، بعثت القوّة الفاعلة. ويعبّر عنها في الأوّل (أي في حصول أمر مطلوب حصوله) بالقوّة الشهويّة، وفي الثاني (أي في حصول أمر مطلوب دفعه) بالقوّة الغضبيّة. والقوّة الفاعلة هي التي تحرك نحو العمل.

وعن بعضهم أنّ للنفس الإنسانيّة قوتين تختصّان بها، إحداهما ما يعبّر عنه بالعقل العمليّ، والثانية ما يعبّر عنه بالعقل النظريّ. والعقل النظريّ ما يتهيأ به لحصول المعقولات، أي المفاهيم الكلّيّة بالفكر والنظر ممّا ليس من شأنه أن يعمل، والعقل العمليّ ما من شأنه أن يعمل به بإرادته.

قالوا: ما ترتسم فيه المفاهيم الكلّيّة هي النفس المجرّدة لا البدن، بخلاف الأمور الجزئيّة، فعن المشهور أنّ محلّها البدن، كما ذكرنا (وعن كثير من المتأخّرين بل المشهور بينهم أنّها أيضاً من شؤون النفس وأطوارها، قال السبزواريّ في منظومته: النفس في وحدتها كلّ القوي)<sup>(١)</sup>.

وقالوا أيضاً: العقل له مراتب أربع: العقل الهيولائيّ، والعقل بالملكة، والعقل بالفعل، والعقل المستفاد. وتفصيلها أنّ النفس لها مراتب أربع عبّر عنها جميعاً بالعقل: الأولى: ما يسمّى بالعقل الهيولائيّ، وهي قوّة استعداد انتزاع ماهيّات الموجودات على النحو الكلّي<sup>(٢)</sup>.

١. شرح المنظومة ٢: ٨١٨، ونقله السبزواريّ في الحاشية عن ابن عربيّ في الفتوحات.

٢. قيل: كعقل الطفل الصغير الذي قد تكون مرتبة إدراكه أدنى من مرتبة إدراك الحيوان، لكنّه أشرف منه بسبب العقل الهيولائيّ الذي ليس في الحيوان، إذ لا تكون فيه هذه القوّة والاستعداد، فهذه المرتبة الأولى هي الفارقة بين الإنسان والحيوان، والهيولى كلمة يونانيّة تطلق على المادّة. وقال ابن سينا: إنّها سمّيت - هذه المرتبة - هيولائيّة، تشبيهاً بالهيولى الأولى التي ليست هي بذاتها ذات صورة من الصور، وهي موضوعة لكلّ صورة. النجاة: ١٦٥.

الثانية: أن تصل إلى مرتبة حصول هذا الاستعداد وفعاليتها فيه، ويعبر عن تلك المرتبة بالعقل بالملكة، أي حصلت له ملكة، أي حالة راسخة يقتدر بها على تصوّر المفاهيم الكلية.

الثالثة: أن تحصل لها تلك الأمور فعلاً، أي ترسم فيها فعلاً المفاهيم الكلية بالاستنتاج والنظر، سواء كانت حاضرة في النفس، أي مشهودة لها، أو تحصل بأدنى التفات وقال بعضهم: النفس حينئذ تكون عقلاً وعاقلاً ومعقولاً، ويعبر عن النفس في تلك المرتبة بالعقل بالفعل. والعقل النظري عندهم هو مقام فعلية وكمال للنفس في استخراج النظريات عن الضروريات. وبعبارة أخرى: إذا وصلت النفس إلى حدّ حصل لها استخراج النظريات من الضروريات في جميع المطالب أو في كثير منها فإنّه يعبر عنها بالعقل الفعلي أو بالفعل. وحكم العقل حينئذ ما يحصل له من النتيجة بسبب الاستخراج المذكور.

الرابعة: أن لا تحتاج في حصول تلك الصور الكلية وارتسامها في النفس إلى استنتاج وفكر ونزع وتجريد، بل تفاض عليها تلك الصور الكلية بواسطة الاتصال بالعقل الفعال الذي هو مخزن تلك الصور الكلية، لا بالفكر والتجريد<sup>(١)</sup>.

١. أي تجريد العقل فرداً محسوساً أو وصفه من الخصوصيات الشخصية الفردية وإدراكه للمعنى الكلي والماهية، كتجريد المحبة من خصوصيات المحب والمحبوب والحكم بأنها العلاقة بين طرفين. وخلاصة ما ذكره الفلاسفة هنا وبيان وجه الفرق بين مسلّهم وما اختاره المؤلف رحمته: إنّ لهم اصطلاحين معروفين في مسألة العقل: عقل إنسانيّ وعقل فعّال؛ فالعقل الإنسانيّ عندهم متحد مع النفس ومجرّد ذاتاً لا فعلاً، بمعنى أنّه محتاج إلى البدن في أفعاله، بخلاف العقل الفعّال، فإنّه مجرّد ذاتاً وفعلاً وله وجود مستقلّ عن البدن والنفس، وهو نهاية سلسلة العقول الصادر أَوْها عن المبدأ بمقتضى قاعدة الواحد، وبه تفاض الكليات على العقل الإنسانيّ. وقالوا أيضاً

هذا خلاصة ما ذكره بعض محققهم في العقل، وحاصلها أن العقل هو النفس بما لها من المراتب الأربع.

فنقول: لا ننكر القوى المودعة في جسد الإنسان الحي، ولا في النفس الإنسانيّة المعبر عنها تارة بالنفس وأخرى بالروح، وأخرى بالقلب - على أحد معنيهما - التي يعبر عنها بـ «أنا»، ولا ننكر أيضاً القوى المودعة في طبيعة الحيوان، ولا المودعة في الإنسان، ولا المراتب الأربع المفروضة فيه.

---

- كما أشير إليه - : إن القوى المدركة المشتركة بين الإنسان والحيوان تدرك الجزئيات من المحسوسات والمعاني، والنفس تدرك الكلّيات سواء كانت نظريّة أم عملية. والنفس عبارة عن العقل، فالنفس أو العقل عند أكثر الفلاسفة لا يدرك الجزئيات، لكن قال كثير من المتأخرين: إن النفس في وحدتها كلّ القوى، فهي المدركة للكلّيات والجزئيات فلا يختص العقل عندهم بإدراك المفاهيم الكلّية بل يدرك المحسوسات والمعاني الجزئية أيضاً. وعلى هذا فالفرق بين قول المؤلف رحمته وبين ما قاله المشهور يكون في المدرك وفي ما به الإدراك، إذ المشهور قائلون بأن المدرك للمعاني الجزئية هو الوهم والمدرك للمحسوسات هو القوى الظاهرة والمدرك للكلّيات هو النفس أو العقل، والمؤلف يعتقد بأن المدرك في الجميع هو النفس لكن لا بذاتها، فما به الإدراك عنده هو العقل المفاض على النفس، وبينهما تباين كتابين النور والظلمة ولا يتحدان أبداً. وأمّا الفرق بين قول المؤلف وقول المتأخرين فليس إلّا في ما به الإدراك، إذ المؤلف يقول بأن ما به الإدراك ليس النفس بذاتها بل تدرك النفس بالنور الخارج عن ذاتها، ويقول المتأخرون من الفلاسفة بأنّهم النفس والعقل وأنها مدركة بذاتها. ومما استدللّ به المؤلف على ذلك هو الوجدان، فإن الإنسان يجد أن نفسه فاقدة بذاتها لنور العقل والعلم وأنها بالنور تدرك الجزئيات والكلّيّة، ففي مثل «زيد إنسان» نرى بالوجدان أنّ المدرك لزيد هو المدرك للإنسان، وأنّ النفس المعبر عنها بـ «أنا» تدرك كليهما بواسطة نور تجده وتفقدّه. وسيأتي أنّ رواية ابن السكّيت عن الرضا عليه السلام ترشد إلى هذا الأمر من أنّ العقل يدرك الجزئيات أيضاً، فلاحظ وتدبر.

ولا يهتّمنا التعرّض لها والتحقيق فيها، وإقامة الدليل على إثباتها أو نفيها. إلا أنّ الذي يهتّمنا وينبغي التنبيه عليه هو أنّ حقيقة العقل الذي به تدرك المعقولات، وحقيقة العلم الذي به تدرك المعلومات، وبه يحتج الكتاب والسنة أجنبيّ عن ذلك كلّ، وعن حقيقة الإنسان المعبرّ عنها بلفظ «أنا»، وعن المراتب المذكورة لها، بل هو النور المتعالي عن ذلك كلّ.

والنفس وجميع قواها بجميع مراتبها - التي تصل إليها في كمالها - مُظلمة محضّة في ذاتها، وفاقدة بذاتها لتلك الحقيقة النوريّة، وصيرورتها عالماً عاقلاً إنّما هي بوجودها لتلك الحقيقة (أي العلم والعقل) بما للوجدان من المراتب، من غير أن تدخل النفس في حالة من الحالات في صُقع تلك الحقيقة النوريّة، أو تنزّل تلك الحقيقة وتصير من مراتب النفس.

ولا تزال تلك الحقيقة النوريّة تكون هكذا بالنسبة إلى جميع الحقائق الخارجيّة وإلى جميع الصور والمعاني الجزئيّة والكلّيّة الذهنيّة. حتّى بالنسبة إلى النفوس الكاملة العالية. وإنّ تسمية المراتب الأربع المتقدّمة بالعقل اصطلاح محض، ولعله مبعّد عن نيل حقيقة العقل الواقعيّ الذي نبّه عليه الكتاب والسنة.

فصل في ذكر بعض ما ورد من الروايات المباركة في: شأن العقل وحقيقته

وأحكامه:

عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله خلق العقل من نور مخزون مكنون في سابق علمه الذي لم يطلع عليه نبيّ مرسل ولا ملك مقرّب، فجعل العلم نفسه، والفهم روحه، والزهد رأسه... الخبر<sup>(١)</sup>.

وعن النبي ﷺ: أَنَّهُ سئل: مِمَّا خلقَ اللهُ عزَّ وجلَّ العقلَ؟ قال: ... فإذا بلغَ كشف ذلكَ السِّترَ، فيقعُ في قلبِ هذا الإنسانِ نورٌ فيفهمُ به الفريضةَ والسَّنةَ، والجيدَ والردي، ألا ومثَّلَ العقلُ في القلبِ كَمَثَلِ السراجِ في وسطِ البيتِ<sup>(١)</sup>.

وعن موسى بن جعفر عليه السلام في وصيته لهشام: وإنَّ ضوءَ الروحِ العقلِ<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام - في حديث - : العقلُ منه الفطنة، والفهم، والحفظ، والعلم<sup>(٣)</sup>.

وعنه عليه السلام: دعامةُ الإنسانِ العقلُ، ومن العقلِ الفطنة، والفهم، والحفظ، والعلم. فإذا كان تأييدَ عقله من النورِ كان عالماً، حافظاً، ذكياً، فطناً، فهماً. وبالعقلِ يكمل، وهو دليله، ومبصره، ومفتاحُ أمره<sup>(٤)</sup>.

وعنه عليه السلام: خلقَ اللهُ العقلَ من أربعةِ أشياء: من العلم، والقدرة، والنور، والمشية بالأمر، فجعله قائماً بالعلم، دائماً في الملكوت<sup>(٥)</sup>.

ففي هذه الروايات عرّفوا العقلَ بأنّه من نور، وأنّه نور، وأنّ مثله في القلبِ كَمَثَلِ السراجِ في وسطِ البيت. وأنّه خُلِقَ من العلم، وأنّه قائم بالعلم، وأنّ منه الفطنة والفهم والحفظ والعلم. ثم عرّفوا العلمَ بأنّه نور، كما في رواية عنوانِ البصريّ: ليس العلمُ بالتعلّم، إنّما هو نورٌ يقعُ في قلبٍ من يريدُ اللهُ تبارك وتعالى أن يهديه<sup>(٦)</sup>.

١. البحار ١: ٩٩، عن علل الشرائع.

٢. تحف العقول: ٣٩٦، وراجع ص ١٦ الهامش ٤.

٣. الكافي ١: ٢٥.

٤. البحار ١: ٩٠، عن علل الشرائع.

٥. البحار ١: ٩٨، عن الاختصاص، وسيأتي توضيح لهذا الحديث في ص ٣٩.

٦. البحار ١: ٢٢٥، عن خطِّ الشيخ البهائي عليه السلام.



وستأتي روايات أخرى تدلّ على ذلك.

ويظهر منها أن: العقل - وكذلك العلم - حقيقة نورية مغايرة للقلب والحقيقة النفس الإنسانية المشار إليها بلفظة «أنا»، لما مرّ من أن صيرورة الإنسان عالماً وعاقلاً إنّها هي بوجدانه لهذه الحقيقة النورية، بما له (أي للوجدان) من المراتب، من دون تداخل بينه وبينها في حقيقتها.

حقيقة العلم هو النور الظاهر بذاته المظهر لغيره

قد مرّ آنفاً في بعض الروايات أن العقل خلق من العلم، فينبغي التذكير بهذه الحقيقة (أي العلم)، فنقول:

حيث إنّ العلم هو الكاشف والمظهر، ولا كاشف ولا مظهر في المخلوقات سواء فلا محالة أن يكون هو المظهر لغيره ولنفسه أيضاً.

كما عن صحيفة إدريس: بالحق عُرِفَ الحقّ، وبالنور اهتدي إلى النور، وبالشمس أبصرت الشمس، وبضوء النار رُئيت النار<sup>(١)</sup>.

ويقرب منه التعريف المشهور للنور بأنّه الظاهر بنفسه المظهر لغيره<sup>(٢)</sup>.

١. البحار ٩٢: ٤٦٦، عن نسخة وجدها ابن متويه.

٢. شرح حكمة الإشراق لقطب الدين الشيرازي: ٢٨٣.

تذكرتان:

١- حقيقة العلم من الضروريات والبدهيّات فلا حاجة لها إلى التعريف؛ لأنّ المعرف لا بدّ أن يكون أجلى وأظهر من المعرف، وظهور الأشياء بسبب العلم وهي منوّرة به ومُظهِر له فليس شيء مُظهِر له وإنّما المُظهِر من خصائص الحقيقة النورية، ومُظهِرته بعض المظاهر بسبب النور لا بذات المُظهِر، فتدبّر.

فتقول:

إنّ الإنسان إذا توجّه إلى نفسه يجد أنّ له الشعور بها وبكونها وتحققها، وإذا توجّه إلى الكائنات الأخر أيضاً من الحقائق المشهودة بواسطة الحواس الظاهرة، أو إلى الأمور المتصورة أو المعقولة فإنّه يجد أنّ جملة منها له الفهم والشعور بها وبتحققها وبقضايا واقعة فيها، وأنّ جملة منها ليست مكشوفة، ويجد أيضاً أنّ جملة منها حصل الكشف لها بعد أن لم تكن مكشوفة، فيتنبّه أنّ ما عدا الأشياء المكشوفة وغير المكشوفة أمر آخر يكون به كشفها وظهورها له.

وبالجملة: أنّه يجد حقيقتين وواقعيتين: أموراً ليست ظاهرة بذاتها، وأمرأ آخر يكون وراء ذلك كلّ يكون به ظهور هذه الأمور له.

ثمّ يتنبّه إلى أنّ نفسه وكونها - أي وجودها - إنّما هي من تلك الأمور المكشوفة له،

---

فإذا عرفنا العلم بالنور أو الظهور أو الانكشاف فليس الغرض تعريفه حقيقة بها هو أجلى، بل المقصود أن يتذكّر الواحد للعلم الحقيقة التي يجدها وأن يلتفت إليها، فليست التعابير المختلفة عن العلم إلا ألفاظ مترادفة تكون وسيلة لتذكّر الواحد وتنبيهه. وسيأتي أنّ حقيقة التعليم التذكير وأنّ الاستناد إلى الأدلة الثقلية في باب العلم والعقل ليس من جهة التعبد بل من باب التذكّر وأنّ الدليل نفس العلم والعقل المعرفين لذاتها.

٢- إنّ كثيراً من العرفاء والفلاسفة اعترفوا بأنّ العلم لا يقبل التعريف، وأنّه بديهي ووجداني، وأنّ الظهور والنورية عين ذاته، لكنهم قالوا باتّحاد العلم والعالم والمعلوم ومساواة العلم للوجود، فراجع مفاتيح الغيب: ٢٦١.

أقول: إن معرفة تباين حقيقة العلم مع العالم والمعلوم من شؤون معرفة العلم الذي هو أهمّ مباحث هذا الكتاب، واستكمال المعرفة في هذه المرحلة مفتاح لمعرفة النفس ولكثير من الأبواب الآتية وهذا تكرر التنبيه على تلك المباينة والمغايرة في تضاعيف الكتاب.

فيتبَّه إلى أنّ نفسه ليست هي الكاشفة بذاتها لها، وكذلك كونها أي وجودها، بل الكاشف أمر آخر.

والحاصل أنّه يتنبَّه أنّ ما عدا نفسه وما عدا الأشياء المكشوفة له أمر آخر يكون به كشف جميعها، وهو حقيقة العلم.

### تذكرة

ربّما يغفل الإنسان عن ذاته، والغفلة لا تعقل في حقيقة الكشف والشعور.

### تذكرة أخرى

عدم شعور الإنسان بنفسه في حال الإغماء وفي بعض أحوال النوم دليل آخر على أنّه ليس من حقيقة العلم والشعور.

### تذكرة أخرى

من أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسه وذاته، فلو كان ذاته عين العلم والشعور لم تخفّ عليه حقيقته وإنّيته. وتوهم وجود الحجاب مدفوع بأنّ محجوبيّة العلم عن نفسه غلط واضح.

وبالجملة: الغفلة، والجهل، والنسيان، وبعض أحوال النوم، كلّ واحد منها دليل على أنّ حقيقة العلم خارجة عن حقيقة الإنسان.

ثمّ إنّ هذه المباينة والغيريّة لا تزال ثابتة بلغ الإنسان ما بلغ من حدّ الكمال، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾<sup>(١)</sup>. وقال تعالى:

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾<sup>(١)</sup>.

### نظراً في تقسيم العلم وتعريفه

يظهر مما ذكرنا أن ما يقال، أو يُتصوّر، أو يُعقل، من الكيفيات والأطوار والأحوال، وسائر الجواهر والأعراض المفهومة كلّها - نظير الأمور المحسوسة بالحواس الظاهرة - أمور مظلمة يكون ظهورها بغيرها، وهو العلم الخارج عنها. فيعلم أن تقسيم العلم إلى الحضوريّ والحصوليّ، وتعريف العلم الحضوريّ بحضور الشيء عند العالم، والحصوليّ بالصورة الحاصلة من الشيء عند النفس، أو بحصول صورة الشيء عندها، أو بقبول النفس تلك الصورة<sup>(٢)</sup> ... كلّه أجنبيّ عن حقيقة العلم الظاهر بذاته، فإنّ شيئاً منها ليس ظاهراً بذاته، ولا مظهرأً لغيره، بل كلّها ظاهرة بأمر آخر يكون هو العلم بها، كما يشهد بذلك أنك لو سألتهم: هل تعلمون حضور الشيء عند النفس أو هل تعلمون الصورة الحاصلة، أو حصول تلك الصورة عند النفس لقالوا: نعم، فيقال لهم: بماذا تعلمونها؟ وبم صارت معلومة عندكم؟ فما يعلم به تلك الأمور هو العلم، لا تلك الأمور نفسها.

ومنه يعلم حال التصوّر والتصديق اللذين قُسم العلم الحضوريّ إليهما، وأتت من أحوال النفس، يُعلّمان بالعلم وليسا بقسمين منه.

ثمّ إنهم يمثلون للعلم الحضوريّ - وهو حضور الشيء عند النفس - بحضور الصورة الذهنيّة عندها، وبحضور كلّ معلول عند علته، وقد علمت أنّ النفس

١. الحجّ (٢٢) ٥.

٢. العلم الحضوريّ على التعريف الأوّل من مقولة الكيف، وعلى الثاني من مقولة الإضافة، وعلى

الثالث من مقولة الانفعال. انظر الأسفار ٣: ٢٨٤.

والصور، وكلّ علّة ومعلول، وحضور الصور عند النفس، وحضور كلّ معلول عند علته كلّها من الأمور المكشوفة بالعلم، وليست هي العلم.

فصل: في ذكر بعض الروايات الظاهرة في أنّ العلم هو النور بمعناه الحقيقي، أو اللائح منها ذلك، ولا بدّ قبل إيرادها من بيان أمرين:

الأوّل: أنّ ما ذكرناه أو نذكره من الروايات في باب العلم والعقل إنّها هي تذكرة من الأئمة عليهم السلام، أو إرشاد إلى الأمر الظاهر بذاته الذي نجده ولو إجمالاً، فليس التمسك بها من باب التعبد المحض، بل هي إرشاد إلى الحقائق، فالدليل على ما ذكرنا هو الوجدان المؤيّد بكلام المعصوم عليه السلام، بل الدليل هو نفس العلم والعقل المعرفين بذاتهما لذاتهما.

ففي باب العلم نجد أنّ المحسوسات بالحواس الظاهرة أو الباطنة، من جواهرها وأعراضها، ومنها أرواحنا - أي أنفسنا التي نعبر عنها بلفظة أنا - كلّها أمور مظلمة، ويكون ظهورها بنور خارج عنها يعبر عنه بالعلم، فنكون بوجداننا إيّاه واستضاءتنا به عالمين، وبفقداننا إيّاه جاهلين.

ومنزلة هذا النور بالنسبة إلى تلك الأمور - من جهة - منزلة النور المحسوس بالنسبة إلى سائر المحسوسات، مع فرق ظاهر بين نور العلم وهذا النور المحسوس، وهو أنّ نور العلم ظاهر بذاته، والنور المحسوس ظاهر لنا بنور العلم، فالنور بمعناه الحقيقي هو نور العلم، كما أشرنا إليه سابقاً، وإن كان يطلق لغة وعرفاً على النور المحسوس الذي هو من الكيفيات الجسميّة أيضاً.

ومن وجوه الفرق أنّ النور المحسوس - مثل نور البصر - يُبصر، ونور العلم أجلّ من ذلك، بل به البصيرة والبصر. ومنها أنّ النور المحسوس في عرض سائر الجواهر

والأعراض، ونور العلم فوقها لا بالفوقية المكانية.

الثاني: قد يطلق النور على النور المحسوس بحاسة البصر الذي هو من لواحق المادة، كنور الشمس وغيرها، وقد يطلق ويراد به النور الحقيقي الظاهر بذاته الذي به ظهور كل شيء حتى الأنوار المحسوسة، كما نبهنا عليه، وقد يطلق على ما هو السبب لوجدان النور الحقيقي، كالقرآن، والكتاب، والنبى والإمام، فمتى أُطلق على القرآن، أو النبى، أو الإمام، فلعله من قبيل تسمية السبب باسم المسبب، فليكن على ذكر منك كيلا يختلط عليك الأمر.

فمن رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل يجمع العلماء يوم القيامة ويقول لهم: لم أضع نوري وحكمتي في صدوركم إلا وأنا أريد بكم خير الدنيا والآخرة، اذهبوا فقد غفرت لكم ما كان منكم<sup>(١)</sup>.

وعنه ﷺ: يقول الله عز وجل للعلماء يوم القيامة: إني لم أجعل علمي وحكمي فيكم إلا وأريد أن أغفر لكم على ما كان منكم، ولا أبالي<sup>(٢)</sup>.

وعن الإمام الباقر صلوات الله عليه: العالم كمن معه شمعة تُضيء للناس... كذلك العالم معه شمعة تزيل ظلمة الجهل والحيرة، فكل من أضاءت له فخرج بها من حيرة أو نجاها من جهل فهو من عتقائه من النار... الخبر<sup>(٣)</sup>.

وعن أمير المؤمنين صلوات الله عليه: يا كميل، احفظ عني ما أقول لك، الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعا، أتباع كل ناعق، يميلون مع

١. البحار ٢: ١٦، عن علل الشرائع.

٢. البحار ٢: ٢٥، عن منية المرید.

٣. البحار ٢: ٤، عن تفسير الإمام والاحتجاج.

كُل رِيحٍ، لم يستضيئوا بنور العلم... أَللَّهُمَّ بلى لا تخلو الأرض من قائم بحجّة...  
هجم بهم العلم على حقائق الأمور فباشروا روح اليقين... الخبر<sup>(١)</sup>.

وعن أبي جعفر صلوات الله عليه - في حديث طويل - : ثم إن رسول الله ﷺ  
وضع العلم الذي كان عنده عند الوصي، وهو قول الله عز وجل: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ﴾<sup>(٢)</sup>. يقول: أنا هادي السماوات والأرض، مثل العلم الذي أعطيته، وهو  
نوري الذي يُبتدى به، مثل المشكاة فيها المصباح، فالمشكاة قلب محمد ﷺ، والمصباح  
النور الذي فيه العلم... الخبر<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث عنوان البصري عن الصادق عليه السلام: ليس العلم بالتعلم، إنما هو نور يقع  
في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه<sup>(٤)</sup>.

وعن أبي محمد العسكري عليه السلام قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: من كان من  
شيعتنا عالماً بشريعتنا، فأخرج ضعفاء شيعتنا من ظلمة جهلهم إلى نور العلم الذي  
حبوناه به، جاء يوم القيامة وعلى رأسه تاج من نور يضيء لأهل جميع العرصات،  
وعليه حُلّة لا يقوم لأقل سلك منها الدنيا بحذافيرها، ثم ينادي منادٍ: يا عباد الله، هذا  
عالم من تلامذة بعض علماء آل محمد صلوات الله عليهم، ألا فمن أخرجته في الدنيا من  
حيرة جهله فليتشبّب بنوره ليخرجه من حيرة ظلمة هذه العرصات إلى نزه الجنان،  
فيخرج كل من علّمه في الدنيا خيراً، أو فتح عن قلبه من الجهل قفلاً، أو أوضح له عن

١. الخصال: ١٨٦. وفي نهج البلاغة، حكمة ١٤٧ بتفاوت.

٢. النور (٢٤) ٣٥.

٣. البحار ٢٣: ٣٢١، عن روضة الكافي.

٤. البحار ١: ٢٢٥، عن خط الشيخ البهائي عليه السلام.

شبهة<sup>(١)</sup>.

وعن أمير المؤمنين صلوات الله عليه لما سأله الجاثليق فقال: أخبرني عن الله عز وجل يحمل العرش أم العرش يحمله؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الله عز وجل حامل العرش والسموات والأرض وما فيها وما بينهما... إن العرش خلقه الله تعالى من أنوار أربعة... وهو العلم الذي حمّله الله الحملة، وذلك نور من عظمته، فبعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين، وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون، وبعظمته ونوره ابتغى من في السموات والأرض من جميع خلائقه إليه الوسيلة بالأعمال المختلفة والأديان المشتبهة<sup>(٢)</sup>، فكلّ محمول يحمله الله بنوره وعظمته وقدرته، لا يستطيع لنفسه ضرراً، ولا نفعاً، ولا موتاً، ولا حياة، ولا نشوراً، فكلّ شيء محمول، والله تبارك وتعالى المسك لهما أن تزولا، والمحيط بهما من شيء<sup>(٣)</sup>، وهو حياة كلّ شيء، ونور كلّ شيء، سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً.

قال له: فأخبرني عن الله عز وجل أين هو؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: هو هاهنا، وهاهنا، وفوق، وتحت، ومحيط بنا، ومعنا، وهو قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا

١. البحار ٢: ٢، عن تفسير الإمام عليه السلام والاحتجاج.

٢. في نسخة: «المتشنتة» كما في تعليقة البحار ٥٥: ١٠.

٣. قوله عليه السلام: «والمحيط بهما من شيء» يحتمل وجهين: أن يكون «المحيط» بالجزء عطفاً على ضمير «لها» و«من» بيان له، أي المسك للشيء المحيط بهما، وأن يكون «المحيط» مرفوعاً بالعطف على المسك و«من» بيان لضميرهما لقصد زيادة التعميم أو لبيان المحذوف، أي المحيط بهما مع ما حوته من شيء.



كَانُوا<sup>(١)</sup>. فالكرسيّ محيط بالسموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى<sup>(٢)</sup>، وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السرّ وأخفى، وذلك قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾<sup>(٣)</sup>، فالذين يحملون العرش هم العلماء الذين حملهم الله علمه<sup>(٤)</sup>... وكيف يحمل حملة العرش الله وبحياته حييت قلوبهم وبنوره اهتدوا إلى معرفته؟!<sup>(٥)</sup>.

وفي معاني الأخبار عن المفضل بن عمر، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العرش والكرسيّ ما هما؟ فقال: العرش في وجهه: هو جملة الخلق، والكرسيّ وعאוّه، وفي وجه آخر: هو العلم الذي أطلع الله عليه أنبياءه ورسله وحججه، والكرسيّ هو العلم الذي لم يُطلع عليه أحداً من أنبيائه ورسله وحججه عليهم السلام<sup>(٦)</sup>.

١. المجادلة (٥٨) ٧.

٢. يمكن أن يكون هذا إشارة إلى أن الكرسيّ أيضاً عبارة عن علمه سبحانه، كما في الرواية الآتية عن معاني الأخبار.

٣. البقرة (٢) ٢٥٥.

٤. قال الصدوق عليه السلام في الاعتقادات ص ٤٦: «وأما العرش الذي هو العلم فحملته أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين، فأما الأربعة من الأولين فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وأما الأربعة من الآخرين فمحمد عليه السلام وعليّ والحسن والحسين عليهم السلام، هكذا روي بالأسانيد الصحيحة عن الأئمة عليهم السلام في العرش وحملته، وإنما صار هؤلاء حملة العرش الذي هو العلم لأنّ الأنبياء الذين كانوا قبل نبينا عليهم السلام كانوا على شرائع الأربعة... ومن قبل هؤلاء صارت العلوم إليهم وكذلك صار العلم من بعد محمد وعليّ والحسن والحسين عليهم السلام إلى من بعد الحسين من الأئمة عليهم السلام».

٥. الكافي ١: ١٢٩، وعنه البحار ٩: ٥٥.

٦. معاني الأخبار: ٢٩، وعنه البحار ٢٨: ٥٥.

وعن أبي عبد الله عليه السلام في حديث: والعرش هو العلم الذي لا يقدر أحد قدره <sup>(١)</sup>. وفي الكافي عن صفوان بن يحيى، قال: سألتني أبو قرّة المحدث أن أدخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام، فاستأذنته فأذن لي، فدخل فسأله عن الحلال والحرام، ثم قال: أَتَقَرَّرُ أَنَّ اللَّهَ مَحْمُولٌ؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: كُلٌّ مَحْمُولٌ مَفْعُولٌ بِهِ مِضَافٌ إِلَى غَيْرِهِ، محتاج، والمحمول اسم نقص في اللفظ، والحامل فاعل، وهو في اللفظ مدحة، وكذلك قول القائل: فوق، وتحت، وأعلى، وأسفل، وقد قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ <sup>(٢)</sup>. ولم يقل في كتبه أنه المحمول، بل قال: إِنَّهُ الْحَامِلُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ <sup>(٣)</sup>. والمسك السماوات والأرض أن تزولا <sup>(٤)</sup>. والمحمول ما سوى الله، ولم يسمع أحد آمن بالله وعظمته قطّ قال في دعائه: يا محمول. قال أبو قرّة: فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ تَمَائِيَةً﴾ <sup>(٥)</sup>، وقال: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ <sup>(٦)</sup>! فقال أبو الحسن عليه السلام: العرش ليس هو الله، والعرش اسم علم وقدرة، وعرش فيه كل شيء... الخبر <sup>(٧)</sup>.

وفي التوحيد عن حنان بن سدير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العرش

١. البحار ٥٥: ٢٩، عن التوحيد.

٢. الأعراف (٧) ١٨٠.

٣. إشارة إلى سورة الإسراء (١٧) ٧٠.

٤. إشارة إلى سورة فاطر (٣٥) ٤١.

٥. الحاقة (٦٩) ١٧.

٦. غافر (٤٠) ٧.

٧. الكافي ١: ١٣٠، وعنه البحار ٥٥: ١٤.

والكرسي، فقال: إن للعرش صفات كثيرة مختلفة<sup>(١)</sup> ... وقوم وصفوه بيدين فقالوا:

١. قال العلامة المجلسي رحمته الله: أي معاني شتى وإطلاقات مختلفة (البحار ٥٥: ٣١). وقال في بيان معنى العرش والكرسي، (٥٥: ٣٧ - ٣٩) ما ملخصه: أن ملوك الدنيا لما كان ظهورهم وإجراء أحكامهم على رعيّتهم إنَّما يكون عند صعودهم على كرسي الملك وعروجهم على عرش السلطنة ومنها تظهر آثارهم وتبين أسرارهم، والله سبحانه لتقدسه عن المكان لا يوصف بمحل ولا مقر وليس له عرش ولا كرسي يستقر عليهما، بل يطلقان على أشياء من مخلوقاته أو صفاته الكمالية على وجه المناسبة، فالكرسي والعرش يطلقان على معان:

أحدها: جسمان عظيمان خلقهما الله فوق سبع سموات. وظاهر أكثر الأخبار أن العرش أرفع وأعظم من الكرسي، ويلوح من بعضها العكس. والحكمة يزعمون أن الكرسي هو الفلك الثامن، والعرش هو الفلك التاسع، وظواهر الأخبار تدل على خلاف ذلك ... وإنَّما سمي بالاسمين لبروز أحكامه وتقديراته من عندهما، وإحاطة الكروبيين والمقربين وأرواح النبيين والأوصياء بها ... وحملتها في الدنيا جماعة من الملائكة وفي الآخرة إنَّما الملائكة أو أولو العزم من الأنبياء مع صفوة الأوصياء عليهم السلام.

ثانيها: العلم كما عرفت إطلاقها في كثير من الأخبار عليه ... وذلك أيضاً لأن منشأ ظهوره سبحانه على خلقه العلم والمعرفة، وبه يتجلّى على العباد، وحملتها نبينا وأنتمنا عليهم السلام لأنهم خزّان علم الله في سائه وأرضه لا سيبا ما يتعلّق بمعرفته سبحانه.

ثالثها: المُلْك، وقد أطلقا عليه في رواية حنان.

رابعها: الجسم المحيط، وجميع ما في جوفه أو جميع خلق الله.

خامسها: كلّ صفة من صفاته الكمالية والجلالية، - ويستفاد ذلك من خبر حنان وغيره - إذ كلّ منها مستقر لعظمته وجلاله، وبها يظهر لعباده على قدر قابليّتهم ومعرفتهم.

سادسها: قلب الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وكمّل المؤمنين، فإنّ قلوبهم مستقرّ محبّته ومعرفته سبحانه، كما روي أنّ قلب المؤمن عرش الرحمن. أقول: لم أجد في الروايات المسندة إطلاق العرش على قلب المؤمن، وروي هذا الخبر مرسلًا ولم يرد في البحار إلّا في هذا الموضع، ولعلّه

﴿يُدُّ اللَّهُ مَعْلُوتَهُ﴾<sup>(١)</sup>. وقوم وصفوه بالرجلين فقالوا: وضع رجله على صخرة بيت المقدس فمنها ارتقى إلى السماء، وقوم وصفوه بالأنامل فقالوا: إنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قال: إني وجدت برد أنامله على قلبي، فلمثل هذه الصفات قال: ﴿رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. يقول: ربِّ المثل الأعلى<sup>(٣)</sup> عما به مثله، والله المثل الأعلى الذي لا يُشبهه شيء، ولا يُوصف ولا يُتوهم، فذلك المثل الأعلى... الخبر<sup>(٤)</sup>.

وفي الكافي عن أبي حمزة، قال: سألت أبا عبد الله ﷺ عن العلم، أهو علم يتعلمه العالم من أفواه الرجال، أم في الكتاب عندكم تقرأونه فتعلمون منه؟ قال: الأمر أعظم من ذلك وأوجب، أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾<sup>(٥)</sup>. ثم قال: أي شيء يقول أصحابكم في

لذلك أخره العلامة عن سائر المعاني، ومع ذلك يحتمل رجوعه إلى المعنى الثاني بأن يكون إطلاق العرش بمناسبة أن قلب المؤمن حامل العرش العلمي والنور الإلهي. وعلى هذا فلا مجال للتثبت بالخبر المذكور لتجرد النفس، مع ما سيأتي من الأدلة على عدم تجردها، فلاحظ.

١. المائدة (٥) ٦٤.

٢. الزخرف (٤٣) ٨٢.

٣. سيأتي بيان حول هذه العبارة، ص ١٠٦ - ١٠٧، الهامش ١.

٤. التوحيد: ٣٢١، وعنه البحار ٥٥: ٣٠.

٥. ذيل الآية: ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نَوْزًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ الشورى (٤٢) ٥٢، يستفاد من الآية المباركة والحديث الشريف: أن أشرف المخلوقات وهو قلب خاتم النبيين ﷺ الذي أوحى الله تعالى إليه، لا يكون مجرداً باصطلاح الفلاسفة (بأن يكون ذاتاً عقلياً) وأنه بروح القدس - الذي هو نور وعلم خاص، أو مخلوق حامل لهذا العلم - اهتدى وعلم وفهم، وأن هذا النور عطاء من الله تعالى يعطيه من يشاء من عباده. ويظهر من الروايات أن المراد من الروح في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ الإسراء (١٧) ٨٥، هو روح القدس

هذه الآية؟ أيقرون أنه كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان؟ فقلت: لا أدري - جعلت فداك - ما يقولون، فقال لي: بلى، قد كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان حتى بعث الله الروح التي ذكر في الكتاب، فلما أوحاها إليه علم بها العلم والفهم، وهي الروح التي يعطيها الله تعالى من شاء، فإذا أعطها عبداً علمه الفهم<sup>(١)</sup>.

### حقيقة العقل من حقيقة العلم وهي الكاشفة للحسن والقبح تنبيهان:

١- بعد ما عرفت بالوجدان أن حقيقة العلم نور خارج عن الأشياء وعن حقيقتنا، وعن كل ما تتصوره من معلوماتنا النفسية، محيط بها جميعاً، ربها نجده فنذكر به أنفسنا ومعلوماتنا وسائر الأشياء، وربها نفقده فلا ندرك شيئاً حتى أنفسنا، وهو لا يتنزل عن شموخ مقامه إلى مرتبة نفوسنا، فضلاً عن معلوماتنا النفسية، ولا ترد أنفسنا بكما لها العلمي في صقع ذلك النور، كما سيأتي مزيد توضيح لذلك إن شاء الله تعالى ...  
نقول:

إن حقيقة العقل أيضاً خارجة عن حقيقتنا، فمتى نجده يكشف لنا به حسن الأشياء وقبحها مثلاً.

ومن طرق التنبيه إلى هذه الحقيقة أن يذكر المعلم الواجد لنور العلم والشعور بأن أفعال البشر بعضها حسن، وبعضها قبيح، وبعضها ليس لها شيء من هاتين الصفتين، فإذا عرف الصفتين - أي ظهرتا بنور العلم والفهم - يقال: إنه عاقل، وإن لم تظهر الـ

أيضاً، وتؤيد اتحاد معنى الروح في الآيتين وحدة التعبير فيها، فتدبر.

١. الكافي ١: ٢٧٣، والبحار ٢٥: ٥٩، ٦٢، ٦٣، عن بصائر الدرجات بأسانيد متعدّدة وعبارات مختلفة يسيراً.

يقال: إنه مجنون، أي مستور عنه عقله، وهذا أول درجة عقل العاقل الذي يصحّ معه التكليف.

فيذكر بأن ما تعرف به هاتان الصفتان هو سنخ نور العلم الذي تظهر به سائر الأمور، وسائر تلك الأفعال الحسنة والقيحة، إلا أنه قبل أن يصير واجداً لهذه الدرجة من نور العلم لا يقال إنه عاقل، وبعد وجدانه يقال له عاقل.

٢- يمكن أن يقال: إن مرجع التحديد المذكور ومرجع درجات هذا النور إلى تحديد وجدان الواجد لا إلى جعل المراتب لذات ذلك النور. وبعبارة أخرى: مرجع كمال العقل إلى سعة وشدة في وجدان نور العقل، لا إلى تفاوت ذات العقل سعة وشدة.

وبعد وجدان نور العقل ربما يفقده الإنسان لمرض أو شهوة، إما رأساً وإما درجة منه، كما هو الظاهر لمن تأمل حالات نفسه، وبهذا الوجدان والفقدان مع عدم نقصان في إتيته وشخصيته يتنبه أنه - كما ذكرنا في حقيقة العلم - خارج عن ذات إتيته.

ونكرّر الكلام فنقول: إنّ العقل هو الحقيقة المعروفة عند كلّ عاقل، وإنه الذي يعرف به الحسن والقيح، والجيد والردّي، والفريضة والسنة، كما نبّهت عليه الرواية النبوية المتقدّم ذكرها: ... حتى يولد هذا المولود فيبلغ حدّ الرجال أو حدّ النساء، فإذا كُشف ذلك السّر فيقع في قلب هذا الإنسان نور فيفهم به الفريضة والسنة، والجيد والردّي، ألا ومثل العقل في القلب كمثل السراج في وسط البيت<sup>(١)</sup>.

أقول: هذا هو الذي يعرفه العقلاء ويسمّونه بالعقل، وبه يميّزون العاقل عن غيره نوعاً، ويعرف كلّ عاقل أنه صار واجداً له في كبره بعد أن كان فاقداً له في صغره، كما

نَهت عليه الرواية المتقدمة، ويفقده الإنسان أو يجده ضعيفاً عند شدة الغضب أو الشهوة، وفي منامه، فيرى في بعض رؤياه أنه يصدر منه ما لا يصدر من العاقل، أو من العاقل الكامل. ويفقده أيضاً بعد وجدانه فيصير مجنوناً، ويجده بعد فقدانه فيصير عاقلاً، وفي جميع هذه الأحوال يجد أن إتيته وشخصيته لم تتغير عما كانت عليه، فيتنبه أن العقل ليس من مراتب النفس ومرتبة فعلية بعد القوة، بل هو نور مستقل يجده بعد فقدانه، ويفقده بعد وجدانه متعاقباً.

نعم، لا بأس بالتعبير عن وجدان الإنسان لذلك النور بأنه فعلية للنفس، إلا أنها ليست فعلية حصلت للنفس بالحركة الجوهرية<sup>(١)</sup>، وامتنع تنزلها عنها إلى مقام يعبر عنه بالقوة، لما عرفت من أنه يفقده الإنسان بعد وجدانه إياه، فهذه الفعلية والقوة

١. قالوا في تعريف الحركة: إنها خروج الجسم من القوة إلى الفعل بالتدريج، وهي - عند الأكثر - جارية في الأعراض الأربعة (الكيف والكم والوضع والأين) وعند ملاً صدرا ومن تبعه - كالسبزواري - تجري في مقولة الجوهر أيضاً، بمعنى أن الجسم تبدل ذاته ويكون وجوده وجوهه سيالاً متبدلاً نظير تبدل الزمان وسيلانه. وعلى هذا المبنى من القول بالحركة الجوهرية أنكر ملاً صدرا خلق الأرواح قبل الأبدان تكويناً (مع اعترافه بأن الروايات الواردة فيه لا تخصي كثرة؛ العرشية: ٢٣)، وقال بأن النفس جسمانية الحدوث - يعني تحدث بحدوث البدن - وروحانية البقاء، أي تصل بالحركة الجوهرية إلى حد التجرد. وأنكر على هذا المبنى أيضاً معاد الجسم العنصري، وقال بأن البدن الذي يعود من سنخ الصور التي يبدعها النفس. وقال بأن عالم الطبع متجدد في كل حين، فأنكر حدوده بمعنى المسبوقية بالعدم الواقعي الصريح، إلى غير ذلك مما بناه على هذا الأصل؛ وسيأتي إشارات إلى رد هذا المبنى في تضاعيف الكتاب، وللوقوف على مصادر ما نقلناه انظر الأسفار ٣: ٨٥ - ١٠١ وص ١٠٨ - ١١٣ وص ١٢٨ - ١٣٢؛ وج ٨: ٣٩١ - ٣٩٥؛ وج ٩: ١٨٥ - ١٩٩، ورسالة حدوث العالم ملاً صدرا.

عبارة عن وجدان نور العلم وفقدانه من دون درك لحقيقته، كما نبّه عليه في ذيل الرواية المتقدمة المروية عن الاختصاص: قال الصادق عليه السلام: خلق الله العقل من أربعة أشياء: من العلم، والقدرة، والنور، والمشيئة بالأمر، فجعله قائماً بالعلم، دائماً في الملكوت<sup>(١)</sup>.

وأظن أن بعض الأعاظم قال في بيان الرواية: إن الشيء إذا وجد أول درجة من الشعور يقال: إنه حيّ، وهذا الشعور من حيث ظهوره ومظهريته يقال له العلم، فإذا وجد الحيّ العلم وكماله الآخر - وهو القدرة أي القدرة النفسية، والاختيار والحرية وهو المراد من المشيئة - وظهر له حسن الفعل وقبحه الذاتيان، المعبر عنهما بالحسن والقبح والفاعليين - وهو المراد من النور - فإنه يقال له العاقل. والله العالم.

ولعل وجه التعبير عن هذه الدرجة من وجدان العلم - بما له من الكمال المذكور - بالعقل أنه إذا وجدت النفس صار ذلك منشأً لعقلها عن ارتكاب الأفعال التي يرتكبها الجهال، كما في النبويّ: إن العقل عقال من الجهل، والنفس مثل أخبث الدواب، فإن لم تُعقل حارت<sup>(٢)</sup>.

فالعقل - كالعلم - ظاهر بذاته للعاقل، ومغاير حقيقته لحقيقة الإنسان العاقل. كما يشير إلى مغايرته قوله عليه السلام: ألا ومثل العقل القلب كمثل السراج في وسط البيت<sup>(٣)</sup>.

١. راجع ص ٢٣.

٢. تحف العقول: ١٥، وعنه البحار ١: ١١٧.

٣. راجع ص ٢٣.



وقوله ﷺ: «إِنَّ ضَوْءَ الرُّوحِ الْعَقْلُ»<sup>(١)</sup>.

وقوله ﷺ: «الْعَقْلُ نُورٌ فِي الْقَلْبِ يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ»<sup>(٢)</sup>.

وقوله ﷺ: «اسْتَرَشِدُوا الْعَقْلَ تَرَشِدُوا، وَلَا تَعْصُوهُ فَتَنْدَمُوا»<sup>(٣)</sup>.

ويرشد إلى المغايرة إطلاق الرسول والحجة عليه، كما في كلام موسى بن جعفر وعليّ بن موسى عليهما السلام، فيكون هو الرسول والإنسان هو المرسل إليه.

هذا بعض الكلام في مغايرته للعاقل، وأما مغايرته للمعقولات مطلقاً فلما ذكرناه من أنه ظاهر بذاته ومظهر لغيره، والمعقولات ليست كذلك. والدليل على ما ذكرناه كله نفس العقل المعرف لنفسه وللعاقل والمعقول.

فمن مجموع ما ذكرناه ظهر أن المراد من قول موسى بن جعفر عليهما السلام لهشام: يا هشام، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾<sup>(٤)</sup> يعني العقل<sup>(٥)</sup>، أن القلب هو الذي له العقل، لا أن القلب هو العقل بعينه، فإنه ينافي قوله ﷺ: مثل العقل في القلب كمثّل السراج في وسط البيت، وغيره من الروايات المتقدمة<sup>(٦)</sup>.

١. راجع ص ٢٣.

٢. إرشاد القلوب: ١٩٨.

٣. البحار ١: ٩٦، عن كتز الفوائد.

٤. ق (٥٠) ٣٧.

٥. راجع ص ١٦، الهامش ٤.

٦. يدل أيضاً على تغاير العقل والنفس مواضع عديدة من الحديث المعروف بالإهليلجة الذي رواه المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام:

أ - قوله عليه السلام - في جواب سؤال الطبيب الهندي: «أخبرني بهم تحتج في معرفة ربك ..؟» - «بالعقل الذي في قلبي». البحار ٣: ١٥٣.

## تنبيهات

١ - ممّا ذكرناه من حقيقة العقل تعرف أنّه لا وجه لتخصيص العقل بإدراك الكليّات، بل من شأنه إدراك الجزئيّات أيضاً<sup>(١)</sup>، كما هو الظاهر من قوله ﷺ: تعرف به الصادق على الله فتصدّقه، والكاذب فتكذّبه<sup>(٢)</sup>.

---

ب - «عرف القلب بعقله أنّ مسك الأرض الممتدّة أن تزول أو تهوي في الهواء ... هو الذي يمسك السماء» (البحار ٣: ١٦٢).

ج - «وذلك أنّ القلب يفكر بالعقل الذي فيه ...» (٣: ١٦٣).

د - «عرف القلب بعقله أنّ من دبر هذه الأشياء هو الواحد العزيز الحكيم» (٣: ١٦٥).

هـ - «وكذلك سمعت الأذن ما أنزل المدبّر من الكتب تصديقاً لما أدركته القلوب بعقولها» (٣: ١٦٥).

و - «عرف القلب بعقله أنّه لو كان معه شريك كان ضعيفاً ناقصاً» (٣: ١٦٧).

ز - «إنّ الذي عاين ... قلبك الذي جعل الله فيه العقل الذي احتجّ به على العباد» (٣: ١٦٨).

قال العلامة المجلسي في بيان اعتبار حديث الإهليلجة وخبر توحيد المفضل: ولا يضّر إرساها لا شهتار انتسابها إلى المفضل، وقد شهد بذلك السيّد ابن طاووس وغيره ... مع أنّ متن الخبرين شاهداً صدق على صحّتهما، وأيضاً هما يشتملان على براهين لا تتوقّف إفادتها العلم على صحّة الخبر.

١. المشهور بين الفلاسفة أنّ العقل يدرك المفاهيم الكليّة وأنّ القوّة الواهية تدرك المعاني الجزئيّة كما تقدّم في ص ١٨-١٩؛ وقال ملا صدرا في شرح أصول الكافي (٣: ١٧١): «إنّ جوهر الوهم بعينه هو جوهر العقل ومدركاته بعينها مدركات العقل، والفرق بينها بالقصور والكمال ...» وعلّق عليه الحكيم النوري بما أوضح مراده (٣: ٤٤١). لكنّ الظاهر بناء كلامها على ما تقدّم دفعه من اتّحاد العقل والنفس وأنّ النفس في وحدتها كلّ القوى.

٢. راجع ص ١٥.

٢- مضى في كلمات موسى بن جعفر عليه السلام: إن الله على الناس حجتين: حجة ظاهرة<sup>(١)</sup> ... أقول: ظاهر أن الحجة الظاهرة إنما تعرف وتثبت بالحجة الباطنة، كما نبه عليه الرضا عليه السلام في جواب ابن السكيت: تعرف به الصادق على الله فتصدقه ...، فيظهر من هذين الخبرين حقيقة ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله: ... والعقل أصل ديني<sup>(٢)</sup>.

٣- لما كان أساس تعليمات الإسلام على التذكير والتذكر بنور العلم صحّ توصيف القرآن بالنور، والهدى، والبصائر، والبيان، والبيان. ولما كانت طريقة تعليمه بحسب العادة التذكير والتذكر بآياته المباركة صحّ توصيف تلك الآيات وتوصيف النبي صلى الله عليه وآله - الذي جاء بها - بالذكر، والتذكرة، والذكرى، والمذكر.

قال الله تعالى:

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ \* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾<sup>(٥)</sup>.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾<sup>(٦)</sup>.

١. راجع ص ١٦.

٢. مستدرک الوسائل ١١: ١٧٣ الباب ٤ من أبواب جهاد النفس، الحديث ٨، عن عوالي اللآلي وأنوار الحقيقة.

٣. المائدة (٥) ١٥، ١٦.

٤. الأعراف (٧) ٢٠٣.

٥. التغابن (٦٤) ٨.

٦. الإسراء (١٧) ٩.

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذِكِرَةٌ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

### تذكرة

خطأ العاقل لا ينافي عموم حجّية العقل، لأنّه وإن كان عاقلاً إلا أنّه كثيراً ما يغلب عليه الهوى وسائر الغرائز، فيعمل أو يحكم على طبقها لا على طبق حكم العقل، وربّما يعمل أو يحكم على طبق الظنّ الذي لا يغني عن الحقّ شيئاً، بل على طبق القطع الذي ليس إلا حالة نفسانيّة قد تخالف الواقع<sup>(٤)</sup>، كما يعبرّ عنه بالجهل المركّب، فليس الحكم الناشئ عن إحدى هذه الحالات حكم العقل، وإن كان صادراً من العاقل.

### تنبيه

عموم حجّية العقل الثابت بحكم الكتاب والسنة من أحد الأدلّة على أنّ عقل العاقل - ولو كان في حال كونه عاقلاً - خارج عن حقيقة الإنسان الذي من طبعه الخطأ ولو في حال كونه عاقلاً، فتدبّر.

١. عيس (٨٠) ١١.

٢. الأنبياء (٢١) ٥٠.

٣. التكوير (٨١) ٢٧.

٤. لا ينافي ذلك وجوب متابعة القطع وكونه حجّة - بمعنى المنجزية والمعدّية في ما كان القاطع قاصراً - ما دام باقياً. لأنّ القاطع يرى المقطوع واقعاً، ووجوب المتابعة ليس من لوازم المرئي بوجوده الواقعي بل هو من لوازمه بوجوده الزعمي بلا التفات إلى زعميته.

## في بيان حقيقة حكم العقل

قد مرّ أنّ حقيقة العقل هي حقيقة العلم والنور الحقيقيّ الكاشف للحقائق، والفرق إنّما هو في المتعلّق، بمعنى أنّ متعلّق العلم إن كان هو الحسن والقبح الذاتيين لماهية الأفعال والخصال - ولو مع الإجمال في درجتها - يُعبّر عنه بالعقل.

والمراد بالذاتيّ ما لا ينفكّ عن الشيء ولا يعلّل بشيء، ولا يختصّ حسنه أو قبحه بزمان دون زمان، أو عند طائفة دون طائفة، كحكم العقل بحسن الإحسان وقبح الظلم وسائر محاسن الأخلاق ومساوئها، في الحسن والقبح الفعليين، وكحكمه بوجوب الإيمان والتصديق بما ثبت أنّه من الله ومن حججه، وبوجوب الطاعة والانقياد وحرمة المعصية والتجرّي عند القطع التفصيليّ وما يقوم مقامه بالحكم الفعلّي الصادر من الله ومن حججه، وبوجوب الاحتياط أو استجابته في الشبهات الحكميّة أو الموضوعيّة البدويّة أو المقرونة بالعلم الإجماليّ، الراجعة إلى الحسن أو القبح الفاعليّ، وكحكمه بحجّية الطرق العقلانيّة شرعاً أيضاً إذا جرى الشارع على طبقها وعمل بها أو لم يردع عنها مع عموم البلوى بها، كخبر الثقة الذي هو طريق عند العقلاء مع الشرائط المذكورة، وإلاّ لزم نسبة القبيح إليه، وغير ذلك مما هو مقرّر في أصول الدين والفقّه.

وبالجملة: لا ينفكّ حكم من الأحكام الشرعيّة: التكليفيّة والوضعيّة، والقليّة والقاليّة عن حكم من الأحكام العقليّة.

ويعبّر عنه بالحكم لأنّ كشف الحسن والقبح أو الوجوب والحرمة وسائر الوظائف العقليّة باعث ومحرك للعاقل نحو العمل [أو زاجره عنه]، كالحكم الصادر من المولى، وإلاّ فليس من شأن العقل إلاّ الكشف.

## تنبيه

كشف الأمور وإن كان بالعلم والعقل، إلا أنّ العادة - أي سنّة الله تعالى - جرت على حصول ذلك لنا بالأسباب، ومنها التعليم<sup>(١)</sup> الذي حقيقته التذكير والهداية إليها بنور العلم والعقل، كما هو ظاهر الآيات المباركات، وهو من أهمّ وظائف الأنبياء، كما روي عن رسول الله ﷺ: بالتعليم أرسلت<sup>(٢)</sup>.  
وعنه ﷺ: بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق<sup>(٣)</sup>.  
وعن أمير المؤمنين ع: في علّة بعث الأنبياء: ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسيّ نعمته، ويحتجّوا عليهم بالتبليغ، وليثيروا لهم دفائن العقول<sup>(٤)</sup>.

## تنبيه في علامات العقل

في الروايات المباركة تعريفات مختلفة أخرى للعقل، فبعد ملاحظة مجموعها يعرف أنّ جميعها إشارة إلى هذا النور الظاهر بذاته وبآياته لكلّ عاقل، إلاّ أنّه لمكان امتناع درك حقيقته أشاروا صلوات الله عليهم في بعض الروايات إليه بذكر أحكامه وما

١. هذه الأسباب - نظير الشرائط كصحّة القوى الدماغية التي في بدن الإنسان - معدّات في الحقيقة، فيمكن وقوع الكشف بدونها كما يمكن عدم الانكشاف معها. ويأتي في التنبيه الثالث عشر من مبحث المعاد: إمكان حصول العلم لكلّ ذرّة من ذرّات عالم المادّة بأن تدرك كلّ أمر يدركه الإنسان. ومما ذكرنا يظهر أنّ قوله ﷺ في الحديث المتقدّم (ص ٢٣): «ليس العلم بالتعلّم» في مقام نفي السببية القطعية التامة لا نفي مطلق السببية، فتدبّر.

٢. منية المرید: ١٠٦، وعنه البحار ١: ٢٠٦.

٣. مجمع البيان ٥: ٣٣٣، وعنه البحار ١٦: ٢١٠.

٤. نهج البلاغة: الخطبة الأولى، وعنه البحار ١١: ٦٠.

يظهر به، وفي بعضها بذكر أوصاف واجده، وفي بعضها بذكر أوصاف فاقده، وفي آخر بذكر ما يترتب على أتباعه، وفي آخر أشاروا إلى حقيقته من بعض الجهات، وفي بعض إلى جهات أخرى، وهكذا.

ففي الكافي عن أبي عبد الله صلوات الله عليه، قال الراوي: قلت له: ما العقل؟ قال: ما عُبد به الرحمان، واكتُسب به الجنان. قال: قلت: فالذي كان في معاوية؟ فقال: تلك النكراء، تلك الشيطنة، وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل<sup>(١)</sup>.

وعن رسول الله ﷺ: قُسم العقل على ثلاثة أجزاء، فمن كانت فيه كمل عقله، ومن لم تكن فيه فلا عقل له: حسن المعرفة بالله عزّ وجلّ، وحسن الطاعة له، وحسن الصبر على أمره<sup>(٢)</sup>.

وروي أنّ النبي ﷺ قيل له: ما العقل؟ فقال: العقل العمل بطاعة الله، وإنّ العَمال بطاعة الله هم العقلاء<sup>(٣)</sup>.

وروي أنّه سئل الحسن بن عليّ صلوات الله عليهما عن العقل فقال: التجرّع للغصّة ومداهنة الأعداء<sup>(٤)</sup>.

وعن أبي عبد الله صلوات الله عليه قال: يُعتبر عقل الرجل في ثلاث: في طول لحيته، وفي نقش خاتمته، وفي كنيته<sup>(٥)</sup>.

١. الكافي ١: ١١٠، والبحار ١: ١١٦، عن معاني الأخبار.

٢. البحار ١: ١٠٦، عن الخصال.

٣. البحار ١: ١٣١، عن روضة الواعظين.

٤. البحار ١: ١٣٠، عن المحاسن.

٥. البحار ١: ١٠٧، عن الخصال.

وعنه صلوات الله عليه: إذا أردت أن تختبر عقل الرجل في مجلس واحد فحدثه في خلال حديثك بما لا يكون، فإن أنكره فهو عاقل، وإن صدّقه فهو أحمق<sup>(١)</sup>.

وعنه عليه السلام: لا يُلسع العاقل من جُحرٍ مرّتين<sup>(٢)</sup>.

وعنه عليه السلام: أفضل طبائع العقل العبادة، وأوثق الحديث له العلم، وأجزل حظوظه الحكمة، وأفضل ذخائره الحسنات<sup>(٣)</sup>.

وعنه عليه السلام: كمال العقل في ثلاث: التواضع لله، وحسن اليقين، والصمت إلا من خير<sup>(٤)</sup>.

وعنه عليه السلام: الجهل في ثلاث: الكبر، وشدة المرء، والجهل بالله، فأولئك هم الخاسرون<sup>(٥)</sup>.

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله مرّ بمجنون فقال: ما له؟ فقيل: إنّه مجنون، فقال: بل هو مصاب، إنّها المجنون من آثر الدنيا على الآخرة<sup>(٦)</sup>.

وعن أمير المؤمنين صلوات الله عليه: العاقل مَنْ رَفَضَ الباطل<sup>(٧)</sup>.

وعنه صلوات الله عليه: لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه<sup>(٨)</sup>.

---

١. البحار ١: ١٣١، عن الاختصاص.

٢. البحار ١: ١٣١، عن الاختصاص.

٣. البحار ١: ١٣١، عن الاختصاص.

٤. البحار ١: ١٣١، عن الاختصاص.

٥. البحار ١: ١٣١، عن الاختصاص.

٦. البحار ١: ١٣١، عن روضة الواعظين.

٧. البحار ١: ١٥٩، عن الدرّة الباهرة.

٨. نهج البلاغة: ٤٧٦، الحكمة ٤٠، وعنه البحار ١: ١٥٩.



وروي أنه قيل له عليه السلام: صف لنا العاقل، فقال: هو الذي يضع الشيء مواضعه، قيل له: فصف لنا الجاهل، فقال: قد فعلت <sup>(١)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام: يُستدلُّ بكتاب الرجل على عقله وموضع بصيرته، وبرسوله على فهمه وفطنته <sup>(٢)</sup>.

وعن النبي صلى الله عليه وآله: صفة العاقل أن يحلم عمّن جهل عليه، ويتجاوز عمّن ظلمه، ويتواضع لمن هو دونه، ويسابق من فوقه في طلب البرّ، وإذا أراد أن يتكلم تدبّر، فإن كان خيراً تكلم فغنم، وإن كان شراً سكت فسلم، وإن عرضت له فتنة استعصم بالله وأمسك يده ولسانه، وإذا رأى فضيلة انتهب بها، لا يفارقه الحياء ولا يبدو منه الحرص، فتلك عشر خصال، يُعرف بها العاقل. وصفة الجاهل أن يظلم من خالطه، ويتعدى على من هو دونه... إلى آخر الرواية <sup>(٣)</sup>.

وعن أمير المؤمنين صلوات الله عليه: لا غنى كالعقل، ولا فقر كالجهل <sup>(٤)</sup>.

وعنه صلوات الله عليه: ذهاب العقل بين الهوى والشهوة <sup>(٥)</sup>.

وعنه صلوات الله عليه: من لم يملك شهوته لم يملك عقله <sup>(٦)</sup>.

وعنه صلوات الله عليه: ما العاقل إلا من عقل عن الله وعمل للدار الآخرة <sup>(٧)</sup>.

١. نهج البلاغة: ٥١٠، الحكمة ٢٣٥، وعنه البحار ١: ١٦٠.

٢. البحار ١: ١٣٠، عن المحاسن.

٣. تحف العقول: ٢٩، وعنه البحار ١: ١٢٩.

٤. نهج البلاغة: ٤٧٨، الحكمة ٥٤، وعنه البحار ١: ٩٥.

٥. غرر الحكم: ٦٥، حديث ٨٤٠.

٦. غرر الحكم: ٣٠٤، حديث ٦٩٥٠.

٧. البحار ٧٤: ٢٨٩، عن تحف العقول.

وفي مجمع البحرين: وفي الحديث: إذا تمّ العقل نقص الكلام ... وفيه: نوم العاقل أفضل من سهر الجاهل ... وفيه: ليس بين الإيهاً وبين الكفر إلا قلة العقل، وذلك أن العبد يرفع رغبته إلى مخلوق، فلو أخلص نيته لله لأتاه الذي يريد في أسرع من ذلك. وفيه: العقل غطاء ستير ... ما كسب الإنسان أفضل من عقل يهديه إلى هدى ... وفيه: لا نجاة إلا بالطاعة، والطاعة بالعلم، والتعلم بالعقل يعتقل<sup>(١)</sup> أي يفهم ويدرك، وعقل عن الله أي عرف عنه ... ومنه: من عقل عن الله اعتزل عن أهل الدنيا. وفيه: اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية، فإن رواة العلم كثير ورعاه قليل<sup>(٢)</sup>.

### تجرّد نور العلم وعدم تجرّد النفس

بالتأمل في ما ذكرنا يظهر في الجملة أن المجرّد عن المادّة ولو احقها في المخلوقات هو نور العلم والعقل بما لهما من الكمالات النورية، بلا تركيب وتجزؤ في ذاتهما<sup>(٣)</sup>، لا النفس الإنسانيّة المعبر عنها بالروح في قوله ﷻ: إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد

١. في الكافي ١: ١٧: والتعلم بالعقل يعتقد.

٢. مجمع البحرين ٥: ٤٢٥.

٣. إشارة إلى أن اختلاف درجات نور العلم والعقل بسبب تفاوت مراتب الاستضاءة منه، لا بجهة حصول الزيادة والنقصان في حقيقة النور كما تقدّم في التنبيه الثاني ص ٣٧؛ ولا يخفى أنه يستفاد من الروايات - التي دلّت على أن العقل مخلوق وأن الله تعالى خلق كل شيء بالمشيئة، وأن مشيئته تعالى حادثة وليست بأزليّة - : أن هذه الأنوار حادثة وليست معلولة لله تعالى بالعلية الموجبة للسخرية كما أشير إلى ذلك في دعاء الجوشن الكبير المروي عن سيّد الساجدين عن آبائه الطاهرين ﷺ: «يا نوراً قبل كل نور، يا نوراً بعد كل نور، يا نوراً فوق كل نور، يا نوراً ليس كمثل نور». وحدوث المادّة لا يستلزم نفي الحدوث عن غيرها بالمعنى المناسب له، فافهم.

بألنفي عام<sup>(١)</sup>. فإنّ الروح بهذا المعنى على ما يظهر من الروايات جزء من المادّة اللطيفة التي خلق منها كلّ شيء من العليّين والسجّين والدنيا والآخرة، والجنّة والنار، وما فيها، وسُمّيت تلك المادّة في الروايات المباركة بالماء.

والظاهر من تلك الروايات أنّ تلك المادّة فاقدة بذاتها للحياة والكمالات النوريّة، وكانت حياتها وحياة كلّ شيء من أجزائها من الأرواح البشريّة والملائكة والجان وغيرها وكمالها بوجودها تلك الأنوار واستضاءتها بها، وموتها بفقدانها إيّاها، كما سيجيء توضيحه والدليل عليه إن شاء الله تعالى، فإنّ وجدان الكمال وإن كان كمالاً إلاّ أنّه فرق واضح بين صيرورة النفس بذاتها وجوهريّتها عين ذلك الكمال ونفسه، وبين بقائها مغايرة له وحاملة إيّاه بلا تداخل واتّحاد بينهما كتداخل شيء في شيء، كما يشهد به قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾<sup>(٢)</sup>. بناءً على كون المراد من العرش هو العلم، والعلم أحد معاني العرش كما في الرواية<sup>(٣)</sup>.

قال العلامة المجلسيّ ٢ في البحار: لا يخفى عليك أنّه لم يقدّم دليل عقليّ على التجرد ولا على المادّيّة، وظواهر الآيات والأخبار تدلّ على تجسّم الروح والنفس، وإن كان بعضها قابلاً للتأويل، وما استدلّوا به على التجرد لا يدلّ دلالة صريحة عليه، وإن كان في بعضها إيحاء إليه، فما يحكم به بعضهم من تكفير القائل بالتجرد إفراطاً وتحكّم، كيف وقد قال به جماعة من علماء الإماميّة ونحاريرهم<sup>(٤)</sup>. انتهى.

١. البحار ٥٨: ١٣١، وسيأتي في ص ١٥٦ مصادر كثيرة لهذا الحديث.

٢. هود (١١) .٧.

٣. راجع ص ٣٢، ٣٣.

٤. البحار ٥٨: ١٠٤. قال العلامة الشيخ مجتبي القزويني ٢ في بيان الفرقان ١: ٢٠٩ - ٢١٧ ما

أقول: الكلام المذكور في غاية المتانة، إلا أن لنا أدلة على عدم التجرد:  
الأول: أننا نجد ذاتنا وإيتنا أنها غير خارجة عن المكان الذي فيه أبداننا، وأننا في هذا المكان ولسنا في مكان آخر، والمكان ليس بمجرد.  
الثاني: نجد تحركنا في المكان ومجئنا وذهابنا، والتحرك في المكان من لوازم المادة.  
الثالث: أننا نجد ذاتنا محدودة بحسب الكم، لوجداننا إياها أنها أصغر ممن لا يحويه مكان كذا، والمجرد أب عن المعروضية لعرض الكم.  
الرابع: أننا نجد ذاتنا محلاً لمثل الحزن والسرور، والخوف والأمن، والرغبة والرهبه وغير ذلك من الأحداث والأعراض، والمجرد أب عن جميع ذلك.  
الخامس: أن ذاتنا يعرض عليها الكمال والنقص، فتارة تكمل بالعلم، وأخرى

---

معربه وملخصه: إن علة قول بعض الفقهاء والمحدثين بتجرد النفس أمران: أحدهما: ذهاب عدة من أكابر الفلاسفة الإسلاميين - تبعاً لما اتفق عليه الفلاسفة الأقدمون - إلى القول بالتجرد؛ والآخر: بعض الأخبار الموهمة للتجرد، ومنشأ الإيهام استعمال تعابير في الروايات - كالروح والعقل والنفس والقلب - وإطلاقها على معانٍ مختلفة، لكن المراجع التأمل في الآيات والروايات لا يبقى له شك في أن الروح الفعال المدبّر لبدن الإنسان جسم لطيف، وليس الحياة والإدراك عين ذاته بل الروح يصير حياً مدركاً بنور خارج عن ذاته وحقيقته، فما ذهب إليه المادّيون من نفي الروح المستقل عن البدن يكون في جانب التفريط؛ كما أن ما قاله الفلاسفة والعرفاء من تجرد الروح وصورته عين العلم يكون في جانب الإفراط؛ والحق هو القول الوسط الموافق للبرهان والمصدّق بالوجدان من استقلال الروح وتغايره مع نور العلم والعقل في عين الاستضاءه منه.  
أقول: لا يبعد أن يكون تعبير بعض بتجرد النفس ناظراً إلى استقلالها وتجردها عن البدن خلافاً لمقالة المادّيين، لا إلى التجرد عن لواحق المادة وكونها ذاتاً عقلائية، لكن لا يمكن حمل كلمات كثير من الفلاسفة والعرفاء على هذا المحمل الصحيح، فلاحظ.

تنقص بالجهل، والتغير بذلك لا يلائم التجرد.

السادس: أن الإنسان يجد أحياناً نفسه وإنيته خارجة عن البدن، تجيء وتذهب وتعرض عليه العوارض، وقد حصل ذلك لبعض الأعاضم اختياراً، ولبعض قهراً<sup>(١)</sup>، ويحصل ذلك لكل أحد عند منام البدن، وكونه مُلقى بلا شعور ولا حركة، وروحه ونفسه ترى حينئذ من أنواع الرؤيا ويعرض عليها ما يعرض من السرور والحزن، والأمن والخوف، وأنواع اللذات وأضدادها.

السابع: الأدلة النقلية من الآيات والروايات المباركة، كما ستأتي<sup>(٢)</sup> إن شاء الله تعالى.

إلى هنا نختم الكلام في بيان إجمالي عن حقيقة العلم وحجّيته، يشهد به الوجدان، وتؤيده بل تشهد به الكلمات الواصلة من مجاري الوحي. وكذا في حقيقة العقل. وفيها مباحث جليلة لا مجال فعلاً للورود فيها، وكذا في النفس.

### معرفة النفس، ومعرفة الله تبارك وتعالى

إذا عرفت ما بيّناه لك من أوّل الرسالة إلى هنا فإنك تصير في الجملة عارفاً بنفسك، وبأنتها كسائر الحقائق المبدعة المحسوسة بالحواس الظاهرة والباطنة، حقيقة ميّنة لا شعور لها بنفسها لنفسها فضلاً عن غيرها، يفاض عليها نور العلم والفهم والقدرة وغيرها من الكمالات لا بنحو فيضان شيء من شيء، كنور الشمس من

١. نقل عدّة من تلاميذ آية الله الآقا ميرزا مهدي الإصفهاني رحمته الله منهم الوالد المؤلف رحمته الله أنه كان يخلع نفسه الشريفة في بعض الأحيان، وسمعت من آية الله الميرزا جواد آقا الطهراني رحمته الله أنه اتفق ذلك له أيضاً كما أشار إليه في كتابه: *بحثي در فلسفه بشرى واسلامى*، ص ٣٣.

٢. أنظر التنبيه التاسع من تنبيهات المعاد، ص ٣١٣.

الشمس، والحرارة من النار، ولا بنحو تطوّر الماء بالزبد والبخار، والأمواج والسواقي والأنهار، بل بإيجاد صفة يعبر عنها بالوجدان، في القابل لتلك الصفة الذي عبّر عنه في الروايات بالحامل، بلا تغير في ذات المفيض القدّوس الذي ليس كمثله شيء. فسبحان الله ربّ العرش عمّا يصفون.

وستعرف إن شاء الله - إذا عرفت ربّك بحقيقة المعرفة - أنّك كسائر الأشياء شيء بالغير الذي هو منشئ الشيء لا من شيء، وقيوم ذاته لا كقيومية العلة لمعلوها المتولّد منها، بل قيومية المبدع لما أبدعه لا من شيء، قيومية لا غنى عنها أقلّ من أن. فما يكون عنوان ذاته شيئاً بالغير قائماً به - أي لا قوام له إلا به - مباين ذاتاً لخالقه الذي هو شيء بحقيقة الشئيّة قائم بذاته.

إذا عرفت نفسك بذلك استعددت لأن تعرف ربّك بعض المعرفة، فقد روي: من عرف نفسه فقد عرف ربّه<sup>(١)</sup>. أعرفكم بنفسه أعرفكم بربّه<sup>(٢)</sup>. وروي في معرفة النفس أنّ فيها معرفة الربّ<sup>(٣)</sup>، وبه استعددت أيضاً لفهم ما ورد عنهم صلوات الله عليهم في

١. غرر الحكم: ٢٣٢، حديث ٤٦٣٧ وعبارة الحديث في هذا المأخذ: «من عرف نفسه عرف ربّه»؛

البحار ٢: ٣٢؛ مصابيح الأنوار ١: ٢٠٤.

٢. روضة الواعظين: ٢٠.

٣. عبارة هذه الرواية في مصباح الشريعة (١٣، باب ٥): قال عليّ بن أبي طالب: «اطلبوا العلم ولو بالصين، فهو علم معرفة النفس وفيه معرفة الربّ عزّ وجلّ»، وهنا روايات أخر تدلّ على أهميّة معرفة النفس، منها ما في غرر الحكم (٢٣٢، حديث ٤٦٤٠): عن أمير المؤمنين بن عليّ أنّه قال: «معرفة النفس أنفع المعارف»، وفيه أيضاً (٢٣٣، حديث ٤٦٦٤): «من لم يعرف نفسه بعد عن سبيل النجاة وخط في الضلال والجهالات»، وفيه (٢٣٢، حديث ٤٦٣٨): «من عرف نفسه فقد انتهى إلى غاية كلّ معرفة وعلم»، وفي تحف العقول: ٢٠٨، عن الباقر بن عليّ: «لا معرفة كمعرفتك

هذا الباب إن شاء الله تعالى.

### تنبيه

في أن: أشرف المعارف معرفته تعالى، وفي لزوم التمسك بالقرآن وحمله علومه:

بعد ما عرفت أن الكاشف والحجة الذاتية هو العلم والعقل نقول:

إن أشرف الحقائق وأعظمها وأجلها الذي ينبغي للعاقل بل يجب بحكم العقل معرفته هو خالق العالم وصانعه ومبدع الحقائق ومنشئها وربها ورازقها ونورها ومفيض العلم والعقل وسائر الكمالات عليها، كما هو ظاهر.

فمعرفته تعالى بما له من القدس والعظمة، ومعرفة طريق المعرفة، ومعرفة أن نصيب العقل (نصيب العاقل من عقله) من معرفته تعالى ما هو، من أشرف المعارف والعلوم<sup>(١)</sup>.

كما ورد عن الصادق عليه السلام: ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية أخرى: إن أفضل الفرائض وأوجبها على الإنسان معرفة الرب والإقرار

بنفسك؛ يستفاد من مجموع هذه الروايات إمكان معرفة النفس وعدم استحالتها إذ لا وجه للتحريض والدعوة إلى ما لا يمكن الحصول عليه، وعلى هذا فلا مجال لما قيل - بناءً على تجرد النفس - من احتمال كون المراد من قوله عليه السلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» التعليق على المحال، كما في حاشية السبزواري على الأسفار ٧: ٢٢.

١. قال الله تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ الطلاق (٦٥) ١٢ تدل هذه الآية الكريمة على أن الغرض من خلق العالم (أو تنزل الأمر أو كليهما) معرفة الخالق المتعال بالصفات الكمالية.

له بالربوبية<sup>(١)</sup>.

وفي صدر تلك الرواية: ما أقبح بالرجل يأتي عليه سبعون سنة أو ثمانون سنة يعيش في مُلك الله ويأكل من نعمه ثم لا يعرف الله حق معرفته.

وعنهم عليه السلام: بعضهم أكثر صلاة من بعض، وبعضكم أكثر حجاً من بعض، وبعضكم أكثر صدقة من بعض، وبعضكم أكثر صياماً من بعض، وأفضلكم أفضلكم معرفة<sup>(٢)</sup>.

وعن محمد بن سماعه، قال: سألت بعض أصحابنا الصادق عليه السلام فقال له: أخبرني أي الأعمال أفضل؟ قال: توحيدك لربك، قال: فما أعظم الذنوب؟ قال: تشبيهك لمخلوقك<sup>(٣)</sup>.

وعن النبي صلى الله عليه وآله: أفضلكم إيماناً أفضلكم معرفة<sup>(٤)</sup>.

وعن فقه الرضا عليه السلام: إن أول ما افترض الله على عباده وأوجب على خلقه معرفة الوجدانية، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾<sup>(٥)</sup>. يقول: ما عرفوا الله حق معرفته<sup>(٦)</sup>.

وكذا معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله في هذا الباب، فإن بها تعرف حقيقة الدين وحقيقته، وبها تتم الحجّة على الناس، بل هي من أهمّ شؤون الرسالة ووظائف

١. البحار ٤: ٥٥، عن كفاية الأثر.

٢. البحار ٣: ١٤، عن كتاب صفات الشيعة.

٣. البحار ٣: ٢٨٧، عن أمالي الشيخ.

٤. البحار ٣: ١٤، عن جامع الأخبار.

٥. الأنعام (٦) ٩١.

٦. فقه الرضا عليه السلام: ٦٥، وعنه البحار ٣: ١٣.



الرسول، وما ينبغي أن يتكفله من أمر الأمة، كي يحفظهم عن الضلالة فيه، كما عنه ﷺ: بالتعليم أرسلت<sup>(١)</sup>.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: أول الدين معرفته<sup>(٢)</sup>.

فلا ينبغي احتمال أن الله تعالى وكل أمر الناس في استكمال المعرفة وتحصيل درجاتها المتعالية - بعد حصول أول درجاتها بالعقل والفطرة، والإيمان بالله وبنبيه - إلى غير النبي والأئمة القائمين مقامه صلوات الله عليهم، وأتهم تركوهم محتاجين في هذا الأمر إلى غيرهم، كلاً، إلا بمقدار لا بد منه عادة في طريق التعلم من حملة علومهم، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وليحذر العاقل أن يطلب الهداية إلى الله تعالى وإلى دينه الذي أساسه المعرفة بالله تعالى، من غير القرآن وحملة علومه، وأن يسلك في طريق المعرفة به غير طريقهم ﷺ<sup>(٤)</sup>.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام في رواية شريفة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أتاني جبرئيل فقال: يا محمد، ستكون في أمتك فتنة. قلت: فما المخرج منها؟ فقال: كتاب الله

١. نية المرید: ١٠٦، وعنه البحار ١: ٢٠٦.

٢. نهج البلاغة، الخطبة الأولى.

٣. التوبة (٩) ١٢٢.

٤. روى الصدوق رحمه الله في معاني الأخبار (٣٢)، حديث (١) عن الفضل بن عمر قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصراط، فقال: «هو الطريق إلى معرفة الله عز وجل، وهما صراطان: صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، وأما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مر على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة...».

فيه بيان ما قبلكم من خبر، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من وآله<sup>(١)</sup> من جبار فعلم بغيره قصمه الله، ومن التمس الهدى في غيره أضلّه الله. وهو جبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، لا تزيفه الأهواء<sup>(٢)</sup> ولا تلبسه الألسنة، ولا يخلق عن الردّ<sup>(٣)</sup>، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء... ومن اعتصم به هُدي إلى صراط مستقيم، هو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد<sup>(٤)</sup>.

وعن الإمام المجتبي عليه السلام: قيل لرسول الله ﷺ: إن أمتك ستفتن، فسئل: ما المخرج من ذلك؟ فقال: كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، من ابتغى العلم في غيره أضلّه الله، الخبر<sup>(٥)</sup>.

وفي دعاء زين العابدين سلام الله عليه عند ختم القرآن: اللهم اجعلنا ممن يعتصم بحبله... ويستصيح بمصباحه، ولا يلتمس الهدى في غيره<sup>(٦)</sup>.

وعن رسول الله ﷺ: إن هذا القرآن هو النور المبين، والحبل المتين، والعروة الوثقى، والدرجة العليا، والشفاء الأشفي، والفضيلة الكبرى، والسعادة العظمى، من استضاء به نورَه الله، ومن عقد به أموره عصمه الله، ومن تمسك به أنقذه الله، ومن لم

١. وآله: أعرض وابتعد عنه، وآله ظهره: جعله وراءه. (المنجد).

٢. الزائف من الدراهم: الرديء المغشوش المرذود (لسان العرب ١: ١٧٢٢) وفي نسخة: لا تزيفه الأهوية.

٣. أي: لا يندرس بكثرة المراجعة إليه وفي نسخة: عن كثرة الردّ.

٤. البحار ٨٩: ٢٤، عن تفسير العياشي.

٥. البحار ٨٩: ٢٧، عن تفسير العياشي.

٦. الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٢.

يفارق أحكامه رفعه الله، ومن استشفى به شفاه الله، ومن آثره على ما سواه هداه الله، ومن طلب الهدى في غيره أضلّه الله، ومن جعله شعاره ودثاره أسعده الله، ومن جعله إمامه الذي يقتدي به ومعوله الذي ينتهي إليه آواه الله إلى جنّات النعيم، والعيش السليم<sup>(١)</sup>.

نصيب العقل في باب معرفة الله تعالى أن يخرج عن حدّ النفي والتشبيه

فتقول بحول الله وقوّته:

نصيب العاقل وحظّه من عقله في باب معرفة الله تعالى بحكم هذه الحجّة الباطنة وتنبيه الحجج الظاهرة أمران:

أحدهما: المعرفة والاعتقاد بوجوده وثبوته تعالى شأنه بما له من الحياة والعلم والقدرة وغيرها من الكمالات في مقابل النفي لوجوده تعالى أو لإحدى تلك الكمالات، وهذا معنى خروجه عن حد التعطيل والنفي، وهذا أول درجة المعرفة به. ثانيهما: معرفة أنّه تعالى لا يشبه شيئاً من المخلوقين، وأنّه مباين لهم في جميع أوصافهم منزه عنها. ومن شؤون معرفة الأمر الثاني المعرفة بأنّه تعالى لا يدرك بالحواس الظاهرة والباطنة، وبالعقول والعلوم والأفهام وتوهم القلوب.

وهذا معنى خروجه عن حدّ التشبيه، فلذلك لا يجوز بحكم العقل التفكّر في ذاته،

١. البحار ٨٩ : ٣١، عن تفسير الإمام عليه السلام.

تذكرة: مقتضى حديث الثقلين المتواتر بين الفريقين حصر طريق الأمن من الضلال في التمسك بالقرآن والعترة، وأنّ التمسك بها معاً يوجب الهداية والسعادة، فكل ما ورد في التمسك بالقرآن وطلب الهداية منه يدلّ بالملازمة على التمسك بالعترة الهادية صلوات الله عليهم أجمعين، الذين هم الراسخون في العلم وعندهم علم الكتاب.

ولا التكلّم فيه بتوصيفه إلا بما وصف به نفسه، ولا تسميته إلا بما سمّى به نفسه. قال الله تعالى:

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾<sup>(٥)</sup>.

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثِ

غَيْرِهِ﴾<sup>(٧)</sup>.

١. الأنعام (٦) ١٠٣.

٢. الشورى (٤٢) ١١.

٣. الصافات (٣٧) ١٨٠.

٤. الزخرف (٤٣) ٨٢.

٥. الأنعام (٦) ٩١، الزمر (٣٩) ٦٧.

٦. الأنبياء (٢١) ٢٢.

٧. الأنعام (٦) ٦٨. قال الراغب في المفردات (ص ١٦١): الخوض هو الشروع في الماء والمرور فيه، ويستعار في الأمور، وأكثر ما ورد في القرآن ورد في ما يذم الشروع فيه. أقول: لعل إيراد المؤلف بهذه الآية في عداد الآيات الدالة على نفي التشبيه والتوصيف بمناسبة ما رواه العياشي (١: ٣٦٢)، حديث (٣١) عن أبي جعفر عليه السلام: في قول الله ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ قال: الكلام في الله والجدال في القرآن....

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُتَّبِعِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾، قال عليه السلام: إحاطة الوهم<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي هاشم الجعفريّ عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: سألته عن الله هل يوصف؟ فقال: أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قال: أما تقرأ قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾؟ قلت: بلى، قال: فتعرفون الأبصار؟ قلت: بلى، قال: وما هي؟ قلت: أبصار العيون، فقال: إنّ أوهام القلوب أكبر من أبصار العيون، فهو لا تدركه الأوهام وهو يدرك الأوهام<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنّه كان يقول: الحمد لله الذي لا يُحسّ ولا يُجسّ ولا يُمسّ ولا يُدرك بالحواسّ الخمس، ولا يقع عليه الوهم...<sup>(٤)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام: من شبّه الله بخلقه فهو مشرك، إنّ الله تعالى لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء، وكلّ ما وقع في الوهم فهو بخلافه<sup>(٥)</sup>.

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام: ... لا تضبطه العقول، ولا تبلغه الأوهام<sup>(٦)</sup>، ولا

---

١. النجم (٥٣) ٤٢.

٢. التوحيد: ١١٢.

٣. التوحيد: ١١٢، وفي بعض النسخ: إنّ أوهام القلوب أكثر....

٤. التوحيد: ٥٩، وعنه البحار ٣: ٢٩٨.

٥. التوحيد: ٨٠، وعنه البحار ٣: ٢٩٩.

٦. الفرق بين الوهم والعقل بتخصيص الأوّل بإدراك ما يتعلّق بموادّ المحسوسات، والثاني بإدراك المعقولات، هو اصطلاح حكيميّ، - كما تقدّم - وقال بعض المحدثين: إنّ أكثر موارد الأخبار إذا أُطلق فيها الوهم دخل تحته العقل، بل يراد منه كثيراً مطلق القوى الباطنة. والمراد بعدم بلوغ

تدرکه الأبصار، ولا محیط به مقدار، عجزت دونه العبارة، وکلت دونه الأبصار،  
وضّل فيه تصاریف الصفات ...<sup>(١)</sup>.

وفي الدعاء: إلهي ... ولم تجعل للخلق طريقاً إلى معرفتك إلا بالمعجز عن  
معرفتك<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام: مَنْ عبد الله بالتوهم فقد كفر ...<sup>(٣)</sup>.

وعن أمير المؤمنين صلوات الله عليه: الحمد لله الواحد الأحد ... فليست له صفة  
تُنال، ولا حدّ يُضرب له فيه الأمثال، كلّ دون صفاته تعبير اللغات<sup>(٤)</sup>، وضلّ هنالك  
تصاریف الصفات، وحرار في ملكوته عمیقات مذاهب التفكير، وانقطع دون الرسوخ

---

الوهم عدم إدراكه وإحاطته على الله تعالى بأن يتصوره ويدرك كيفية ذاته أو صفاته وليس المراد  
نفي مطلق الإدراك بالنسبة إليه تعالى حتى بالإثبات ونفي التعطيل ولذا قال الصادق عليه السلام - بعد  
قوله: لا تدرکه الأوهام وقول السائل: فإننا لم نجد موهوماً إلا مخلوقاً - : «لو كان ذلك كما تقول  
لكان التوحيد عنّا مرتفعاً فإننا لم نكلّف أن نعتقد غير موهوم، لكنّا نقول: كلّ موهوم بالحواس  
مدرك بها تحدّه الحواسّ ممثلاً فهو مخلوق، ولا بدّ من إثبات صانع الأشياء خارجاً من الجهتين  
المذمومتين، إحداهما النفي، إذ كان النفي هو الإبطال والعدم والجهة الثانية: التشبيه بصفة  
المخلوق ... » البحار ٣: ٢٩. وسيأتي رواية التوحيد عن الرضا عليه السلام: «ما توهمتم من شيء  
فتوهموا الله غيره» (ص ٦٤)، ورواية ابن أبي نجران عن الباقر عليه السلام قال: أتوهم شيئاً؟ قال:  
«نعم، غير معقول ولا محدود» ص ٨٣، فراجع.

١. البحار ٤: ٢٦٣، عن علل الشرائع.

٢. مناجاة العارفين من المناجاة الخمسة عشرة المروية في البحار ٩١: ١٥٠ عن بعض كتب  
الأصحاب.

٣. التوحيد: ٢٢٠.

٤. في البحار: تحبير اللغات، وفيه: التحبير: التحسين.

في علمه جوامع التفسير، وحال دون غيبه المكنون حجب من الغيوب، وتاهت في أدنى أذانيها طامحات العقول في لطيفات الأمور... وسبحان الذي ليس له أول مبتدأ، ولا غاية منتهى، ولا آخر يفنى، سبحانه هو كما وصف نفسه، والواصفون لا يبلغون نعتة... (١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: من فكّر في ذات الله تزندق (٢).

وعنه عليه السلام: من تفكّر في ذات الله أُلحد (٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام: إياكم والتفكّر في الله، فإنّ التفكّر في الله لا يزيد إلاّ تيهاً (٤).

وعن أبي جعفر عليه السلام: دعوا التفكّر في الله، فإنّ التفكّر في الله لا يزيد إلاّ تيهاً (٥).

١. التوحيد ٤١، وعنه البحار ٤: ٢٦٩. رواه الكليني رحمته الله في الكافي (١: ١٣٤)، حديث (١) وقال: هذه

الخطبة من مشهورات خطبه عليه السلام حتى لقد ابتدأها العامة، وهي كافية لمن طلب علم التوحيد إذا تدبّرها وفهم ما فيها....

٢. البحار ٧١: ٢٨٥، عن تحف العقول.

٣. غرر الحكم: ٨٢، حديث ١٢٨٤.

٤. التوحيد: ٤٥٧.

٥. التوحيد: ٤٥٧.

تذكرة: مسألة التفكّر في ذات الله مما تمتاز بها الفلسفة البشرية عن المعارف الإلهية، فمكتب الفلسفة يرى أنّ العقل مطلق العنان في باب المعرفة فلا مانع لديه من التفكّر في ذات الله تعالى، ولو بالنسبة إلى بعض. ومكتب أهل البيت عليهم السلام يؤكد على منع التفكّر في ذات الله ويراه موجباً للضلالة والإلحاد، بلا اختصاص لهذا المنع بشخص أو بجمع خاص، وهذا واضح لمن لاحظ الروايات والخطب المأثورة عنهم عليهم السلام، (منها الخطبة التي أورد المؤلف رحمته الله بعض فقراتها في المتن «الحمد لله الواحد الأحد...») وما ورد صريحاً في النهي عن التفكّر في الذات.

ولكن مع ذلك كلّه قال بعض الأعظم - بعد ذكر روايات في النهي عن التفكّر في ذات الله

والاعتراف بأن رواياته كثيرة مودعة في جوامع الفريقين - : النهي إرشاديّ متعلّق بمن لا يحسن الورود في المسائل العقلية العميقة، فيكون خوضه فيها تعرّضاً للهلاك الدائم. الميزان ١٩ : ٥٣ أقول: لا شاهد على الاختصاص بمن ذكر، ولحن الروايات الواردة في المنع لا يقبل التخصيص كما تقدّم، وحمل النهي على الإرشاد لا يقتضي الجواز في ما نحن فيه؛ لأنّ المفاسد التي وردت في الروايات للتفكّر في ذات الله تعالى مثل الضلالة والزندقة والإلحاد يكفي في وجوب التحرّز عنها احتمال الوقوع فيها، فهل المتفكّر في ذات الله يطمئنّ من نفسه أنّه لم يقع في تلك المفاسد أو لا يقع فيها، مع تصريح الأئمة عليهم السلام بأنّها تلحق بمن تفكّر ولم يستثنوا أحداً؟!!

نعم، قد يستدلّ لجواز التفكّر في الذات بمرسلة البيزنطيّ المرويّة في الكافي (٢ : ٥٥) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أفضل العبادة إيمان التفكّر في الله وفي قدرته». لكن مع ملاحظة سائر الروايات الدالّة على المنع من التفكّر في الذات لا يبقى مجال للاستدلال على الجواز بهذه الرواية. وبيان هذا المطلب: أنّ كلّاً من الروايات المانعة من التفكّر والمجوزة له على قسمين: مطلقة ومقيّدة، والروايات المطلقة المجوزة مختلفة، فمجموعها على خمس طوائف:

الأولى: ما يدلّ على مدح التفكّر مطلقاً، كقوله عليه السلام «الفكرة مرآة صافية»؛ «طوبى لمن كان صمته فكرياً»؛ «نبّه بالتفكّر قلبك»، وغير ذلك من الروايات الكثيرة؛ البحار ٦٨ : ٣٢٥، ٣٢٨. الثانية: ما يدلّ على جواز التفكّر في الله وأنّه من أفضل العبادة، مثل الرواية المتقدّمة فهي مطلقة أيضاً إذ لم يردّ فيها قيد الذات ولا سائر القيود المذكورة في الروايات الآتية؛ وعدد هذه الطائفة لا يجاوز اثنين.

والثالثة: ما يدلّ على جواز التفكّر في آلاء الله أو في ملكوت السماوات والأرض أو في أمر الله أو في فناء الدنيا، بل يدلّ على أفضليّة هذا القسم من التفكّر على سائر العبادات وأنّه عبادة المخلصين، وروايات هذه الطائفة - كآيات الشريفة - كثيرة. جامع أحاديث الشيعة ١٤ : ٣١٠. والرابعة: ما يدلّ على المنع من التفكّر في الله، كقوله عليه السلام : «إياكم والتفكّر في الله ...»، وقوله عليه السلام : «دعوا التفكّر في الله ...»، وروايات هذه الطائفة كالطائفة الآتية كثيرة وردت بتعابير مختلفة.



وعن موسى بن جعفر عليه السلام: إن الله أعلى وأجل وأعظم من أن يُبلغ كنه صفته، فصِفوه بما وصف به نفسه، وكُفُّوا عما سوى ذلك<sup>(١)</sup>.

وعن أبي الحسن عليه السلام: من أَرْضَى الخالق لم يبالي بسخط المخلوق، ومن أسخط الخالق فَمَجِنُّ أن يسلط الله عليه سخط المخلوق. وإن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، وأتى يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحده، والأبصار عن الإحاطة به. جلَّ عما وصفه الواصفون...<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي الحسن الرضا صلوات الله عليه: ... وما توهمتم من شيء فتوهموا الله

والخامسة: ما يدل على منع التفكير في ذات الله، كقوله عليه السلام: «من فكَّر في ذات الله ترندق»، و«من تفكَّر في ذات الله الحد». وعلى هذا تكون الطائفة الثانية متعارضة مع الطائفة الرابعة في بادئ النظر، لكن بعد حمل المطلق على المقيد وخروج التفكير في الذات من تحت الروايات المجوزة يرتفع التعارض، فيحكم بامتنوع التفكير في ذات الله تبارك وتعالى وفضيلة التفكير في خلق الله وآلانه وعجائب صنعه وقدرته وما يتعلَّق بأفعاله وأوامره. ولقد أجاد العلامة المجلسي رحمته الله حيث قال في بيان مرسله البنظري:

إن قوله عليه السلام: «وفي قدرته» عطف تفسير لقوله: «في الله»؛ فإن التفكير في ذات الله وكنه صفاته ممنوع كما مرَّ في الأخبار في كتاب التوحيد؛ لأنه يوجب الحيرة والدهش واضطراب العقل، فالمراد بالتفكير في الله النظر إلى أفعاله وعجائب صنعه وبدائع أمره في خلقه، فإنها تدلُّ على جلاله وكبريائه وتقدسه وتعالیه، وتدلُّ على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيئته وقدرته وإحاطته بالاشياء، وآتة سبحانه لكمال علمه وحكمته لم يخلق هذا الخلق عبثاً من غير تكليف ومعرفة وثواب وعقاب... وهذا تفكير أولي الألباب مرآة العقول ٧: ٣٤١.

١. الكافي ١: ١٠٢.

٢. الكافي ١: ١٣٨.

غيره<sup>(١)</sup>.

وعن الحسين بن عليّ عليه السلام: ... ما تصوّر في الأوهام فهو خلافة، ليس بربّ من طرح تحت البلاغ ... احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار ...<sup>(٢)</sup>.

وعن إسماعيل بن الفضل قال: سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن الله تبارك وتعالى، هل يُرى في المعاد؟ فقال: سبحان الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً. يا ابن الفضل، إنّ الأبصار لا تدرك إلا ما له لون وكيفيّة، والله خالق الألوان والكيفيّة<sup>(٣)</sup>.

المعرفة بالآيات: ظهور مصنوعيّة الأشياء، والتصديق بأنّ لها صانعاً

طريق معرفة الأمرين كليهما هي الآيات التكوينيّة (وهي جميع الأمور المحسوسة بالحواسّ الظاهرة والباطنة)، والنظر إليها بنور العلم والعقل، والتفكّر فيها بهما.

فنقول لتوضيح الأمر الأوّل: إنّ العاقل يظهر له بعد التفكّر مطلبان:

المطلب الأوّل: أنّ جميع الأشياء المحسوسة بالحواسّ الظاهرة حقائق مصنوعة مخلوقة محدثة، كما يشهد عليه اجتماع جميع أوصاف المصنوع المخلوق - الذي شاهد صنعه وخلقه وإحداثه منه ومن غيره - فيها، كما يشير إليه ما نقل عن الإمام الصادق صلوات الله عليه في كلامه لابن أبي العوجاء: أمصنوع أنت أو غير مصنوع؟ فقال: بل أنا غير مصنوع، فقال له: فصف لي: لو كنت مصنوعاً كيف كنت تكون؟ فبقي ملياً لا يُجيب جواباً، وولع بخشبة بين يديه وهو يقول: طويل، عريض، عميق، قصير، متحرّك،

١. التوحيد: ١١٤.

٢. البحار ٤: ٣٠١، عن تحف العقول.

٣. البحار ٤: ٣١، عن أمالي الصدوق.

ساكن، كل ذلك صفة خلقه<sup>(١)</sup>.

وصدع به الرسول الأكرم ﷺ في احتجاجه على الدهرية، فراجعه جميعه إلى قوله: فإذا كان هذا المحتاج بعضه إلى بعض لقوامه<sup>(٢)</sup> وتماه هو القديم، فأخبروني أن لو كان محدثاً كيف كان يكون؟ وماذا كانت تكون صفته؟ فصمتوا وعلموا أنهم لا يجدون للمحدث صفة يصفونه بها إلا وهي موجودة في هذا الذي زعموا أنه قديم<sup>(٣)</sup>. ومقتضى الجملة المعروفة: حكم الأمثال في ما يجوز وفي ما لا يجوز واحد، هو مصنوعة جميعها.

ثم إن إحداث ماهيات جميعها في أذهاننا وأوهامنا بالقدرة التي أعطانا الله على تصوير ماهيات الأشياء - وبعبارة أخرى: إيجاد صورها عند أنفسنا - هو أيضاً من شواهد مصنوعيّتها، أي مصنوعة كل ما يمكن تصوّره، كما نبّه عليه الإمام الباقر صلوات الله عليه: كل ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مثلكم ومردود إليكم<sup>(٤)</sup>. بداهة أن ليس المراد من الخبر إثبات مصنوعة نفس الصورة الذهنية، بل المراد إثبات مخلوقية كل ما يمكن تصوّره وتكون الصورة الذهنية حاكية عنه ومثالاً له. وبعبارة أخرى: إثبات أن كل ما تشاهده الحواس الظاهرة أو يتصوّر بالحواس

١. البحار ٣: ٤٦، عن التوحيد.

٢. كما في المصدر، وفي البحار: نفوته.

٣. البحار ٩: ٢٦٢، عن تفسير الإمام عليه السلام، والاحتجاج.

٤. الأربعون حديثاً (للشيخ بهاء الدين العاملي): ٨١، وعنه البحار ٦٦: ٢٩٣، ومرآة العقول ٩: ٢٥٦-٢٥٧؛ وذيل الحديث في هذه المصادر: «ولعل النمل الصغار تتوهم أن الله تعالى زبانيّين، فإن ذلك كماها وتوهم أن عدمها نقصان لمن لا يتّصف بهما، وهكذا حال العقلاء في ما يصفون الله تعالى به».

الباطنة سنخ المخلوق المصنوع الحادث.

ومتى ظهرت له مصنوعيّة الأشياء جميعها فلا بدّ له من التصديق والإذعان لمطلب ثانٍ وهو أنّ للأشياء صانعاً وإن لم يعلم من هو، وما هو، وفي أيّ زمان صنعها. وسنذكر قريباً التنبيه على هذا المطلب الثاني في غير واحدة من الآيات والروايات. ثمّ يتذكّر بأنّ فيها من بدائع الخلق ولطائف الصنع ودقائق التدبير ووجوه المصالح والحكم والنظم الحاكم فيها آثاراً تكشف عن علم صانعها وخالقها وقدرته وقوّته وعظمته وحكمته ولطفه ووحدته وسائر كمالاته.

مضافاً إلى أنّ بعض هذه المخلوقات كأفراد الإنسان له العلم والمعرفة بالدقائق واللطائف، والقدرة والاختيار والحكمة والجلود والكرم والرحمة وسائر أوصاف الجمال باختلاف درجاتها. فيتذكّر بأنّها أنوار وكمالات خارجة عن حقيقة ذاته، كما مرّ مراراً، يجدها تارة فيعلم ويختار وهكذا، ويفقدها أخرى فيجهل ويعجز كما هو مقتضى ذواتنا. فهذه آيات أخرى نورية لعلم واهبها وقدرته وسائر كمالاته، كما كانت ذوات المخلوقات آيات ظلمانية مشيرة تكويناً بوصف مصنوعيّتها ومخلوقيّتها إليه تعالى وإلى كمالاته.

### الآيات والروايات المذكّرة بوجود الصانع

وأما المطلب الثاني فالقرآن المجيد مشحون بالتنبيه عليه، نذكر هنا طرفاً منها إن شاء الله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ \* يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ \* وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ

فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ \* وَمَا ذَرَأْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ \* وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ \* وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ \* وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ \* أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١١﴾ .

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ \* وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ \* وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْوَانِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ \* وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ \* وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ \* وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ (١١) .

﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ \* وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ \* وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ \* وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ \* ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَجْرُجُ مِنَ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ

١. النحل (١٦) ١٠-١٧.

٢. الروم (٣٠) ٢٠-٢٥.

يَتَفَكَّرُونَ \* وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿١﴾ .

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٢﴾ .

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣﴾ .

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٤﴾ .

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ \* وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى الْفَلَكَ تُحْمَلُونَ \* وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ ﴿٥﴾ .

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَفَّارُ \* خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي

١. النحل (١٦) ٦٥ - ٧٠ .

٢. غافر (٤٠) ٦١ .

٣. غافر (٤٠) ٦٤ .

٤. غافر (٤٠) ٦٧ .

٥. غافر (٤٠) ٧٩ - ٨١ .

بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقِي فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿١١﴾ .

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ \* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ \* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٢﴾ .

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ \* فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٣﴾ .

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّنِ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ \* إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿١٤﴾ .

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ \* وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ \* لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ \* سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ وَمَنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ \* وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلُخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ \* وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ \* وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ \* لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ

١. الزمر (٣٩) ٦٠، ٥ .

٢. المؤمنون (٢٣) ١٢ - ١٤ .

٣. المؤمنون (٢٣) ١٨، ١٩ .

٤. يونس (١٠) ٦٠، ٥ .

فِي فَلَاكَ يَسْبُحُونَ ﴿١﴾.

إلى غير ذلك من الآيات المباركة، وأما الروايات فنذكر منها طرفاً ينبغي التدبر فيها:

فمن هشام بن الحكم أنه قال: كان من سؤال الزنديق الذي أتى أبا عبد الله عليه السلام قال: ما الدليل على صانع العالم؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: وجود الأفاعيل التي دلت على أن صانعاً صنعها، ألا ترى أنك إذا نظرت إلى بناء مشيد مبني علمت أن له بانياً وإن كنت لم تر الباني ولم تشاهده. قال: وما هو؟ قال: هو شيء بخلاف الأشياء، أرجع بقولي: شيء إلى إثباته وأنه شيء بحقيقة الشيئية، غير أنه لا جسم ولا صورة، ولا يُحسّ ولا يُحسّ، ولا يُدرك بالحواس الخمس، لا تدركه الأوهام، ولا تنفضه الدهور، ولا يغيره الزمان.

قال السائل: فإننا لم نجد موهوماً إلا مخلوقاً، قال أبو عبد الله عليه السلام: لو كان ذلك كما تقول لكان التوحيد عنّا مرتفعاً فإننا لم نكلّف أن نعتقد غير موهوم، لكننا نقول: كل موهوم بالحواس مدرك بها تحدّه الحواس ممثلاً فهو مخلوق، ولا بدّ من إثبات صانع الأشياء خارجاً من الجهتين المذمومتين: إحداهما النفي، إذ كان النفي هو الإبطال والعدم، والجهة الثانية: التشبيه بصفة المخلوق الظاهر التركيب والتأليف، فلم يكن بدّ من إثبات الصانع لوجود المصنوعين والاضطرار منهم إليه <sup>(٢)</sup> - إلى أن قال السائل - فقد حدّدته إذ أثبت وجوده، قال أبو عبد الله عليه السلام: لم أحدده ولكن أثبتته، إذ لم يكن بين الإثبات والنفي منزلة.

١. يس (٣٦) - ٣٣ - ٤٠.

٢. البحار ٣: ٢٩، عن الاحتجاج والتوحيد.



قال السائل: فله إنّيّة ومائيّة؟ قال: نعم لا يثبت الشيء إلاّ بإنيّة ومائيّة. قال السائل: فله كفيّة؟ قال: لا، لأنّ الكفيّة جهة الصفة والإحاطة، ولكن لا بدّ من الخروج من جهة التعطيل والتشبيه...<sup>(١)</sup>.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام - في صفة خلق أصناف من الحيوان - : ولو فكروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة لرجعوا إلى الطريق وخافوا عذاب الحريق، ولكن القلوب عليّة، والبصائر مدخولة. ألا ينظرون إلى صغير ما خلق كيف أحكم خلقه، وأنقن تركيبه، وخلق له السمع والبصر، وسوّى له العظم والبشر.

انظروا إلى النملة في صغر جثّتها ولطافة هيئتها، لا تكاد تنال بلحظ البصر، ولا بمستدرك الفكر، كيف دبّت على أرضها، وصبّت على رزقها، تنقل الحبة إلى جحرها، وتعدّها في مستقرّها. تجمع في حرّها لبردها، وفي وردها لصدورها، مكفولة برزقها، مرزوقة بوقفها، لا يغفلها المنان، ولا يجرمها الديان، ولو في الصفا اليابس والحجر الجامس، ولو فكّرت في مجاري أكلها في علوها وسفلها وما في الجوف من شراسيف بطنها، وما في الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجباً، ولقيت من وصفها تعباً. فتعالى الذي أقامها على قوائمها، وبنها على دعائمها، لم يشركه في فطرتها فاطر، ولم يُعنه على خلقها قادر.

ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته، ما دلّتك الدلالة إلاّ على أنّ فاطر النملة هو فاطر النخلة، لدقيق تفصيل كلّ شيء، وغامض اختلاف كلّ حيّ، وما الجليل واللطيف والثقيل والخفيف، والقويّ والضعيف، في خلقه إلاّ سواء، وكذلك السماء والهواء والرياح والماء.

فانظر إلى الشمس والقمر، والنبات والشجر، والماء والحجر، واختلاف هذا الليل والنهار، وتفجر هذه البحار، وكثرة هذه الجبال، وطول هذه القلال، وتفرق هذه اللغات، والألسن المختلفات. فالويل لمن أنكر المقدر، وجحد المدبر، زعموا أنهم كالنبات ما لهم زارع، ولا لاختلاف صورهم صانع، ولم يلجأوا إلى حجة فيما ادعوا ولا تحقيق لما أوعوا. وهل يكون بناء من غير بان، أو جنابة من غير جان؟!.

وإن شئت قلت في الجرادة، إذ خلق لها عينين حمرأوين، وأسرج لها حدقتين قمرأوين. وجعل لها السمع الخفي، وفتح لها الفم السوي، وجعل لها الحس القوي، ونابين بهما تقرض، ومنجلين بهما تقبض، يرهبا الزراع في زرعهم، ولا يستطيعون ذبها ولو أجلسوا بجمعهم، حتى ترد الحرث في نزواتها، وتقضي منه شهواتها. وخلقها كله لا يكون إصبعا مستدقة.

فتبارك الله الذي يسجد له من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً، ويعفر له خدأً ووجهاً، ويلقي إليه بالطاعة سلماً وضعفاً، ويعطي له القيادة رهبة وخوفاً. فالطير مسخرة لأمره. أحصى عدد الريش منها والنفس، وأرسى قوائمها على الندى واليبس، وقدّر أوقاتهما، وأحصى أجناسها. فهذا غراب، وهذا عقاب، وهذا حمام، وهذا نعام. دعا كل طائر باسمه، وكفل له برزقه. وأنشأ السحاب الثقال فأهطل ديمها، وعدد قسّمها، فبل الأرض بعد جفوفها، وأخرج نبتها بعد جدوبها<sup>(١)</sup>.

وعن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>. قال: فمن لم يبدله خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٥؛ البحار ٣: ٢٦، عن الاحتجاج.

٢. الإسراء (١٧) ٧٢.

والنهار، ودوران الفلك بالشمس والقمر والآيات العجيبات على أن وراء ذلك أمراً هو أعظم منه فهو في الآخرة أعمى قال: فهو عمّا لم يعاين أعمى وأضلّ سبيلاً<sup>(١)</sup>.

وروي أنّ عبد الله الديصانيّ أتى هشام بن الحكم ... فمضى عبد الله الديصانيّ حتى أتى باب أبي عبد الله عليه السلام، فاستأذن عليه فأذن له، فلما قعد قال له: يا جعفر بن محمّد، دُلّني على معبودي، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ما اسمك؟ فخرج عنه ولم يخبره باسمه، فقال له أصحابه كيف لم تخبره باسمك؟ قال: لو كنتُ قلت له: عبد الله كان يقول: من هذا الذي أنت له عبد؟! فقالوا له: عُد إليه فقل له بذلك على معبودك ولا يسألك عن اسمك، فرجع إليه فقال له: يا جعفر، دُلّني على معبودي ولا تسألني عن اسمي، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: اجلس - وإذا غلام له صغير في كفه بيضة يلعب بها - فقال أبو عبد الله عليه السلام: ناولني يا غلام البيضة، فناوله إياها، فقال له أبو عبد الله: يا ديصانيّ، هذا حصن مكنون له جلد غليظ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق، وتحت الجلد الرقيق ذهب مائة وفضّة ذائبة، فلا الذهب المائعة تختلط بالفضّة الذائبة، ولا الفضّة الذائبة تختلط بالذهب المائعة، هي على حالها لم يخرج منها مصلح فيخبر عن إصلاحها ولا دخل فيها مفسد فيخبر عن فسادها<sup>(٢)</sup>، لا تدري للذكر خلقت أم للأُنثى، ينفلق عن مثل ألوان الطواويس، أترى لها مدبراً؟

قال: فأطرق مليّاً ثمّ قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمّداً

١ . البحار ٣: ٢٨، عن الاحتجاج.

٢ . قال العلامة المجلسي رحمته الله في البحار ٣: ٣٢: لا يخفى لطف نسبة الإصلاح إلى ما يخرج منها، والإفساد إلى ما يدخل فيها؛ لأنّ هذا شأن أهل الحصن الحافظين له وحال الداخل فيها بالقهر والعلبة.

عبده ورسوله، وأنتك إمام وحيّة من الله على خلقه، وأنا تائب مما كنت فيه<sup>(١)</sup>.  
 وفي نهج البلاغة: الحمد لله الذي بطن خفيات الأمور، ودلت عليه أعلام  
 الظهور... لم يُطلع العقول على تحديد صفته، ولم يحجبها عن واجب معرفته، فهو الذي  
 تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذي الجحود، تعالى الله عما يقول المشبّهون به  
 والجاحدون له علواً كبيراً<sup>(٢)</sup>.

وفي احتجاج أمير المؤمنين صلوات الله عليه مع النصارى... قال الجاثليق: خبرني  
 عن الله تعالى أين هو اليوم؟ فقال عليه السلام: يا نصراني، إنّ الله تعالى يجلّ عن الأين، ويتعالى  
 عن المكان، كان فيما لم يزل ولا مكان، وهو اليوم على ذلك، لم يتغيّر من حال إلى حال.  
 فقال: أجل، أحسنت أيها العالم وأوجزت في الجواب، فخبّرني عن الله أمدرّك  
 بالحواسّ عندك فيسألك المسترشد في طلبه استعمال الحواسّ، أم كيف طريق المعرفة به  
 إن لم يكن الأمر كذلك؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: تعالى الملك الجبار أن يوصف  
 بمقدار، أو تدرّكه الحواسّ، أو يقاس بالناس. والطريق إلى معرفته صنائعه الباهرة  
 للعقول الدالّة ذوي الاعتبار بما هو منها مشهود ومعقول<sup>(٣)</sup>.

وعن الرضا صلوات الله عليه في خطبة: بصنع الله يُستدلّ عليه، وبالعقول تُعتقّد  
 معرفته، وبالفطرة تُثبت حجّته<sup>(٤)</sup>.

١. البحار ٤: ١٤٠، عن التوحيد.

٢. نهج البلاغة: الخطبة ٤٩.

٣. البحار ١٠: ٥٦، عن أمالي الطوسي.

٤. البحار ٤: ٢٢٨، عن التوحيد والعيون.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة: دليله آياته، ووجوده إثباته<sup>(١)</sup>.

وفي نهج البلاغة: روى مسعدة بن صدقة عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: خطب أمير المؤمنين بهذه الخطبة على منبر الكوفة، وذلك أن رجلاً أتاه فقال له: يا أمير المؤمنين، صف لنا ربنا مثلما نراه عياناً لنزداد له حباً وبه معرفة، فغضب ونادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس حتى غص المسجد بأهله، فصعد المنبر وهو مغضب متغير اللون، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال: ... الذي ابتدع الخلق على غير مثال أمثله، ولا مقدار احتذى عليه، من خالق معبود<sup>(٢)</sup> كان قبله، وأرانا من ملكوت قدرته، وعجائب ما نطقت به آثار حكمته، واعتراف الحاجة من الخلق إلى أن يقيمها بمسالك قوته، ما دلنا باضطرار قيام الحجّة له على معرفته، فظهرت البدائع التي أحدثتها<sup>(٣)</sup> آثار صنعته وأعلام حكمته، فصار كلّ ما خلق حجّة له ودليلاً عليه، وإن كان خلقاً صامتاً فحجّته بالتدبير ناطقة، ودلالته على المبدع قائمة<sup>(٤)</sup>.

ويناسب هنا التدبّر في ما فصله وبينه الإمام الصادق ولسان الله الناطق - على ما رواه عنه مفضل بن عمر - من الآيات التكوينية حيث قال عليه السلام: ... يا مفضل، إنّ الجهال جهلوا الأسباب والمعاني في الخلق وقصرت أفهامهم عن تأمل الصواب والحكمة في ما ذرأ الباري جلّ قدسه وبرأ من صنوف خلقه في البرّ والبحر والسهل

١. البحار ٤: ٢٥٣، عن الاحتجاج.

٢. وفي نسخة: معبود.

٣. كذا فيما ضبطه صبحي الصالح، ولكن في شرح عبده وفيض الإسلام: وظهرت في البدائع التي أحدثتها ...

٤. نهج البلاغة: الخطبة ٩١. ورواها في البحار ٤: ٢٧٤، عن التوحيد، بتفاوت.

والوعر، فخر جوا بقصر علومهم إلى الجحود...<sup>(١)</sup>.

تنبيه: في أن الله تعالى هو الهادي إلى ذاته وصفاته

إنه تعالى شأنه هو الهادي خلقه إلى جميع ما يحتاجون إليه من أمورهم، لا هادي

سواه، كما قال الله تعالى:

﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى \* الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى \* وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿أَمْنٌ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾<sup>(٥)</sup>.

﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾<sup>(٦)</sup>.

﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾<sup>(٧)</sup>.

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾<sup>(٨)</sup>.

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى \* وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾<sup>(٩)</sup>.

١. البحار ٣: ٥٩.

٢. طه (٢٠) ٥٠.

٣. الأعلى (٨٧) ١ - ٣.

٤. النور (٢٤) ٣٥.

٥. النمل (٢٧) ٦٣.

٦. النور (٢٤) ٤٠.

٧. يونس (١٠) ٣٥.

٨. البلد (٩٠) ١٠.

٩. الضحى (٩٣) ٦، ٧.

فهو الهادي إلى ذاته تعالى وإلى كماله وصفاته من طريق العقل بخلقه الآيات في الآفاق والأنفس، ثم بإعطائه نور العقل الذي من شأنه الهداية إليه تعالى بالآيات، ثم بإراءته تلك الآيات، ثم بتعريفه بذلك النور مصنوعيّة الآيات، ثم بتعريفه إياها بوصف الآيتيّة، كما قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿اللَّهُ يُجِيبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية منصور بن حازم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني ناظرت قوماً فقلت لهم: إن الله أعزّ وأجلّ وأكرم من أن يُعرف بخلقه، بل العباد يُعرفون بالله، فقال: رحك الله<sup>(٤)</sup>.

### تنبيه: في الهداية العامّة والخاصّة

الهداية من الله تعالى - مضافاً إلى بعث الرسل - على قسمين: هداية عامّة، وهداية

١. غافر (٤٠) ١٣.

٢. الشورى (٤٢) ١٣.

٣. القصص (٢٨) ٥٦.

٤. الكافي ١: ٨٦. التوحيد ٢٨٥؛ هذه الرواية إمّا ناظرة إلى أنّ الله تعالى هو الهادي والمعرف الحقيقي في المعرفة بالآيات - كما تقدم بيانه في كلام المؤلف عليه السلام - وإمّا ناظرة إلى مرتبة أُخرى من معرفة الله تعالى، وهي معرفة الذات بالذات، وسيأتي الكلام حولها في مبحث المعرفة الفطرية وأنها غير ما زعمه الصوفيّة من الوحدة والتجليّ بالتعيّنات؛ وللصدوق والمجلسيّ رحمهما الله بيان في معنى عرفان الله بالله، فراجع التوحيد ٣٩٠، ومراة العقول ١: ٣٠٠.

خاصة بالمؤمنين والمتقين<sup>(١)</sup>.

والأولى تحصل بوجودان العلم والعقل بإذن الله، بمقدار يفهم به الجيد والردّي، ويميّز به بين الحقّ والباطل، وبما فطر عليه من معرفة الله، ووجوب ما فرض عليه عقلاً من طاعة الله، وحرمة معصيته، واستحباب ما ندب إليه وكرهه ما كرهه في ما أمر به وما نهى عنه.

والثانية تحصل بتكميل فهم ذلك وتسديده من الله تعالى، وبتفهم ما يترتب على الطاعة والمعصية من ثوبات الدنيا والآخرة وعقوباتها، وبأن يعرفه عظمة الربّ تعالى شأنه الموجب لعرفان عظمة العصيان، وبأن يعرفه النعم التي أنعم الله بها عليه، وبتسبيبه تعالى شأنه الأسباب التي تحصل أو تسهل بها الطاعة، ونحو ذلك.

---

١. الهداية - على ما جاء في هذه العبارة - على ثلاثة أقسام: الأول: هداية عامة تشريعية كبعث الرسل وإنزال الكتب ونصب الأوصياء؛ والثاني: هداية عامة تكوينية، كإعطاء العلم والعقل والفرط. والثالث: هداية خاصة تكوينية، كتوفيق الله تعالى وتسديده بعض عباده وتبيته أسباب الطاعة لهم؛ وقد أشير إلى القسمين الأولين في قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (البلد (٩٠) ١٠، بناءً على ما هو المشهور بين المفسرين من أنّ المراد بالنجدين طريق الخير والشرّ، ودالاتها على الهداية العامة التكوينية والتشريعية من حيث إنّ الإنسان بالعقل والشرع يعرف هذين الطريقين. وأشير إلى القسم الثالث في غير واحد من الآيات المباركة كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ البقرة (٢) ٢١٣، و﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الأحقاف (٤٦) ١٠، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ العنكبوت (٢٩) ٦٩. ولا يخفى أنّه قد تطلق الهداية العامة التكوينية ويراد بها الهداية التي أعدها الله تعالى في طبيعة كلّ موجود حتى الحيوان والنبات والجماد، كما قال تعالى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ طه (٢٠) ٥٠ ولم يتعرض المؤلف ﷺ لهذا القسم إمّا لأنّ الكلام في هداية الإنسان دون غيره من الموجودات وإمّا لأنّه داخل في القسم الثاني من الهداية العامة بناءً على تفاوت وجدان درجات العلم في المخلوقات.



وهذه توفيقات من الله تعالى للمؤمنين والمتقين، وإعانة وتأييد من دون أن توجب جبراً على الطاعة ورفعاً للتكليف، لكون القدرة وكمال الحرّية واردة ومسيطرة على هذه كلّها، كما يشهد به الوجدان.

وبترك هذه الهداية من الله تعالى - لأجل إعراضهم وعدم اهتدائهم، أي عدم قبول ما آتاهم الله من الهدى - تحصل الضلالة، والعمى، والختم، والرّين، والغشاوة، لا محالة.

والظاهر أنّها أيضاً - بحسب الغالب - ليست على حدّ يوجب الجهل والعجز الرافعين للتكليف، بل هي نظير الخذلان وترك الإعانة على الطاعة لا توجب إلّا صعوبة الطاعة لا عدم إمكانها.

ولو فرض حصولها إلى هذا الحدّ فإنّه يكفي في جواز تعذيبهم عقلاً بأشدّ العذاب عدم إيمانهم بالله تعالى شأنه، أو عصيانهم إياه عندما هداهم، مرّة واحدة قبل خروجهم عن الدنيا بلا توبة. وذلك لوضوح اختلاف مراتب استحقاق الدّم والعقاب على إهانة واحدة - مثلاً - إلى الغير بحسب اختلاف مراتب المهين والمهان في القدر والمنزلة، كما عليه بناء العقلاء في الجملة، ويشير إليه ما روي عن النبي ﷺ: لا تنظروا إلى صغر الذنب، ولكن انظروا إلى من اجترأتم<sup>(١)</sup>.

فمنه يظهر أنّ المعصية الواحدة من المخلوق الذي لا غاية لمهاتته - كما هو ظاهر لمن عرف نفسه بأنّ شبيّهته وكماله بالغير، والغير خالقه الذي لا نهاية لعظمته، ولا إحصاء لنعمائه - يستحقّ بها من التوبيخ والعذاب ما لا يبلغ غايته، كما يتّبعه عليه دعاء زين العابدين صلوات الله عليه (الدعاء السابع والثلاثون من الصحيفة الكاملة): ... فأما

١. البحار ٧١: ١٦٨، عن كنز الكراكيّ.

العاصي أمرك والمواقع نهيك، فلم تعاجله بنقمتك، لكي يستبدل بحاله في معصيتك حال الإنابة إلى طاعتك، ولقد كان يستحق في أول ما همّ بعصيانك كل ما أعددت لجميع خلقك من عقوبتك. فجميع ما آخرت عنه من العذاب وأبطأت به عليه من سطوات النعمة والعقاب ترك من حقك، ورضي بدون واجبك ....

ونقول لتوضيح الأمر الثاني، من نصيب العقل في باب معرفة الله: إنه تعالى لا يُشبه شيئاً من المخلوقات ومباين لها في ذاتها وأوصافها ومنزه عنها وهذه المعرفة هي العمدة في باب معرفة الله تعالى، وبها تمتاز المعارف الإلهية الحقة عن غيرها. وأما الأمر الذي أشرنا إليه في بعض التنبيهات السابقة - وهو مصنوعية العالم بما فيه، واحتياج المصنوع إلى الصانع - فإنه مما لا ينبغي خفاؤه على أحد من العقلاء. وقد أتم الله حجته في ذلك بما مرّ ذكره من الآيات المباركة ونحوها، كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup>. وكذا الرسول الأكرم والأئمة المعصومون صلوات الله عليهم، في ما روي عنهم.

وطريق معرفة هذا الأمر: النظر الدقيق والتفكير العميق في ذات المخلوق والمصنوع وسنخ حقيقته، وفي معنى الشئية بالغير والحقيقة بالغير، وأن الشيء بالغير وإن كان شيئاً منشأً للآثار ولكنه ليس بشيء بحقيقة الشئية، بل هو محض الفقر والاحتياج في شئيته وثبوتة وبقائه وتأثيره وتأثره إلى الغير. ثم التذكّر بأن كل ما يدرك حقيقته بإحاطة العقل والعلم، وبالحواس الظاهرة والباطنة من الجواهر وما يعرضها من الأعراض والحركات بمعناها العام، التي عرفت أنّها من سنخ المخلوق الواضح احتياجه إلى الخالق، لو كان الخالق من سنخه وبأوصافه لجرى الحكم المذكور - أي

الاحتياج إلى الخالق - فيه أيضاً، وهو خلاف حقيقته.

فيحكم العقل أي يظهر به، أن الذي ليس بمخلوق ليس من سنخ المخلوق ولا يشبهه، ولا يجري فيه ما يجري فيه، كما سيأتي مزيد بيان له إن شاء الله تعالى.  
وأما الآيات والروايات الواردة في أنه تعالى خارج عن الحدّين فمما لا يعدّ ولا يحصى.

أما بنحو الإجمال فمنه التكبير الذي أمر الله تعالى به رسوله الأكرم بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿ فَمُ قَانِذِرْ ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿ <sup>(١)</sup> . فصدع به رسول الله ﷺ، على ما في رواية المناقب <sup>(٢)</sup>، رافعاً به صوته مرّتين، فجعله في مفتاح الأذان والإقامة، وفي مختمها، وفي مفتاح الصلاة، ومختمها وأثنائها، وفي كثير من الأذكار والأدعية الواردة عنه وعن خلفائه صلوات الله عليهم أجمعين، وفي غير واحد من المواطن (بعد التذکر بأن من المعنيّ به أنه تعالى أكبر من أن يوصف، كما في الرواية) <sup>(٣)</sup>.

ومنه التسيّحات الواردة في الكتاب والسنة، وفي ركوع الصلاة وسجودها، وفي كثير من الأدعية والأذكار المعنيّ بها تنزيهه تعالى عمّا لا يليق به، كما صرح به في رواية هشام قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ ﴾ <sup>(٤)</sup>، ما يعني به؟ قال: تنزيهه <sup>(٥)</sup>. (بعد التذکر بأن الله تعالى شيء بحقيقة الشئية، مباين لما شئيته

١. المدثر (٧٤) ١ - ٣.

٢. البحار ١٨ : ١٩٧، عن المناقب.

٣. الكافي ١ : ١١٨، التوحيد: ٣١٢.

٤. يوسف (١٢) ١٠٨، المؤمنون (٢٣) ٩١، النمل (٢٧) ٨، القصص (٢٨) ٦٨، الصافات (٣٧)

١٥٩، الطور (٥٢) ٤٣، الحشر (٥٩) ٢٣.

٥. الكافي ١ : ١١٨، التوحيد: ٣١٢.

بالغير، وما ذاته وحقيقته العلم والنور مباين لما حقيقته الجهل والظلمة، فيكون مسانخته لها ومشابته إياها واتصافه بها نقصاً يجب تنزيهه تعالى عنه).

وفي الجمع بين التسييح والتحميد إشارة إلى خروجه عن حدّ التعطيل والتشبيه معاً. ومن أراد التفصيل فلا بدّ له من الرجوع إلى مفضلات الخطب والأدعية وسائر ما ورد عنهم صلوات الله عليهم في هذا الباب، بعد ردّ متشابهها إلى محكمها، فقد صرّحوا بهذين الأمرين في عدّة روايات، منها:

ما عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ... فاعلم - رحمك الله - أن المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله جلّ وعزّ، فانف عن الله تعالى البطلان والتشبيه، فلا نفي ولا تشبيه، هو الله الثابت الموجود، تعالى الله عما يصفه الواصفون، ولا تعدوا القرآن فتضلّوا بعد البيان<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الرحمان بن أبي نجران، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن التوحيد، فقلت: أتوهم شيئاً؟ فقال: نعم، غير معقول ولا محدود، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه، لا يشبهه شيء ولا تدركه الأوهام، كيف تدركه الأوهام وهو خلاف ما يُعقل وخلاف ما يُتصوّر في الأوهام، إنها يُتوهم شيء غير معقول ولا محدود<sup>(٢)</sup>.

وفي توحيد المفضّل عن الصادق عليه السلام: إن العقل يعرف الخالق من جهة توجب عليه الإقرار، ولا يعرفه بما يوجب له الإحاطة بصفته. فإن قالوا: فكيف يكلف العبد الضعيف معرفته بالعقل اللطيف ولا يحيط به؟ قيل لهم: إننا كُلف العباد من ذلك ما في طاقتهم أن يبلغوه، وهو أن يوقنوا به، ويقفوا عند أمره ونهيه، ولم يكلفوا الإحاطة

١. الكافي ١: ١٠٠.

٢. الكافي ١: ٨٢.

بصفته<sup>(١)</sup>.

وعن أمير المؤمنين في خطبة خطبها بعد موت النبي ﷺ: الحمد لله الذي أعجز الأوهام أن تنال إلا وجوده...<sup>(٢)</sup>.

وعن الحسين بن سعيد: سئل أبو جعفر الثاني: يجوز أن يقال لله آته شيء؟ قال: نعم يُخرجه من الحدّين: حدّ التعطيل وحدّ التشبيه<sup>(٣)</sup>.

وفي التوحيد في ما عرض عبد العظيم الحسني من دينه على علي بن محمد الهادي عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى واحد ليس كمثله شيء خارج عن الحدّين: حدّ الإبطال وحدّ التشبيه، وإنه ليس بجسم ولا صورة، ولا عرض ولا جوهر، بل هو مجسّم الأجسام، ومصوّر الصور، وخالق الأعراض والجواهر، وربّ كلّ شيء ومالكه، وجاعله، ومحدثه<sup>(٤)</sup>.

وعن أمير المؤمنين صلوات الله عليه: بها تجلّى صانعها للعقول، وبها امتنع عن نظر العيون. ولا يجري عليه السكون والحركة، وكيف يجري عليه ما هو أجراه، ويعود فيه ما هو أبداه، ويحدث فيه ما هو أحدثه، إذن لتفاوتت ذاته، ولتجزأ كنهه، ولا تمنع من الأزل معناه. ولكن له وراء إذ وجد له أمام، ولا تمس التمام إذ لزمه النقصان، وإذن لقامت آية المصنوع فيه، ولتحول دليلاً بعد أن كان مدلولاً عليه...<sup>(٥)</sup>.

١. البحار ٣: ١٤٧.

٢. البحار ٤: ٢٢١، عن التوحيد والأمال.

٣. الكافي ١: ٨٢.

٤. التوحيد: ٨١، وعنه البحار ٣: ٢٦٨.

٥. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٦. قال السيّد الرضي رحمه الله: تجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا يجمعه خطبة. وهي مروية عن الرضا عليه السلام أيضاً بتفاوت، انظر العيون ١: ١٤٩.

وعن أبي عبد الله عليه السلام في حديث: وكل ما وقع في الوهم فهو بخلافه <sup>(١)</sup>.

وعن موسى بن جعفر عليه السلام - في حديث - : ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه، احتجب بغير حجاب محجوب، واستتر بغير ستر مستور، لا إله إلا هو الكبير المتعال <sup>(٢)</sup>.

وفي نهج البلاغة عن نوف البكالي قال: خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الخطبة: الحمد لله الذي إليه مصائر الخلق وعواقب الأمر... بل ظهر للعقول بها أروا من علامات التدبير المتقن والقضاء المبرم... والحمد لله الكائن قبل أن يكون كرسي أو عرش، أو

١. البحار ٣: ٢٩٩، عن التوحيد.

٢. البحار ٣: ٣٢٧، عن التوحيد.

توضيح: قوله عليه السلام: «ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه» الخلق الأول بمعنى المخلوق والخلق الثاني بمعناه المصدر، وفي خطبة الرضا عليه السلام: «خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ حِجَابَ بَيْنِهِ وَبَيْنَهُمْ» التوحيد: ٣٥؛ والمعنى كونه خالقاً وأن الخالق لا يكون بصفة المخلوق ويكون مائناً له في الصفات، صار سبباً لاحتجابه عن الخلق فلا بدر كونه؛ وفي رواية أخرى عن الرضا عليه السلام: «لا يحجبه الحجاب، فالحجاب بينه وبين خلقه لامتناعه مما يمكن في ذواتهم، ولإمكان ذواتهم مما يمتنع منه ذاته ولافتراق الصانع والمصنوع والربّ والمربوب والحادّ والمحدود» التوحيد: ٥٦.

وقوله عليه السلام: «بغير حجاب محجوب» يحتمل أن يكون «محجوب» نعتاً لحجاب، فهو إما بمعنى حاجب كما قيل في قوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ الإسراء (١٧) ٤٥، أراد حجاباً ساتراً أو بمعناه ويكون المراد أنه ليس له تعالى حجاب مستور بل حجابه ظاهر وهو تجرّده وتقديسه وعلوه عن أن يصل إليه عقل أو وهم، أو يكون المراد أنه لم يحتجب بحجاب مخفي فكيف الظاهر؛ ويحتمل أن يكون «محجوب» مضاف إليه بتقدير اللام؛ وقوله عليه السلام: «واستتر بغير ستر مستور» إما تأكيد للفقرة الأولى، أو الأولى إشارة إلى الاحتجاب عن الحواس والثانية إلى الاستتار عن العقول، كما في البحار ٣: ٣٢٨.

سواء أو أرض، أو جانّ أو إنس، لا يُدرك بوهم، ولا يُقدَّر بفهم، ولا يشغله سائل، ولا ينقصه نائل، ولا ينظر بعين، ولا يُتحد بأين، ولا يوصف بالأزواج، ولا يخلق بعلاج، ولا يُدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس... فإنها يدرك بالصفات ذوو الهيئات والأدوات، ومن يتقضي إذا بلغ أمدّ حدّه بالفناء. فلا إله إلا هو، أضاء بنوره كلّ ظلام، وأظلم بظلمته كلّ نور<sup>(١)</sup>.

وفي العميون عن الرضا عليه السلام - في حديث - قال السائل: رحمك الله، فأوجدني كيف هو وأين هو؟ قال: ويلك، إنّ الذي ذهبت إليه غلط، هو أين الأين، وكان ولا أين، وهو كيف الكيف، وكان ولا كيف، فلا يُعرف بكيفية، ولا بأينونية، ولا يدرك بحاسة، ولا يقاس بشيء، قال الرجل: فيأذن إنّه لا شيء إذا لم يدرك بحاسة من الحواس، فقال أبو الحسن عليه السلام: ويلك، لما عجزت حواسك عن إدراكه أنكرت ربوبيته، ونحن إذا عجزت حواسنا عن إدراكه أيقنا أنّه ربنا وأنه شيء بخلاف الأشياء... - وفيه بعد سطور - قال: فلم لا تدركه حاسة البصر؟ قال: للفرق بينه وبين خلقه الذين تدركهم حاسة الأبصار منهم ومن غيرهم، ثمّ هو أجلّ من أن يدركه بصر أو يحيط به وهم، أو يضبطه عقل. الخبر...<sup>(٢)</sup>.

وفي التوحيد عن صفوان بن يحيى، قال: سألتني أبو قرّة المحدث أن أدخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام، فاستأذنته في ذلك فأذن لي، فدخل عليه، فسأله عن الحلال والحرام والأحكام، حتّى بلغ سؤاله التوحيد، فقال أبو قرّة: إنا روينا أنّ الله عزّ وجلّ قسم الكلام والرؤية بين اثنين، فقسم لموسى عليه السلام الكلام، ولمحمد عليه السلام الرؤية. فقال

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٢، وعنه البحار ٤: ٣١٣.

٢. العميون ١: ١٣١، الك حيد ٢٥٠، وعنهما البحار ٣: ٣٦.

أبو الحسن عليه السلام: فمن المبلغ عن الله عز وجل إلى الثقلين الجن والإنس: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾<sup>(٣)</sup>، أليس محمداً عليه السلام؟ قال: بلى، قال: فكيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنه جاء من عند الله، وأنه يدعوهم إلى الله بأمر الله، ويقول: لا تدرکه الأبصار وهو يدرك الأبصار، ولا يحيطون به علماً، وليس كمثل شيء، ثم يقول: أنا رأيتُه بعيني، وأحطت به علماً، وهو على صورة البشر! أما يستحيون! ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا، أن يكون يأتي عن الله بشيء ثم يأتي بخلافه من وجه آخر<sup>(٤)</sup>.

وفي دعاء الصباح الذي رواه أمير المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وآله: يا من دل على ذاته بذاته، وتنزه عن مجانسة مخلوقاته<sup>(٥)</sup>.

وفي الدعاء الذي علمه جبرئيل النبي صلى الله عليه وآله - أوردته السيد في المهج نقلاً عن كتاب عتيق - : يا فكّك الرقاب من النار وطارد العسر من العسير، كن شفيعي إليك إذ كنت دليبي عليك<sup>(٦)</sup>.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته: وتوحيده تمييزه من خلقه، وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة<sup>(٧)</sup>.

١. الأنعام (٦) ١٠٣.

٢. طه (٢٠) ١١٠.

٣. الشورى (٤٢) ١١.

٤. التوحيد ١١٠، وعنه البحار ٤: ٣٦.

٥. البحار ٩١: ٢٤٣، عن اختيار السيد ابن باقي.

٦. مهج الدعوات: ٨٤، وعنه البحار ٩٢: ٣٧٣.

٧. البحار ٤: ٢٥٣، عن الاحتجاج.



وعنه ﷺ: ... مباين لجميع ما أحدث في الصفات، وممتنع عن الإدراك بما ابتدع من تصريف الذوات ...<sup>(١)</sup>.

وعن الرضا صلوات الله عليه: ... فليس الله عرف مَن عرف بالتشبيه ذاته، ولا إياه وحَد من اكتنَهه، ولا حقيقته أصاب من مثله، ولا به صدق من نهَاه، ولا صمد صمده من أشار إليه<sup>(٢)</sup>، ولا إياه عنى من شبَّهه، ولا له تدلُّل من بعَضه، ولا إياه أراد من توهمه. كل معروف بنفسه مصنوع، وكل قائم في سواه معلول، ... ومن وصفه فقد ألحد فيه، لا يتغيَّر الله بانغيار المخلوق، كما لا يتحدَّد بتحديد المحدود، واحد لا بتأويل عدد، ظاهر لا بتأويل المباشرة، متجلُّ لا باستهلال رؤية، باطن لا بمزايلة، مباين لا بمسافة، قريب لا بمداناة، لطيف لا بتجسّم، ... بها تجلَّى صنعها للعقول، وبها احتجب عن الرؤية ... فكل ما في الخلق لا يوجد في خالقه، وكل ما يمكن فيه يمتنع في صانعه ...<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي عبد الله ﷺ: إنَّ الله تبارك وتعالى خلو من خلقه، وخلقه خلو منه، وكل ما وقع عليه اسم شيء ما خلا الله عزَّ وجلَّ فهو مخلوق، والله خالق كل شيء، تبارك الذي ليس كمثله شيء<sup>(٤)</sup>.

وعن الصادق ﷺ في رواية: أمَّا التوحيد فأن لا تجوز على ربك ما جاز عليك،

١. البحار ٤: ٢٢٢، عن التوحيد والعيون.

٢. أي لم يقصد نحوه ولم يتوجه إليه من أشار إليه؛ لأنَّه ليس له جهة خاصَّة؛ وعبارة الرواية في شرح التوحيد للقاضي سعيد القمي (١: ١٢٣): «ولا صمَّده من أشار إليه».

٣. البحار ٤: ٢٢٨ - ٢٣٠، عن التوحيد والعيون. في هذه الخطبة أيضاً: «ومباينته إياهم مفارقتة إينيتهم» و«كنهه تفريق بينه وبين خلقه» فلاحظ.

٤. البحار ٣: ٢٦٣، عن التوحيد.

وأما العدل فإن لا تنسب إلى خالقك ما لامك عليه<sup>(١)</sup>.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: التوحيد أن لا تتوهمه، والعدل أن لا تتهمه<sup>(٢)</sup>.

وعن الباقر عليه السلام: كل ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود إليكم<sup>(٣)</sup>.

وعنه صلوات الله عليه: تكلموا فيما دون العرش ولا تكلموا فيما فوق العرش، فإنّ قوماً تكلموا في الله فتأهوا حتّى كان الرجل ينادى من بين يديه فيجيب من خلفه<sup>(٤)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام: من نظر في الله كيف هو هلك<sup>(٥)</sup>.

ومتأيداً على ما ذكرنا تنبيهاً على ما حكم به العقل ما ورد في احتجاج رسول الله عليه السلام على اليهود ردّاً على قولهم: عزير ابن الله: إن كنتم إنسا تريدون بالبنوة الولادة على سبيل ما تشاهدونه في دنياكم هذه من ولادة الأمهات الأولاد بسوطه آبائهم لمن فقد كفرتم بالله وشبهتموه بخلقه، وأوجبتم فيه صفات المحدثين، ووجب عندكم أن يكون محدثاً مخلوقاً، وأن يكون له خالق صنعه وابتدعه...<sup>(٦)</sup>.

ومن أراد التفصيل والزيادة على ذلك فلا بدّ له من الرجوع إلى مفصّلات الخطب والأدعية وسائر ما ورد عنهم صلوات الله عليهم بعد ردّ متشابهها إلى محكمها، فإنّ

١. البحار ٤: ٢٦٤، عن التوحيد ومعاني الأخبار.

٢. نهج البلاغة: الحكمة ٤٧٠.

٣. الأريعون حديثاً للشيخ البهائي: ٨١ وراجع ص ٦٦، الهامش ٤.

٤. البحار ٣: ٢٦٥، عن المحاسن.

٥. البحار ٣: ٢٦٥، عن المحاسن.

٦. البحار ٩: ٢٥٨، عن تفسير الإمام عليه السلام والاحتجاج.

جميع ذلك بيان لأساس ما جاء به صاحب الشريعة الغراء في معرفة الله تعالى من طريق العقل، وتنزيه له تعالى عما تكلم به كثير من علماء البشر - الذين أخذوا مبادئ علومهم ومعارفهم من غير طريق الوحي - في ذاته القدوس تعالى وصفاته وأفعاله، وعما أثبتوه له تعالى شأنه بالقواعد العقلية التي موضوعاتها المخلوقات والمصنوعات، قياساً له تعالى بها. ويناسب هنا ذكر روايتين رواهما الصدوق عليه السلام في التوحيد:

إحدهما: ما رواه بسنده عن عكرمة، قال بينما ابن عباس يحدث الناس إذ قام إليه نافع بن الأزرق فقال: يا ابن عباس، تُفتي في النملة والقملة! صف لنا إلهك الذي تعبد. فأطرق ابن عباس إعظاماً لله عز وجل، وكان الحسين بن علي عليه السلام جالساً ناحية فقال: إني يا ابن الأزرق، فقال: لست إيتاك أسأل! فقال ابن عباس: يا ابن الأزرق، إنه من أهل بيت النبوة وهم ورثة العلم. فأقبل نافع بن الأزرق نحو الحسين عليه السلام، فقال له الحسين عليه السلام: يا نافع، إن من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر في الارتماس، مائلاً عن المنهاج، ظاعناً في الاعوجاج، ضالاً عن السبيل، قائلاً غير الجميل. يا ابن الأزرق، أصف إلهي بما وصفه به نفسه، وأعرّفه بما عرّف به نفسه: لا يُدرَك بالحواس، ولا يقاس بالناس، فهو قريب غير ملتصق، وبعيد غير مُتَقَصِّص، يُوحَد ولا يُبَعَّض، معروف بالآيات، موصوف بالعلامات<sup>(١)</sup>، لا إله إلا هو الكبير المتعال<sup>(٢)</sup>.  
ثانيتها: ما رواه بسنده عن الحسن بن علي عن أبيه عن جدّه عليه السلام، قال: قام رجل

١. هذه الفقرات كثيرة الدوران في الروايات، فراجع البحار ٤: ٢٦، ٣٢، ٤٨، ويستفاد منها أنه لا يعرف ذاته تعالى بالحواس والعقول وإنما يعرف بها آياته وعلاماته، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ليس ياله من عرف بنفسه، هو الدالّ بالدليل عليه والمؤدّي بالمعرفة إليه» (البحار ٤: ٢٥٣).

٢. التوحيد: ٧٩، وعنه البحار ٤: ٢٩٧.

إلى الرضا عليه السلام: قال له: يا ابن رسول الله، صف لنا ربك فإن من قبلنا قد اختلفوا علينا. فقال الرضا عليه السلام: إنه من يصف ربه بالقياس لا يزال الدهر في الالتباس، مائلاً عن المنهاج، ظاعناً في الاعوجاج، ضالاً عن السبيل، قاتلاً غير الجميل، أعرفه بما عرّف به نفسه من غير رؤية<sup>(١)</sup>، وأصفه بما وصف به نفسه من غير صورة، لا يُدرّك بالحواس ولا يقاس بالناس، معروف بغير تشبيه، ومُتداني في بُعدِه لا بنظير، لا يُمثّل بخليقته، ولا يجور في قضيتِه، والخلق إلى ما علم منقادون، وعلى ما سطر في المكنون من كتابه ماضون، لا يعملون خلاف ما علم منهم ولا غيره يريدون<sup>(٢)</sup>، فهو قريب غير ملتزق، وبعيد غير متقصّ، يُحقّق ولا يمثّل، ويُوحد ولا يُبعّض، يعرف بالآيات، ويثبت بالعلامات، فلا إله غيره الكبير المتعال. ثم قال بعد كلام آخر تكلم به: حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: ما عرف الله من شبّهه بخلقه، ولا وصفه بالعدل من نسب إليه ذنوب عباده<sup>(٣)</sup>.

### قواعد من مصاديق القياس المنوع

وهذه أربع قواعد من مصاديق القياس المنوع في الروايتين المتقدمتين، أقام بعضهم أدلة على إثباتها، وجعلوا الحقّ المتعال مع ما خلق مصداقاً لها:

#### ١ - مسألة وجوب السنخية بين العلة والمعلول.

١. في البحار: روية.

٢. قد يتوهم من هذه العبارة الجبر، لكن يأتي في الجواب عن أدلة القائلين به: أنّه تعالى كما علم وقوع المعاصي والطاعات من العباد، علم قدرتهم عليها واختيارهم، والعلم كاشف عن الواقعات على ما هي عليه، وهذا معنى قول بعض المحققين: العلم تابع.

٣. التوحيد: ٤٧، وعنه البحار ٣: ٢٩٧.

٢- قولهم: الواحد لا يصدر منه إلا الواحد.

٣- مسألة امتناع انفكاك العلة التامة عن معلوها.

٤- قولهم: بسيط الحقيقة كل الأشياء وليس بشيء منها.

أما المسألة الأولى- لو سلم كونها قاعدة عقلية لا تقبل التخصيص<sup>(١)</sup> - فموضوعها ما إذا كانت العلية والفاعلية بالشرح والفيضان بمعناه الحقيقي عن ذات العلة، أو بتجلي العلة بذاتها في أطوارها وشؤونها، وأما الحق المتعالي عن أن يتولد منه شيء، أو يتغير بفعله، أو يتطور، وكانت فاعليته بالمشية والإبداع لا من شيء، بلا تغير أو تطور في ذاته - كما في غير واحدة من الروايات<sup>(٢)</sup> - فلا تجري القاعدة المذكورة فيه. وكذلك المسألة الثانية<sup>(٣)</sup> موضوعها أيضاً ما ذكرنا. وأما إذا كانت الخلقة بنحو

١. إشارة إلى ما حكى عن ابن سينا في مباحث العلة من إحيات الشفاء: أن العلة الفاعلة لا يجب أن تفعل ما يشابهها؛ الشواهد الربوبية: ٧٨. وإشارة إلى ما عن أكثر الفلاسفة المشائين من كون الموجودات حقائق متباينة؛ شرح المنظومة ١: ٢٠٧.

٢. كما يأتي ذكرها في المسألة الثالثة.

٣. صرح جماعة من المتكلمين بعدم جريان قاعدة «الواحد» في الباري تعالى، أو في جميع الفواعل الإرادية، كالمحقق الطوسي في التجريد، والعلامة الخلي في شرح التجريد (كشف المراد: ١٧٦، ١٧٨)؛ والفاضل المقداد في شرح الباب الحادي عشر: ١٢، ١٣ (في عموم قدرته تعالى)؛ وقال المحقق الطوسي في فصول العقائد: (معرب فصول نصيريه): ١٠، ١١: قالت الفلاسفة: الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، وكل شبهة لهم على هذه الدعوى في غاية الركاسة، ولذلك قالوا: لا يصدر عن الباري تعالى بلا واسطة إلا عقل واحد، والعقل فيه كثرة وهي الوجوب بالغير، والإمكان الذاتي، وتعقل الواجب، وتعقل ذاته، ولذلك صدر عنه عقل آخر ونفس، وفلك مركب من الهيولى والصورة، ويلزمهم أن أي موجودين فُرِضا كان أحدهما علة للآخر بواسطة أو غيرها، وأيضاً التكثرات التي في العقل الأول إن كانت موجودة صادرة عن الباري تعالى لزم

الإبداع لا من شيء وكان الفاعل لا يشغله شأن عن شأن، ولا علم شيء عن علم شيء، ولا خلق شيء عن خلق شيء، ولا يتغير بفعله، وليس كمثل شيء، فلا مانع عقلاً من أن يخلق الأشياء المختلفة المتعددة في ساعة واحدة بلا سبق لأحدها على الآخر، قال الله تعالى: ﴿مَا خَلَقْتُمْ وَلَا بَعَثْتُمْ إِلَّا كَنْفُسٍ وَاحِدَةٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وفي رواية الهروي عن الرضا عليه السلام... وكان قادراً أن يخلقها في طرفة عين، ولكنه عز وجل خلقها في ستة أيام، ليظهر للملائكة ما يخلقها منها شيئاً بعد شيء، فيستدل بحدوث ما يحدث على الله تعالى ذكره مرة بعد مرة...<sup>(٢)</sup>.

أما المسألة الثالثة فموضوعها ما إذا كان كمال ذات الفاعل - مضافاً إلى تماميته في ما به قوام ذاته - كونه فوق التمام<sup>(٣)</sup>، أي تامّ الفاعلية دائماً، بمعنى أن يكون له الفيض

صدورها عن الواحد، وإن صدرت عن غيره لزم تعدد الواجب وإن لم تكن موجودة لم يكن تأثيرها معقولاً.

١. لقمان (٣١) ٢٨.

٢. البحار ٣: ٣١٨، عن التوحيد والعيون.

٣. قال ابن سينا في الشفاء: ٣٥٥: فواجب الوجود تامّ الوجود، لأنه ليس شيء من وجوده وكمالات وجوده قاصراً عنه، ولا شيء من جنس وجوده خارجاً عن وجوده يوجد لغيره، كما يخرج في غيره، مثل الإنسان فإن أشياء كثيرة من كمالات وجوده قاصرة عنه وأيضاً فإن إنسانيته توجد لغيره، بل واجب الوجود فوق التمام؛ لأنه ليس إنهما له الوجود الذي له فقط بل كلاً وجود فهو فاضل عن وجوده وله وفائض عنه. أقول: ترتيب سلسلة الوجود عند الفلاسفة يكون هكذا: الأول: فوق التمام وهو المبدأ الأعلى، والثاني: التام وهو العقل، والثالث: الناقص المستكفي وهو الفلكيات، والرابع: الناقص غير المستكفي وهو العنصريات؛ وقالوا بأن صدور الناقص من المبدأ الأعلى بلا توسط التام مستلزم للفرجة والانقطاع في سلسلة الوجود. (انظر: مفاتيح الغيب ٢: ٧٣١، المفتاح الثالث عشر؛ ميزان الطالب: ٢٤٧).

الدائم، وكان الفيض من سنخ ذات الفاعل ومُنشأ منه، كي يكون قطعه مستنداً إلى نقص في ذات الفاعل، الواجب عقلاً تنزيه القديم منه.

وأما إذا لم يكن كذلك، بل كان فيضه إبداعاً لا من شيء، بحيث لا يكون عدم صدور الفيض منه لنقص في ذاته - كما أنّ صدوره منه لا يكون فعلية كمال في الذات لم يكن له قبل ذلك - فلا مانع عقلاً من التفكيك بينه وبين خلقه. ولذا يكون تعالى شأنه جواداً إنَّ منع وإن أعطى<sup>(١)</sup>. على أحد الوجهين في معنى هذه الجملة<sup>(٢)</sup>.

وفي الفرض الأخير يكون صدور ذلك منه على نحو الوجوب دائماً منافياً للاستيلاء الكامل على طرفي الفعل والترك، ومحدودية ونقصاً يجب تنزيهه تعالى عنها. نعم، لو وصل إلى حدّ يكون فعله قبيحاً فالفاعل الحكيم لا يفعله عن قدرة واختيار، ولذلك يمجّد، لا لآته لا يقدر عليه، أو يكون ممتنعاً بالذات.

وحينئذ نقول: إن كان المراد من العلة التامة في المقام هو الخالق المتعالي بالنسبة إلى ما أبدعه في المخلوق لا من شيء، بعد وجود المصلحة، وبعد إرادته التكوينية لما أبدعه خارجاً - التي لا تفكيك بينها وبين المراد، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٣)</sup> - فهو حق، إلا أنّ المقصود في المقام هو أنّ الحق المتعالي له القدرة الكاملة والحريّة المطلقة في أن يشاء خلق شيء ويريده لا من شيء، وأن لا يشاءه ولا يريده، وكان أحدهما فضلاً، والآخر عدلاً، والمخصّص والمرجّح لأحدهما على

١. البحار ٤: ١٧٢، عن الخصال والعيون.

٢. لعلّ الوجه الآخر في معنى هذه الجملة: أنّ المراد المنع من فيض خاص، لا منع الفيض مطلقاً، فتدبر.

٣. يسّ (٣٦) ٨٢.

الآخر رأيه القدوس بلا تغير في ذاته، فإن ذلك كمال وفعليّة يجب إثباتها في الذات الأزلي، وخلاف ذلك نقص ومحدودية يجب تنزيهه عنهما. ومن هذا شأنه لا مانع عقلاً من التفكيك بينه وبين خلقه ولو في برهة من الدهر، إظهاراً لغناه عن الخلق، وتنزيهاً لذاته القدوس عما قالوا في شأنه.

والإمكان والقوّة (في مقابل الفعلية) المنفيان عن الحقّ المتعالي إنّما يكون في المخلوق الخارج عن ذات الخالق لا في ذاته تعالى.

فقد ظهر ممّا ذكرنا إمكان التفكيك بين الخالق والمخلوق (أي وجود الخالق ولا مخلوق) عقلاً، بل الظاهر من الآيات والروايات المباركات وقوع ذلك.

### الآيات والروايات الدالّة على وقوع التفكيك بين الخالق والمخلوق

فمن الآيات قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ...﴾<sup>(١)</sup>. ونحوه ممّا يدلّ في الجملة على الحدوث الحقيقي<sup>(٢)</sup>.

١. السجدة (٣٢) ٤.

٢. أي الحدوث الواقعي بمعنى المسبوقية بالعدم الصريح المعبر عنه بالعدم المقابل للوجود. وهذا المعنى من الحدوث في مقابل الحدوث الذاتي، وهو عبارة عن الإمكان الذاتي والمسبوقية بالعدم المجامع للوجود، وبناءً على امتناع انفكاك العلة التامة عن معلولها فالممكن الذاتي إمّا واجب بالغير وإمّا ممتنع بالغير، ويكون الإمكان الذاتي مجرّد تحليل عقليّ للماهية؛ لأنّ العلة التامة للشيء إذا كانت موجودة فالشيء واجب بالغير، لكن مع قطع النظر عن العلة يقال له الممكن، كما أنّه إذا لم تكن علة الشيء موجودة فهو ممتنع بالغير، ومع صرف النظر عن عدم العلة يعبر عنه أيضاً بالممكن، فالإمكان الذاتي ليس إلاّ مجرّد الاعتبار والتحليل العقليّ، وهذا معنى قولهم: الممكن من ذاته أن يكون ليس ومن علته أن يكون أيس (النجاة: ٢٢٣). وبهذا يظهر فساد حمل الحدوث المجمع عليه في الأديان والشرائع على الحدوث الذاتي، لأنّه كما عرفت مجرّد تسمية بالحدوث



ومن الروايات ما يمكن دعوى تواترها معنى، منها:

ما في نهج البلاغة: الحمد لله خالق العباد... لم يخلق الأشياء من أصول  
أزلية...<sup>(١)</sup>.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في الدعاء المعروف الذي علّمه إياه رسول الله صلى الله عليه وآله: كنت  
قبل كل شيء، وكوّنت كل شيء، وقدرت على كل شيء، وابتدعت كل شيء<sup>(٢)</sup>.  
وعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان الله ولا شيء غيره...<sup>(٣)</sup>.

وليس في الحقيقة حدوثاً، وهكذا الحدوث الذي أبدعه الميرداماد بناءً على ما ربّته من العوالم  
وسّاه بالحدوث الدهري، والحدوث الذي اختاره ملاً صدرا بناءً على الحركة الجوهرية،  
والحدوث الذي سّاه السبزواري بالأسمى بناءً على مسلك العرفاء في مراتب حقيقة الوجود،  
فإن جميع هذه الأقوال فرضيات تدفعها النصوص، ولا أقل من عدم قيام دليل عقلي قطعي أو  
نقلي معتبر عليها. (انظر القبسات: ٣ - ٦؛ الأسفار: ٧؛ ٣٢٨؛ شرح المنظومة: ١؛ ٣١٦). وبدل أيضاً  
على الحدوث الحقيقي من الآيات المباركة - مضافاً إلى ما ذكر في المتن - قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأنعام (٦) ١٠١) فإنّ البديع من البدع، وهو كما قال الخليل في العين  
(٢: ٥٤): إحداث شيء لم يكن له من قبل خلق ولا ذكر... وقوله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ﴾ (فاطر (٣٥) ١) والفطر في اللغة بمعنى الشق والاختراع (المنجد)، وفي تفسير الميزان  
١٧: ٦: هو الشقّ طولاً، فإطلاق الفاطر عليه تعالى بعناية استعارية كأنه شقّ العدم فأخرج من  
بطنه السماوات والأرض. وبدل عليه أيضاً قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ (الملك (٦٧)  
٢٣)، فإنّ الإنشاء كالابتداع من حيث المعنى كما قاله الطبرسي في مجمع البيان (٤: ٣٧٤) ذيل آية  
١٤١ من سورة الأنعام.

١. الخطبة ١٦٣.

٢. مهج الدعوات: ١٢٤ (المعروف بدعاء يستشير).

٣. البحار ٥٤: ١٦٢، عن الكافي.

وعنه عليه السلام في حديث: ... ولكنه كان إذ لا شيء غيره، وخلق الشيء الذي جميع الأشياء منه، وهو الماء الذي خلق الأشياء منه، فجعل نسب كل شيء إلى الماء، ولم يجعل للماء نسباً يضاف إليه...<sup>(١)</sup>.

وفي خبر جابر الجعفي عنه عليه السلام - في حديث - : أخبرك أن الله علا ذكره كان ولا شيء غيره - وساق ما يقرب من الحديث المذكور - إلى أن قال: ولكن كان الله ولا شيء معه، فخلق الشيء الذي جميع الأشياء منه وهو الماء<sup>(٢)</sup>.

وفي خبر أبي هاشم الجعفري عن أبي جعفر الثاني عليه السلام في خلقه الأسماء والصفات اللفظية: ... فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره، بل كان الله تعالى ذكره ولا خلق، ثم خلقها وسيلة بينه وبين خلقه يتضرعون بها إليه...<sup>(٣)</sup>.

وفي رسالة الاحتجاج عن أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام: ... لم يزل الله موجوداً ثم كَوّن ما أراد... الخبر<sup>(٤)</sup>.

وفي الدعاء المروي عن الجواد عليه السلام في ليالي شهر رمضان: يا ذا الذي كان قبل كل شيء، ثم كَوّن كل شيء<sup>(٥)</sup>.

وعن الرضا عليه السلام: ... فمن زعم أن الله لم يزل مريداً شائياً فليس بموحد<sup>(٦)</sup>.

١. البحار ٥٤: ٩٦، عن الكافي.

٢. البحار ٥٤: ٦٦، عن التوحيد.

٣. البحار ٤: ١٥٣، عن الاحتجاج والتوحيد.

٤. الاحتجاج ٢: ٢٥٠، وعنه البحار ٥٤: ٨٣.

٥. المقنعة (للشيخ المفيد) ١: ٣٢٠.

٦. البحار ٤: ١٤٥، عن التوحيد.

وبضميمة قولهم ﷺ: خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة<sup>(١)</sup>، يثبت المطلوب.

وفي حديث عن أبي عبد الله ﷺ: ... كان إذ لم يكن شيء...<sup>(٢)</sup>.

وعن الرضا ﷺ في خطبته: له معنى الربوبية إذ لا مربوب، وحقيقة الإلهية إذ لا مألوه، ومعنى العالم ولا معلوم، ومعنى الخالق ولا مخلوق<sup>(٣)</sup>.

وفي خطبة عن رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي كان في أوليته وحدانياً... ابتداء ما ابتدئ، وأنشأ ما خلق على غير مثال كان سبق لشيء مما خلق<sup>(٤)</sup>.

وعن أمير المؤمنين ﷺ: الحمد لله الذي لا من شيء كان، ولا من شيء كوّن ما قد كان، المستشهد بحدوث الأشياء على أزليته... الخطبة<sup>(٥)</sup>.

١. البحار ٤: ١٤٥، عن التوحيد.

٢. البحار ٥٤: ٤٥، عن التوحيد.

٣. البحار ٤: ٢٢٩، عن التوحيد والعيون.

٤. البحار ٤: ٢٨٧، عن التوحيد.

٥. البحار ٤: ٢٢١، عن التوحيد والعيون.

تذكرة: التعبير بأن خلقه تعالى لا من شيء ورد في روايات متعددة، تشير إلى بعضها:

«والله خالق الأشياء لا من شيء» توحيد الصدوق: ١٤٣، عن أبي عبد الله ﷺ.

«خلق الشيء لا من شيء كان قبله» توحيد الصدوق: ٦٧، عن أبي جعفر ﷺ.

«إن الله تبارك وتعالى لم يزل عالماً قديماً خلق الأشياء لا من شيء» علل الشرائع: ٦٠٧، عن أبي

جعفر ﷺ.

«لا يكون الشيء لا من شيء إلا الله» البحار ٤: ١٤٨، عن أبي عبد الله ﷺ.

«ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها»، البحار ٢٩: ٢٢١، عن الصديقة الطاهرة ﷺ.

وَحْمَلُ قَوْلِهِمْ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ: «كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ» عَلَى نَفْيِ الْمَعِيَّةِ فِي الرِّبَةِ لَا فِي التَّحَقُّقِ وَالْوَاقِعِيَّةِ مُخَالَفَ لظَاهِرِ هَذَا الْكَلَامِ، وَلَمَّا هُوَ كَالصَّرِيحِ فِي الرِّوَايَاتِ الْمَذْكُورَةِ وَغَيْرِهَا.

وَفِي حَدِيثِ مَكَالِمَاتِ عِمْرَانَ الصَّابِيِّ مَعَ الرِّضَا صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ: أَخْبَرَنِي عَنِ الْكَائِنِ الْأَوَّلِ وَعَمَّا خَلِقَ. قَالَ عليه السلام: سَأَلْتُ فَافْهَمْتُ، أَمَّا الْوَاحِدُ فَلَمْ يَزَلْ وَاحِدًا، كَائِنًا، لَا شَيْءَ مَعَهُ، بِلَا حُدُودٍ وَلَا أَعْرَاضٍ، وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ. ثُمَّ خَلَقَ خَلْقًا مُبْتَدَعًا مُخْتَلَفًا بِأَعْرَاضٍ وَحُدُودٍ مُخْتَلَفَةٍ - إِلَى أَنْ قَالَ الرَّوَايُ - قَالَ لَهُ عِمْرَانُ: يَا سَيِّدِي، أَلَا تَخْبِرُنِي عَنِ الْخَالِقِ إِذَا كَانَ وَاحِدًا لَا شَيْءَ غَيْرِهِ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ أَلَيْسَ قَدْ تَغَيَّرَ بِخَلْقِهِ الْخَلْقُ؟ قَالَ الرِّضَا عليه السلام: لَمْ يَتَغَيَّرْ عَزَّ وَجَلَّ بِخَلْقِ الْخَلْقِ وَلَكِنَّ الْخَلْقَ يَتَغَيَّرُ بِتَغْيِيرِهِ... الْخَبْرُ <sup>(١)</sup>.

وَقَالَ الْكَلَيْبِيُّ رحمته الله بَعْدَ نَقْلِ خُطْبَةِ الْأَمِيرِ سَلَامِ اللَّهِ عَلَيْهِ - الْمَذْكُورِ صَدْرَهَا فِي الْمَتْنِ - : فَلَوْ اجْتَمَعَ أَلْسِنَةُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَيْسَ فِيهَا لِسَانُ نَبِيِّ عَلَى أَنْ يَبَيِّنُوا التَّوْحِيدَ بِمِثْلِ مَا أَتَى بِهِ - بِأَبِي وَأُمِّي - مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ، وَلَوْلَا إِبَانَتُهُ عليه السلام مَا عَلِمَ النَّاسُ كَيْفَ يَسْلُكُونَ سَبِيلَ التَّوْحِيدِ. أَلَا تَرَوْنَ إِلَى قَوْلِهِ: «لَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ وَلَا مِنْ شَيْءٍ خَلِقَ مَا كَانَ»، فَنَفَى بِقَوْلِهِ: «لَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ» مَعْنَى الْحُدُوثِ - إِلَى أَنْ قَالَ: - فَدَفَعَ عليه السلام بِقَوْلِهِ: «لَا مِنْ شَيْءٍ خَلِقَ مَا كَانَ» جَمِيعَ حُجَجِ التَّنْوِيَةِ وَشُبُهَاتِهِمْ، لِأَنَّ أَكْثَرَ مَا يَعْتَمِدُ التَّنْوِيَّةُ فِي حَدُوثِ الْعَالَمِ أَنْ يَقُولُوا: لَا يَخْلُقُ مِنْ أَنْ يَكُونَ الْخَالِقُ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ مِنْ شَيْءٍ أَوْ مِنْ لَا شَيْءٍ، فَقَوْلُهُمْ مِنْ شَيْءٍ خَطَأٌ وَقَوْلُهُمْ مِنْ لَا شَيْءٍ مُنَاقِضَةٌ وَإِحَالَةٌ لِأَنَّ «مِنْ» تَوْجِبُ شَيْئًا وَ«لَا شَيْءٍ» تَنْفِيهِ، فَأَخْرَجَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام هَذِهِ اللَّفْظَةَ عَلَى أْبْلَغِ الْأَلْفَاظِ وَأَصَحِّهَا فَقَالَ عليه السلام: «لَا مِنْ شَيْءٍ خَلِقَ مَا كَانَ»؛ الْكَافِي ١: ١٣٦.

أَقُولُ: إِذَا أُطْلِقَ الشَّيْءُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى كَمَا فِي الْأَحَادِيثِ (التَّوْحِيدِ: ٢٤٤، ٢٤٥) فَيُمْكِنُ أَنْ يَدْفَعَ أَيْضًا بِهَا يَدَّلُ عَلَى أَنَّ خَلْقَهُ تَعَالَى لَا مِنْ شَيْءٍ، اسْتِدْلَالُ الْقَائِلِينَ بِالسَّنَخِيَّةِ أَوْ بِوَحْدَةِ الْوُجُودِ، بِأَنَّ مَعْطَى الشَّيْءِ لَا يَكُونُ فَاقِدًا لَهُ، بَلْ سَيَّأَتِي عَنِ الْمُؤَلَّفِ عليه السلام أَنَّهُ يَدْفَعُ بِهِ أَسَاسَ الْقَوْلِينَ، فَلَا حَظَّ.

أقول: بما ذكرنا من الروايات - مضافاً إلى قوله بشيء في هذه الرواية: ثم خلق ...  
الظاهر في الترتيب الزمني، وإلى تقريره بشيء قول السائل: إذا كان واحداً لا شيء  
غيره... الظاهر في الغيرية الحقيقية - يظهر أن قوله: «ولا يزال كذلك» راجع إلى قوله:  
«بلا حدود ولا أعراض» لا إلى مجموع ما تقدم، كي يوهم صحة تأويل قولهم صلوات  
الله عليهم: «كان الله ولا شيء معه» بالمعية الرتبة.

وأما المسألة الرابعة وهي بسيط الحقيقة كل الأشياء وليس بشيء منها: فقد  
أوضحها صاحب الأسفار بقوله: إن العرفاء قد اصطلحوا في إطلاق الوجود المطلق  
والوجود المقيد على غير ما اشتهر بين أهل النظر، فإن الوجود المطلق عند العرفاء  
عبارة عما لا يكون محصوراً في أمر معين محدوداً بحد خاص، والوجود المقيد بخلافه،  
كالإنسان والفلك والنفس والعقل. وذلك الوجود المطلق هو كل الأشياء على وجه  
أبسط، وذلك لأنه فاعل كل وجود مقيد وكماله، ومبدأ كل فضيلة أولى بتلك الفضيلة  
من ذي المبدأ. فمبدأ كل الأشياء وفياضها يجب أن يكون هو كل الأشياء على وجه  
أرفع وأعلى. فكما أن السواد الشديد يوجد فيه جميع الحدود الضعيفة السوداء التي  
مراتبها دون مرتبة ذلك السواد الشديد على وجه أبسط، وكذلك المقدار العظيم يوجد  
فيه كل مراتبها دون مرتبة ذلك السواد الشديد على وجه أبسط، وكذلك المقدار  
العظيم يوجد فيه كل المقادير التي دونه من حيث حقيقة مقاديرتها، لا من حيث  
تعييناتها العدمية من النهايات والأطراف. فالخط الواحد الذي هو عشرة أذرع مثلاً  
يشمل الذراع من الخط والذراعين منه والتسعة أذرع منه على وجه الجمعية الاتصالية،  
وإن لم يشتمل على أطرافها العدمية التي تكون لها عند الانفصال عن ذلك الوجود  
الجمعي، وتلك الأطراف العدمية ليست داخلية في الحقيقة الخطية التي هي طول

## تنبيهات في المبدأ ١٠١/

مطلق، حتى لو فرض وجود خطّ غير متناهٍ لكان أولى وأليق بأن يكون خطأً من هذه الخطوط المحدودة، وإنّما هي داخلة في ماهية هذه المحدودات الناقصة لا من جهة حقيقتها الخطية بل من جهة ما لحقها من النقائص والقصورات، وكذا الحال في السواد الشديد واشتماله على السوادات التي هي دونه، وفي الحرارة الشديدة واشتمالها على الحرارة الضعيفة. فهكذا حال أصل الوجود وقياس إحاطة الوجود الجمعي الواجبي الذي لا أتمّ منه، بالوجودات المقيدة المحدودة بحدود يدخل فيها أعدام ونقائص خارجة عن حقيقة الوجود المطلق داخلة في الوجود المقيد<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً: اعلم أنّ الواجب الوجود بسيط الحقيقة غاية البساطة، وكلّ بسيط الحقيقة كذلك فهو كلّ الأشياء، فواجب الوجود كلّ الأشياء لا يخرج عنه شيء من الأشياء<sup>(٢)</sup>.

أقول: المراد بغاية البساطة عدم التركيب الاعتباري، أي التركيب من وجود وعدم ما سواه، فهو عبارة أخرى عن أنّه كلّ الوجود.

ومراده من الماهيات الحدود التي تمتاز وتشخص بها كلّ مرتبة من مراتب الوجود عن غيرها من المراتب، وظاهر أنّ حقيقة كلّ حدّ من مراتب الوجود ليست إلاّ عدم ما سواها من المراتب، ولذا قالوا: ليس لها حظّ من الوجود، وبتعبيرهم الآخر: ما شمت رائحة الوجود.

وأطلقوا الماهية أيضاً على الوجود المحدود بحدّ أو حدود عدمية، ومعنى كون كلّ وجود محدود ضوءاً للوجود الحقيقي وظلاً له - كما سنذكرها - أنّه مرتبة ضعيفة من

١. الأسفار ٦: ١١٦.

٢. الأسفار ٢: ٣٦٨.

مراتب الوجود التي يكون الوجودات الإمكانية المحدودة مطوية مندكة فيها، تشبيهاً له بالظل الذي هو وجود ضعيف بالنسبة إلى ذي الظل، وبالضوء من النور الذي هو وجود ضعيف بالنسبة إلى مجموع النور.

ومعنى كونه ظهوراً من ظهورات أو تجليات من تجليات ذاته - التي هي كل الوجودات المندكة فيه الوجودات الخاصة، كما سيأتي في كلامه - أنه مرتبة ضعيفة من مراتب يظهر ويتجلى بها حقيقة الوجود.

وبالجمل: التصريح بأنه ليس في الدار غيره ديار قرينة واضحة على أن مراده من الوجود الظلي، ومن الضوء ومن الوجود الممكن، ومن أعيان الممكنات، ومن التجلي والمجلى، والظهور والمظهر ليس شيئاً آخر سوى مراتب حقيقة الوجود.

وقال بعض المتأخرين في بيان اعتبارات الماهية: حقيقة الوجود إذا أخذت بشرط أن لا يكون معها شيء من الأسماء والصفات فهي المرتبة الأحادية المستهلكة فيها جميع الأشياء. وإذا أخذت بشرط الأسماء والصفات فهي المرتبة الواحدية المدلولة لاسم الجلالة وهو الله. وإذا أخذت لا بشرط فهي الهوية السارية في كل شيء. والمراد من الأسماء والصفات مفاهيمها، فإن حقائقها حقيقة الوجود، فيكون اشتراط الشيء بنفسه. انتهى<sup>(١)</sup>.

أقول: المراد بالأخذ للحاظ والاعتبار.

فمما ذكرنا ظهر أن معنى «بسيط الحقيقة كل الأشياء» أن كل حقيقة ووجود يكون في غاية البساطة (أي حتى من جهة التركيب الاعتباري من وجود وعدم غيره من الوجودات) فهو عبارة أخرى عن حقيقة كلها الوجود ولا وجود غيرها، فظاهر أن

١. قاله السبزواري في حاشيته على شرح المنظومة ١ : ٣٤٤.

كل ما هو هكذا فهو كل الأشياء المفروض أن كلها الوجود، وهذا من الواضحات من قبيل حمل الشيء على نفسه.

ومعنى أنه ليس بشيء من الأشياء أن حقيقة الوجود - التي هي مجموع الوجودات بما لها من المراتب - ليست منحصرة بمرتبة دون مرتبة، لكون المفروض أنه كل الوجود، فلا يصح أن يقال أن كل الوجود حقيقة هذا الشيء الذي هو مرتبة من مراتب الوجود لا كل الوجود، أو بمعنى أنه ليس بشيء من حدودها ونقائصها، كما قال به السبزواري في حاشية الأسفار في تفسير هذا الكلام، وهذا أيضاً أمر واضح ولكنه أشبه بالأحجية واللغز في الكلام.

وبالجملة: صحة هاتين الجملتين: (بسيط الحقيقة كل الأشياء وليس بشيء منها) بحسب المفهوم لا إشكال فيها، إنما الإشكال بل المنع الأكيد في كون جميع ما في دار التحقق مصداقاً لهاتين الجملتين، لكونه مبتنياً على كون ما في عالم الوجود من الخالق والمخلوق حقيقة واحدة، وهو ممنوع أشد المنع.

بل الواقع الذي هو من ضروريات الأديان الإلهية أن في دار التحقق حقيقتين:

إحداهما: حقيقة قائمة بذاتها أزلية أبدية، وهو الله تعالى شأنه، الواحد الذي لا ثاني له في حقيقته، وذاته الأحد أي المنزه عن التركيب مطلقاً، حتى من التركيب الاعتباري، أي التركيب من وجود وعدم غيره الذي هو من سنخ هذه الحقيقة. وبعبارة أخرى: التركيب في حقيقة الإله الذي هو عين العلم وعين القدرة على إبداع الأشياء وإيجادها بمشيئته وإرادته لا من شيء، أي لا من رشح وإشراق من نفسه، فإنه الولادة منه الملازمة للتغير بفعله، ولا من تطوّر وتشوّن في نفسه، فإنه عين التغير في الذات المنزه عنه الذات الأزلي القائم بذاته، كما صرح به أبو الحسن الرضا عليه السلام: لا



يتغير الله بانغيار المخلوق، كما لا يتحدّد بتحدّد المحدود<sup>(١)</sup>، ولا من مادة أزليّة تكون مشاركة له في التحقّق والوجود، كما صرّح به أمير المؤمنين عليه السلام : لم يخلق الأشياء من أصول أزليّة<sup>(٢)</sup>.

فإنّ الخلقة بأحد الوجوه الثلاثة ليست لا من شيء، لأنّها لو كانت من المادة الأزليّة لكانت من شيء، مضافاً إلى أنّه عين الشرك، ولو كانت من نفسه تعالى بأن تكون بالفيضان والرشح أو بالتطوّر والتشوّن ففي كلا الفرضين تكون الخلقة من الشيء بحقيقة الشبّيّة، وهو الذات الأزليّ، فلا يصحّ التعبير بأنّها لا من شيء كما صرّحت به الروايات الكثيرة<sup>(٣)</sup>.

الحقيقة الثانية: حقيقة مخلوقة قائمة ذاتها بخالفها وشيء بالغير، نعني: عنوان كونه بالغير مأخوذ في ذاته، مبدع لا من شيء، فاقد ذاته للعلم والقدرة وسائر الكمالات النوريّة، حادث بالحدوث الحقيقيّ، أنشأه الخالق تعالى شأنه بقدرته التي هي عين ذاته، وبمشيئته التي هي فعل له تعالى يظهر به قدرته. لا بالتطوّر الذي هو عين التغيّر، والرشح والإشراق الذي حقيقته الولادة، ثمّ إنّ التغيّر والولادة والمعروضيّة بالأعراض المختلفة، والاتّصاف بالأوصاف المتضادّة وغير المتضادّة من الطهارة والقدارة، والطيب والعفونة، وحسن النظر وقبحه، والنور والظلمة المحسوستين بالبصر، والمحسوسيّة بالحواسّ الظاهرة والباطنة، وقبول التصرّوّر بالصور الخارجيّة والذهنيّة وغيرها، كلّ ذلك في تلك الحقيقة الثانية التي وصفناها لا في الذات الأقدس

١. راجع ص ٨٨.

٢. راجع ص ٩٦.

٣. انظر البحار ٤: ١٦١ و ٥٧: ٤٦، ٦٧، ٧٦.

الربوبيّ جلّت عظمته.

والمباينة بين الحقيقتين المذكورتين بما لهما من الأوصاف الذاتيّة المذكورة من الواضحات.

وإطلاق لفظ الوجود على وجوديهما - نظير إطلاق الشيء عليها - لا يقتضي وحدة الحقيقة والسنخ.

وبالجملة: هاتان الحقيقتان لمكان تباينها لا يوجب وجود إحداهما محدوديّة الأخرى ولا التركيب في الذات ولو اعتباراً.

فشبهة أنّ مقتضى كونه تعالى غير محدود وآته لا يخلو منه مكان إنكار وجود الغير وإلا يلزم المزاحمة مندفعة أيضاً بما ذكر في دفع شبهة التحديد والتركيب، وهو أنّها تلزم إذا كان الأمران من سنخ واحد وحقيقة واحدة.

ونقرّب اندفاعها بذكر مثالين مرجعها إلى تنزيه الذات الأقدس عن المحدوديّة والمزاحمة، لا إلى التشبيه حتى يورد عليه بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾<sup>(١)</sup>.

الأول: لا مزاحمة بين وجود الجسم (محدوداً كان أو فرض غير محدود) وبين وجود الأعراض من الكمّ، والكيف، والوضع، والإضافة، وغيرها، كما لا مزاحمة بين الأعراض أنفسها.

الثاني: - وهو ألطف المثالين وأقربهما إلى درك حقيقة الإحاطة من غير لزوم المحدوديّة للمحيط بوجود المحاط ولا المزاحمة - هو نور العلم الظاهر بذاته المظهر للمعلومات والمحسوسات بالحواسّ الظاهرة، جواهرها وأعراضها، ومنها النور المحسوس بالبصر والظلمة، وكذا المعقولات والمتصورات، فإنّ الصورة الحاصلة في

الذهن وحصول الصورة وعرض الإضافة التي اختلفوا في أنّ العلم الحصريّ المصطلح في المنطق من أيّ مقولة من هذه المقولات، وكذا صفة الحضور - نظير الجواهر والأعراض الخارجيّة - كلّها من المعلومات. وفوق جميعها، لا بالفوقيّة المكانية، نور - كما ذكرنا مراراً - يكون علم المخلوق بأيّ منها - حتّى بنفسه - بوجدانه لذلك النور المظهر لها بقدر، وجهله بها بفقدانه إيّاه، وإن لم يجد كيفيّتها، فمن يجد ما ذكرنا من النور الظاهر بذاته المظهر لما عداه من المعلومات، ويجد إحاطته بجميعها ظاهرها وباطنها ويجد عدم محدوديّة وجوده بوجودها كيف يجوز عقلاً إنكار حقيقة وجود آخر مباين لها ومغاير لها بالمغايرة الحقيقيّة يكون هو الخالق لها المحيط بحقيقتها ظاهرها وباطنها بتوهم لزوم التحديد والتركيب والمزاحمة بينه وبينها لو قلنا بوجود كليهما، كي يحتاج إلى الالتزام بأنّ كلّ ما في عالم الوجود من سنخ واحد، فكيف بالالتزام بالوحدة الحقيقيّة العينيّة، وأنّ المغايرة بين الخالق والمخلوق اعتباريّة؟!

### تنبيهات فيها فذلّكة لما ذكر مراراً

بعد ما بيّنا (لإمكان إحاطة شيء بشيء بظاهره وباطنه مع واقعيّة كليهما من دون مشابهة ولا تداخل ولا تمازجة بينهما، ولا محدوديّة في ذات المحيط مع واقعيّة المحاط) من التمثيل بنور العلم الذي وصفه الصادق عليه السلام في رواية حنّان ابن سدير بالمثل الأعلى<sup>(١)</sup>.

١. راجع ص ٣٥.

تذكرة: المثل - بالكسر فالسكون - عبارة عن مشابهة الشيتين في تمام الحقيقة، والمثال: المشابهة في بعض الحقيقة؛ والمثل - بالفتحتين - عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً آخر بينهما مناسبة لبيتين أحدهما الآخر، وجاء بمعنى الحجّة، والحديث والقصة الرائقة، والصفة (مفردات الراغب، معجم

١ - كيف يصحّ لمن فهم ما ذكرنا دعوى إمكان تنزّل الشيء بحقيقة الشبئية، الذات الأزليّ القائم بذاته، وصيرورته مخلوقاً مبدعاً لا من شيء، شيئاً بالغير، حادثاً بالحدوث الحقيقيّ مع أنّه خلاف ذاتهما؟

٢ - كيف يصحّ له دعوى إمكان تطوّر الشيء بحقيقة الشبئية القائم بذاته الأزليّ بما هو مخلوق مبدع لا من شيء قائم ذاته بالغير مع كونه خلاف ذاتهما؟

---

الفروق اللغويّة، تفسير مرآة الأنوار، مادة «مثل») وقد نهى الله تعالى - كما أشار المؤلف ﷺ - عن ضرب الأمثال له بقوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ - النحل (١٦) - ٧٤ - لكنّه قال: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ - النحل (١٦) - ٦٠ - وقال أيضاً: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ - الروم (٣٠) - ٢٧ - فيمكن أن يقال أنّ في هذه الآيات تنبيهاً على أنّه لا يجوز أن نصف الله تعالى إلاّ بها وصف به نفسه وأنّ مثله أعلى وأجلّ من التوصيف فكيف بذاته القدّوس، وفي رواية حنان المتقدّمة: «قال: ﴿رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الزخرف (٤٣) ٨٢، يقول: ربّ المثل الأعلى عمّا به مثله، والله المثل الأعلى الذي لا يشبهه شيء، ولا يوصف ولا يتوهم، فذلك المثل الأعلى». قد يقال: إنّ المراد بالعرش هنا صفة الوجدانية، أو التنزّه عن الأشباه بمناسبة الآيات المذكورة قبلها وقوله ﷺ في ما قبل ذلك: «ربّ العرش ربّ الوجدانيّة عمّا يصفون»؛ لكن استظهر المؤلف ﷺ أنّ المراد منه العلم، لإطلاقه عليه في كثير من الأخبار كما تقدّم، وعليه فيكون العلم المحمول المخلوق - من حيث إنّّه لا يشبهه شيء من المعلومات ولا يوصف بها ولا يتوهم بالصور الذهنيّة - هو الموصوف في هذه الرواية بالمثل الأعلى لله تبارك وتعالى، ويؤيّد سائر ما ورد في شأن العلم، بل الدليل في الحقيقة نفس العلم وغيره من الأدلّة تذكرة أو إرشاد؛ ومنه يظهر وجه إطلاق المثل الأعلى في الروايات وبعض الزيارات على الأئمة ؑ فإنّهم - كما تقدّم - حملة العرش وقد حملهم الله تعالى من العلم والقدرة ما لم يؤت أحداً من العالمين فصاروا مظاهر نور العلم المحمول، والله العالم.

٣ - كيف يصحّ له دعوى إمكان صعود الشيء الذي شبيّهته بالغير، المخلوق المبدع لا من شيء الحادث بالحدوث الحقيقي، ورجوعه وفنائه أي اندكاه في الشيء بحقيقة الشئيّة، الذات الأزليّ القائم بذاته، مع أنّه خلاف ذاتها؟

٤ - كيف يصحّ له دعوى السنخية بينهما مع أنّه خلاف ذاتها فضلاً عن العينية؟  
وبالجملة: الذات الربوبيّ جلّ ثناؤه أجلّ وأقدس من أن يكون مجانساً لأشرف مخلوقاته، كما صرح به رسوله الأكرم ﷺ بقوله: وتنزه عن مجانسة مخلوقاته<sup>(١)</sup>. ومن أن يتطوّر بأشرفها وأطهرها، فضلاً أن يتطوّر بأخسها وأخبثها وأقذرها، وغير ذلك ممّا لا ينبغي تصوّره، فضلاً عن ذكره بلسان، أو كتابته بينان، ممّا لا بدّ للقائل بوحدة الوجود والموجود من الالتزام به، كما التزم به القائل المتقدّم ذكره بقوله في بعض كلماته:

فكما وفقني الله بفضلله ورحمته على الاطلاع على الهلاك السرمديّ والبطلان الأزليّ للماهيات الإمكانية والأعيان الجوازية فكذلك هداني بالبرهان النير العرشيّ إلى صراط مستقيم من كون الموجود والوجود منحصرة في حقيقة واحدة شخصية لا شريك له في الموجودية الحقيقية، ولا ثاني له في العين، وليس في دار الوجود غيره ديّار. وكلّ ما يترأى في عالم الوجود أنّه غير الواجب المعبود فإنّما هو من ظهورات ذاته، وتجليات صفاته التي هي في الحقيقة عين ذاته، كما صرح به لسان بعض العرفاء بقوله: فالمقول عليه سوى الله أو غيره أو المسمّى بالعالم فهو بالنسبة إليه تعالى كالظلّ للشخص، فهو ظلّ الله... فكلّ ما ندرکه فهو وجود الحقّ في أعيان الممكنات. فمن حيث هوية الحقّ هو وجوده، ومن حيث اختلاف المعاني والأحوال المفهومة منها المنزعة عنها بحسب العقل الفكريّ والقوّة الحسية فهو أعيان الممكنات الباطلة الذوات، فكما لا يزول عنه

باختلاف الصور والمعاني اسم الظل كذلك لا يزول عنه اسم العالم وما سوى الحق. وإذا كان الأمر على ما ذكرته فالعالم متوهم ما له وجود حقيقي، فهذا حكاية ما ذهب إليه العرفاء الإلهيون والأولياء المحققون ...<sup>(١)</sup>.

أقول: قوله: «فالعالم مُتَوَهَّم» متوهم ومبني إمّا على كون مراده من الماهيات الحدود، فإنّ الواقعية للوجود لا للحدود التي ليست واقعتها إلا أنّها عدم ما سوى المحدود بها من الوجودات، كما وصف بعضهم الماهيات بأنّها ما شمت رائحة الوجود<sup>(٢)</sup>.

وإمّا على كون المراد من الماهيات الوجودات المحدودة بعدم ما سواها من الموجودات، ووجه كونها باطلة الذوات أنّ التعيّن بهذه الحدود العدمية أمور اعتبارية، والواقعية إنّما هي للوجود الذي ليس إلا وجود الحق المنطوي في هذه الكثرات التي هي بمنزلة الأمواج لبحر الوجود.

ثمّ إنّ بعض عباراته في كتبه وإن كان موهماً أو ظاهراً في الالتزام بالعلية والمعلولية في الوجود ولكنه صرح في بعضها بقوله: فما وضعناه أولاً بحسب النظر الجليل من أنّ في الوجود علّة ومعلولاً أدّى أخيراً من جهة السلوك العلميّ والنسك العقليّ إلى أنّ المسمّى بالعلّة هو الأصل، والمعلول شأن من شؤونه وطور من أطواره، ورجعت العلية والإفاضة إلى تطوّر المبدأ بأطواره، وتجليه بأنحاء ظهوراته، فاستقم في هذا المرام الذي زلت فيه الأقدام<sup>(٣)</sup>.

١. الأسفار ٢: ٢٩٢ - ٢٩٤.

٢. كابين عربيّ في الفصوص، انظر شرح الفصوص ١: ٣٣٣.

٣. المشاعر: ٥٣، ٥٤، المشعر الثامن؛ الأسفار ٧: ٣٠٠.

أقول: هذا التوهم وأمثاله من الأوهام أوجب الالتزام بما هو مخالف لضروريات الأديان، ولما يحكم به العقل والفطرة السليمة والوجدان، وأوجب أيضاً ارتكاب التأويلات لنصوص الآيات والروايات الصادرة عن أهل بيت الوحي بما لا يساعده الفهم العرفي العقلاني من الكلام، والتمسك لإثبات مرامهم بالمتشابهات التي دلت على خلافها المحكمات من الكتاب والسنة، ومنشأ ذلك كله هو القول بأنّ في دار التحقّق ليس إلّا حقيقة واحدة وموجود واحد سمّوه الوجود، وأنّ ما يرى من الاختلاف والكثرة مراتب ودرجات وتطوّرات لتلك الحقيقة الواحدة.

فمن كلام ابن عربيّ في الفتوحات المكيّة: فسبحان من أظهر الأشياء وهو عينها<sup>(١)</sup>.

وفي الفصّ الهوديّ من فصوص الحكم: وما خلقَ تراه العين إلّا عينه حقّ.

وقال القيصرّيّ في شرحه: أي ليس خلق في الوجود تشاهده العين إلّا وعينه وذاته عين الحقّ الظاهر في تلك الصورة، فالحقّ هو المشهود، والخلق موهوم، لذلك يسمّى به، فإنّ الخلق في اللغة الإفك والتقدير<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن عربيّ في الفصّ اليعقوبيّ: إنّ الممكنات على أصلها من العدم، وليس وجود إلّا وجود الحقّ بصور أحوال ما هي عليه الممكنات في أنفسها وأعينها، فقد علمت من يلتذّ ومن يتألّم.

وقال القيصرّيّ في شرحه: ليس وجود في الخارج إلّا وجود الحقّ متلبساً بصور أحوال الممكنات، فلا يلتذّ بتجليّاته إلّا الحقّ، ولا يتألّم منها سواه<sup>(٣)</sup>.

١. الفتوحات المكيّة ٢: ٤٥٩.

٢. شرح الفصوص ٢: ١٤.

٣. شرح الفصوص ١: ٤٤٨.

وقال ابن عربيّ في الفصّ المارونيّ: وكان موسى أعلم بالأمر من هارون، لأنّه علم ما عبده أصحاب العجل.

وقال القيصريّ في شرحه: أي علم موسى ما الذي عبده أصحاب العجل في الحقيقة.

وقال ابن عربيّ أيضاً: لعلمه بأنّ الله قضى أن لا يعبدوا إلاّ آياه. كما قال: ﴿وَقَصَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾<sup>(١)</sup>. وما حكم الله بشيءٍ إلاّ وقع، فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه.

وقال القيصريّ: أي كان عتب موسى أخاه هارون لأجل إنكاره عبادة العجل وعدم اتساع قلبه لذلك.

وقال ابن عربيّ أيضاً: فإنّ العارف من يرى الحقّ في كلّ شيءٍ بل يراه عين كلّ شيءٍ، فكان موسى يربّي هارون تربية علم<sup>(٢)</sup>.  
وعن ابن عربيّ:

عَقَدَ الْخَلَائِقُ فِي الْإِلَهِ عَقَائِدًا وَأَنَا اعْتَقَدْتُ بِكُلِّ مَا آعْتَقَدُوهُ<sup>(٣)</sup>

وقال القيصريّ في شرح الفصوص: كلّ ما يطلق عليه اسم الغير فهو من حيث الوجود والحقيقة عين الحقّ، وإن كان من حيث التقيّد والتعيّن مسمّى بالغير<sup>(٤)</sup>.

وقال بعضهم: بسيط الحقيقة كلّ الأشياء وليس بشيءٍ منها، أي ليس بشيءٍ من

١. الإسراء (١٧) : ٢٣.

٢. شرح الفصوص ٢ : ٣٨٥.

٣. الفتوحات المكيّة ٣ : ١٣٢.

٤. شرح الفصوص ٢ : ٣٩٠.



حدودها ونقائصها<sup>(١)</sup>.

وقد صدّق صاحب الأسفار جميع ما مرّ عن ابن عربيّ في المسألة إجمالاً بقوله: إنّه لا يجازف في القول، كما حكاه عنه المحدث النوريّ في ترجمته في المستدرك<sup>(٢)</sup>.  
وتفصيلاً بما مرّ من قوله: إنّ العرفاء قد اصطلحوا في إطلاق الوجود المطلق ... إلى آخر كلامه<sup>(٣)</sup>. وقوله: اعلم أنّ الواجب الوجود بسيط الحقيقة ... إلى آخر كلامه<sup>(٤)</sup>.

وبقوله أيضاً: محصل الكلام أنّ جميع الموجودات عند أهل الحقيقة والحكمة الإلهية

١. راجع ص ١٠٣.

٢. قاله المحدث النوريّ رحمه الله في خاتمة مستدرك الوسائل ٢: ٢٤١، لكن لم نعر عليه فيها بأيدينا من كتب ملاً صدرا وظهر بعد الفحص أنّ ابن سينا قاله في حقّ الفارابي، ونقل كلامه ملاً صدرا في مواضع من الأسفار (٩: ١٤٨، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠) فلعلّ من هذا وقع الاشتباه في النسبة، وعلى أيّ حال لا شكّ في أنّ ملاً صدرا يخضع لدى كثير من كلمات ابن عربيّ وآرائه، وقد وصفه في الثناء عليه بالعارف المحقق والشيخ الكامل وقدوة المكاشفين، كما في مفاتيح الغيب: ٤٢٤، رسائل فلسفي: ٢٢١ وقال في تفسيره (٣: ٣٦٤) بعد نقل كلام ابن عربيّ من أنّ فرعون قبض طاهراً مطهراً وقد قبل الله إيمانه: «يقوح من هذا الكلام رائحة الصدق وقد صدر من مشكاة التحقيق وموضع القرب والولاية». أقول: الظاهر أنّ مراده من الصدق الذي تفوح رائحته وحدة الحقيقة والوجود، ولا أدري كيف يكون صادقاً مع مخالفته لكتاب الله؟ إذ ردّ إيمانه بقوله: ﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ يونس (١٠) ٩١، ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِزَةِ وَالْأُولَى﴾ النازعات (٧٩) ٢٥، وقد صرح نفسه في الأسفار (١: ٣٠٨، ٣٢٧) بأنّ آل فرعون من المعدّين في النار، فلعلّه رجع عمّا قال في التفسير، والله العالم.

٣. راجع ص ١٠٠.

٤. راجع ص ١٠١.

المتعالية، عقلاً كان أو نفساً أو صورة نوعيّة، من مراتب أضواء النور الحقيقيّ وتجليّات الوجود القيوميّ الإلهيّ، وحيث سطع الحقّ أظلم وانهدم ما ذهب إليه أوهام المحجوبين من أنّ للماهيات الممكنة في ذواتها وجوداً، بل إنّها يظهر أحكامها ولوازمها من مراتب الوجودات التي هي أضواء وأظلال للوجود الحقيقيّ والنور الأوحديّ، فكما وفّقني الله بفضلته ورحمته الاطلاع على الهلاك السرمديّ والبطلان الأزليّ للماهيات الإمكانية والأعيان الجوازية فكذلك هداني بالبرهان النير العرشّي إلى صراط مستقيم ... إلى آخر ما نقلناه عنه<sup>(١)</sup>.

ويقوله أيضاً: فصل في أنّ واجب الوجود تمام الأشياء وكلّ الموجودات: هذا من الغوامض الإلهية التي يصعب إدراكه إلّا على من آناه الله من لدنه علماً وحكمة، لكن البرهان قائم على أنّ كلّ بسيط الحقيقة كلّ الأشياء الوجودية إلّا ما يتعلّق بالنقائص والأعدام، والواجب تعالى بسيط الحقيقة من جميع الوجوه، فهو كلّ الوجود كما أنّ كلّ الوجود<sup>(٢)</sup>.

وعنه أيضاً: فإذا ثبت تناهي سلسلة الوجودات من العلل والمعلولات إلى ذات بسيط الحقيقة النورية الوجودية ... وثبت أنّه بذاته فيّاض وبحقيقته ساطع ... تبين وتحقّق أنّ لجميع الموجودات أصلاً واحداً وثنياً فإرداً هو الحقيقة، والباقي شؤونه، وهو الذات، وغيره أسماؤه ونعوته، وهو الأصل وما سواه أطواره وشؤونه، وهو الوجود، وما وراءه جهاته وحيثياته. ولا يتوهم أحد من هذه العبارات أنّ نسبة الممكنات إلى ذات القيوم تعالى تكون نسبة الحلول، هيئات إنّ الحالية والمحلية

١. راجع ص ١٠٨، والأسفار ٢: ٢٩١.

٢. الأسفار ٦: ١١٠.

تقتضيان الإثنية في الوجود بين الحالّ والمحَلّ، وهاهنا، أي عند طلوع شمس التحقيق من أفق العقل الإنسانيّ المتنوّر بنور الهداية والتوفيق، ظهر أن لا ثاني في الوجود الواحد الحقّ، واضمحلّت الكثرة الوهميّة، وارتفعت أغاليط الأوهام، والآن حصحص الحقّ وسطع نوره النافذ في هياكل الممكنات، يقذف به على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق وللثنويّين الويل ممّا يصفون، إذ قد انكشف أنّ كلّ ما يقع عليه اسم الوجود بنحو من الأنحاء فليس إلّا شأنًا من شؤون الواحد القيوم ...<sup>(١)</sup>.

وعنه أيضاً: قال العارف القيوميّ جلال الدين الروميّ في مثنويّه:

ما عدمها يميم هستيها نما      تو وجود مطلقى هستى ما

والظاهر اتّفاق أكابر الصوفية على ما ذكر في مسألة التوحيد مع اختلاف بينهم في بعض الحيثيات، كما يظهر لمن تتبّع كلماتهم.

أقول: هذه الخطايا وكذلك تطبيق القاعدة المسلّمة «بسيط الحقيقة كلّ الأشياء وليس بشيء من الأشياء» على الخارج مبتنيّ على القول بأنّ كلّ ما في عالم التحقق حقيقة واحدة، وأنّ جميع الأشياء أطوار هذه الحقيقة وشؤونها وتعيناتها، وأنّ التوحيد الذي يجب الاعتقاد به هو بهذا المعنى.

وبالجملة: ما تقدّم فهو ممنوع أشدّ المنع، لما مرّ من أنّ المبانيّة وعدم السنخية بين الحقّ المتعالى القائم بذاته وبين المخلوقات القائمة ذواتها بالغير بحيث كان عنوان القيام بالغير مأخوذاً في ذاتها واضحة، ولا سيما مع ملاحظة أنّ الأشياء المخلوقة معروضة للعوارض، وذاته تعالى منزّه عن ذلك، وملاحظة أنّها حقائق مظلمة، وذاته الأقدس حقيقة العلم والنور، فإنّ إدخالها في الذات الأقدس واشتمال الذات الأقدس

القائم بذاته المنزه عن المعروضية للعوارض، الذي حقيقته النور والعلم على ذات المخلوق الموصوف بما ذكرنا نقص لذاته القدوس، بل محال ذاتاً، فلا تجري القاعدة المسلّمة المذكورة فيه تعالى مع مخلوقاته، لا من جهة تخصيص القاعدة والحكم العقلي، بل من جهة خروجها عنه موضوعاً، كما في القواعد الثلاث المتقدّمة.

ما تقدّم في الروايات المباركة من قوله ﷺ: تنزّه عن مجانسة مخلوقاته<sup>(١)</sup>. وقوله ﷺ: كنهه تفريق بينه وبين خلقه<sup>(٢)</sup>. وقوله ﷺ: إنّه ربّ خالق غير مربوب مخلوق<sup>(٣)</sup>. وقوله ﷺ: في الدعاء المعروف بدعاء يستشير: أنت الخالق وأنا المخلوق، وأنت المالك وأنا المملوك، وأنت الربّ وأنا العبد، وأنت الرازق وأنا المرزوق، وأنت المعطي وأنا السائل، وأنت الجواد وأنا البخيل<sup>(٤)</sup>. بل من أوّل الدعاء إلى آخره، وقوله ﷺ: في دعاء يوم عرفة: أنت الذي أنعمت، أنت الذي أحسنت ... إلى أن قال: ثمّ أنا يا إلهي المعترف بذنوبي فاغفرها لي، أنا الذي أخطأت، أنا الذي أغفلت ... إلى أن قال: أنا الذي وعدت، وأنا الذي أخلفت<sup>(٥)</sup>.

وما شرع من الأقوال والأفعال في الصلاة التي هو معراج المؤمن.

وما روي بأسانيد صحيحة عن رسول الله ﷺ في معراجه الذي هو من أفضل مقامات القرب والوصول إلى الله تعالى من الكلمات<sup>(٦)</sup>.

١. راجع ص ٨٧.

٢. البحار ٤: ٢٢٨، عن التوحيد.

٣. البحار ٤: ٢٥٣، عن الاحتجاج.

٤. مهج الدعوات: ١٢٤.

٥. البحار ٩٥: ٢٢١.

٦. البحار ١٨: ٢٨٢.

مقتضى جميعها بل مقتضى صحّة بعث الرسل وإنزال الكتب والوعد والوعيد، وخروجها عن اللغوّة والعبثيّة، ومقتضى حكم العقل والفطرة بل ضرورة الأديان، وكذا موضوع المزايلة المنفيّة عنه تعالى في الروايات المباركة هي المغايرة بينه تعالى وبين مخلوقاته حقيقة لا اعتباراً. إلا أن يحرف كلم القرآن وما ورد عن خلفاء الرحمان عن مواضعها وتوّل متشابهاتها إلى خلاف ما دلّت عليه محكماتها، كما اتفق ذلك لكثير منهم.

ومّا هو كالصريح في ردّ هذا التوهم ما روي من قول الإمام الباقر عليه السلام: كلّ ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود إليكم<sup>(١)</sup>. فإنّ تمييز المطلق عن المقيد وتوصيف الباري تعالى شأنه بأنّه حقيقة الوجود المطلق عن جميع القيود، وأنّ البريّة هي الوجودات المحدودة بحدود عدميّة من دقائق المعاني المنفيّة عنه تعالى كما في غيره أيضاً من الروايات المباركة، منها:

قول أمير المؤمنين عليه السلام على ما في البحار عن التوحيد والخصال بسندهما عن المقدم ابن شريح الهلاني عن أبيه، قال: إنّ أعرابياً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه فقال: يا أمير المؤمنين، أتقول: إنّ الله واحد؟ قال: فحمل الناس عليه وقالوا: يا أعرابي، أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسّم القلب؟! فقال أمير المؤمنين عليه السلام: دعوه فإنّ الذي يريد الأعرابي هو الذي نريده من القوم. ثمّ قال: يا أعرابي، إنّ القول في أنّ الله واحد على أربعة أقسام؛ فوجهان منها لا يجوزان على الله عزّ وجلّ، ووجهان يثبتان فيه، فأما اللذان لا يجوزان عليه فقول القائل: «واحد» يقصد به باب الأعداد، فهذا ما لا يجوز، لأنّ ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد. أما ترى أنّه كفر من قال: إنّ ثالث

١. الأربعون حديثاً (للشيخ بهاء الدين العاملي): ٨١.

ثلاثة. وقول القائل: هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس<sup>(١)</sup>، فهذا ما لا يجوز، لأنه تشبيه، وجلّ ربنا وتعالى عن ذلك. وأمّا الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل: «هو واحد ليس له في الأشياء شبه»، كذلك ربنا، وقول القائل: إنه عزّ وجلّ أحديّ المعنى، يعني أنّه لا ينقسم في وجود، ولا عقل، ولا وهم<sup>(٢)</sup>. كذلك ربنا عزّ وجلّ<sup>(٣)</sup>.  
فإنّه بناءً على كون الأمر الواقعي في دار التحقّق هي الحقيقة المطلقة المسماة بالوجود، بما له من الإطلاق المنطوي في الوجودات المقيدة، ومن الوحدة المنطوية في الكثرة من غير حلول، وكانت مغايرة الحقّ مع الخلق بالإطلاق والتقييد لا محالة يقع الانقسام بجميع معانيه على تلك الحقيقة، فتدبّر واعتبر.

ومما يجب التنبيه عليه أنّ وحدة الوجود - مع غصّ النظر عن بطلان أدلّتها - متفرّعة على أصالة الوجود واعتباريّة الماهيّة، وأنّ ماهيات الممكنات ليست إلّا منتزعة من حدود الوجود. وهذا خلاف ما يقضي به الفطرة السليمة من أنّ الأشياء الخارجيّة

---

١. قال العلامة المجلسي في بيان الحديث: إنّ النوع يُطلق في اللغة على الصنف وكذا الجنس على النوع، فإذا قيل لروميّ مثلاً: هذا واحد من الناس بهذا المعنى يكون المعنى أنّ صنف هذا صنف من أصناف الناس أو هذا من صنف من أصنافهم... البحار ٣: ٢٠٦.

٢. يدلّ هذا على نفي التركيب الخارجي والعقليّ والوهميّ عن الله تعالى، والتركيب العقليّ كانقسام الماهيّة إلى أجزائها الحديّة من الجنس والفصل، والتركيب الوهميّ كتركيب الشيء من الوجود والماهية، فيقال: إنّ العقل مع أنّه جوهر بسيط غير مركّب من المادّة والصورة والجنس والفصل، لكن له جهتان من الوجوديّة والماهويّة. ومثّل بعض للتركيب الوهميّ بانقسام قطعة من الخشب إلى النصفين في التصوّر، فتأمل.

٣. البحار ٣: ٢٠٦.

حقائق متباينة<sup>(١)</sup>، ومتعلّق جعل الجاعل - عزّ اسمه - هو الإنسان بما هو إنسان، والفرس بما هو فرس، والشجر بما هو شجر... لا وجود الأشياء<sup>(٢)</sup>.

### تنبيه

عمدة ما استدلّ به من الآيات والروايات للقائلين بوحدة الوجود والموجود:

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(٣)</sup>.

وفيه: أنّه مبنيّ على كون المراد من نورها وجودها وثبوتها وكيانها، وهو ممنوع أشدّ المنع، لقوّة احتمال كون المراد منه ما به ظهور وجودها بعد وجودها وثبوتها وكيانها. وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾<sup>(٤)</sup>. بدعوى أنّه من أجل أنّه وجوده وثبوته.

وفيه: عدم انحصار الوجه بذلك، فإنّ ذاته الأقدس المحيط به وبوجوده وثبوته هو الأقرب.

وقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ

١. المراد أنّها حقائق مختلفة وليست حدوداً للوجود وإن كان اختلافها عرضياً لأنّ أصلها مادة واحدة كما يأتي، فلعلّ في التعبير بالتباين تسامحاً.

٢. وفيما حرّره صديقنا الفقيه، مشاركتنا في أبحاثنا، آية الله ميرزا جواد آقا طهراني رحمته في كتابه «عارف و صوفي چه می گویند؟» تلخيص ما استدلّوا به على أصالة الوجود وما يرد عليهم، وأدلّتهم مبتنية على مقدمات غير مسلمة، أو مصادرة على المطلوب. [منه رحمته]

٣. النور (٢٤) ٣٥.

٤. ق (٥٠) ١٦.

سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴿١١﴾.

وفيه: أنه مبنيّ على كون الوجه أنه بوحدته كلّ الأشياء وليس هو شيئاً من الأشياء، وهو ممنوع، فإنّ المعية تقتضي الغيريّة الحقيقيّة لا الغيريّة الاعتباريّة، بل هو - كما في ما قبله وما سيجيء من الروايات - على خلاف مطلوبهم أدلّ.

ومنه: ما عن النبيّ ﷺ: خلق الله الخلق في ظلمة ثمّ رشّ عليه من نوره<sup>(٢)</sup>.

وفيه: أنه مبنيّ على كون المراد من رشّ النور ظهوره بالوجود. وهو ممنوع، فإنّ الخلق بمعناه الحقيقيّ مساوق للوجود والثبوت، ولفظة «ثمّ» ظاهرة في تأخر الرشّ عنه، فهو في إرادة تحمیل العلم الذي هو حقيقة النور على الخلق المظلم ذاتاً - كما هو حقيقة كلّ مخلوق - أظهر<sup>(٣)</sup>.

ومنه: ما عن النبيّ ﷺ: أنه فوق كلّ شيء، وتحت كلّ شيء، قد ملاً كلّ شيء وعظّمته، فلم يخلّ منه أرض ولا سماء، ولا برّ ولا بحر، ولا هواء<sup>(٤)</sup>.

وعنه ﷺ: لو أدليتكم بحبل على الأرض السفلى لهبط على الله<sup>(٥)</sup>.

وفي الأسفار قال موسى: أقرب أنت فأناجيك، أم بعيد أنت فأناديك، فإني أحسن حسن صوتك ولا أراك، فأين أنت؟ فقال الله: أنا خلفك، وأمامك، وعن يمينك

١. المجادلة (٥٨) : ٧.

٢. سنن الترمذيّ ٤ : ١٣٥، تفسير المحيط (للسيد حيدر الآمليّ) ٢ : ٤٨٠، وفيهما: بدل «ثمّ رشّ عليه من نوره»: «فألقي عليهم من نوره».

٣. يؤيد هذا المعنى ذيل الحديث: «فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضلّ».

٤. الأسفار ٦ : ١٤٢.

٥. الأسفار ٦ : ١٤٢، سنن الترمذيّ ٥ : ٧٨.



وشمالك، أنا جليس عند من يذكرني، وأنا معه إذ دعاني<sup>(١)</sup>.

وعن عليّ صلوات الله عليه: ... وبِعِظْمَتِهِ وَنُورِهِ عَادَاهُ الْجَاهِلُونَ، وَبِعِظْمَتِهِ وَنُورِهِ ابْتَغَى مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ جَمِيعِ خَلَائِقِهِ إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ بِالْأَعْمَالِ الْمُخْتَلِفَةِ ... هُوَ هَاهُنَا، وَهَاهُنَا، وَفَوْقَ، وَتَحْتَ، وَمَحِيطٌ بِنَا، وَمَعْنَا ...<sup>(٢)</sup>.

وعنه صلوات الله عليه: مَا رَأَيْتُ شَيْئاً إِلَّا وَرَأَيْتُ اللَّهَ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ وَمَعَهُ<sup>(٣)</sup>.

وعن موسى بن جعفر صلوات الله عليه في دعائه: وَمَلَأَ كُلَّ شَيْءٍ نُورُكَ<sup>(٤)</sup>.  
بدعوى أن مصحح تلك العبارات كونه تعالى وجود تلك الأشياء.  
وفيه: أتمها تدل على استيلائه وإحاطة ذاته على جميع الأشياء بما لها من الوجود، لا على أنه وجودها.

ومنه: ما عن الصادق صلوات الله عليه: ... لَيْسَ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ شَيْءٌ ...<sup>(٥)</sup>. بدعوى أن نفي الشيء بين الخالق والمخلوق ليس إلا من جهة كونه وجود المخلوق، فإنه الذي ليس بينه وبين الماهية شيء.

وفيه: أتمها مبنية على كون المراد من المخلوق الماهية الاعتبارية الاصطلاحية، وهو ممنوع، فإن المخلوق ومتعلق الجعل البسيط هو الأمر القائم ذاته بخالقه، وواقعته وكيانه لا يوجب فصل شيء بينه وبين الخالق القائم عليه وعلى كل شيء، بل هو على

١. الأسفار ٦: ١٤٢. ورواه المتقي الهندي في كنز العمال ١: ٤٣٣، حديث ١٨٧١.

٢. الكافي ١: ١٢٩.

٣. نقله في الأسفار ١: ١١٧، بتفاوت، وفي مفاتيح الغيب ١: ٣٩٩: «ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله فيه» أو «قبله»، وفي علم اليقين (للفيض الكاشاني) ١: ٧٠: «ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله».

٤. البحار ٨٨: ١٨٨، ١٨٩، عن جمال الأسبوع.

٥. البحار ٤: ١٦١، عن التوحيد.

خلاف ما استدّلوا به أدلّ.

ومنه: ما في دعاء عرفة: فأسألك بنور وجهك الذي أشرقت له الأرض والسموات، وانكشفت به الظلمات<sup>(١)</sup>.

وفيه: أيضاً أنه مبنيّ على كون المراد من النور وإشراق السموات والأرض به كيانها وتحققها مقيداً، وهو ممنوع، كما مرّ، بل هو على خلافه أدلّ، كما يظهر بالتأمل. ومنه: ما في هذا الدعاء: كيف يُستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟! أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتّى يكون هو المظهر لك؟!<sup>(٢)</sup> بدعوى أنّ ظهوره هو وجوده، وصرّح أنه الظهور لك لا لغيرك.

وفيه: إمكان أن يكون المراد أنّ وجود الغير المفتقر إلى الله تعالى، ليس له بنفسه ظهور حتّى يكون هو المظهر له تعالى من أجل أنه آية له. بل ظهور وجود الغير إنّما هو به تعالى، فهو المظهر لوجود الغير الذي هو آية له تعالى، والمظهر لنفسه تعالى أيضاً من أجل أنه ذو الآيّة.

ومنه: ما فيه أيضاً: تعرّفَ إليّ في كلّ شيء، فرأيتك ظاهراً في كلّ شيء<sup>(٣)</sup>. بدعوى أنّ كونه ظاهراً في كلّ شيء من جهة أنه وجود كلّ شيء.

وفيه: ما مرّ من إمكان كون المراد هنا أيضاً ظهور ذي الآيّة بالآيات الموجودة بحكم العقل، نظير ما في الحديث: جعل الخلق دليلاً عليه فكشف به عن ربوبيّته<sup>(٤)</sup>.

١. البحار ٩٥: ٢٢٠، عن الإقبال.

٢. البحار ٩٥: ٢٢٦، عن بعض نسخ الإقبال.

٣. البحار ٩٥: ٢٢٧.

٤. البحار ٤: ٢٥٣، عن الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي الحديث المروي عن ثامن الأئمة صلوات الله عليه: فأَيّ ظاهر أظهر وأوضح من الله تبارك وتعالى، لأنك لا تعدم صنعته حيثما توجهت، وفيه من آثاره ما يغنيك<sup>(١)</sup>. فمع هذا الاحتمال لا يكون دليلاً على قولهم.

ومنه: ما عن النبي ﷺ: أصدق شيء قاله شاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل<sup>(٢)</sup>. بدعوى أن بطلانه من جهة أنه ليس لشيء وجود إلا وجود الحق، والماهيات أمور اعتبارية باطلة.

وفيه: أولاً: أن ظاهر كلامه كما يشهد به قوله:

وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلٌ

وكلُّ أناسٍ سوف تدخل بينهم

أنه [في] بيان عدم ثبات الدنيا ونعيمها، وأنها سيبطل ويزول، كما في قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾<sup>(٣)</sup>. فهو أجنبي عن مسألة التوحيد.

وثانياً: كون ما خلا الله باطلة الذوات لكونها حادثة قائمة بالغير لا يستلزم كون وجودها وجود الحق، أي تطوره بها، بل لمكان استحالة ذلك عقلاً لا يمكن أن يكون مورد تصديق النبي الأكرم ﷺ.

١. الترحيد: ١٨٩، العيون ١: ١٤٩، البحار ٤: ١٧٨.

٢. صحيح البخاري ٤: ٣٦٧، حديث ١٠٢٣، عبارته: أصدق كلمة قالها الشاعر ....

٣. دُوبِيَّة: مصغرة داهية بمعنى المصيبة والأمر العظيم، والمقصود هنا الموت، والتصغير للمبالغة والتعظيم، كما في رواية عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ عَلِيًّا لِأَخْيَشِينَ فِي ذَاتِ اللَّهِ» رياض السالكين ١: ٣٣؛ أخيشن مصغرة أحشن، والمعنى أنه نَزَّلا كثير الخشونة وشديد التصلب في الأوامر الإلهية.

٤. القصص (٢٨) ٨٨.

تنبيهات في المبدأ / ١٢٣

ومنه: قول النبي ﷺ - الذي رواه أمير المؤمنين عليه السلام - في دعاء الصباح: يا من دلّ على ذاته بذاته<sup>(١)</sup>. بدعوى أنّ المخلوق دالّ على خالقه. فكونه دالّاً بذاته على ذاته ليس إلّا من جهة أنّ وجود المخلوق هو وجود الخالق بعينه مقيداً.

وفيه: أنّ قوله: «وتنزّه عن مجانسة مخلوقاته» قرينة على عدم إرادة هذا المعنى، فالظاهر كونه إشارة إلى معرفة حقيقيّة من غير طريق الآيات، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

ومنه: قوله صلوات الله عليه: مع كلّ شيء لا بمقارنّة، وغير كلّ شيء لا بمزايلة<sup>(٢)</sup>. بدعوى أنّ نفي المقارنّة والمزايلة مع إثبات المعية والغيرية ليس إلّا من جهة أنّ غيره لا وجود له إلّا بالاعتبار.

وفيه: أنّ لفظ المعية والغيرية ظاهر في الغيرية الحقيقيّة، فمعنى نفي المقارنّة نفي كونها في رتبة واحدة، ومعنى نفي المزايلة نفي البينونة العزليّة.

وعمداً ما استدلّ به لذلك من طريق البرهان العقليّ بزعمهم أنّه لو لم نقل بذلك - أي أنّ ذات الحقّ وحقيقة الوجود سار إلى مرتبة وجود الأشياء - بل كان لها وجود أيضاً، لزم نقص ذاته تعالى وتحديد عدم وجود الأشياء، فكماله واجديّة ذاته لجميع مراتب ثبوت الأشياء ووجودها. فلذا قالوا بأنّ الكثرة منطوية في ذلك الموجود الواحد بالوحدة الشخصيّة، وهذا الموجود الواحد سار في جميع الأشياء، بمعنى كونه عين الكثير من غير حلول واتحاد، لأنّهما فرع الاثنينيّة، وهي خلف. فلذا ليس في الدار غيره ديار، وفاعليته وخالقيته عندهم ليست إلّا تجلّيه بالأسماء والصفات،

١. البحار ٩١: ٢٤٣، عن اختيار السيّد ابن باقي.

٢. نهج البلاغة، الخطبة: ١.

وبالوجودات الخاصّة التي هي عين ذاته. فهو الذي يرى رؤية العيان.

ويؤوّلون قوله ﷺ في خطبته: فتجلّى لخلقه من غير أن يكون يُرى<sup>(١)</sup>، بأنّه قال ذلك لمن لا يعرف الأشياء بأنّها عين ذاته الظاهرة فيها، وإلا فلا يدرك أحد شيئاً إدراكاً بسيطاً إلاّ إيّاه. كما صرّح به ملاً صدرا بأنّ كلّ ما ندركه فهو وجود الحقّ في أعيان الممكنات، فمن حيث هويّة الحقّ هو وجوده<sup>(٢)</sup>.

والجواب عنه: أنّ النقص إنّما يلزم إذا كان له شريك في الشئيّة الحقيقيّة القائمة بذاته وحقيقة النور الحقيقيّ الأزليّ الأبديّ الذي هو عين الحياة والقدرة وغيرهما من الكمالات بلا تركيب. وأمّا الشئ الذي شئيته وواقعيته بالغير القائم ذاته بالغير، المتحقّق بمشيئة الغير، الحادث بالحدوث الحقيقيّ، الفاقداً ذاتاً للحياة والجميع الكمالات، الذي حياته وعلمه وقدرته بواجديته لتلك الأنوار بإذن ربّه وربّها، ومالكة ومالكها، وبمشيئته - كما هو حقيقة كلّ مخلوق - فما هذه حقيقته فهو حقيقة ناقصة فقيرة ذاتاً وكمالاً، وكماله تعالى تنزّهه عن تنزّله إلى رتبته، وتشوّنه وتطوّره بها، أو رجوعها ووصولها إلى ذاته وفنائها فيه. بل محال ذلك ذاتاً، للمباينة الذاتيّة بينهما.

فتحديدته تعالى إنّما يلزم إذا كان لغيره وجود من سنخ هذا الوجود الذي هو عين النور الأزليّ الأبديّ، أو كان زمان أو مكان خالياً - أي منعزلاً - عنه. وأمّا الشئ القائم ذاته به، المحتاج في كماله وبقائه إليه، مع إحاطته به ظاهراً وباطناً، وعدم البينونة بالبينونة العزليّة بينه وبينه فليس وجوده موجباً لتحديد ذاته المتعالي عن أوصافه.

توضيح الجواب بعبارة أخرى: يمتنع كون الموجود في دار التحقّق حقيقة واحدة

١. البحار ٤: ٢٨٨، عن التوحيد.

٢. راجع ص ١٠٨.

وموجوداً واحداً، بل الموجود سنخان متباينان، وحققتان مختلفتان:  
أحد السنخين: المتحقق بذاته المستقل في ذاته، الشيء بحقيقة الشئية والواقعية،  
والنور الحقيقي الأزلي الأبدى، أحديّ الذات، عين جميع الكمالات من العلم والحياة  
والقدرة ونحوها، بلا تركيب فيه ولا شبيه له، ولا ثاني ولا عدل.  
والثاني: سنخ آخر غير السنخ المذكور، أي شيء بالغير، قائم ذاته بذلك الغير، وما  
هو كذلك مباين لما هو شيء بذاته وقائم بنفسه.  
إنه شيء صار شيئاً بالغير لا من شيء، وحيث إنه لا من شيء فهو غير مترشح ولا  
متنزل عن ذلك الغير ولا عن شيء آخر، وحيث إنه لم يكن ثم كان فهو حادث  
بالحدوث الحقيقي، وما هو كذلك مباين للذات الأزلي.  
وحيث إنه مظلم ذاتاً فهو يتنور بنور العلم تارة، ويرجع إلى ما كان عليه من  
الظلمة الذاتية أخرى، ثم يتنور، وهكذا.  
ويظهر ما ذكرنا من ملاحظة أن من أشرف هذا السنخ الثاني: الذات الإنسانية، فإننا  
نجد أنفسنا أننا كذلك، ننام فلا نشعر بشيء حتى في المنام ثم نستيقظ، يُغشى علينا ثم  
نفيق، ننسى ما كنا عالمين به ثم نذكر، فيكون علمنا إنما هو بوجداننا نور العلم،  
وجهلنا بفقداننا إياه، وإن لم نعرف كيفية هذا الوجدان والفقدان. وظاهر أن ما هو  
مظلم ذاتاً مباين لما هو نور ذاتاً. ثم إن الكثرة والاختلاف والتركيب والمعروضية  
للعوارض المحسوسة بالحواس الظاهرة والباطنة إنما هي في هذا السنخ الثاني، وظاهر  
أن ما هو كذلك مباين لما هو أحديّ الذات، فيظهر أن ما هو من السنخ الثاني يمتنع  
دخوله في صقع الأمر الأول مهما بلغ من العلم والكمال، ولا يمكن أن يكون مشابهاً  
له أيضاً.

وقد مرّ ما عن رسول الله ﷺ في دعاء الصباح: وتنزه عن مجانسة مخلوقاته<sup>(١)</sup>.  
 وعن أبي جعفر صلوات الله عليه: إنّ الله تبارك وتعالى خلّو من خلقه، وخلقه  
 خلّو منه، وكلّ ما وقع عليه اسم «شيء» ما خلا الله عزّ وجلّ فهو مخلوق<sup>(٢)</sup>.  
 وعن عليّ صلوات الله عليه: ... توحيدَه تميّزه عن خلقه، وحكم التميّز بينونة  
 صفة لا بينونة عزلة، إنّهُ ربُّ خالق غير مربوب مخلوق ...<sup>(٣)</sup>.  
 وعنه أيضاً صلوات الله عليه: مباين لجميع ما أحدث في الصفات<sup>(٤)</sup>.  
 وعنه أيضاً صلوات الله عليه: ... وما زال ليس كمثلته شيء عن صفة المخلوقين  
 متعالياً، وانحسرت الأبصار عن أن تناله فيكون بالعيان موصوفاً، وبالذات التي لا  
 يعلمها إلّا هو عند خلقه معروفاً ...<sup>(٥)</sup>.  
 وعن الصادق صلوات الله عليه: من شبّه الله بخلقه فهو مشرك، إنّ الله تبارك  
 وتعالى لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء، وكلّ ما وقع في الوهم فهو بخلافه<sup>(٦)</sup>.  
 وعن ثامن الأئمة صلوات الله عليه: ... فليس الله عرف من عرف بالتشبيه ذاته،  
 ولا إياه وحّد من اكنهه، ولا حقيقة أصاب من مثله، ولا به صدق من نهاه، ولا  
 صمد صمده من أشار إليه، ولا إياه عنى من شبّهه ... فقد جهل الله من استوصفه ...

١. راجع ص ٨٧ .

٢. البحار ٣: ٢٦٣، عن التوحيد. رواه الصدوق بثلاثة أسانيد ينتهي أحدها إلى زرارة عن أبي

عبد الله ﷺ .

٣. البحار ٤: ٢٥٣، عن الاحتجاج.

٤. البحار ٤: ٢٢٢، عن التوحيد.

٥. البحار ٤: ٢٧٥، عن التوحيد.

٦. البحار ٣: ٢٩٩، عن التوحيد.

فكل ما في الخلق لا يوجد في خالقه، وكل ما يمكن فيه يمتنع في صانعه. الخبر<sup>(١)</sup>.  
وفي البحار عن أمالي الشيخ مسنداً عن محمد بن سباعة، قال: سألت بعض أصحابنا  
الصادق عليه السلام فقال له: أخبرني أي الأعمال أفضل؟ قال: توحيدك لربك، قال: فما أعظم  
الذنوب؟ قال: تشبيهك لخالقك<sup>(٢)</sup>.

وعن التوحيد مسنداً عن البرنظي عن محمد بن حكيم، قال: وصفت لأبي  
إبراهيم عليه السلام قول هشام الجواليقي وحكيته له قول هشام بن الحكم أنه جسم، فقال:  
أي فحش أو خناء<sup>(٣)</sup> أعظم من قول من يصف خالق الأشياء بجسم أو بصورة أو  
بخلقة أو بتحديد وأعضاء؟! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً<sup>(٤)</sup>.

#### تنبيه

ليس فعله تعالى وفاعليته بالرشح والفيضان من ذاته القدوس، ولا بالتطور  
والتشؤن ذاتاً المسمى اصطلاحاً بالتجلي الذاتي، فإنهما من التغير المنفي عنه تعالى عقلاً،  
كما نبّه عليه ثامن الأئمة صلوات الله عليه بقوله: ... لا يتغير الله بانغيار  
المخلوق...<sup>(٥)</sup>. مضافاً إلى أن الأول منهما من الولادة المنفية عنه عقلاً.

١. البحار ٤: ٢٢٨، عن التوحيد والعيون. وتقدم هذا الحديث في ص ٨٨.

٢. البحار ٣: ٨.

٣. الحثي: الفحش في الكلام؛ واحتمل في البحار أن التردد من الراوي.

٤. البحار ٣: ٣٠٣، عن التوحيد.

٥. البحار ٤: ٢٢٨، عن التوحيد والعيون.



### كلام في التجليّ وبيان أقسامه

ما ورد من نسبة التجليّ إليه تعالى في القرآن الكريم<sup>(١)</sup>، وكلمات المعصومين<sup>(٢)</sup> ليس بمعنى تجليّ الوجود المطلق ذاتاً بمفهوم الأسماء والصفات، كالعالم والقادر ونحوهما<sup>(٣)</sup>، أو تجليّه بالوجودات المقيّدة خارجاً، كما زعموا، فإنّ التجليّ على أنحاء: الأوّل: تجليّ الشيء وظهوره حسّاً بعد خفائه، كتجليّ الشمس أي ظهورها من الأفق. الثاني: تجليّ العلة بمعلولها الذي يتولّد ويترشّح منها، كتجليّ الشمس بنورها المنتشر في الفضاء وعلى وجه الأرض.

الثالث: تجليّ الحقيقة الواحدة بأطوارها، كتجليّ الماء تارة بصورة البحار، وأخرى بصورة الموج ونحو ذلك. وكتجليّ مادّة عالم الأجسام بها لها من الخصوصيّات التي

١. الأعراف (٧) ١٤٣.

٢. سيأتي بعضها في ص ١٣٠، ١٣١.

٣. تقدّم في ص ١٠٢ عن السبزواريّ أنّ حقيقة الوجود إذا أخذت بشرط الأسماء والصفات فهي مرتبة الواحديّة، وأنّ المراد من الأسماء والصفات مفاهيمها وأنّ حقائقها حقيقة الوجود. أقول: توضيح الكلام بقدر ما يناسب المقام أنّ العرفاء اعتبروا مراتب لحقيقة الوجود: الأولى: مرتبة غيب الغيوب التي لا اسم لها ولا رسم ولا مظهر لها ولا مجليّ ولهذا يعبر عنها بالعنقاء إشارة إلى عدم إمكان الوصول إليها. والثانية: مرتبة التعيّن الأوّل، وهي أصل جميع التعيّنات وعبارة عن شهود الحقّ نفسه بالعلم الحضوريّ، ويقال لها المرتبة الأحديّة. والثالثة: مرتبة التعيّن الثاني، وهي مرتبة اعتبار جميع الأسماء والصفات لله تعالى، ويقال لها المرتبة الواحديّة. ثمّ إنّ الماهيّات عندهم من لوازم الأسماء والصفات، بل يتجلّى الوجود المطلق بها وهي من شؤونها: فقول المؤلف ﷺ: ليس بمعنى تجليّ الوجود المطلق ذاتاً بمفهوم الأسماء والصفات، إشارة إلى المرتبة الثالثة، وقوله: أو تجليّه بالوجودات المقيّدة إشارة إلى ظهور الماهيّات في مرتبة الأسماء، وهذا الظهور هو المعبر عنه في كلام السبزواريّ بالحدوث الاسميّ كما أشرنا إليه سابقاً.

جعل الله فيها بصورة الأصناف المخلوقة منها. وربّما يمثل له بتجلي حقيقة الوجود بالوجودات والأكوان الخاصّة، كما هو مقال الموسومين بالشاخيّن من الصوفيّة.

الرابع: تجلّي الصانع بمصنوعاته، وبما أبدع وعمل فيها من اللطائف والصور وغيرها، فإنّ وجوده وعلمه وقدرته وحكمته وسائر كمالاته تتجلّى بها، ويكون ما صنعه وما أبدع فيه آيات له ولكمالاته.

والثلاثة الأولى بجميع معانيها منفيّة عن الحقّ المتعالّي، أمّا الأوّل فواضح، وأمّا الثاني فلأنّه الولادة المنفيّة عنه تعالى عقلاً وكتاباً وسنّة، كما ذكرنا. وأمّا الثالث فلأنّ مرجعه إلى التغيّر الذي هو من صفات المصنوع، المنزّه عنها الذات القدّوس الأزليّ الذي ليس بمصنوع. والأمر واضح في المثالين الأوّلين للمعنى الثالث. وأمّا في المثال الثالث فللمباينة الواضحة بين سنخ الوجود المبدّع لا من شيء وبين الذات الأقدس الذي هو الشيء بحقيقة الشئيّة، والموجود بذاته لا بالغير.

مضافاً إلى أنّ الوجود المصنوع - كما مرّ مراراً - مظلم ذاتاً، محتاج في ظهوره إلى العلم الذي هو حقيقة النور - كما هو المشهود بعد التذكّر - وتطوّر الشيء بما هو مباين له ذاتاً محال. مضافاً إلى تنزّهه تعالى عن التطوّر مطلقاً، لكون مرجعه إلى التغيّر، ولا أقلّ من كونه من الانقسام الوهميّ الذي أشار إليه أمير المؤمنين صلوات الله عليه في معنى الواحد: لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم<sup>(١)</sup>.

وأشار إليه الإمام الرضا عليه السلام بقوله: ... ويُوَحَّد ولا يُبْعَض ...<sup>(٢)</sup>.

١. البحار ٣: ٢٠٧، عن التوحيد. وتقدّم الخبر بتامه في ص ١١٦، ١١٧.

٢. البحار ٣: ٢٩٧، عن التوحيد.

وأشار إليه أيضاً في خطبته: ولا إياه وحّد من اكتنّه<sup>(١)</sup>.

فكلّ ما نسب إليه تعالى من التجلّي، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي خطبة النبي ﷺ: فتجلّى لخلقه من غير أن يكون يُرى<sup>(٣)</sup>.

وفي خطبة الرضا صلوات الله عليه: بها تجلّى صانعها للعقول<sup>(٤)</sup>.  
وفيها: مُتَجَلِّ لا باستهلال رؤية.

وفي نهج البلاغة: فتجلّى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه<sup>(٥)</sup>.

وفي دعاء السمات: وبمجدك الذي تجلّيت به لموسى كليمك ﷺ في طور سيناء،  
ولإبراهيم ﷺ خليلك من قبل في مسجد الحيف، ولإسحاق صفيك ﷺ في بئر شيبع،  
وليعقوب نبيك ﷺ في بيت إيل<sup>(٦)</sup>.

فهو إمّا من القسم الرابع، كما في نهج البلاغة: بها تجلّى صانعها للعقول، وبها امتنع  
عن نظر العيون<sup>(٧)</sup>. وكما في البصائر في رواية عن أبي عبد الله ﷺ: إنّ موسى لما أن سأل

١. البحار ٤: ٢٢٨، عن التوحيد.

٢. الأعراف (٧) ١٤٣.

٣. البحار ٤: ٢٨٧، عن التوحيد.

٤. البحار ٤: ٢٢٨، عن التوحيد والعيون.

٥. نهج البلاغة، الخطبة ١٤٧، ذيل عبارة الفوق: «بها أراهم من قدرته وخوفهم من سطوته وكيف  
حقّ من بحقّ بالثلاث واحتصد من احتصد بالثلاث». وفي البحار ٨٩: ١٠٧ عن أسرار الصلاة  
للشهيد الثاني ؑ: قال الصادق ﷺ: «لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه، ولكنهم لا يبصرون».

٦. مصباح المتعجّد: ٣٧٥.

٧. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٦.

ربه ما سأل أمرَ واحداً من الكروبيين فتجلى للجبل فجعله دكاً<sup>(١)</sup>.

وعن العيون في رواية عن أبي الحسن الرضا صلوات الله عليه: ... فلما تجلى ربه للجبل بأية من آياته جعله دكاً وخرّ موسى صعقاً...<sup>(٢)</sup>.

وعن التوحيد في حديث طويل عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه: فأبدى الله جلّ ثناؤه بعض آياته، وتجلّى ربنا تبارك للجبل فتقطّع الجبل فصار رمياً وخرّ موسى صعقاً...<sup>(٣)</sup>.

وإما تجلّى خاصّ لقلب المؤمن في شدائده، وفي صلواته، وعند قراءة القرآن، وفي دعواته وسائر عباداته، وغير ذلك من أحواله في بعض الأحيان، لطفاً منه على عبده المؤمن، بل قد يتفق للمشرك والكافر أيضاً في بعض شدائده وورطاته، إتماماً للحجة عليه، كما نبّه عليه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾<sup>(٤)</sup>. وغير ذلك من الآيات التي يأتي ذكرها إن شاء الله تعالى.

وللقائلين بوحدة الوجود والموجود دليل آخروهي المكاشفة، وربّها يُعبّر عنها بالواقعة، المفسّرة بالأموال العينية، التي يراها الإنسان بين اليقظة والنوم، ومرادهم منها كما يظهر من مكاشفات محيي الدين بن عربيّ على ما في الفتوحات المكيّة<sup>(٥)</sup> واللاهيجي<sup>(٦)</sup> في

١. بصائر الدرجات: ٦٩، وعنه البحار ١٣: ٢٢٤.

٢. العيون ١: ٢٠١، عنه البحار ١٣: ٢١٨، عن العيون والتوحيد والاحتجاج.

٣. التوحيد: ٢٦٣، وعنه البحار ٩٠: ١٣٥.

٤. العنكبوت (٢٩) ٦٥.

٥. الفتوحات المكيّة ١: ٧١٤.

٦. اللاهيجي: شمس الدين محمد المتخلص بـ «أسيري»، توفي سنة ٩١٢، كان خليفة السيّد محمد

شرح گلشن راز<sup>(١)</sup> ليست إلا ما يراه النائم في المنام، أو فيما بينه وبين اليقظة، ولا اعتبار لهما لا عقلاً ولا شرعاً، لاحتمال كونها من أضغاث الأحلام التي منها إلقاءات الشياطين، ولا سيما إذا كان في أول المنام وفي آخره حين تُردّ الروح إلى جسدها. ومنها ما يحدث به الإنسان نفسه في اليقظة فيراه في نومه، كما يتفق ذلك لبعض كثيراً.

ففي البحار عن الكافي بسنده عن أبي بصير، قال: قلت: لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، الرؤيا الصادقة والكاذبة مخرجهما من موضع واحد؟ قال: صدقت، أما الكاذبة المختلفة يراها الرجل في أول ليلة في سلطان المردة الفسقة، وإنما هي شيء يخيّل إلى الرجل وهي كاذبة مخالفة لا خير فيها، وأما الصادقة إذا رآها بعد الثلثين من الليل مع حلول الملائكة - وذلك قبل السحر - فهي صادقة لا تختلف إن شاء الله، إلا أن يكون جنباً أو يكون على غير طهر أو لم يذكر الله حقيقة ذكره، فإنها تختلف وتبطئ على صاحبها<sup>(٢)</sup>.

وفيه عن الدرّ المشور عن سليم بن عامر أن عمر بن الخطاب قال: العجب من رؤيا الرجل! إنه يبيت فيرى الشيء لم يخطر له على بال فيكون رؤياه كأخذ باليد، ويرى الرجل الرؤيا فلا يكون رؤياه شيئاً. فقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: أفلا أخبرك بذلك يا أمير المؤمنين؟ إن الله يقول: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ كُتِبَ فِي مَنَامِهَا

---

نور بخش ولهذا تسمى بقعته في شيراز بـ «خانقاه نوريه» وحكي أنّ ملاً صدرا يبجله ويأخذ ركا به (ريحانة الأدب ١: ١٢٥). وهو غير عبد الرزاق اللاهيجي صهر ملاً صدرا وتلميذه الملقب بالفياض، الذي لم يرتض بعض مباني ختنه وأستاذه.

١. مفاتيح الإعجاز في شرح گلشن راز: ٧٦، ٩٦، ٩١، ٢٢٨، ٣٤٦، ٣٧٠، ٤٠٥، ٦٢١.

٢. البحار ٥٨: ١٩٣، عن روضة الكافي.

تنبيهات في المبدأ / ١٣٣

فَيَمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿١﴾، فالله يتوقَّ الأنفس كلَّها، فما رأت وهي عنده في السماء فهي الرؤيا الصادقة، وما رأت إذا أرسلت إلى أجسادها تلقَّتها الشياطين في الهواء فكذبتها وأخبرتها بالأباطيل فكذبت فيها، فعجب عمر من قوله (٢).

وعنه أيضاً عن عوف بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: الرؤيا على ثلاثة: منها تخويف من الشيطان ليحزن به ابن آدم، ومنها أمر يحدث به نفسه في اليقظة فيرى في المنام، ومنها جزء من ستَّة وأربعين جزءاً من النبوة (٣).

أقول: وإن كان مقتضى النبويِّ وروايات أخرى أن بعضها جزء من النبوة، إلا أنَّها تختصُّ بالمؤمن، فلا اعتبار بما يراه مثل ابن عربي الذي يعدُّ من رجال الله جماعة منهم الأقطاب... ومنهم من يكون ظاهر الحكم ويموز الخلافة الظاهرة كما حاز الخلافة الباطنة من جهة المقام كأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ والحسن ومعاوية بن يزيد وعمر

---

١. الزمر (٣٩) ٤٢.

٢. البحار ٥٨: ١٩٣.

٣. البحار ٥٨: ١٩٣. قال ابن الأثير في النهاية ١: ٢٤٢: إنها خصَّ هذا العدد - أي ستَّة وأربعين - لأنَّ عمر النبي ﷺ - في أكثر الروايات الصحيحة - كان ثلاثاً وستين سنة، وكانت مدَّة نبوته منها ثلاثاً وعشرين سنة؛ لأنَّه بُعث عند استيفاء الأربعين، وكان في أوَّل الأمر يرى الوحي في المنام ودام كذلك نصف سنة، ثمَّ رأى الملك في اليقظة، فإذا نسبت مدَّة الوحي في النوم - وهي نصف سنة - إلى مدَّة نبوته وهي ثلاث وعشرون سنة، كانت نصف جزء من ثلاثة وعشرين جزءاً، وذلك جزء واحد من ستَّة وأربعين جزءاً. أقول: الأولى ردَّ العلم بوجه التحديد المذكور - على فرض الصدور - إلى أهله وترك القول فيه بالظنِّ، كسائر ما ورد في الشريعة من التحديد بعدد خاصٍّ في العبادات وغيرها.

ابن عبد العزيز والمتوكل (الذي أمر بهدم قبر الحسين عليه السلام، وهدم ما حوله من الدور لعمل المزارع، ومنع الناس من زيارته) <sup>(١)</sup> ... ومنهم الرجبيون وهم أربعون نفساً في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون، وهم رجال حالهم القيام بعظمة الله ... إلى آخر كلامه <sup>(٢)</sup>.

أقول: الرجبيون هم الذين يحكي ابن عربي عن بعض أوليائهم أنه كان يرى الروافض في كشفه خنازير، ثم قال: وهي العلامة التي جعل الله في أهل هذا المذهب <sup>(٣)</sup>. انتهى.

ولا اعتبار أيضاً بما صدر من مثل اللاهيجي الذي حدث نفسه ولقنها في اليقظة بوحدة الوجود والموجود، فرآى في المنام ما يناسبه، كما في النبوي المتقدم ذكره <sup>(٤)</sup>، ويحتمل كونه مما أراه الشياطين مناسباً لما اعتقد به، لتثبته على ما اعتقده من الضلال الذي استحقه هو وأمثاله برجعهم في الأمر الخطير إلى من لا يجوز الرجوع إليه. ثم على فرض انكشاف أمور غيبية في حال اليقظة من طريق العين أو الأذن أو الإلقاء في القلب ولو في حال الذكر أو الخلسة فما الدليل - إذا وقع ذلك لغير المعصوم - على أن الملقى ملك أو شيطان؟.

وقد اعترف القيصري بأن بعض المشاهدات والإلقاءات واقعي ورحماني، وبعضها

١ . الكامل لابن الأثير ٧ : ٥٥ .

٢ . الفتوحات المكية ٢ : ٦ ، ٨ .

٣ . الفتوحات المكية ٢ : ٦ ، ٨ .

٤ . ص ١٣٣ .

خياليّ وشرطيّ<sup>(١)</sup>، ولذا قال بعضهم: إنّ الحقّ من المكاشفات ما يصدّقه البرهان العقليّ. وقد عرفت حال البراهين التي أقاموها على التوحيد بالمعنى المذكور.

فما هذه حاله كيف يجوز للعاقل أن يستند إليه في مهّمات الأمور؟! ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

كلام لملأ صدرا في بيان مقصود العرفاء الشاخصين، أراد به تنزيههم عما قاله جهلة الصوفيّة، من إنكار التحقّق بالفعل للذات الأحديّة المنعوتة عندهم بمقام الأحديّة وغيب الغيوب، وقولهم: المتحقّق هي الوجودات المتعيّنة. أورده في المجلّد الثاني من الأسفار. فقال:

وهم وتنبية: إنّ بعض الجهلة من المتصوّفين المقلّدين الذين لم يحصلوا طريق العلماء العرفاء ولم يبلغوا مقام العرفان، توهّموا - لضعف عقولهم ووهن عقيدتهم وغلبة سلطان الوهم على نفوسهم - أن لا تحقّق بالفعل للذات الأحديّة المنعوتة بألسنة العرفاء بمقام الأحديّة وغيب الهويّة وغيب الغيوب مجردة عن المظاهر والمجالي، بل المتحقّق هو عالم الصورة وقواها الروحانيّة والحسيّة، والله هو الظاهر المجموع لا بدونه - وهو حقيقة الإنسان الكبير والكتاب المبين الذي هذا الإنسان الصغير أنموذج ونسخة مختصرة عنه - وذلك القول كفر فضيح وزندقة صرفة لا يتفوّه به من له أدنى مرتبة من العلم. ونسبة هذا الأمر إلى أكابر الصوفيّة ورؤسائهم افتراء محض وإفك عظيم، يتحاشى عنه أسرارهم وضمايرهم. ولا يبعد أن يكون سبب ظنّ الجهلة بهؤلاء الأكابر إطلاق الوجود تارة على ذات الحقّ، وتارة على المطلق الشامل، وتارة على

١. شرح الفصوص ١: ٨١، ٩٣.

٢. النور (٢٤) ٤٠.



المعنى العام العقليّ، فإنهم كثيراً ما يطلقون الوجود على المعنى الظنيّ الكونيّ، فيحملونه على مراتب التعيّنات والوجودات الخاصّة فيجري عليه أحكامها<sup>(١)</sup>، انتهى.

أقول: تكفيره إياهم بذلك المقال حقّ، إلّا أنّ ما فرّق به بين قول الشاخبين وقول جهلة الصوفيّة لا يجدي في إخراج مقال الشاخبين عن الفساد عقلاً وفطرة ونقلًا بالنقل المتواتر - كما سيأتي -<sup>(٢)</sup>. لأنّ مقال الشاخبين الذي ارتضاه في غير واحد من كلامه، منه ما نقلناه عنه سابقاً من أنّ كلّ ما يقع عليه اسم الوجود بنحو من الأنحاء فليس إلّا شأنًا من شؤون الواحد القيوم<sup>(٣)</sup>.

ومنه: أنّ جميع الموجودات عند أهل الحقيقة والحكمة المتعالية - عقلاً كان أو نفساً أو صورة نوعيّة - مراتب أضواء النور الحقيقيّ وتجليّات الوجود القيوميّ الإلهي<sup>(٤)</sup>.  
ومنه: كلامه الآخر الذي أنكر فيه العلّية والمعلوليّة في الوجود<sup>(٥)</sup>.

١. الأسفار ٢: ٣٤٥.

٢. لا يخفى أنّ الوحدة عند العرفاء الشاخبين إطلاقيّة انبساطيّة وليست وحدة عدديّة، والوحدة عندهم في الوجود والكثرة في الماهيات وهي تجليّاته وشؤونه، فالأشياء في عين الكثرة واحدة وفي عين الوحدة كثيرة؛ أوضح مقالتهم السيزواري في حاشية الأسفار ١: ٧١، والقدشني في حاشية تمهيد القواعد: ٣٨.

٣. الأسفار ٧: ٣٠٠، وراجع ص ١١٤.

٤. الأسفار ٢: ٢٩١، وراجع ص ١١٢؛ أقول: كأنّ القائل تشير هذه العبارة إلى أنّ قيوميّه تعالى وإحاطته بذاته على الأشياء تقتضى وحدة الوجود وأن تكون الكثرات من شؤونه وأطواره، وقد تقدّم في الجواب عن الأدلّة النقلية التي استدلّ بها على وحدة الوجود أنّ معيّنّه تعالى وإحاطته على الأشياء لا تدلّ على ذلك بل تدلّ على الغيرية الحقيقيّة.

٥. الأسفار ٧: ٣٠٠.

ومنه: قوله بأن فاعليته تعالى بالتجلي<sup>(١)</sup>.

ومنه قوله بأن ليس في الدار غيره ديار<sup>(٢)</sup>.

ومنه: ارتضاؤه بما قال ابن عربي في الفتوحات والفصوص، بقوله في شأنه أنه لا يجازف في القول<sup>(٣)</sup>، وغير ذلك من كلماته.

وبالجملة: لازم ذلك المقال أن مراده من أضواء النور الحقيقي هي المراتب الضعيفة من الوجود، وكذا المراد من الوجود الظلي<sup>(٤)</sup>، إذ مفروض كلامه أن لا واقعية لشيء سواه. وهذا مما يخالفه العقل والفطرة والنقل المتواتر معنيًا.

أما عقلاً فلأنه (مضافاً إلى بطلان الأدلة التي استدّلوا بها على إثبات وحدة الوجود والموجود كما بيناه) عين التغير المنفي عقلاً عن الذات الأزلي، كما أشار إليه صلوات الله عليه بقوله: لا يتغير الله بانغيار المخلوق<sup>(٥)</sup>.

ولاستلزام القول به صحّة نسبة اللهو والعبث واللعب بنفسه إلى نفسه القدّوس

---

١. الأسفار ٧: ٣٠٠.

٢. راجع ص ١٠٨.

٣. راجع ص ١١٢، الهامش ٢.

٤. قال الشريف الجرجاني في التعريفات: ٦٢: الظلّ في اصطلاح المشايخ هو الوجود الإضافي الظاهر بتعيّنات الأعيان الممكنة وأحكامها التي هي معدومات، ظهرت باسمه النور الذي هو الوجود الخارجي المنسوب إليها، فبستر ظلمة عدميتها النور الظاهر بصورها صار ظلاً، لظهور الظلّ بالنور وعدميته في نفسه، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ (الفرقان (٢٥): ٤٥) أي بسط الوجود الإضافي على الممكنات.

٥. البحار ٤: ٢٢٨، عن التوحيد والعيون.

- الذي نرّاه عنها بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وبقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾<sup>(٢)</sup> - في جميع أفعاله من بعث الرسل وإنزال الكتب وما حوته من البشارة والإنذار ونحوهما. بل لازمه القول بأنّه الفاعل لكلّ فعل يقع في عالم الوجود، وأنّه أيضاً المفعول، كما التزموا بذلك في نفس الإنسان الذي هو آية للعالم الكبير، في قولهم فيه بأنّحاء العقل والعامل والمعقول.

فهل مقتضى قوله: ليس في الدار غيره ديار غير ما ذكرنا؟

وأما فطرة فلاّته مخالف للمكاشفة الظاهرة التي تحصل للمؤمن والكافر في البأساء والضراء، وقد حكم الله تعالى بصحّتها في غير واحد من الآيات المباركات، نحو قوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾<sup>(٣)</sup>. ومخالف أيضاً للمكاشفة التي قد تحصل للمؤمن في بعض عباداته ودعوته، حيث يترنّم فيها بقوله: أنت الخالق وأنا المخلوق، وأنت الرازق وأنا المرزوق، وأنت الربّ وأنا العبد، وأنت المالك وأنا المملوك...، إلى غير ذلك من العبارات الحاكية طبعاً أنّ المتكلّم بها لا يرى نفسه جلوة من جلوات الحقّ المتعالي، بل يراه غيره، ولذا يتصرّع إليه ويستغفر من ذنوبه.

وأما نقلاً فلأنّ جميع الآيات المباركات ولاسيّما نحو قوله: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾<sup>(٤)</sup>، و﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا﴾<sup>(٥)</sup>، تدلّ بدلالة

١. الأنبياء (٢١) ١٦.

٢. المؤمنون (٢٣) ١١٥.

٣. العنكبوت (٢٩) ٦٥.

٤. المائدة (٥) ٦٤.

٥. النساء (٤) ٥٦.

الافتضاء على غيرية المنزّل والمنزّل إليه وفيه، بالغيرية الحقيقية لا اعتبارية.

وكذلك الروايات المباركة الصادرة عن المعصومين المستفيضة - بل المتواترة معنى - الدالة على المباينة والمغايرة بمعناها الحقيقي بين الخالق والمخلوق، والدالة على أنّ المخلوق خلق لا من شيء.

وخصوص قول أمير المؤمنين عليه السلام في جواب الأعرابي الذي سأل عن معنى الواحد أنه تعالى لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم<sup>(١)</sup>، فهل تقسيم حقيقة الوجود إلى مقام الأحديّة والواحدية وما دون ذلك خارج عن التقسيم ولو في الوهم كما ذكرنا<sup>(٢)</sup>؟ وخارج عن قول الرضا صلوات الله عليه في خطبته: يوحد ولا يبعّض<sup>(٣)</sup>، وعن قول الإمام الباقر صلوات الله عليه: كل ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مثلكم ومردود إليكم<sup>(٤)</sup>، وغير ذلك ممّا يطول ذكره؟

### المعرفة الفطرية

وهذه بعض التذكّرات الراجعة إلى معرفة الله تعالى، المعبر عنها بالمعرفة الفطرية، والفرق بينها وبين المعرفة بالعقل والآيات، فنقول:

المعرفة بالآيات مطلقاً من طريق العقل، بها لها من المراتب المتفاوتة - من جهة تفاوت الآيات، وتفاوت مراتب الإرشاد إليها، وتفاوت مراتب التدبّر والتفكّر فيها، وتفاوت مراتب العقول المطبوعة في أفراد الإنسان كمالاً ونقصاً، وتفاوت التأييدات

١. راجع ص ١١٦، ١١٧.

٢. راجع ص ١١٧.

٣. راجع ص ١٢٩.

٤. الأربعون حديثاً (للشيخ بهاء الدين العاملي): ٨١. وراجع ص ٦٦.

الخاصة من الله تعالى - فإنها وإن كان يطلق عليها المعرفة حقيقة، إلا أن غاية هذه المعرفة حصول مجرد التصديق والإيمان بوجود الصانع بما له من الكمالات من دون وجدان ووصول وعيان، لامتناع الوصول والوجدان العلمي لنا بشيء إلا بإحدى المدارك الظاهرة أو الباطنة، ومن طريق العلم والعقل، وقد عرفت امتناع جميع ذلك بالنسبة إليه تعالى شأنه، ولكنه - أي الامتناع - إنما كان إذا كان المعرف لذاته العلم والعقل. وأما إذا كان المعرف بالمعنى اللائق بذاته هو ذاته القدوس لا العقل ولا العلم فإنه لا دليل على امتناعه.

وحيث يظهر من الآيات والروايات المتواترة معنى، ويشهد به الوجدان في بعض الأحيان وقوع تلك المعرفة فضلاً عن إمكانه، فلا محالة يكون الوجدان، أو العرفان، أو الوصول، أو العيان - المعبر بها في تلك الروايات المباركة - بالنسبة إليه تعالى بأمر آخر، لا بالمدارك الظاهرة أو التصور، أو التوهم، أو بالعلم والعقل.

أما الوجدان فهو الذي يظهر للإنسان عند البأساء والضراء والشدائد، وحين الانقطاع عن جميع الأسباب، فيدعو الرب تعالى شأنه حيثئذ ويتضرع إليه، من غير إدراك شيء بالمدارك الظاهرة أو الباطنة.

وهذا يحصل للمؤمن والكافر، وبه يتم الله الحجّة على جميع خلقه. وليس هذا من طريق العقل والاستدلال بالآيات وإن كان العقل حاكماً بوجوب التصديق والاعتقاد به عند حصول هذا العرفان والوجدان بل يحصل هذا الوجدان وهذه المعرفة قهراً وقسراً، عند الانقطاع عن جميع الأسباب، وعند الوقوع في المهالك التي يغفل معه عن جميع الآيات وعن أعمال التعقل والتفكير، وبعبارة أخرى بعد صحو جميع المعلومات الصحيحة، ومحو جميع الموهومات الباطلة يظهر ويكشف للإنسان سبحات جلال الله،

كما هو محتمل الرواية المنسوبة إلى كميل بن زياد، قال لأمير المؤمنين عليه السلام: ما الحقيقة؟ فقال علي عليه السلام: ما لك والحقيقة؟ قال: أولستُ صاحبَ سرِّك؟ قال عليه السلام: بلى، ولكن يرشح عليك ما يطفح منِّي، قال كميل: أو مثلك يجيب سائلاً؟! فقال علي عليه السلام: الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة، فقال: زدني بياناً، فقال عليه السلام: محو الموهوم، وصحو المعلوم. الحديث<sup>(١)</sup>.

وقد أرشد إلى هذه الحقيقة وهذا الوجدان، واحتج بها على الكفار والمشركين بالشرك الجليّ أو الشرك الخفيّ في آيات مباركة من القرآن العظيم:

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

---

١. روضات الجنّات للخوانساري ٦: ٦٢، عن رجال النيسابوري ونقله أيضاً السيّد الجزائريّ في نور البراهين ١: ٢٢١، بتفاوت في بعض العبارات. والحديث معروف بحديث الحقيقة وله شروح ذكرها العلامة الطهرانيّ في الذريعة ١٣: ١٩٦. ويستفاد من كلام المحدث القميّ في تحفة الأحباب: ٢٩٦، أنّ العرفاء نسبوا هذا الحديث إلى أمير المؤمنين عليه السلام. وعبارة ذيل الحديث في نور البراهين: «نفي الموهوم مع صحة المعلوم». وقال السيّد في شرح هذه العبارة: إنّها إشارة إلى الصفات الثبوتية التي توهم أنّها صفات له وثبتها ونحملها عليه بالإيجاب، نظراً إلى أنّها أشرف طرفي النقيض، فالمعنى نفي الصفات الثبوتية مع تصحيح المعلوم وإنباته، أعني الذات الأحديّة. أقول: إطلاق المعلوم على الذات الأحديّة غير معهود، والله العالم.

٢. العنكبوت (٢٩) ٦٥.

٣. لقمان (٣١) ٣٢.

﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّه كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا \*  
وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ  
الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾<sup>(١)</sup>.

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ يَمُرُّ  
طَبِيبٌ وَقَرْحُوا بَهَا جَاءَهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ  
بِهِمْ دَعَاؤُا اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ \* فَلَمَّا  
أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَنْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيْكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنِ أَنْجَانَا مِنْ  
هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ \* قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيْكُمْ مِنْهَا وَمَنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ  
تُشْرِكُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ \* ثُمَّ إِذَا كَسَفَ  
الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ \* لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ  
تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ \* بَلْ إِلَاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

١. الإسراء (١٧) ٦٦، ٦٧.

٢. يونس (١٠) ٢٢، ٢٣.

٣. الأنعام (٦) ٦٣، ٦٤.

٤. النحل (١٦) ٥٣ - ٥٥.

٥. الأنعام (٦) ٤٠ - ٤١.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نِسِيَ مَا كَانَ يُدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِمَّا قَالِ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وبالتأمل فيها يندفع احتمال كون تلك الحالة من آثار الاعتقاد بالتوحيد الثابت بالعقل والآيات، فإن مورد تلك الآيات هم المشركون بالشرك الجلي أيضاً لا المعتقدون بالتوحيد فقط.

وحيث إن الآيات المتقدمة واضحة الدلالة على ما ذكرنا نكتفي في الروايات بذكر حديث يغنينا علو مضمونه عن التكلم في سنده، وهو ما رواه الصدوق في التوحيد بسنده عن محمد بن القاسم الجرجاني المفسر، قال: حدثنا أبو يعقوب يوسف بن محمد ابن زياد، وأبو الحسن علي بن محمد بن سيار - وكانا من الشيعة الإمامية - عن أبيهما عن الحسن بن علي بن محمد عليه السلام في قول الله عز وجل: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: الله هو الذي يتأله إليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق عند انقطاع الرجاء من كل

١. الزمر (٣٩) ٨.

٢. يونس (١٠) ١٢.

٣. الزمر (٣٩) ٤٩.



مَنْ دونه، وتقطع الأسباب من جميع من سواه<sup>(١)</sup>، يقول: بسم الله، أي أستعين على أموري كلها بالله الذي لا تحقّ العبادة إلا له، المغيث إذا استغيث والمجيب إذا دُعِيَ، وهو ما قال رجل للصادق عليه السلام: يا ابن رسول الله، دُلّني على الله ما هو؟ فقد أكثر عليّ المجادلون وحيروني، فقال له: يا عبد الله، هل ركبت سفينة قط؟ قال: نعم، قال: فهل كُسر بك حيث لا سفينة تنجيك، ولا سباحة تغنيك؟ قال: نعم، قال: فهل تعلق قلبك هنالك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك؟ قال: نعم. قال الصادق عليه السلام: فذلك الشيء هو الله القادر على الإنقاذ حيث لا مُنْجِي، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث.

... وقام رجل إلى عليّ بن الحسين عليه السلام: فقال: أخبرني ما معنى بسم الله الرحمن الرحيم؟ فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: حدّثني أبي عن أخيه عن أمير المؤمنين عليه السلام: أن رجلاً قام إليه فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن بسم الله الرحمن الرحيم ما معناه؟ فقال: إن قولك: «الله»، أعظم اسم من أسماء الله تعالى، وهو الاسم الذي لا ينبغي أن يُسمّى به غير الله، ولم يُتسمَّ به مخلوق.

فقال الرجل: فما تفسير قول: «الله»، قال: هو الذي يتأله إليه عند الحوائج والشدائد كلُّ مخلوق عند انقطاع الرجاء من جميع مَنْ دونه وتقطع الأسباب من كلِّ

١. لفظ الجلالة إما أن يكون مأخوذاً من «لاه» - مصدر لاء يليه - بمعنى الاحتجاب والارتفاع، وإما أن يكون مأخوذاً من «إلاه» بمعنى المعبود أو الملجأ والمفرع أو الذي تحير فيه الخلق، وقد اجتمعت هذه المعاني الأربعة في ما رواه الصدوق عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الله معناه المعبود الذي يأله فيه الخلق ويؤله إليه، والله هو المستور عن درك الأبصار المحجوب عن الأوهام والخطرات» (التوحيد: ١٨٩).

من سواه، وذلك أن كلَّ مترتس في الدنيا ومستعظم فيها، وإن عظم غناه وطغيانه، وكثرت حوائج من دونه إليه، فإنهم سيحتاجون حوائج لا يقدر عليها هذا المتعاضم، وكذلك هذا المتعاضم يحتاج حوائج لا يقدر عليها فينقطع إلى الله عند ضرورته وفاقته، حتى إذا كفى همَّه عاد إلى شركه.

أما تسمع الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾<sup>(١)</sup>. فقال الله جلَّ جلاله لعباده: أيها الفقراء إلى رحمتي، إنِّي قد ألزمتكم الحاجة إليَّ في كلِّ حال، وذلة العبودية في كلِّ وقت، فإلِّي فافزعوا في كلِّ أمر تأخذون فيه، وترجون تمامه، وبلوغ غايته، فإنِّي إن أردت أن أعطيكم لم يقدر غيري على منعكم، وإن أردت أن أمنعكم لم يقدر غيري على إعطائكم، فأنا أحقُّ من سُئِل، وأولى من تُضَرَّع إليه.

فقولوا عند افتتاح كلِّ أمر صغير أو عظيم: بسم الله الرحمن الرحيم، أي أستعين على هذا الأمر بالله الذي لا تحقُّ العبادة لغيره، المغيث إذا استغيث، والمجيب إذا دُعِيَ، الرحمان الذي يرحم ببسط الرزق علينا، الرحيم بنا في أدياننا ودنيانا وآخرتنا، خفَّف علينا الدِّين، وجعله سهلاً خفيفاً، وهو يرحمنا بتميِّزنا عن أعاديهِ...<sup>(٢)</sup>.

### التجلى الخاصَّ منه تعالى في قلوب المؤمنين

نظير ما ذكرنا من المعرفة والتجلى الخاصَّ من الله تعالى في البأساء والضراء تجلُّ منه تعالى أحياناً في قلوب المؤمنين عند قراءة القرآن وفي بعض عباداتهم وتوجهاتهم إليه

١. الأنعام (٦) ٤٠ - ٤١.

٢. التوحيد: ٢٣٠، وعنه البحار ٨٩: ٢٣٣.

تعالى شأنه، يترتب عليه من لذة الأنس والمناجاة مع رب العالمين ما لا يُقدَّر قدره، ويكون أنموذجاً لمراتب عالية منها تحصل للأولياء في الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>، كرامة من الله رفيع الدرجات فوق كراماته المادية التي أعدها لأهل الجنة. وقد تكون تلك اللذة مقرونة بالبكاء والتضرع.

ولهذه المعرفة والتجلى مراتب كثيرة، تارة من جهة شدة الوجدان وضعفه، وأخرى من جهة ما يجده العبد من كمالات الرب تعالى شأنه وأوصافه التي هي عين ذاته، فتارة يتجلى في قلب الداعي المتضرع بوصف الرحمة والرأفة، فيزيد في رجائه، وأخرى بوصف كبريائه وعظمته وجبروته وكمال عدله فيزيد في خوفه، وتارة بكلا الوصفين، وأخرى بأنه أقرب إليه من حبل الوريد، وأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأنه يعلم السر وأخفى فيزيد في استحيائه وتضرعه إليه، وهكذا. كما ربما يلوح من قول الصادق صلوات الله عليه: إن أمر الله كله عجب، إلا أنه قد احتج عليكم بما قد عرفكم من نفسه<sup>(٢)</sup>.

ومن قول زين العابدين صلوات الله عليه: الحمد لله على ما عرفنا من نفسه وأهملنا من شكره<sup>(٣)</sup>. بناءً على إرادة التبويض من لفظة «من»، كما يظهر من الخبرين الآتين، لا التبيين.

وفي التوحيد بإسناده عن ابن أبي نصر، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: لما أسري بي إلى السماء بلغ بي جبرئيل مكاناً لم يطأه جبرئيل قط، فكشف لي

١. انظر البحار ٨: ١٢٦، ٢١٥.

٢. الكافي ١: ٨٦.

٣. الدعاء الأول من الصحيفة السجادية.

فأراني الله من نور عظمته ما أحب<sup>(١)</sup>.

وفيه عن يعقوب بن إسحاق قال: كتبت إلى أبي محمد عليه السلام: كيف يعبد العبد ربّه وهو لا يراه؟ فوَقَعَ عليه السلام: يا أبا يوسف، جلّ سيدي ومولاي والمنعم عليّ وعلى آبائي أن يُرى. قال: وسألته: هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربّه؟ فقال إن الله تبارك وتعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمته ما أحب<sup>(٢)</sup>.

وفي التوحيد عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: جاء حَبْرٌ إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، هل رأيت ربّك حين عبدهته؟ فقال: ويلك ما كنت أعبد ربّاً لم أراه، قال: وكيف رأيت؟ قال: ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيِّمان<sup>(٣)</sup>.

وفيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: قلت له: أخبرني عن الله عزّ وجلّ هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟ قال: نعم وقد رأوه قبل يوم القيامة، فقلت: متى؟ قال: حين قال لهم: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى». ثمّ سكت ساعة ثمّ قال: وإنّ المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم القيامة، أَلَسْتَ تراه في وقتك هذا؟ قال أبو بصير: فقلت له: جعلت فداك، فأحدّث بهذا عنك؟ فقال: لا فإنّك إذا حدّثت به فأنكره منكر جاهل بمعنى ما تقوله، ثمّ قدّر أنّ ذلك تشبيه وكفر. وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين، تعالى الله عمّا يصفه المشبهون والملحدون<sup>(٤)</sup>.

١. البحار ٤: ٣٨، عن التوحيد.

٢. البحار ٤: ٤٣، عن التوحيد.

٣. البحار ٤: ٤٤، عن التوحيد.

٤. البحار ٤: ٤٤، عن التوحيد.

وفي مناجاة عليّ والأئمة من ولده صلوات الله عليهم في شهر شعبان: وأبصر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك، حتّى تحرق أبصار القلوب حُجُب النور فتصلّ إلى معدِن العظمة، وتصير أرواحنا معلقة بعزّ قدسك<sup>(١)</sup>.

وفي دعاء عرفة للحسين بن عليّ صلوات الله عليهما: إلهي ترددي في الآثار يوجب بُعد المزار، فاجعني عليك بخدمة توصلني إليك ... إلهي هذا ذلّي ظاهر بين يديك، وهذا حالي لا يخفى عليك، منك أطلب الوصول إليك، وبك أستدلّ عليك. فاهدني بنورك إليك ... إلهي حقّقني بحقائق أهل القرب، واسلك بي مسلك أهل الجذب ... أنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتّى لم يجوّوا سواك ولم يلجؤوا إلى غيرك، أنت المؤنس لهم حيث أوحشتهم العوالم، وأنت الذي هديتهم حيث استبان لهم المعالم، ماذا وجد من فقدك؟! وما الذي فقد من وجدك؟! لقد خاب من رضي دونك بدلاً، ولقد خسر من بغى عنك متحوّلاً ... يا من أذاق أحبّاءه حلاوة المؤانسة فقاموا بين يديه متملّقين ... أنت الذاكر قبل الذاكرين، وأنت البادئ بالإحسان قبل توجّه العابدين. إلهي اطلبني برحمتك حتّى أصل إليك، واجذبني بمنك حتّى أقبل إليك<sup>(٢)</sup>.  
فإنّه تعالى قد يتجلّى بصفة الرحمة، وقد يتجلّى بصفة القهر، وهكذا، تختلف حالات العبد باختلاف تلك التجليات.

وستجيء الروايات الكثيرة الدالة على ما ذكرنا، وفي بعضها التعبير عن هذا الوجدان وهذه المعرفة بالمعانية.

ويمكن الاستشهاد في هذا المقام بما رُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة المروية

١. البحار ٩١: ٩٩، عن الإقبال.

٢. البحار ٩٥: ٢٢٥، عن بعض نسخ الإقبال.

عن الاحتجاج: هو الدالّ بالدليل عليه، والمؤدّي بالمعرفة إليه<sup>(١)</sup>. فالفقرة الأولى إشارة إلى المعرفة بالآيات، والثانية إلى معرفته بذاته تعالى.

### تنبيه

تلك الخصوصيات من التجلّي على قلوب المؤمنين - كما ذكرنا - إنّها تحصل في بعض الأحيان من غير اختيار، كما أنّها تحصل للمؤمن والكافر عند الشدائد في بعض الأحيان أيضاً، وبها تتم حجّته على جميع خلقه، كما مرّ.

ويناسب هنا ذكر روايتين:

فمن تحف العقول في رواية سدير عن الصادق صلوات الله عليه: تعرفه وتعلم علمه وتعرف نفسك به، ولا تعرف نفسك بنفسك من نفسك، وتعلم أنّ ما فيه له وبه، كما قالوا ليوسف: إنّك لأنت يوسف؟ قال: أنا يوسف وهذا أخي، فعرفوه به ولم يعرفوه بغيره، ولا أثبتوه من أنفسهم بتوهم القلوب... الخبر<sup>(٢)</sup>.

وفي التوحيد في رواية عبد الأعلى عن أبي عبد الله صلوات الله عليه: من زعم أنّه

---

١. البحار ٤: ٢٥٣، عن الاحتجاج.

٢. تحف العقول: ٣٢٨، وعنه البحار ٦٥: ٢٧٦. لعلّ المعنى أنّك بعد أن تعرف نفسه تأخذ عنه العلم حتّى أنّك تعرف نفسك وصفاتها به، أو المعنى أنّك بعد ذلك تعلم بعلم اليقين صفة علمه وأنّه عالم بها سواء، أو علّمه بفتح العين واللام بمعنى آياته وعلاماته، فالمعنى أنّك بعد أن تعرف نفسه تعرف آيته لا بالعكس؛ وعلى أيّ حال لا وجه للتشكيك في ظهور هذا الحديث الشريف في معرفة حقيقته بالله تعالى بلا توسط وسط أو آية وسبب، واحتمال إرادة معرفة الإمام ﷺ كما في البحار، أو حمله على الشهود العلميّ، كما في هداية الأئمة (٣١١ - ٣١٢) بعبد، فراجع الحديث بتامه.

يعرف الله بحجاب<sup>(١)</sup> أو بصورة أو بمثال فهو مشرك، لأنَّ الحجاب والمثال والصورة غيره، وإتّما هو واحد موحد، فكيف يوحد من زعم أنّه عرفه بغيره، إتّما عرف الله من عرفه بالله، فمن لم يعرفه به فليس يعرفه، إتّما يعرف غيره، ليس بين الخالق والمخلوق شيء، والله خالق الأشياء لا من شيء...<sup>(٢)</sup>.

ولعلّ دون هذه المرتبة من المعرفة والوجدان الظاهر معرفة ووجدان يعبر عنه بروح الإيَّان<sup>(٣)</sup> لا يخلو منه المؤمن غالباً إلّا في حال المعصية، فإنّه يُسلب عنه حينئذ ثمّ يعود، كما دلّت عليه الروايات<sup>(٤)</sup>.

وأضعف من هذه المرتبة ظهوراً ما فطر كلّ إنسان عليه، يعبر عنه - لشبوتة أو لغير ذلك - بالصبغة، يظهره المؤمن بإيَّانه، ويكفر به الكافر ويستره بجحوده.

وربّما يغفل عنه الإنسان بسبب التلقينات المُضلّة والمعاصي وإن كان موجوداً ثابتاً فيه، ولعلّه المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَطَرَهُ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾<sup>(٥)</sup>.

١. أي بشيء يكون فيما بينه وبين الله تعالى من أسماؤه وأفعاله، وفي خطبة الرضا عليه السلام: «خلق الله

الخلق حججاً بينه وبينهم»، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٥١؛ وراجع ص ٨٥.

٢. التوحيد: ١٤٣، وعنه البحار ٤: ١٦١. ورواه الكليني في الكافي ١: ١١٤.

٣. قال الله تعالى: «أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيَّانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ» المجادلة (٥٨): ٢٢، المراد

من الروح هنا بمقتضى الروايات هو روح الإيَّان الذي يفارق المؤمن في حال العصيان فإن تاب

يعود إليه، ويقوى هذا الروح ويزيد بالطاعة لله والعمل له ويتنقص عند كبر السنّ. والضمير

المجرور في قوله: «منه» إمّا راجع إلى الله أو إلى الإيَّان.

٤. البحار ٦٦: ١٧٥ (باب السكينة وروح الإيَّان).

٥. الروم (٣٠) ٣٠.

وقوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾<sup>(١)</sup>.  
وقول رسول الله ﷺ: كل مولود يولد على الفطرة. كما في رواية زرارة عن أبي جعفر صلوات الله عليه: يعني المعرفة بأن الله عز وجل خالقه<sup>(٢)</sup>.  
وفي رواية زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، قال: فطرهم جميعاً على التوحيد<sup>(٣)</sup>.  
ورواية محمد الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام مثله<sup>(٤)</sup>.  
ورواية هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾؟ قال: التوحيد<sup>(٥)</sup>.  
وستأتي روايات أخرى في ذلك إن شاء الله تعالى.

#### تنبيه

أثر مفطوريتهم على معرفة الله تعالى وتوحيده - وقد دللت عليها الروايات المتقدمة - إنما يظهر بعد هداية الله تعالى إياهم ببعث الرسل والأنبياء واستيذانهم الميثاق الذي واثقهم به في العوالم السابقة ونسوه، كما في الخطبة المباركة: وابتعث فيهم رسله

١. البقرة (٢) ١٣٨. فترت هذه الآية الكريمة في الروايات المستفيضة بالإسلام، وفي بعضها بصيغ

المؤمنين بالولاية في الميثاق؛ تفسير البرهان ١: ٣٣٨.

٢. الكافي ٢: ١٣.

٣. الكافي ٢: ١٢.

٤. الكافي ٢: ١٣.

٥. الكافي ٢: ١٢.



ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته<sup>(١)</sup>. ولا سيما إذا أخذوا بالبأساء والضرّاء، وأما قبل ذلك فهم على الضلال وعلى نسيان العهد والميثاق ما لم يذكروا بما فُطروا عليه، كما تدلّ عليه رواية العياشي عن أبي عبد الله عليه السلام في آية: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً﴾<sup>(٢)</sup>. قال: كان هذا قبل بعث نوح، كانوا أمة واحدة، فبدأ الله فأرسل الرسل قبل بعث نوح، قيل: أعلّى هدى كانوا أم على ضلالة؟ قال: بل كانوا ضلّالاً، لا مؤمنين، ولا كافرين، ولا مشركين<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية أخرى قال: وذلك أنّه لما انقرض آدم وصالحُ ذريته بقي شيث وصيه لا يقدر على إظهار دين الله الذي كان عليه آدم وصالحُ ذريته. وذلك أنّ قابيل توّعه بالقتل كما قتل أخاه هابيل، فسار فيهم بالتقيّة والكتمان، فازدادوا كلّ يوم ضلّالاً حتّى لم يبقَ على الأرض معهم إلّا من هو سلف، ولحق الوصيّ بجزيرة في البحر يعبد الله، فبدأ الله تبارك وتعالى أن يبعث الرسل ... قلت: أفصلّالاً كانوا قبل النبيّين أم على هدى؟ قال عليه السلام: لم يكونوا على هدى، كانوا على فطرة الله التي فطرهم عليها لا تبديل لخلق الله، ولم يكونوا ليهدوا حتّى يهديهم الله، أما تسمع يقول إبراهيم عليه السلام: ﴿لَيْسَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾<sup>(٤)</sup>، أي ناسياً للميثاق<sup>(٥)</sup>.

وعن العليل عنه عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ خلق الناس على الفطرة التي فطرهم الله

١. نهج البلاغة: الخطبة ١.

٢. البقرة (٢) ٢١٣.

٣. تفسير العياشي ١: ١٠٤، تفسير البرهان ١: ٤٥١.

٤. الأنعام (٦) ٧٧.

٥. تفسير العياشي ١: ١٠٤؛ تفسير البرهان ١: ٤٥١.

عليها لا يعرفون إيماناً بشريعة ولا كفراً بجحود، ثم ابتعث الله الرسل اليهم يدعونهم إلى الإيمان بالله حجةً لله عليهم، فمنهم من هداه الله، ومنهم من لم يهده<sup>(١)</sup>.  
أقول: الظاهر أن المراد من قوله: فمنهم من هداه الله...، الهدايات الخاصة.

### منشأ المعرفة الفطرية

منشأ هذا العرفان المفقور عليه كل إنسان من آدم ومن بعده من أولاده وأولاد أولاده إلى يوم القيامة، ومبدؤه، هو: معرفة ذاته تعالى شأنه بذاته ووجدان العبد إيّاه وجداناً لائقاً بذاته القدوس حصلت لكل إنسان في عوالم سابقة واقعة قبل خلقه أبدانهم من أجزاء التراب، المعبر عنها في الروايات المباركات بالذرة، لكون بدن الإنسان فيها من جهة الصغر كالذرة أو أصغر، المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى سَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ \* أو تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. وقبل ذلك في عالم الأرواح والأطلة والأشباح، المخلوقة قبل الأبدان الذرية.

وبالجملة: عرفهم نفسه في تلك النشآت مراراً معرفة جلية عبر عنها بالرؤية، المفسرة بقولهم: لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، بل رآته القلوب بحقائق الإيمان، فأثبتها في قلوبهم وأنسأهم الرؤية.

وهذه المعرفة من الله تعالى التي ليس للعباد فيها صنع هي المحققة لموضوع العهد والميثاق الذي أشار إليه - على ما في بعض الروايات - بقوله تعالى:

١. علل الشرائع ١: ١٢١؛ تفسير البرهان ٤: ٣٤٥، ٣٤٦.

٢. الأعراف (٧) ١٧٢، ١٧٣.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِهَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾<sup>(٥)</sup>.

﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾<sup>(٦)</sup>.

﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى﴾<sup>(٧)</sup>.

﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾<sup>(٨)</sup>.

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾<sup>(٩)</sup>.

المفسرة بما يرجع إلى ما ذكرنا، فراجع تفسير البرهان ونور الثقلين، والصافي والقمي،

والعياشي.

١ . الحديد (٥٧) ٨ .

٢ . الأعراف (٧) ١٠٢ .

٣ . آل عمران (٣) ٨٣ .

٤ . الأنعام (٦) ١١٠ .

٥ . الأعراف (٧) ١٠١ .

٦ . الأنعام (٦) ٢٨ .

٧ . النجم (٥٣) ٥٦ .

٨ . الجن (٧٢) ١٦ .

٩ . الإنسان (٧٦) ١ .

## أخذ الميثاق في عالم الأظلة وعالم الذرّ

يظهر من مجموع روايات كثيرة بعد ضمّ بعضها إلى بعض أنّه تعالى خلق الأرواح قبل الأبدان، وعبر عنها بالأظلة والأشباح أيضاً، وأوجدهم الحياة والعقل، ثمّ عرفهم نفسه وكذا رسله وحججه - وهم أرواح - وأخذ منهم العهد والميثاق على ربوبيته، وعلى نبوة الرسول وخلافة الأئمة الاثني عشر وولايتهم صلوات الله عليهم، بعد إراءتهم إياهم إراءة حقيقية.

ثمّ بعد برهة من الزمان - قبل أن يخلق جسد آدم من التراب، الخلق المعروف الذي أسجد له الملائكة بعد نفخ الروح فيه - خلق لكلّ روح بدنأً ذرّياً من التراب يخصّصها، ثمّ تعلقت الأرواح بتلك الأبدان، ثمّ جدّد التعريف وأخذ الميثاق، ثمّ خلق جسد آدم الخلق المعروف المذكور آنفاً المنطوي فيه بدنه الذرّيّ وجعل الأبدان الذرّية من ولده في صلبه، ثمّ أخرجها من صلبه وأوجد لها الروح والحياة، ثمّ جدّد التعريف وأخذ الميثاق عنها مرّة أخرى.

وبالجملة، اختلاف الخصوصيات المذكورة في بعض الروايات إنّها هو لتعدّد المواقف، فلا وجه لما عن بعض المتأخّرين من تضعيف الروايات على كثرتها من جهة اختلافها في الخصوصيات.

## تنبيه

من فوائد التعريف وأخذ الميثاق مرّة بعد مرّة، التأكيد في إتمام الحجّة، كما أخذ رسول الله ﷺ البيعة من أصحابه مرّتين. مضافاً إلى أنّ كل تعريف من الله، وكلّ طاعة أو عصيان من العبد موضوع لاستحقاق المدح والثواب، أو الذمّ والعقاب، فإذا لم تحصل للعبد الطاعة واقعاً وطوعاً في شيء منها كانت الحجّة لله تعالى عليه في تبيده

عن رحمته أتم. وإنما يُكشف عن ذلك يوم القيامة الذي هو يوم الجزاء، وإن لم يظهر ذلك لنا في الدنيا، كما أشار إليه في قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ \* أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ... ﴿١﴾.

مضافاً إلى أن العصيان الصادر عنهم في تلك النشآت - حيث إن الله لم يجعل لهم بعض الدواعي الموجودة في دار الدنيا - أوجب لاستحقاق الذم والعقاب، فتكون الحجّة عليهم من هذه الجهة أيضاً أتم، كما تومئ إليه الآية المباركة، وسيجيء تفصيله إن شاء الله تعالى.

### الأدلة النقلية على سبق خلقه الأرواح وأخذ الميثاق

ومما يدل على سبق خلقه الأرواح روايات كثيرة<sup>(٢)</sup> نُقلت في الكافي، ومعاني الأخبار، وعلل الشرائع، وبصائر الدرجات، والاختصاص عن رسول الله ﷺ، وعن أمير المؤمنين، والإمام الباقر والصادق صلوات الله عليهم.

منها: أن الأرواح خلقت قبل الأبدان بألفي عام، ثم أسكنت الهواء.

ومنها: أن الله خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام، ثم عرضهم علينا.

ومنها: أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، ثم عرض علينا المحبّ من

١. الأعراف (٧) ١٧٢، ١٧٣.

٢. قال ملا صدرا في العرشية ٢٣٩: «للنفس الأدمية كينونة سابقة على البدن... والروايات في هذا الباب من طريق أصحابنا لا تُحصى كثرة، حتى أن كينونة الأرواح قبل الأجساد كآتها كانت من ضروريات مذهب الإمامية رضوان الله عليهم». أقول: لكنّه مع ذلك لم يلتزم بظواهر تلك الروايات وقال: إن النفس جسمانية الحدوث وروحانية البقاء، يعني: تحدث بحدوث البدن وتصل في حركتها الجوهرية إلى حدّ التجرد عن الجسمانية، كما سيأتي.

المبغض.

ومنها: خلق أرواح الشيعة قبل أبدانهم بألفي عام.

ومنها: قوله عليه السلام: ما تقول في الأرواح أتمها جنود مجنّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف؟ قال [الراوي]: فقلت: إنّنا نقول ذلك، قال عليه السلام: فإنّه كذلك، إن الله عزّ وجلّ أخذ على العباد ميثاقهم وهم أظلمة قبل الميثاق ... الخبر.

ومنها أنّ الأرواح جنود مجنّدة، فما تعارف منها في الميثاق ائتلف هاهنا، وما تناكر منها اختلف هاهنا، والميثاق هو في هذا الحجر الأسود ... الخبر.

ومنها أنّ الله تعالى أخذ ميثاق العباد وهم أظلمة قبل الميلاد، فما تعارف من الأرواح ائتلف، وما تناكر منها اختلف.

وغير ذلك من الروايات، أوردها المجلسي رحمته الله<sup>(١)</sup>، لا بدّ لمن أراد التحقيق من الرجوع إليها.

ويدلّ على ما ذكرنا - مضافاً إلى ما مرّ - رواية العياشي عن زرارة، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: رأيت حين أخذ الله الميثاق على الذرّ في صلب آدم فعرضهم على نفسه، كانت معاينة منهم له؟ قال: نعم يا زرارة وهم ذرّ بين يديه، وأخذ عليهم بذلك<sup>(٢)</sup> الميثاق بالربوبية له ولمحمد عليه السلام بالنبوة. ثمّ كفّل لهم بالأرزاق، وأنساهم رؤيته، وأثبت في قلوبهم معرفته، فلا بدّ من أن يُخرج الله إلى الدنيا كلّ من أخذ عليه الميثاق، فمن جحد ما أخذ عليه الميثاق لمحمد عليه السلام لم ينفعه إقراره لربه بالميثاق، ومن لم يجحد ميثاق

١. البحار ٥٨: ١٣١ - ١٥٠.

٢. في نسخة: «ذلك».

محمد ﷺ نفعه الميثاق لربه<sup>(١)</sup>.

ورواية زرارة عن أبي جعفر عليه السلام، قال: وسألته عن قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ ... قال: أخرج من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذرة، فعرفهم وأراهم نفسه، ولولا ذلك لم يعرف أحد ربه ... الخبر<sup>(٢)</sup>.

ورواية علي بن معمر عن أبيه، قال: سألت أبا عبد الله صلوات الله عليه عن قول الله عز وجل: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾<sup>(٣)</sup>، قال: إن الله تبارك وتعالى لما ذرأ الخلق في الذرة الأول فأقامهم صفوفاً (قدامه)<sup>(٤)</sup>، بعث الله محمداً ﷺ، فأمن به قوم وأنكره قوم، فقال الله: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾، يعني به محمداً ﷺ حيث دعاهم إلى الله عز وجل في الذرة الأول<sup>(٥)</sup>.

ورواية الحسين بن نعيم الصحاف قال: سألت الصادق صلوات الله عليه عن قوله: ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾<sup>(٦)</sup>، فقال: عرف الله عز وجل إيمانهم بولايتنا، وكفرهم بتركها يوم أخذ عليهم الميثاق وهم ذر في صلب آدم ﷺ<sup>(٧)</sup>.

ورواية جابر قال: سمعت أبا جعفر صلوات الله عليه يقول في هذه الآية: ﴿وَأَنْ

١. تفسير العياشي ١: ١٨١، وعنه البحار ٥: ٢٥٤.

٢. الكافي ٢: ١٢، البحار ٥: ٢٥٨، عن تفسير العياشي.

٣. النجم (٥٣) ٥٦.

٤. ما بين القوسين موجود في البحار وليس في تفسير القمي.

٥. البحار ٥: ٢٣٤، عن تفسير القمي. يأتي وجه التسمية بالذرة الأول في مبحث المعاد، تنبيه ٨ و ٩.

٦. النغابن (٦٤) ٢.

٧. البحار ٥: ٢٣٤، عن تفسير القمي.

لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا<sup>(١)</sup>، يعني من جرى فيه شيء من شرك الشيطان. ﴿عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ يعني على الولاية، في الأصل عند الأظلة، حين أخذ الله ميثاق بني آدم. ﴿لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ يعني: لَكُنَّا وَضَعْنَا أَظْلَتَهُمْ فِي الْمَاءِ الْفِرَاتِ الْعَذْبِ<sup>(٢)</sup>.

قال العلامة المجلسي<sup>(٣)</sup>: وحاصل الخبر أن المراد بالآية أنهم لو كانوا أقرؤا في عالم الظلال والأرواح بالولاية لجعلنا أرواحهم في أجساد مخلوقة من الماء العذب، فمنشأ اختلاف الطينة هو التكليف الأول في عالم الأرواح عند الميثاق<sup>(٣)</sup>.

وعن كنز الفوائد عن عبد الله بن حماد عن سماعة، قال: سمعت أبا عبد الله<sup>(٤)</sup> يقول في قول الله عز وجل: ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾: يعني: لو استقاموا على الولاية في الأصل عند الأظلة حين أخذ الله الميثاق على ذرية آدم. لأسقيناهم ماءً غدقاً، يعني لأسقيناهم من الماء الفرات العذب<sup>(٤)</sup>.

ورواية يحيى الحلبي عن ابن سنان قال: قال أبو عبد الله صلوات الله عليه: أول من سبق من الرسل إلى «بلى» رسول الله<sup>(٥)</sup>، وذلك أنه كان أقرب الخلق إلى الله تبارك وتعالى وكان بالمكان الذي قال له جبرئيل لما أسري به إلى السماء: تقدم يا محمد<sup>(٦)</sup> فقد وطئت موطناً لم يطأه ملك مقرب ولا نبي مرسل. ولولا أن روحه ونفسه كان من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه، فكان من الله عز وجل كما قال الله: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ

١. الجن (٧٢) : ١٦.

٢. البحار ٥ : ٢٣٤، عن تفسير القمي.

٣. البحار ٥ : ٢٣٥.

٤. البحار ٢٤ : ٢٨.



أَذْنِي ﴿<sup>(١)</sup> أَي بِلِ أَدْنِي. فَلَمَّا خَرَجَ الْأَمْرُ مِنْ اللَّهِ وَقَعَ إِلَى أَوْلِيَائِهِ ﷺ، فَقَالَ الصَّادِقُ ﷺ: كَانَ الْمِيثَاقُ مَأْخُوضًا عَلَيْهِمُ اللَّهُ بِالرَّبُوبِيَّةِ، وَلِرَسُولِهِ بِالنَّبُوءَةِ، وَلِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَثَمَةَ ﷺ بِالْإِمَامَةِ، فَقَالَ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَثَمَةُ الْهَادُونَ أُنْتُمْكُمْ؟ فَقَالُوا: بَلَى شَهِدْنَا، ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، أَي لِثَلَا تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ <sup>(٢)</sup>.

ورواية داود الرقي عن أبي عبد الله صلوات الله عليه قال: لما أراد الله أن يخلق الخلق خلقهم ونشرهم بين يديه، ثم قال لهم: من ربكم؟ فأول من نطق رسول الله ﷺ، وأمير المؤمنين والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين، فقالوا: أنت ربنا، فحملهم العلم والدين، ثم قال للملائكة: هؤلاء حملة ديني وعلمي وأمنائي في خلقي، وهم المسؤولون. ثم قال لبني آدم: أقرؤا الله بالربوبية وهؤلاء النفر بالطاعة والولاية، فقالوا: نعم ربنا أقررنا، فقال الله جلّ جلاله للملائكة: اشهدوا، فقالت الملائكة: شهدنا على أن لا يقولوا غداً: إنا كنا عن هذا غافلين، أو يقولوا: إنما أشرك أبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون. يا داود، ولايتنا مؤكدة عليهم في الميثاق <sup>(٣)</sup>.

وعن كشف الغمة عن كتاب دلائل الحميري عن أبي هاشم الجعفري، قال: كنت عند أبي محمد ﷺ، فسأله محمد بن صالح الأرمني عن قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا

١. النجم (٥٣) : ٩.

٢. البحار ٥ : ٢٣٦، عن تفسير القمي.

٣. البحار ٥ : ٢٤٤، عن علل الشرائع.

بَلَى ﴿ قال أبو محمد صلوات الله عليه: ثبتت المعرفة ونسوا ذلك الموقف، وسيذكرونه، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ولا من رازقه. قال أبو هاشم: فجعلت أتعجب من نفسي من عظيم ما أعطى الله وليه وجزيل ما حمّله، فأقبل أبو محمد صلوات الله عليه عليّ، فقال: الأمر أعجب مما عجبت منه يا أبا هاشم وأعظم، ما ظنك بقوم من عرفهم عرف الله، ومن أنكرهم أنكر الله، فلا مؤمن إلا وهو بهم مصدق وبمعرفتهم موقن؟<sup>(١)</sup>

وعن تفسير العياشي عن زرارة وحران عن أبي جعفر وأبي عبد الله صلوات الله عليهما، قالوا: إن الله خلق الخلق وهي أظلة، فأرسل رسوله محمداً ﷺ، فمنهم من آمن به ومنهم من كذبه، ثم بعثه في الخلق الآخر فأمن به من كان آمن به في الأظلة، وجحد من جحد به يومئذ، فقال: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر صلوات الله عليه، قال: إن الله تبارك وتعالى هبط إلى الأرض في ظلل من الملائكة على آدم وهو بوادٍ يقال له الرّوحاء، وهو وادٍ بين الطائف ومكة، قال: فمسح على ظهر آدم ثم صرخ بذريته وهم ذر، قال: فخرجوا كما يخرج النحل من كورها، فاجتمعوا على شفير الوادي، فقال الله لآدم: انظر، ماذا ترى؟ فقال آدم: أرى ذراً كثيراً على شفير الوادي. فقال الله: يا آدم، هؤلاء ذريتك، أخرجتهم من ظهرك لآخذ عليهم الميثاق لي بالربوبية، ولمحمد ﷺ بالنبوة، كما آخذهم في السماء. قال آدم: يا رب وكيف وسعتهم ظهري؟ قال الله: يا آدم، بلطف صنيعي ونافذ

١. البحار ٥: ٢٦٠.

٢. يونس (١٠) ٧٤ - البحار ٥: ٢٥٩.

قدرتي. قال آدم: فما تريد منهم في الميثاق؟ قال الله: أن لا يشركوا بي شيئاً... الخبر<sup>(١)</sup>.  
قال المجلسي رحمه الله: هبط إلى الأرض أي هبط ونزل وحيه وأمره مع طوائف كثيرة من الملائكة. شبههم بالظلل في وفورهم وكثرتهم وتراكمهم. والظلل جمع الظلة، وهي ما أظلك من سحاب ونحوه، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾<sup>(٢)</sup>. والمسح كناية عن شمول اللطف والرحمة، انتهى<sup>(٣)</sup>.

وفي دعاء يوم الغدير: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد وحدك لا شريك لك... كما كان من شأنك أن تفضلت عليّ بأن جعلتني من أهل إجابتك، وأهل دينك وأهل دعوتك، ووقفتني لذلك في مبتدأ خلقي تفضلاً منك وكرماً وجوداً... إلى أن جدّدت ذلك العهد لي تجديداً بعد تجديديك خلقي وكنْتُ نسيّاً منسياً ساهياً غافلاً<sup>(٤)</sup>.

ورواية الحسن بن الجهم، قال: سمعت أبا الحسن الرضا صلوات الله عليه يقول: قال أبو جعفر صلوات الله عليه: إن النطفة تكون في الرحم أربعين يوماً... فإذا أكمل أربعة أشهر بعث الله عزّ وجلّ ملكين خلاقين... ويكتبان الميثاق بين عينيه، فإذا أكمل الله الأجل بعث الله ملكاً فزجره زجرة فيخرج وقد نسي الميثاق...<sup>(٥)</sup>.

ورواية الأصمغ بن نباتة عن عليّ صلوات الله عليه، قال: أتاه ابن الكوّاء فقال: يا

١. البحار ٥: ٢٥٩، عن تفسير العياشي ٢: ٢١٨/٧٣.

٢. البقرة (٢) ٢١٠.

٣. البحار ٥: ٢٥٩.

٤. البحار ٩٥: ٢٩٨، عن الإقبال.

٥. البحار ٥٧: ٣٤٤، عن الكافي.

أمير المؤمنين، أخبرني عن الله تبارك وتعالى هل كلم أحداً من ولد آدم قبل موسى؟ فقال عليّ صلوات الله عليه: قد كلم الله جميع خلقه: برّهم وفاجرهم، وردّوا عليه الجواب. فنقل ذلك على ابن الكوّاء ولم يعرفه فقال له: كيف ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال له: أو ما تقرأ كتاب الله؟ إذ يقول لنيّته: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۗ﴾، فقد أسمعهم كلامه وردّوا عليه الجواب كما تسمع في قول الله - يا ابن الكوّاء - : ﴿قَالُوا بَلَىٰ ۗ﴾، فقال لهم: إني أنا الله لا إله إلا أنا، وأنا الرحمان، فأقرّوا له بالطاعة والربوبية. وميّز الرسل والأنبياء والأوصياء، وأمر الخلق بطاعتهم، فأقرّوا له بذلك في الميثاق، فقالت الملائكة عند إقرارهم بذلك: شهدنا عليكم يا بني آدم أن تقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين<sup>(١)</sup>.

ورواية أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله صلوات الله عليه: كيف أجابوا وهم ذرّ؟ قال: جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه - يعني في الميثاق<sup>(٢)</sup>.

قال العلامة المجلسيّ رحمته الله: أي تعلّقت الأرواح بتلك الذرّ فجعل فيهم العقل وآلة السمع وآلة النطق، حتّى فهموا الخطاب وأجابوا وهم ذرّ<sup>(٣)</sup>... انتهى.

وفي رواية عبد الله بن الفضل الهاشمي، قال: قلت لأبي عبد الله صلوات الله عليه: لأيّ علّة جعل الله الأرواح في الأبدان بعد كونها في ملكوته الأعلى في أرفع محلّ؟ فقال رحمته الله: إنّ الله تبارك وتعالى علم أنّ الأرواح في شرفها وعلوّها متى ما تركت على

١. البحار ٥: ٢٥٨، عن العياشي.

٢. البحار ٥: ٢٥٧، عن العياشي.

٣. البحار ٥: ٢٥٧.

حالتها نزع أكثرها إلى دعوى الربوبية دونه عزّ وجلّ، فجعلها بقدرته في الأبدان التي قدّر لها في ابتداء التقدير، نظراً لها ورحمة بها، وأحوج بعضها إلى بعض، وعلّق بعضها على بعض، ورفع بعضها على بعض، ورفع بعضها فوق بعض درجات، وكفى بعضها ببعض، وبعث إليهم رسله، واتخذ عليهم حججه مبشّرين ومنذرين، يأمرون بتعاطي العبودية والتواضع لمعبودهم بالأنواع التي تعبدهم بها، ونصب لهم عقوبات في العاجل وعقوبات في الآجل، ومثوبات في العاجل ومثوبات في الآجل، ليرغبهم بذلك في الخير ويزهدهم في الشرّ، وليذمهم بطلب المعاش والمكاسب، فيعلموا بذلك أنهم بها مربوبون، وعباد مخلوقون، ويُقبلوا على عبادته فيستحقّوا بذلك نعيم الأبد وجنة الخلد، ويأمنوا من النزوع إلى ما ليس لهم بحقّ. ثمّ قال ﷺ: يا ابن الفضل، إنّ الله تبارك وتعالى أحسنُ نظراً لعباده منهم لأنفسهم. ألا ترى أنّك لا ترى فيهم إلّا محبّاً للعلو على غيره، حتّى أنّه يكون منهم من قد نزع إلى دعوى الربوبية، ومنهم من نزع إلى دعوى النبوة بغير حقّها، ومنهم من نزع إلى دعوى الإمامة بغير حقّها. وذلك مع ما يرون في أنفسهم من النقص، والعجز، والضعف، والمهانة، والحاجة، والآلام، والمناوبة عليهم<sup>(١)</sup>، والموت الغالب لهم والقاهر لجميعهم. يا ابن الفضل، إنّ الله تبارك وتعالى لا يفعل لعباده إلّا الأصلح لهم، ولا يظلم الناس شيئاً ولكنّ الناس أنفسهم يظلمون<sup>(٢)</sup>.

ومما يدلّ على ما ذكرنا روايات عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله ﷺ، وابن مسكان عن زرارة عن أبي جعفر ﷺ، وابن بكير عن زرارة عن أبي عبد الله ﷺ،

١. لعلّ المعنى نزول الأمور المذكورة بالتناوب عليهم، أو نزول النوائب أي الحوادث عليهم.

٢. البحار ٥٨: ١٣٣، عن علل الشرائع.

والبزنطي عن رفاعه عن أبي عبد الله عليه السلام، وعمر بن أذينة عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام <sup>(١)</sup>.

قال العلامة المجلسي رحمته الله في باب الطينة والميثاق من بحار الأنوار، بعد كلام الشيخ المفيد رحمته الله وما خطر بباله الشريف من الإشكال في المسألة: طرح ظواهر الآيات والأخبار المستفيضة بأمثال تلك الدلائل الضعيفة والوجوه السخيفة جراً على الله وعلى أئمة الدين. ولو تأملت فيما يدعوهم إلى ذلك من دلائلهم وما يرد عليها من الاعتراضات الواردة لعرفت أن بأمثالها لا يمكن الاجترار على طرح خبر واحد، فكيف يمكن طرح تلك الأخبار الكثيرة الموافقة لظاهر الآية الكريمة، بها وبأمثالها؟! وستأتي الأخبار الدالة على تقدم خلق الأرواح على الأجساد في كتاب السماء والعالم، وستكلم عليها، <sup>(٢)</sup> انتهى.

أقول: ولا ينافي ذلك جلاله الشيخ المفيد رحمته الله، بل صدور مثل ذلك من مثله ثم كشف خلافه إنها هو من الأدلة على أن من قامت الحجّة القطعية على وجوب عصمته ينحصر في الرسول والإمام المنصوب بشخصه من قبل الله تعالى شأنه. ويحكى عنه عليه السلام نظير ذلك، وهو حكمه بدفن حامل مع حملها <sup>(٣)</sup>.

وقال أيضاً في باب آخر في خلق الأرواح قبل الأجساد: اعلم أن ما تقدم من الأخبار المعتبرة في هذا الباب، وما أسلفناه في أبواب خلق الرسول والأئمة عليهم السلام - وهي قريبة من التواتر - دلت على تقدم خلق الأرواح على الأجساد. وما ذكره من

١. البحار ٣: ٢٧٨ - ٢٨٠.

٢. البحار ٥: ٢٦٧، باب الطينة والميثاق. أورد العلامة المجلسي في هذا الباب سبعة وستين حديثاً.

٣. قصص العلماء (للتكنابني): ٣٩٩.

الأدلة على حدوث الأرواح عند خلق الأبدان مدخولة، لا يمكن ردّ تلك الروايات لأجلها<sup>(١)</sup>.

أقول: وفي باب حدوث العالم<sup>(٢)</sup>، وباب تاريخ ولادة أمير المؤمنين عليه السلام<sup>(٣)</sup>، وغير ذلك أيضاً روايات كثيرة تدلّ عليه.

وفي باب علّة استلام الحجر من كتاب الحجّ<sup>(٤)</sup>، وباب خلقه الأئمة عليهم السلام، وباب أخذ ميثاقهم من كتاب الإمامة<sup>(٥)</sup>، وأبواب أحوال آدم من كتاب النبوة<sup>(٦)</sup>، وباب تسمية الجمعة<sup>(٧)</sup>، وباب تسمية أمير المؤمنين عليه السلام<sup>(٨)</sup>، ورواية تحاكم محمد بن الحنفية وزين العابدين صلوات الله عليه إلى الحجر الأسود<sup>(٩)</sup>، وغير ذلك أخبار مناسبة لذلك، رواها كثير من ثقات الأصحاب وفقهائهم، فلا مجال للريب في صحّة أسانيدها، كما يظهر من ملاحظتها، وعن طريق العامة أيضاً روايات بمضمونها أوردها في البحار<sup>(١٠)</sup>.

١. البحار ٥٨ : ١٤١ .

٢. البحار ٥٤ .

٣. البحار ٣٥ .

٤. البحار ٩٦ : ٢١٦ .

٥. البحار ٢٥ .

٦. البحار ١١ .

٧. الكافي ٣ : ٤١٥ .

٨. الكافي ١ : ٤١٢ .

٩. البحار ٤٦ : ١١١، عن الاحتجاج والبصائر والاختصاص .

١٠. البحار ٥ : ٢٦٩، ٢٧٠ .

وروايات الفريقين متفقة على ثبوت عالم الذرّ وسبق خلقه الإنسان، ولا وجه لرفع اليد عنها أو التأويل فيها بعد عدم الاختلاف في رواياتنا في ثبوت ذلك العالم. ويؤيد المطلب وجود الاختلاف فيه بين علماء العامة أيضاً<sup>(١)</sup>، فلو كان الأئمة - صلوات الله عليهم - مخالفين للقول بثبوتها لصدر عنهم ما يدلّ على خلافه، كيف والروايات متفقة ظاهرة الدلالة عليه، غير قابلة للتأويل والتوجيه، إلا أن يلتزم بأنهم صلوات الله عليهم لم يكونوا مقام الهداية والتعليم، بل كانوا في مقام الإلغاز الموجب للضلالة، جلّت ساحة قدسهم عن ذلك.

وعمد ما أوقع بعض الأكابر في التشكيك فيه بل الإنكار شبهات أثارها بعض المذاهب الفلسفية ومقالاتهم في كيفية الخلق، وإلا فمن أمعن النظر في ما ورد عن الأئمة صلوات الله عليهم في كيفية الخلق لم يبق له أية شبهة في إمكان ما دلّت عليه الروايات المذكورة، ويمتنع ذلك عن ردّ رواية واحدة، فضلاً عن ردّ جميعها، بما لكثير منها من صحّة السند ووضوح الدلالة<sup>(٢)</sup>، كما مرّ. وستجيء خلاصة منها بعد ذكر الإشكالات والجواب عنها، إن شاء الله تعالى.

### ثبوت الطاعة والعصيان قبل هذه الدنيا

يظهر من بعض الروايات أنه تعالى ابتلاهم أيضاً واختبرهم في مبتدأ الخلق قبل

١. انظر مفاتيح الغيب (التفسير الكبير، للفخر الرازي) ١٥ : ٣٩٨.

٢. ذكر العلامة الطهراني في عداد كتب التفسير، تفسير آية ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ ﴾ الأعراف (٧) ١٧١، للعلامة الأميني رحمه الله وقال في توصيفه: بدأ فيه بمقدّمة علمية مسلّمة، ثم تكلم عن عالم الذرّ وإثبات الميثاق الأوّل بدلالة آيات الكتاب البالغة إلى تسع عشرة و [الأحاديث البالغة إلى] [مائة وثلاثين حديثاً ويوصف أربعون منها بالصّحة الاصطلاحية، الدررعة ٤ : ٣٢٣.



ابتلائهم في هذه الدنيا، بأن أجاج ناراً فأمرهم بدخولها، فدخل فيها قوم وصارت عليهم برداً وسلاماً، ولم يدخلها آخرون، فرتب الله تعالى على تلك الطاعة والعصيان آثاراً في طينتهم وفطرتهم توجب التوفيق والخذلان في الدنيا.

ففي رواية زرارة عن أبي جعفر صلوات الله عليه: لو علم الناس كيف كان ابتداء الخلق ما اختلف اثنان<sup>(١)</sup>، فقال: إن الله تبارك وتعالى قبل أن يخلق الخلق قال: كن ماءً عذباً أخلق منك جنتي وأهل طاعتي. وقال: كن ماءً ملحاً أجاجاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي. ثم أمرهما فامتزجا، فمن ذلك صار يلد المؤمن كافراً، والكافر مؤمناً. ثم أخذ طين آدم من أديم الأرض فعركه عرْكَاً شديداً، فإذا هم في الذرّ يدبون، فقال لأصحاب اليمين: إلى الجنة بسلام، وقال لأصحاب النار: إلى النار ولا أبالي. ثم أمر ناراً فأسعرت، فقال لأصحاب الشمال: ادخلوها، فهابوها، وقال لأصحاب اليمين: ادخلوها، فدخلوها، فقال: كوني برداً وسلاماً، فكانت برداً وسلاماً، فقال أصحاب الشمال: يا ربّ ألقنا، فقال: قد أقتكم فادخلوها، فذهبوا فهابوها، فتمّ ثبتت الطاعة والمعصية، فلا يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء. ولا هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء<sup>(٢)</sup>.

١. قال العلامة المجلسي: أي ما اختلفا في القضاء والقدر، أو المعنى أنّه ما تنازع اثنان في أمر الدين (البحار ٥: ٢٥٣). وقال المحقق جمال الدين الخوانساري: المراد عدم الاختلاف في أمر الخلافة والإمامة، فلو علم الناس بأنّ المدّعين للخلافة بغير الحقّ كانوا في ابتداء الخلق من أصحاب الشمال لما اعتقدوا بخلافتهم وولايتهم واعتقدوا بإمامة أهل البيت عليهم السلام؛ شرح احاديث طينت ص ٤٧.

٢. البحار ٥: ٢٥٢، عن المحاسن. الظاهر أنّ المراد من عدم الاستطاعة أن كلّ واحد من أصحاب اليمين وأصحاب الشمال لا يستطيع أن يغيّر ما جعل الله في فطرته من دواعي الخير والشر. وقد

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾<sup>(١)</sup>، عن عثمان بن عيسى عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله صلوات الله عليه ما يقرب منه<sup>(٢)</sup>. وفي رواية أخرى عن زرارة: أن رجلاً سأل أبا جعفر صلوات الله عليه عن قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ...﴾ فقال وأبوه يسمع: حدّثني أبي أن الله عز وجل أخذ قبضة من تراب التربة التي خلق منها آدم ﷺ، فصبّ عليها الماء العذب الفرات، فتركها أربعين صباحاً، فلما اختمرت الطينة أخذها تبارك وتعالى، فعركها عركاً شديداً... فخرجوا كالذرّ من يمينه وشماله، فأمرهم جميعاً أن يقعوا في النار، فدخل أصحاب اليمين فصارت عليهم برداً وسلاماً، وأبى أصحاب الشمال أن يدخلوها<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية محمد بن عليّ الحلبيّ عن أبي عبد الله صلوات الله عليه قال: إن الله عز وجل لما أراد أن يخلق آدم ﷺ أرسل الماء على الطين، ثم قبض قبضة فعركها، ثم فرقها فرقتين بيده، ثم ذرأهم فإذا هم يدبّون، ثم رفع لهم ناراً فأمر أهل الشمال أن يدخلوها، فذهبوا إليها فهابوها فلم يدخلوها، ثم أمر أهل اليمين أن يدخلوها، فذهبوا فدخلوها، فأمر الله جلّ وعزّ النار فكانت عليهم برداً وسلاماً. فلما رأى ذلك

---

أثبتنا في بعض التنبيهات أن بعد إفاضة القدرة على منع ترتّب المقتضى على المقتضى، لا توجد الدواعي إلا سهولة العمل وصعوبته، لا العجز المنافي للتكليف. (منه قدس سره). أقول: يأتي في مبحث المعاد بيان أسباب اختلاف الطينة وأن الله تعالى شرط البداء في طينة أصحاب الشمال، فراجع التنبيه ٣ و٧، من تنبيهات المعاد ص ٢٩٨، ٣٠٧.

١. الأنعام (٦) ٢٨.

٢. البحار ٥: ٢٥٦، عن تفسير العياشي.

٣. الكافي ٢: ٧، وفي البحار ٥: ٢٥٧ عن العياشي عن زرارة أن رجلاً سأل أبا عبد الله ﷺ... الخبر.

أهل الشمال قالوا: رَبَّنَا أَقْلَنَا، فَأَقْلَهُم، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: ادْخُلُوهَا، فَذَهَبُوا فقاموا عليها ولم يدخلوها، فأعادهم طيناً، وخلق منها آدم، وقال أبو عبد الله عليه السلام: فلن يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء، ولا هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء. قال: فَيَرُونَ<sup>(١)</sup> أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَوَّلَ مَنْ دَخَلَ تِلْكَ النَّارَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ويمكن استظهار وجه التسمية بأصحاب اليمين وأصحاب الشمال ممّا في رواية إبراهيم عن أبي عبد الله صلوات الله عليه قال: إن الله عزّ وجلّ لما أراد أن يخلق آدم عليه السلام بعث جبرئيل في أول ساعة من يوم الجمعة فقبض بيمينه قبضة، فبلغت قبضته من السماء السابعة إلى السماء الدنيا، وأخذ من كلّ سماء تربة، وقبض قبضة أخرى من الأرض السابعة العليا إلى الأرض السابعة القصوى، فأمر الله عزّ وجلّ كلمته فأمسك القبضة الأولى بيمينه، والقبضة الأخرى بشماله، ففلق الطين فلفقتين، فذرا من الأرض ذرواً، ومن السماوات ذرواً، فقال للذي بيمينه: منك الرسل والأنبياء، والأوصياء، والصدّيقون، والمؤمنون، والسعداء، ومن أريد كرامته، فوجب لهم ما قال كما قال. وقال للذي بشماله: منك الجبارون والمشركون والكافرون والطواغيت ومن أريد هوانه وشقوته، فوجب لهم ما قال كما قال.

ثُمَّ إِنَّ الطَّيْنَتَيْنِ خُلِطَتَا جَمِيعاً، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ

١. قال العلامة المجلسي رحمته الله: أي يرى أهل البيت عليهم السلام؛ مرآة العقول ٧: ٢١. أقول: أي يعلمون كأنهم يرون بالعيان، كما قال تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾ (سبأ ٣٤) ٦.

٢. الكافي ٢: ٧؛ والآية في الزخرف (٤٣) ٨١.

وَالنَّوَى ﴿١﴾، فالحب طينة المؤمنين التي ألقى الله عليها محبته، والنوى طينة الكافرين الذين نأوا عن كل خير. وإنما سمي النوى من أجل أنه نأى من كل خير وتباعد عنه، وقال الله عز وجل: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ (٢)، فالحي المؤمن الذي يخرج طينته من طينة الكافر، والميت الذي يخرج هو من الحي هو الكافر الذي يخرج من طينة المؤمن. فالحي المؤمن، والميت الكافر، وذلك قول الله عز وجل: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ (٣)، فكان موته اختلاط طينته مع طينة الكافر، وكان حياته حين فرق الله عز وجل بينها بكلمته. كذلك يُخرج الله عز وجل المؤمن في الميلاد من الظلمة بعد دخوله فيها إلى النور ويخرج الكافر من النور إلى الظلمة بعد دخوله إلى النور، وذلك قوله عز وجل: ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٤).

أقول: الظاهر أن هذا الفعل من الله تعالى كان قبل التكليف بدخولهم في النار بتوسط كلمته التي يُصوّر منها اليمين والشمال. ويمكن أن يكون وجه التسمية شيئاً آخر، لما في بعض الروايات: وكلتا يديه يمين (٥).

وفي رواية ابن أذينة عن أبي عبد الله صلوات الله عليه قال: كنا عنده فذكرنا رجلاً

١. الأنعام (٦) ٩٥.

٢. الأنعام (٦) ٩٥.

٣. الأنعام (٦) ١٢٢.

٤. يس (٣٦) ٧٠ - البحار ٦٤: ٨٧، عن الكافي.

٥. البحار ٥: ٢٣٧، عن تفسير القمي. أقول: في رواية عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام أن طينة أصحاب اليمين قبضت من الكتف الأيمن لشبح آدم عليه السلام، وطينة أصحاب الشمال من كتفه الأيسر؛ علل الشرائع ٢: ٤٢٥، فيمكن أن يكون هذا وجهاً آخر لتسميتهم بأصحاب اليمين وأصحاب الشمال.

من أصحابنا فقلنا: فيه حدة، فقال: من علامة المؤمن أن تكون فيه حدة، قال: فقلنا له: إنَّ عمارة أصحابنا فيهم حدة، فقال: إنَّ الله تبارك وتعالى في وقت ما ذرأهم، أمر أصحاب اليمين - وأنتم هم - أن يدخلوا النار فدخلوها، فأصابهم وهج، فالحدة من ذلك الوهج، وأمر أصحاب الشمال - وهم مخالفوهم - أن يدخلوا النار فلم يفعلوا، فمن ثمَّ لهم سَمَت، ولهم وقار<sup>(١)</sup>.

### عدم رجوع المعرفة الفطرية إلى المعرفة بالآيات

في رواية زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قوله: فعرفهم وأراهم صنعه، ولولا ذلك لم يعرف أحد ربّه...<sup>(٢)</sup>. لعل المراد من قوله عليه السلام: «أراهم صنعه» أي أراهم معرفته التي هي صنعه تعالى، فلا دلالة فيه على أنَّ هذه المعرفة كانت من طريق الآيات والمصنوعات بأنَّ كل مصنوع لا بدَّ له من صانع، فما عن بعض<sup>(٣)</sup> من إرجاع المعرفة الفطرية إلى مجرد المفطورة على الإقرار بالصانع من باب حكم العقل ممنوع؛ لأنَّ نتيجة الاستدلال بالآيات - كما مرَّ - إثبات وجود صانع جامع للكمالات، منزّه عما لا يليق به على النحو الكليّ. وأمّا وجدانه من غير تصوّر ولا مجال استدلال على وجه يدعوه ويأنس به ويتصرّع إليه، ويجده قريباً سمياً بصيراً قادراً رؤوفاً رحيماً، كما هو ظاهر لمن وجدته في البأساء والضراء فلا يقتضي الاستدلال ذلك.

وبينهما فرق ظاهر، ففي الأوّل يعلم بالآثار أن له مولى عالماً قادراً رؤوفاً رحيماً،

١. البحار ٥: ٢٤١، عن علل الشرائع.

٢. كما في رواية الصدوق عليه السلام في التوحيد ٣٣٠، ولكن في رواية الكافي (٢: ١٢) بدل «وأراهم صنعه»: «وأراهم نفسه»، وعليه فلا حاجة إلى التوجيه المذكور.

٣. كالعالم الربانيّ الشيخ محمد جواد الخراسانيّ عليه السلام في كتاب هداية الأمة إلى معارف الأئمة: ٣٠.

وفي الثاني يصل إليه ويخاطبه ويأنس به، وإن لم يره ببصره ولم يعلم له كيفية. كما هو ظاهر قوله ﷺ: ولولا ذلك لم يعرف أحد من خالقه ولا من رازقه<sup>(١)</sup>. ومما يظهر منه أنه ليس من جهة الاستدلال العقلي ولا من جهة أنس الذهن: تجليه تعالى بالوحدانية على قلوب المشركين، كما دلت عليه الآيات المتقدمة، فإنه خلاف ما أنسوا به من الشرك كما مر.

### تنبيه وتفريع

ثبوت هذه الحقيقة - أي المعرفة الوجدانية التي فطر الناس عليها - أوجب سهولة الأمر على الأنبياء في إتمام الحجّة على أممهم في مقام الدعوة إلى الله وإلى توحيده. ولعله ملاك قتل المشركين بمجرد الدعوة إلى الله تعالى وإلى توحيده، وإظهار الشرك منهم، وملاك صحّة إيمان الأطفال بمجرد بلوغهم وإن لم يكونوا على حدّ يصلح الاستدلال العقلي لهم، وصحّة إيمان النساء والرجال الذين لا يتيسر لهم الاستدلال من طريق العقل، كما قامت عليه السيرة.

والحاصل أنه لا يحتاج في صحّة الإيمان بالله تعالى وتوحيده لو آمنوا، وفي ثبوت الكفر بترك الإيمان إلى سبق الاستدلال العقلي العاجز عنه كثير من الناس. نعم، حكم العقل والاستدلال به مؤكّد للحجّة على الكفار، وقاطع آخر للاعتذار، ولو أظهر أحد الشكّ أو شكّ واقعاً لأجل خفاء هذه الفطرة بسبب من الأسباب فإنه هو الذي يحتاج إلى الاستدلال العقلي من طريق العقل. وإلا فالأصل الأصيل الذي يُكتفى به في عرفان الربّ تعالى شأنه والإيمان به المعرفة الفطرية.

### ظهور المعرفة الفطرية في حال الانقطاع عن غيره تعالى

الذي دعانا إلى إثبات تقدّم خلقة الأرواح بالروايات المباركات - وإن لم تكن في هذا المقام - تأييد الروايات المشتمة على فطرية المعرفة بالله. وسنذكر الإشكالات التي أوردوها عليها والجواب عنها إن شاء الله تعالى.

وخلاصة ما ذكرناه أنّ مفطورية كلّ إنسان على معرفته تعالى وتوحيده، وظهور هذه الفطرة في البأساء والضراء وفي بعض الحالات التي ينقطع فيها عن التوجّه إلى غيره تعالى، في الصلاة وفي غيرها من العبادات ممّا يشهد به الوجدان، وتدلّ عليه الروايات المتواترة التي تقدّم ذكر بعضها، وهي من إحدى الحجج، كما قال الرضا صلوات الله عليه في خطبته: وبالفطرة ثبت حجّته<sup>(١)</sup> وأشار إليه قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

أقول: لو سألت من اتفق له تلك المكاشفة، ولو في دقيقة: إلى من التجأت؟ وإلى من تضرّعت؟ إلى شيء أم لا؟ ليقولنّ: إلى شيء لا كالأشياء.

إلى حيّ أم إلى ميت؟ ليقولنّ: إلى حيّ.

إلى قادر أم إلى عاجز؟ ليقولنّ: إلى قادر.

إلى سميع بصير أم إلى غير سميع بصير؟ ليقولنّ: إلى سميع بصير.

إلى قريب أم إلى بعيد؟ ليقولنّ: إلى قريب. كلّ ذلك بلا شبهة ونظير.

ويشعر بما ذكرنا لفظة «الله» في قوله تعالى: ﴿ليقولنّ الله﴾ الدالّ على كونه تعالى

١. البحار ٤: ٢٢٨، عن التوحيد والعيون.

٢. العنكبوت (٢٩) ٦١.

مفزعاً لجميع المخلوقين في عين تحير قلوبهم في شأنه، لمستوريته عن حواسهم وانقطاعهم عن درك ماهيته، لكونه الفرد الذي لا نظير له.

وهذا معنى كونه تعالى واحداً، ومعناه بالفارسية (بى همتا)، كما صرح به أمير المؤمنين صلوات الله عليه في بعض الروايات المتقدمة في جواب الأعرابي حيث سأله عن الواحد: هو واحد، ليس له في الأشياء شبه، كذلك ربنا<sup>(١)</sup>.

وبالجملة: هذه الحالة أنموذج من لقائه ووصله وزيارته ورؤيته ومشاهدته تعالى، كما ورد التعبير بذلك كلاً في الروايات المباركات.

ففي دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة: إلهي، اطلبني برحمتك حتى أصِلَّ إليك، واجذبني بمتك حتى أقبل عليك<sup>(٢)</sup>.

وفي مناجاة المريدين المنسوبة إلى السيد السجاد عليه السلام: ولقاؤك قرّة عيني، ووصلك مُنى نفسي<sup>(٣)</sup>.

وفي التوحيد عن عليّ صلوات الله عليه في تفسير قد قامت الصلاة: أي حان وقت الزيارة والمناجاة وقضاء الحوائج، ودرك المنى، والوصول إلى الله عزّ وجلّ، وإلى كرامته وغفرانه وعفوه ورضوانه<sup>(٤)</sup>.

١. البحار ٣: ٢٠٧، عن التوحيد والخصال.

٢. الإقبال ٣٥٠. البحار ٩٥: ٢٢٧ عن بعض نسخ الإقبال.

٣. البحار ٩١: ١٤٨، عن بعض كتب الأصحاب.

٤. البحار ٨٤: ١٣٤، عن معاني الأخبار والتوحيد. يستفاد من هذا الحديث الشريف أنّ حقيقة الصلاة وروحها هو التوجه وإقبال القلب إلى الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ طه (٢٠) ١٤، وأنّ بالصلاة يصل العبد إلى درجات عالية من القرب واللقاء، كما عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث: «بالصلاة يبلغ العبد إلى الدرجة العليا، لأنّ الصلاة تسبيح وتهليل وتحميد



وفيه أيضاً: جاء حَبْرٌ إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه فقال: هل رأيت ربك حين عبدته؟ فقال: ويملك ما كنت أعبد رباً لم أره. قال: وكيف رأيته؟ قال: ويملك لا تدرکه العيون في مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أبي بصير قول الصادق عليه السلام: وقد رأوه قبل يوم القيامة، فقلت: متى؟ قال: حين قال: ألسنت برئكم؟ قالوا: بلى، ثم قال: إن المؤمنين يرونه في الدنيا قبل يوم القيامة... وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين... الخبر<sup>(٢)</sup>.

وعن سيد الساجدين عليه السلام: في مناجاة المحبين: اللهم اجعلنا ممن اصطفتهم لقربك وولايتك... وأهلت لعبادتك، وهيمت قلبه لإرادتك، واجتبيته لمشاهدتك<sup>(٣)</sup>.

ويجد من وجدته من لذة المؤانسة وحلاوة المناجاة ما لا يقدر قدره، كما ورد في

وتكبير...» (الخصال، أبواب «العشرون وما فوقه» حديث ١١).

وقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «لو يعلم المصلي ما يغشاه من جلال الله ما سره أن يرفع رأسه من السجود» البحار ٨٢ : ٢٠٧.

وقال بعض الأعاظم عليه السلام: ما ملخصه: أن المعرفة لما كانت به تعالى شأنه وأمرها بيده فعليه تعالى أن يعرف نفسه لعباده، فيجعل في الأرض لنفسه بيوتاً وسماهاً مساجد وقرر لوقت شهوده ولقائه أوقاتاً وقرر الإعلان بتلك الأوقات، ووظف وظائف من طهارة البدن واللباس وكيفية اللبس؛ فما أعظم قدر هذه الصلاة وما أعظم النتيجة الحاصلة منها. فمن عرف قدرها يعرف أن معرفة رب العزة تعالى شأنه لا تحتاج إلى تجريد وتنويم اختياري، وأن العبد في كمال العقل والعلم في حال الاشتغال بالتكبير والتسبيح يشهد ربه تعالى، وحيث إنه لا غاية لمعرفة تعالى ولا نهاية لدرجاتها فلا بد من إقامة الصلاة ما دام العمر.

١. البحار ٤ : ٤٤.

٢. البحار ٤ : ٤٤، وتقدم الخبر بتمامه في ص ١٤٧.

٣. البحار ٩١ : ١٤٨، عن بعض كتب الأصحاب.

الدعاء: يا من أذاق أحبّاءه حلاوة المؤانسة فقاموا بين يديه متملّقين<sup>(١)</sup>.

### تنبيه لا بدّ منه جدّاً

مما يظهر للإنسان في تلك المكاشفة التي صُرح بها في الآيات المتقدّمة مبايسته لمن يتوجّه إليه، ومغايرته بلا عزلة، لا الوحدة التي يزعمها الصوفيّة حتّى أكابره المسمّون بالشاخين، كيف وهو يرى نفسه سائلاً، عاجزاً، ذليلاً، مسيئاً، مقصراً. ويرى محبوبه الذي يسأله ويتضرّع إليه قادراً، قاهراً، منزهاً، غفوراً، وهكذا.

وما في كلماتهم ومن يجذو حذوهم في هذا المقال من دعوى الفناء في الله<sup>(٢)</sup>، إن كان المراد هو نفي الإتيّة والميز واقعاً، كما في فناء القطرة واستهلاكها في البحر عند وصولها إليه، فهذا - مضافاً إلى امتناعه ذاتاً، لما مرّ من المباينة التامة بين المخلوق الحادث واقعاً لا من شيء الذي حقيقته الشئيّة بالغير والظلمة، وبين الذات الأزليّ الأبديّ، القائم بذاته، الشيء بحقيقة الشئيّة، والنور المحض - مخالف لما نجده من أنفسنا في حال المكاشفة الحاصلة لنا في بعض عبادتنا وفي حال البأساء والضراء المذكورة في غير واحدة من الآيات والروايات المباركات المتقدّم ذكرها، ولا أثر منه في كلام المعصومين

١ . البحار ٩٥ : ٢٢٦، عن الإقبال (دعاء يوم عرفة).

٢ . مراتب الفناء في الله عند الصوفيّة ثلاثة: ١- الفناء الأفعالي (أو التوحيد الأفعالي) وهو وصول السالك إلى مقام يرى كلّ فعل صدر من فاعل أنّه فعله تعالى ويسمّى بالمحو. ٢- الفناء الصفائي وهو أن يصل السالك إلى مرتبة يرى جميع الكمالات الموجودة في كلّ ذي كمال كماله تعالى، ويسمّى بالطمس. ٣- الفناء الذاتي وهو أعلى مراتب الفناء، وهو وجدان السالك ذاته وذوات سائر الأشياء فانية في ذات الله تبارك وتعالى، ويسمّى بالمحقّ وحقّ اليقين؛ انظر: عارف وصوفي چه می گویند؟ ص ٩٥.

الذين هم أعرف الخلق بالله تعالى شأنه، بل التعبيرات المروية عنهم صريحة في المبانية والغيرية الحقيقية. وكذلك لفظ الوصول واللقاء وأمثالها ظاهر في وصول الحبيب إلى حبيبه ولقائه إياه لا الاندكاك والاستهلاك والفناء فيه.

وإن كان المراد هو الاعتقاد ورؤية نفسه أنها كذلك - كما هو ظاهر كلمات بعضهم - فمرجه إلى اعتقاد أنّ حقيقته ليست إلا الوجود الحقّ المتعين. ووجه عروض تلك الحالة على الإنسان ليس إلا غمض العين عن تعين نفسه وسائر التعينات، وعطف توجهه إلى صرف الوجود الذي توهموا أنه الحقّ المتعالي، وهذا معلول التلقينات الباطلة التي لا حقيقة لها أصلاً، وليست مكاشفاتهم إلا تجلي ذلك الاعتقاد وتلك الحالة عند اشتغالهم بالذكر، وفي مناماتهم التي يسمونها بالواقعة، وظاهر أنّ المنام بعضه أضغاث أحلام، ولذا لا يعتمدون هم أنفسهم عليها، ويعرضونها على البرهان بزعمهم<sup>(١)</sup>، ولذا لا حجّة لها بوجه من الوجوه، والاعتناء من تسويلات الشيطان.

### الإشكالات الواردة في ثبوت عالم الذرّ والجواب عنها

استشكل في القول بأخذ الميثاق عن البشر في عالم الذرّ بوجوه، مرجع بعضها إلى استحالة عالم الذرّ عقلاً، وبعضها الآخر إلى نفي الدليل على إثباته.

أما الأول فمنها: أن أخذ الميثاق لا يتم إلا بكون المأخوذ عليهم الميثاق أولى تمييز وعقل، ولو كانوا كذلك لذكروه، لا سيما مع عظم الموقف، كما أن أهل القيامة يذكرون موافقهم في الدنيا - كما دلّت عليه بعض الآيات المباركات - مع أنّ العهد فيها

١. شرح القيصري على الفصوص ١: ٨١، ٩٣.

أطول منه هناك.

وفيه: أنه لا دليل على امتناع النسيان هناك (والله على كل شيء قدير)، وفي رواية زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام: فأناهم المعاينة<sup>(١)</sup>، وفي روايات عنه عن أبي جعفر عليه السلام: ونُسوا الموقف (وفي نسخة: الوقت)<sup>(٢)</sup>، وأناهم رؤيته<sup>(٣)</sup>، وأنسوا ذلك الميثاق وسيذكرونه بعد<sup>(٤)</sup>.

وتدلّ عليه أيضاً رواية الحسن بن الجهم، ورواية أبي هاشم الجعفريّ المتقدّمتان<sup>(٥)</sup>، ورواية ابن مسكان<sup>(٦)</sup>.

وكما أنّ الإنسان لا يتذكّر في نومه - مع أنّه حيّ يرى الرؤيا - شيئاً من العالم الذي كان فيه طول عمره، فلا مانع عقلاً من أن يكون الأمر هنا كذلك.

ومنها: أنّ فائدة أخذ الميثاق إتمام الحجّة، كما دلّت عليه الآية الشريفة والروايات المباركات، والحجّة إنّما تتمّ عليهم إذا وقع إنكارهم في حال الالتفات إلى العهد الذي عاهدوه، وإقرارهم الذي أقرّوا به، فإنّ العهد والإقرار المنسيّ لا يُجْتَجّ به، ومن المعلوم أنّ بني آدم لا يلتفتون إلى الميثاق المذكور، فكيف تتمّ الحجّة عليهم!؟

وفيه: أنّ إتمام الحجّة يحصل بثبوت المعرفة في قلوبهم ولو كانوا ناسين للموقف، كما دلّت عليه الآية المباركة، فليس متوقّفاً على التوجّه إلى خصوصيّة الموقف بعد ثبوت

١. البحار ٥: ٢٢٣، عن المحاسن.

٢. البحار ٥: ٢٤٣، عن علل الشرائع.

٣. البحار ٥: ٢٥٤، عن تفسير العياشي.

٤. البحار ٥: ٢٥٧، عن تفسير العياشي.

٥. راجع ص ١٦٠، ١٦٢.

٦. البحار ٥: ٢٣٧.

نتيجته في فطرة الإنسان. فالمنكير للربّ مكابر لفطرته التي فُطر عليها من التوجّه إلى الله تعالى قهراً، لا سيّما مع تحيّي هذه الفطرة بوضوح في مواقع الشدّة والانقطاع من الأسباب، كما دلّت عليه الآيات المتقدّمة<sup>(١)</sup>.

ومنها: أنّه لا يعقل اتّساع ظهر آدم على صغره لتلك الذرّات التي هي بعدد بني آدم من أولهم إلى آخرهم.

وفيه: أنّه مع فرض صغر الذرّات جدّاً وعِظَم جتّة آدم - على ما تشهد به بعض الروايات<sup>(٢)</sup> - لا مانع عقلاً من اجتماعها في صلبه.

ومنها: أنّ القول بوجود عالم الذرّ ملازم للتصديق بالتناسخ - وهو تعلّق الأرواح بأبدان آخر مغايرة للأبدان الأولى - وهو باطل.

وفيه: أنّ التناسخ الذي قام الإجماع بل ضرورة الدين على بطلانه هو القول بأنّ الذي يُجزّى الإنسان به عبارة عن تعلّق نفوس السعداء والأشقياء، أو الأشقياء فقط - على اختلاف بين القائلين - بأبدان غير أبدانهم في هذه النشأة، فبعضهم جوّز انتقال النفس بعد الموت من بدن إلى بدن إنسان آخر وهو النسخ، وبعضهم جوّز الانتقال إلى بدن حيوان غير الإنسان وهو المسخ، بل إلى النبات وهو الفسخ، أو الجهاد وهو الرسخ. و[قالوا] لا معاد إلّا ذلك<sup>(٣)</sup>. وهذا هو الذي قامت ضرورة الدين على خلافه.

١. راجع ص ١٤١، ١٤٣.

٢. البحار ١١: ٩٧.

٣. شرح عقيدة أصحاب التناسخ المذكور في جواب الإمام الصادق عليه السلام عن سؤال الزنديق، فراجع

البحار ١٠: ١٧٦.

والأدلة التي أقاموها على البطلان<sup>(١)</sup> - على فرض تماميتها - إنها تدلّ على بطلان تعلق نفس الإنسان ببدنٍ آخر غير بدنه، ولا تدلّ على بطلان تعلقه ببدن واحد مع اختلاف حالاته من حيث الصغر والكبر والأعراض والحدود.

والآيات والروايات المتواترة معنَى دالة على وقوع المسخ في الأمم السابقة، وبعضها يدلّ على وقوعه في هذه الأمة أيضاً<sup>(٢)</sup>.

ومنها: ما أقام ملاً صدرا من الاستدلال على امتناع تعلق الروح ثانياً بالبدن مطلقاً، بعد خروجها عن البدن، ولو بهذا البدن الذي تعلقت به أولاً، وحاصله:

أن تعلق النفس ثانياً ولو بهذا البدن الذي كان تعلقها به أولاً بعد صيرورتها كاملة ومجردة عن هذا التعلق تخصّص بلا تخصّص، وليس التخصّص بلا تخصّص في الأمور الطبيعية، فإنّ الأمور الطبيعية والحوادث الكونية كلّها مرهونة بالمصالح، والغايات الحكيمية والاستعدادات، والفوائد، والمناسبات العقلية. وليست التعلقات الطبيعية والذاتية كالتعلقات الإرادية الواقعة من الإنسان لأجل مصلحة وداعية جزافية أو عادية، كمن توجه ثانياً إلى خرابة عاش فيها مدّة وكانت معمورة، ويريد تعمیرها طلباً لما يتذكّره من التلذّذات والتنعمات التي وقعت منه فيها على سبيل المجازفة الشهوية، من غير فائدة فكرية وغاية عقلية وملاحظة مصلحة رآها وحكمة كذلك، فإنّ شيئاً من هذه الأمور لا يجري في الأسباب الذاتية للغايات الطبيعية.

ومنشأ حدوث النفس وتعلقها هو الحركة الذاتية الاستكمالية لمادّة ما في الصور الجوهرية على سبيل الترقّي من الأدنى إلى الأعلى حتّى يقع انتهاء الأكوان الصورية إلى

١. الأسفار ٩: ٢، ٣؛ شرح المنظومة ٢: ٨٢٣-٨٢٤؛ كفاية الموحدين ٤: ٥٢-٥٥.

٢. سيأتي مصادرها في آخر هذا البحث ص ١٨٧ وفي التنبيه الأول من تنبيهات المعاد ص ٢٩١.

النفس وما بعدها. وبعبارة أخرى: هي المناسبة التامة والاستعداد الكامل المخصّص لها بهذه النفس الكذائبة دون غيرها.

فبعد أن تتحرّك النفس في ذاتها وجوهرها من المرتبة الأدنى إلى الأعلى وتمزّقت هذه الشبكة وصارت تراباً ورماداً، وطار طائرهما السماويّ وحمّامها القدسيّ إلى عالم الملكوت، وخلص من هذا المضيق، فأبى مناسبة ذاتية واستعداد للأجزاء الترابية بالنفس المجردة؟ وأبى تعلق لها ثانياً بالتراب وإن فرض مجتمع الأجزاء؟ ولو كان كذلك لكان كلّ تراب ورماد ذا نفس، لاشتراك الجميع في الترابية والرمادية<sup>(١)</sup>.

وفيه: أنّ هذه الخطابة مبتنية على ما بناه من الحركة الجوهرية، وعلى أنّ النفس جسائية الحدوث وروحانية البقاء، بمعنى أنّها تحدث بحدوث البدن ثمّ تتحرّك بجوهرها إلى جانب الكمال حتّى تتجرّد عن المادّة وعن الجسائية بمعناها الحقيقيّ. وهذا المبنى لم يقم عليه برهان عقليّ، وإنّما هي فرضية فرضها، بل تدفعها روايات كثيرة دالة على سبق خلقه الأرواح على الأجساد. بضميمة ما دلّ على أنّ روح البشر الذي هو حقيقته، وكذلك الملك والجنّ - كسائر الأجسام - كلّها مخلوقة من جوهر واحد سُمّي بالماء. والفرق باللطافة والكثافة، والرقّة والغلظة، وسائر الأعراض.

ويقرب منه ما في تفسير الميزان حيث قال: وكيف الطريق إلى أنّ ذرة من ذرات بدن زيد - وهو الجزء الذريّ الذي انتقل من صلب آدم من طريقة نطفته إلى ابنه ثمّ إلى ابنه حتّى انتهى إلى زيد - هو زيد بعينه، وله إدراك زيد وعقله وضميره وسمعه وبصره، وهو الذي يتوجّه إليه التكليف وتتمّ له الحجّة، وتحمّل عليه العهود والمواثيق، ويقع عليه الثواب والعقاب.

وقد صحّ بالحجّة القاطعة من طريق العقل والنقل أنّ إنسانيّة الإنسان بنفسه التي هي أمر وراء المادّة، حادث بحدوث هذا البدن الدنيويّ، وقد تقدّم شطر من البحث فيها.

على أنّه قد ثبت بالبحث القطعيّ أنّ هذه العلوم التصديقيّة البديهيّة والنظريّة، ومنها التصديق بأنّ له ربّاً يملكه ويدبّر أمره، تحصل للإنسان بعد حصول التصرّوات، والجميع ينتهي إلى الإحساسات الظاهرة والباطنة، وهي تتوقّف على وجود التركيب الدنيويّ المادّيّ. فهو حال العلوم الحسوليّة التي منها التصديق بأنّ له ربّاً هو القائم برفع حاجته... إلى أن قال - بعد ذكر وجوه آخر من هذا القبيل - : لكن الذي أحال هذا المعنى (أي عالم الدّر) هو استلزامه وجود الإنسان بها له من الشخصية الدنيويّة مرتين في الدنيا، واحدة بعد أخرى، المستلزم لكون الشيء غير نفسه بتعدّد شخصيته<sup>(١)</sup>.

وفيه: أنّ هذه الاستباعات مبنيّة على كون شخصيّة الإنسان متكوّنة في هذا العالم، وكون النفس جسمانيّة الحدوث وروحانيّة البقاء، وهو أحد المسالك في باب الروح<sup>(٢)</sup>، وفي قبالة مسلك القائلين بسبق الأرواح على الأجساد، مع القول بقدمها زماناً (وهو قول أفلاطون ومن تبعه). وفي قبالة المسلكين ما يظهر من الروايات المباركات من سبقها على الأجساد مع القول بحدوثها زماناً<sup>(٣)</sup>.

١. تفسير الميزان ٨ : ٣١٥.

٢. قاله ملا صدرا والسبزواري، ونسبه الثاني إلى كثير من العرفاء. الأسفار ٨ : ٣٩٥؛ شرح المنظومة ٢ : ٧٩٠-٧٩١.

٣. فالنفس على هذا القول جسمانيّة حدوثاً وبقاءً، لكن لا بمعنى أنّها من أجزاء البدن وعوارضه



وفي جواب قوله: إنه يلزم منه تعدّد شخصيّة الإنسان، نقول: إن شخص الإنسان عبارة عن روحه وبدنه الواجد لها، وليست شخصيّة إلا ذلك، وأما عقله وشعوره فهو من مواهب الله تعالى، خارج عن ذاته، قد يعطيه إياه، وقد يسلبه عنه، فإذا سلب عنه المعرفة والعقل والشعور فليس معناه انتفاء شخصيّة بل يكون حاله كحال وهو نائم (فيما إذا لا يرى الرؤيا ولا يدرك في المنام شيئاً)، فإن الإنسان في تلك الحال موجود بشخصيّة، إلا أنه سلب عنه الإدراك، فلا يلتفت إلى شيء ولو إلى وجوده، وكذا إذا عرضت له حالات من الإغماء ونحوه.

وفي محلّ الكلام نقول: لو كان الأمر على ما هو ظاهر من الروايات فأبى إشكال يلزم على القول بثبوت عالم الذرّ، كما هو صريح الروايات؟

وهو أن الله خلق بدن زيد - مثلاً - في عالم الذرّ في نهاية الصغر بصورة خاصّة، وتعلّق به الروح الخاصّ، ووهبه العقل والمعرفة بحيث أدرك نفسه وعرفها بالمخلوقيّة والحدوث، وعرف ربّه بوضوح وعائنه بما له من المعنى المناسب له - وهو ظهور ذاته تبارك وتعالى بنفسه لعبده بلا كيف، لا بالتصوّر، ولا بمعنى الفناء الذي يقولون به - فأقرّ به، وأخذ عليه العهد والميثاق، وبقي أثر هذه المعرفة والمعانيّة في روحه، ثمّ سلب عنه العقل والشعور، وانتقلت الذرّة إلى الأصلاب والأرحام، ثمّ في هذه النشأة ينتقل

---

كما يقوله المادّيون، ولا بمعنى أنها تحدث بحدوث البدن في حركته الذاتيّة كما يقول صدر المتألمين، بل بمعنى أنها جسم لطيف مخلوق من المادّة الأوّليّة - التي أنشأها الله تعالى لا من شيء - وأن لها خلقاً سابقاً ووجوداً مستقلاً عن البدن وركبت معه بالتركيب الصناعيّ الانضماميّ لا التركيب الطبعيّ الاتّحادي، ونور العقل يفاض على النفس بلا اتّحاد بينهما ولا زوال لمغايرتهما، وهنا قول رابع ذكره السبزواريّ في حاشية شرح المنظومة وهو أن تكون النفس روحانيّة الحدوث جسمانيّة البقاء، قال: وهذا في بعض النفوس على قول التناسخيّة؛ شرح المنظومة ٢: ٧٩١.

ذلك البدن المشبّه بالذرّ من صلب الأب إلى رحم الأمّ، وينمو بالتغذية والتربية، ويسير سيره المشهود، ويعطيه العقل والشعور، وقد نسي مواقفه السابقة، كما أنّ الإنسان في حال الرؤيا ينسى مواقفه في اليقظة، فكأنّها لم تكن أصلاً. وكما أنّه كثيراً ما ينسى ما رآه في المنام مع وحدته الشخصية في كلتا الحالتين.

نعم، لو كان المبنى هو القول بالحركة الجوهرية، وأنّ النفس جسمانية الحدوث وروحانية البقاء تحدث بحدوث البدن ثمّ تتحرّك إلى جانب الكمال حتّى تتجرّد عن المادية لّلزم الإشكال.

ولكنّه - كما مرّ - فرضية محضة تدفعها الروايات الكثيرة الدالة على سبق خلقه الأرواح على الأجساد<sup>(١)</sup>، والروايات الدالة على أنّ جميع المخلوقات مخلوقة من مادة واحدة مستمّة بالماء، وقول الرضا صلوات الله عليه الدالّ على أنّ اختلاف المخلوقات بالأعراض والحدود المختلفة<sup>(٢)</sup> الظاهر في الحدّ بمعناه اللغوي لا الاصطلاحيّ في مقابل الرسم، فيدلّ على أنّ الصور النوعية عرضية لا جوهرية<sup>(٣)</sup>، كما تشهد عليه

١. البحار ٥٨: ١٣١ - ١٤١.

٢. البحار ٥٤: ٤٧؛ وانظر التنبيه الأوّل من تنبيهات المعاد. ص ٢٩٤.

٣. قالت الفلاسفة: إنّ في الجسم جهتي فعل وقوة، فما هو به بالفعل صورة وما هو بالقوة هيولى، وقالوا: إنّ الهيولى لا توجد بدون الصورة الجسميّة - وهي كون الشئ بحيث يقبل الأبعاد الثلاثة - والصورة الجسميّة لا توجد بدون الصورة النوعية؛ ثمّ إنهم اختلفوا في جوهرية الصور النوعية، فقال بجوهريتها المشائون وصدّر المتألمين ومن تبعه من المتأخرين، ونسب القول بعرضيتها إلى كثير من الأقدمين كهرمس وفيثاغورس وأفلاطون وحكاهم الفرس والرواقيين ومن تبعهم كالشيخ الإشراقي (وحكي عنه أيضاً القول بنفي الهيولى بناءً على أنّها قوة ومرجع القوة إلى الفقدان)؛ فعلى مذهب المشائين إذا تبدلت صورة إلى صورة أخرى تخالفها نوعاً، بطل

ببطلانها الجسم ثم حدثت جسميّة أخرى بحدوث الصورة التالية. والمراد من الجسم هنا غير الهوي لأن الهوي لا تبطل ببطلان الصورة الجسميّة لكونها عندهم قوّة محضة، بخلاف الصورة الجسميّة فإنّها تبطل ببطلان الصورة النوعية إذ هي فعلية محضة ولا يمكن أن تكون بوحدتها الشخصية معلولة للصور النوعية المختلفة. وعلى مسلك صدر المتأهّين القائل بالحركة الجوهرية لا يحصل التبدّل في الحقيقة، لأنّ الجوهر المادّي متحرّك في صورها باللبس بعد اللبس وليس هناك إلا صورة واحدة ممتدّة سيّالة تنتزع من كلّ حدّ من حدودها ماهية تختلف نوعاً أو فرداً عمّا تنتزع من الحدّ الآخر، ففي تبدّل الأنواع كالمسخ لم تبطل إنسانية الإنسان بل هو في الحقيقة إنسان بصورة الحيوان، وبعبارة أخرى هي صورة على صورة؛ فراجع الأسفار ٥: ١٥٧. والعجب أنّ بعض الأعاضم مع أنّه من القائلين بالحركة الجوهرية قال في مسألة جوهرية الصور النوعية وبيان تبدّل الأنواع: إنّه يبطل الجسم الأوّل وتحدث جسميّة أخرى، فكأنّه مشى هناك على طريقة المشائين، كما نبّه عليه في التعليقة بعض الأفاضل؛ انظر: نهاية الحكمة ١: ١٨٣؛ وسيأتي المصادر التي نوقش فيها أدلّة جوهرية الصور النوعية، ولا مجال هنا لذكر تلك الأدلّة ومناقشاتها ولهذا نقتصر على توضيح لمختار المؤلف في هذه المسألة، وهو أنّ الاستفادة من الأدلّة الثقلية المعتبرة أنّ الله تعالى خلق بمشيئته - وهي حادثة ومن صفات الفعل - جوهرًا سيّالاً - وخلق به بالإبداع ولا من شيء - سُمّي في كثير من الروايات بالماء وفي بعضها بالنور وفي آخر بالهواء (ولكلّ اسم وجه لكنّه غير المسمّيات المحسوسة فإنّها مخلوقة من هذا الجوهر)، وهو أمر فعلي واقعي وله تحقّق خارجي وليس قوّة محضة، وهو قابل للحقوق عرض الاتصال والانفصال والعروض كلّ صورة عليه، وهو بعد مشيئته تعالى أوّل المخلوقات من الجسمانيات، وخلق الله تعالى منه جميع الأشياء من السماء والأرض والجنّة والنار والجنّ والإنس والروح والبدن وغيرها، فالصور النوعية الطارئة على هذا الجوهر الأوّل عرضية، والآثار المختلفة في الأنواع تنشأ من قبل الأعراض المختلفة، وإذا ثبت أنّ حقيقة الأجسام مادة واحدة وأنّ اختلافها بالأعراض فلا مانع من تبدّل الأنواع، إذ لا إشكال في تبدّل الأعراض ولا خلاف بين الفلاسفة في وقوع الحركة فيها. ولا يخفى أنّ الروايات في تعيين المخلوق الأوّل مختلفة الظواهر، وسيأتي وجه الجمع بينها

الآيات الدالة على مسخ بعض الأمم السابقة بالقردة والخنازير<sup>(١)</sup>، وصيرورة النار برداً وسلاماً على إبراهيم<sup>(٢)</sup>، وكذلك الآيات والروايات الواردة في معجزات الرسول الأكرم والأئمة عليهم السلام، منها صيرورة الصورة المحضة أسداً<sup>(٣)</sup>، وصيرورة الملك الذي لقم الميثاق الحجر الأسود<sup>(٤)</sup>، وصيرورة بعض خلفاء بني مروان بصورة الوزغة<sup>(٥)</sup>، وغير ذلك من الروايات المتواترة بالتواتر الإجمالي.

وقد حُررَ في محلّه أن الأدلة التي استُدلّ بها على تجرّد الروح عن المادّة وعوارضها<sup>(٦)</sup>، وعلى جوهرية الصور النوعية كلّها مدخولة<sup>(٧)</sup>.

ومحصل الكلام أن كيفية بدء خلق الإنسان ممّا ليس للعقل إليه سبيل، ولا يمكن استكشافها ممّا نرى في هذه النشأة من انعقاد النطفة فيها، هل هي مبدأ خلق الإنسان، أو له خلق سابق وحالات سابقة على هذه النشأة وهذه النطفة، فروحه الذي هو حقيقته كان مخلوقاً قبل جسده، وأصل جسده الذي كان محفوظاً مشخصاً في جميع حالاته كان مخلوقاً قبل النطفة، ولا يمكن للإنسان مع عجزه المشهود القول القاطع فيه، بل الطريق منحصر في إخبار الخالق عزّ وجلّ وحملته وحيه، وقد مرّ جملة منه.

---

في التنبيه الأوّل من تنبيهات المعاد. ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

١. البقرة (٢): ٦٥؛ المائدة (٥): ٦٠؛ الأعراف (٧): ١٦٦.

٢. الأنبياء (٢١): ٦٩.

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٧١، باب ٤١، الحديث ١؛ البحار ٤٩: ١٨٠ - ١٨٥.

٤. علل الشرائع ٢: ٤٣٠، باب ١٦٤، الحديث ١؛ البحار ٩٦: ٢٢٣ - ٢٢٥.

٥. الكافي ٨: ٢٣٢، الحديث ٣٠٥، البحار ٦: ٢٣٥.

٦. انظر مبحث المعاد، التنبيه الحادي عشر، ص ٣١٩.

٧. انظر بيان الفرقان (في معاد القرآن) ٣: ٥٦١ - ٥٦٥؛ ميزان الطالب: ٢٣٣ - ٢٣٦.

فتحصّل ممّا ذكرنا أنّه لا مانع عقلاً من سبق عالم الذرّ، وسبق خلقه الأرواح على الأجساد. فمع ورود رواية عن أهل البيت عليهم السلام على ثبوته لا يجوز للعالم الملتزم بمكتب الوحي ردّه، فكيف بها إذا قامت الروايات المتواترة معنى أو إجمالاً، مع صحّة السند ووضوح الدلالة المؤيّدّة بالآية المباركة.

**وأما الثاني، أي الإشكال على مقام الإثبات والاستدلال:**

فمنه: أنّه لو كانت الذرّيّة مأخوذة من ظهر آدم كما هو ظاهر الروايات لقال الله تعالى: وإذ أخذ ربك من آدم من ظهره ذرّيّته، ولم يقل من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم.

وفيه: أنّ إخراج الذرّيّة من ظهور بني آدم - كما هو ظاهر الآية - لعلّه إشارة إلى أنّ الله تعالى أظهر علمه بأنّ الشخص الفلاني يتولّد منه فلان، ومن ذلك الفلان شخص آخر، فعلى الترتيب الذي علم دخولهم في عالم التوالد والتناسل أخرجهم وميّز بعضهم من بعض، وأشهدهم على ربوبيّته، وأقرّوا له بذلك. وأمّا أنّه أخرج كلّ تلك الذرّيّة من صلب آدم فيكفي في الدلالة عليه قوله: من بني آدم، فإن فرض بني آدم فرض إخراجهم من صلب آدم.

فتحصّل منه أنّ الله أخرج أولاد آدم لصلبه من صلبه، ثمّ أولادهم من أصلابهم، ثمّ أولاد أولادهم من أصلاب أولادهم حتّى ينتهي إلى آخرهم، نظير ما يجري عليه الأمر في عالم التوالد والتناسل.

ولو سلّم أنّه ليس في لفظ الآية ما يدلّ على ثبوته ولا ما يدلّ على بطلانه نقول: إنّ الأخبار المتواترة قد دلّت عليه، فثبت إخراج الذرّيّة من ظهور بني آدم بالقرآن، وثبت إخراجها من ظهر آدم بالأخبار، ولا منافاة بينهما.

ومنه: أن إفادة الآية المباركة الإخبار عن أمر سابق - كما هو الوجه في الاستدلال بها - إنَّها هو بمقتضى كلمة «إذ» والفعل الماضي: «أخذ» و«أشهد» ولكن ربَّما يُستعمل الماضي ويُراد به المستقبل لتحقق وقوعه، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ... قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾<sup>(١)</sup>. وربَّما يُستعمل ويراد به الإخبار عن السنَّة المستمرة فيما مضى وما يأتي.

فيحتمل أن يكون المراد من الآية هو المعنى الأخير، أي إنَّ السنَّة المستمرة فيما مضى وبأبي كذا، بأن يُحمل الإشهاد والإقرار على المعنى المجازي، بأن يقال: إنَّ الله يخرج نُطفَ بني آدم من أصلاب الرجال إلى أرحام النساء، وينشئها خلقاً سويّاً، ويجعل فيهم آثار صنعه وحكمته وقدرته، ويمكنهم في الدنيا من معرفة دلائله، فيكون ذلك بمنزلة إشهادهم على ربوبيّته وأخذ الإقرار منهم عليها.

وبعبارة أخرى: إنَّهم يشهدون ويقولون بلسان الحال: بلى، نظير قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وكما يقول القائل: جوارحي تشهد بنعمك.

أو يُجملان على معناهما الحقيقي ولكن يقال بأنَّ المراد من ذرّيّة بني آدم خصوص أولاد المشركين ممَّن أكمل عقولهم وأرسل إليهم الأنبياء، فأمنوا بهم وأقروا بالربوبية لله تعالى، وهو الذي نسبة الطبرسيّ إلى الجبائيّ والقاضي<sup>(٣)</sup>.

١. المائدة (٥) ١١٦، ١١٩.

٢. فصلت (٤١) ١١.

٣. مجمع البيان ٢: ٤٩٨.

أو يقال: إن المراد جماعة من ذرية بني آدم، وهو خصوص قوم خلقهم الله وأشهدهم على أنفسهم بعد أن أكمل عقولهم وأجابوه بـ «بلى»، وهم اليوم يذكرونه ولا يغفلون عنه، ولا يكون ذلك عامّاً في جميع العقلاء.

وفيه: أنّ جميع ما ذكر مخالف لظاهر الآية المباركة من جهة ظهورها في إخراج جميع العقلاء من ذرية بني آدم، لا خصوص المؤمنين بالأنبياء، ولا خصوص من لهم آباء مشركون، كما أنّ المناسب لإرادة السنة المستمرة التعبير بالفعل المضارع، نظير قوله: ﴿وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾<sup>(١)</sup>، و ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾<sup>(٢)</sup>، ونحوهما، ولا يناسبه التعبير بالفعل الماضي، مضافاً إلى أنه طرح للروايات الكثيرة.

ومنه: أنّ ما استظهر من الآية المباركة ومن الروايات المباركات معارض لقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ \* خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ﴾<sup>(٤)</sup>، وأمثالها من الآيات، فلو كان مخلوقاً قبل ذلك فلا يكون مخلوقاً من ماء دافق.

وفيه: أنه بملاحظة قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ \* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ \* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا \* ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ

١. الروم (٣٠) ٢٤.

٢. الرعد (١٣) ٣٩.

٣. الطارق (٨٦) ٦، ٥.

٤. المرسلات (٧٧) ٢٠.

٥. المؤمنون (٢٣) ١٢، ١٣، ١٤.

فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴿١١﴾، الصريحين في الترتيب الزماني يظهر أنّ خلق الإنسان من النطفة لا ينفي كونه مسبوقاً بخلقة أخرى<sup>(١)</sup>، منتقلاً من صلب إلى رحم، ومن رحم إلى صلب حتى يستقرّ في صلب أبيه الذي يتولّد منه بصورة النطفة، كما تشهد بذلك للمعصومين عليهم السلام بقولنا: أشهد أنّك كنت نوراً في الأصلاب الشاخحة والأرحام المطهّرة<sup>(٢)</sup>.

ويدلّ على ما ذكرنا قول أبي عبد الله الحسين صلوات الله عليه في دعاء يوم عرفة: فابتدعت خَلْقِي مِنْ مَنِيّ يُمْنِي وَأَسْكَنْتَنِي فِي ظُلُمَاتِ ثَلَاثٍ ... الدعاء. فإنّ الخلق المتبدّع من المنّي هو الخلق المنشأ من الأغذية، وهو لا ينافي خلقاً آخر له من قبل ذلك من التراب المخلوقة منه الأبدان الذريّة. كما يظهر من مجموع كلامه عليه السلام: ابتدأتني بنعمتك قبل أن أكون شيئاً مذكوراً، خلقتني من التراب ثمّ أسكنتني الأصلاب آمناً لريب المنون واختلاف الدهور والسنين، فلم أزل ظاعناً من صلب إلى رحم في تقادم من الأيام الماضية والقرون الخالية، ولم تخرجني لرأفتك بي ولطفك لي وإحسانك إليّ في دولة أئمة الكفر الذين نقضوا عهدك وكذبوا رسلك، لكنك أخرجتني للذي سبق لي من الهدى الذي له يسرتني، وفيه أنشأتني، ومن قبل ذلك رؤفت بي بجميل صنعك وسوايغ نعمك، فابتدعت خلقي من منّي يُمْنِي ...<sup>(٣)</sup>، فإنّه كالصريح في الترتيب

١. الزمر (٣٩) .٦

٢. يدلّ على ذلك أيضاً الآيات من سورة الحجّ (٢٢) ٥؛ فاطر (٣٥) ١١؛ غافر (٤٠) ٦٧، بلا حاجة إلى تكلف الحمل على خلقه آدم عليه السلام. فتدبّر.

٣. انظر البحار ٩٧: ١٨٧، ٢٠٣؛ مفاتيح الجنان ٣٢٩، في زيارة النبي عليه السلام و عليه السلام، ٣٣١، زيارة أئمة البقيع عليهم السلام، ٤٣١، زيارة الحسين عليه السلام المعروفة بـ «زيارة وارث».

٤. الإقبال ٣٤٠: البحار ٩٥: ٢١٦.



والتأخر الزماني، وحمله على الرتبيّ - كما عن بعض - كما ترى.

تنبيه: استغناء نور العلم في كشفه عن وجود المعلوم

من كمال نور العلم أنّه لا يحتاج في كاشفيّته إلى وجود المعلوم، بل إنّهُ يكشف الأمور الماضية والمستقبلية والتقديرية مع أنّه لا وجود لها في زمان الحال، وكذا يكشف العدم المضاف في ظرف واقعيّته، ويكشف العدم المضاف في ظرف واقعيّة نقيضه، وهو الوجود المضاف مع أنّه لا واقعيّة له بوجه، وإلاّ فإنّه يلزم اجتماع النقيضين، ولذا يجبر بالخبر الصادق عن نقيض الوجود في ظرف الوجود في قولنا: هذا ونقيضه لا يجتمعان، مع عدم الواقعيّة لنقيض الوجود الخاصّ في ظرف هذا الوجود الخاصّ.

وكذا يكشف العدم المطلق مع أنّه لا واقعيّة له بوجه من الوجوه في ظرف الوجود.

وذلك كلّهُ لاستغناء العلم في كاشفيّته عن وجود المعلوم. وبعبارة أخرى: إنّهُ كاشف عن الواقعيّات، موجودةً كانت أو معدومة، وجوداً أو عدماً، مضافاً أو مطلقاً، ولذا يجبر عنها وبها بما لها من الواقعيّة<sup>(١)</sup>.

---

١. مقتضى اشتقاق الواقعيّة من النوقوع اختصاصها بالوجود لكنّها في الاصطلاح بمعنى ما هو في الواقع ونفس الأمر سواء أكان موجوداً أم معدوماً، فواقعيّة كلّ منهما بحسبه، والعلم كاشف عن الواقعيّات. ولا فرق في إطلاق كاشفيّة العلم واستغنائه عن وجود المعلوم بين علم الخائق - جلّ وعلا - وعلم المخلوق إلاّ أنّ علمه تعالى عين ذاته القدّوس، فعلمه كذاته أزليّ أبديّ ولا منتهى له، وعلم المخلوق كذاته حادث قائم بالغير وممتناه ومحدود، وعلى هذا فالاشتراك بين علم الخائق والمخلوق في أصل نفي الجهل عن الواقعيّات.

تنبيهات في المبدأ / ١٩٣

وحصول ذلك لنا في مورد أو موارد دائر مدار إذن الحق المتعالي في وجداننا مراتب العلم.

وأما ذاته تعالى فحيث إنه عين العلم فهو لا يزال كذلك، أي علمه بالشيء قبل تحقّقه كعلمه به بعده.

ففي التوحيد بسنده عن ابن مسكان عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لم يزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم، والسمع على المسموع، والبصر على المبصر، والقدرة على المقدور. قال: قلت: فلم يزل الله متكلمًا؟ قال: إن الكلام صفة محدثة ليست بأزليّة، كان الله عز وجل ولا متكلم<sup>(١)</sup>.

قوله عليه السلام: «وقع العلم على المعلوم» أي وقع العلم على ما كان كاشفًا عنه قبل وجوده<sup>(٢)</sup>.

ومنه تظهر قوّة احتمال كون المراد من رواية أخرى في التوحيد بسنده عن حماد بن عيسى قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت: لم يزل الله يعلم؟ قال: أتى يكون يعلم ولا معلوم؟! قال: قلت: فلم يزل الله يسمع؟ قال: أتى يكون ذلك ولا مسموع؟! قال: قلت: فلم يزل يبصر؟! قال: أتى يكون ذلك ولا مبصر؟! قال: ثم قال: لم يزل الله

١. التوحيد: ١٣٩، وعنه البحار ٤: ٧١. ورواه الكليني أيضًا في الكافي ١: ١٠٧، حديث ١.

٢. يعني انطبق العلم على المعلوم بعد حدوث الشيء فلا يحدث بحدوث الشيء علم جديد. والروايات في إثبات العلم بلا معلوم كثيرة ومن أراد تفصيل هذا البحث فليراجع بيان الفرقان (في توحيد القرآن) ١: ٢٦٩ - ٣٠٥، (تحقيق مدرسة ولي عصر عليه السلام).

عليماً سمياً بصيراً، ذات علامة سمعية بصيرة<sup>(١)</sup>، - كما أشار إليه العلامة المجلسي<sup>(٢)</sup>:  
السؤال عن العلم بوجود الشيء وحضوره، بأن يكون المعلوم حاضراً موجوداً، مع أنه  
لم يوجد بعد، فنفي<sup>(٣)</sup> خصوص ذلك، كما يؤيده أنه<sup>(٤)</sup> أثبت كونه تعالى متصفاً  
بالعلم أولاً مع أنه لا وجود للمعلوم ولا حضور.

وكذلك الكلام في السمع والبصر بعد وضوح كون المراد بالنسبة إليه تعالى العلم  
بالمسموعات والمبصرات بذاته لا بالآلة. وحاصله أن المراد من أنه يسمع إن كان أنه  
يسمع الصوت الموجود خارجاً فظاهر أنه منفي بانتفاء الموضوع، كما دلّت عليه  
الرواية، وقوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ...﴾<sup>(٥)</sup>. ومفهوم قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ  
فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾<sup>(٦)</sup>. وإن كان المراد العلم بالصوت قبل تحقق الصوت فهو  
ثابت، كما دلّ عليه ذيل الرواية، وكذا رواية أبي بصير.

ومما يدلّ على المطلب ما أورده العلامة المجلسي<sup>(٧)</sup> في باب العلم وكيفيته من  
الآيات والروايات في المجلد الثاني من بحار الأنوار<sup>(٨)</sup>.

ومنها قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ  
إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾<sup>(٩)</sup>.

١. التوحيد: ١٣٩، وعنه البحار ٤: ٧٢.

٢. آل عمران (٣) ١٤٢.

٣. الأنفال (٨) ٢٣.

٤. من الطبعة الحجرية، ويقابله في الطبعة الجديدة ٤: ٧٤.

٥. البقرة (٢) ٢٥٥. في تفسير «ما بين أيديهم وما خلفهم» أقوال:

١- إن المراد بالأول الأمور الماضية وبالثاني الأمور الآتية.

٢- عكس ذلك.

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي التوحيد بسنده عن الحسين بن بشار عن ثامن الأئمة صلوات الله عليه، قال:

سألته: أيعلم الله الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون، أو لا يعلم إلا ما

يكون؟ فقال: إن الله تعالى هو العالم بالأشياء قبل كون الأشياء، قال الله

عز وجل: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال لأهل النار: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا

لِمَا هُمْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، فقد علم الله عز وجل أنه لو ردهم لعادوا لما هُموا

عنه<sup>(٦)</sup>.

٣- المراد بالأول الأمور الحاضرة وبالثاني الأمور الآتية.

انظر مجمع البيان ١: ٣٦٢؛ آلاء الرحمن ١: ٢٤٧؛ بيان الفرقان ١: ٢٨٠.

١. الرعد (١٣) ٨.

٢. الحجر (١٥) ٢٤.

٣. لقمان (٣١) ٣٤.

٤. الجاثية (٤٥) ٢٩. صدر الآية: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ والمشهور بين المفسرين أن

المراد بالكتاب ديوان الحفظة، وقيل: المراد بالكتاب اللوح المحفوظ يشهد بما قضي فيه من خير

وشر، وعلى هذا يكون معنى ذيل الآية أن الحفظة تستنسخ الخزنة ما هو مدون عندها من أحوال

العباد، وهو قول ابن عباس؛ قال العلامة المجلسي<sup>(ع)</sup>: بناء استشهاد الإمام<sup>(ع)</sup> بالآية على

المعنى الثاني. مجمع البيان ٩: ٨٠، البحار ٤: ٧٩.

٥. الأنعام (٦) ٢٨.

٦. التوحيد ١٣٦، وعنه البحار ٤: ٧٨.

### تنبيه

قد علمت فيما مضى أنّ حقيقة العلم نور مغاير لذواتنا ولجميع المعلومات بالحواس الظاهرة والمتصورات والمهومات والمعقولات. وصيرورتنا عالمين بالشيء إنّما هو بوجداننا ذلك النور الظاهر بذاته المظهر لغيره، واستضاءتنا به، فنحن محتاجون في ظهور الأشياء - بل في ظهور أنفسنا - إلى ذلك النور. وأمّا الله تعالى فحيث إنّ ذاته عين العلم فلا يحتاج في ذاته وكمالاته إلى صفة زائدة على ذاته، وهذا معنى قول العلماء بنفي الصفات الزائدة عنه تعالى، أي لا يكون ذاته مركباً من أجزاء ومعانٍ، فإنّ المركب يحتاج كلّ جزء منه في قوامه إلى الجزء الآخر، والذات الأزليّ منزّه عن ذلك الاحتياج أيضاً.

### من الكمالات: القدرة

وهي الاستيلاء والسلطنة على طرفيّ فعل الشيء وتركه، بحيث إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، وهي كمال فوق القوّة، وإن كان قد يطلق لفظها عليها، فإنّ المنصرف من القوّة هو التمكن من فعل الشيء، ويقابله الضعف، ومن القدرة التمكن من فعل الشيء وتركه، ويقابله العجز، يقال للجدار مثلاً إنّهُ يقوى على حمل السقف، ولا يقال إنّهُ يقدر عليه إلاّ تنزيلاً.

### تنبيه

قد مرّ في بيان حقيقة العلم أنّه نور خارج عن حقيقة المخلوقات في عين إحاطته بها ظاهراً وباطناً دائماً، وأنّ صيرورتها عالمة وشاعرة بشيء - حتّى بذاتها - إنّما هي بوجدانها إيّاه واستضاءتها به وتحملها له بتحميل الله تعالى - كما يظهر من قوله ﷻ في

الماء الذي هو مادّة جميع المخلوقات: إنّ الله عزّ وجلّ حمّل دينه وعلمه الماء<sup>(١)</sup> - من غير تغير في ذات العلم ولا تركيب بينها وبينه، بل التغير فيها لا فيه، فتارة تجده وتستضيء به فتعلم، وأخرى تفقده من غير تحايف فتجهل، كما هو مقتضى ذواتنا، ونحن نجد هذا الوجدان والفقدان في أنفسنا وإن لم نعرف حقيقة العلم ولا كفيّة وجداننا إيّاه. والظاهر أنّ القدرة من كمال هذا النور<sup>(٢)</sup>، كما يؤيدّه أنّ الإنسان ربّما يكون عالماً بشيء مع عدم القدرة عليه، ولا يكون قادراً عليه إلا أن يكون عالماً به، ويلوح كونها حقيقة واحدة من قوله ﷺ: العرش ليس هو الله، والعرش اسم علم وقدرة<sup>(٣)</sup>، فتدبر، والله العالم.

وصيرورة الإنسان قادراً على شيء إنّما هو بوجدانه إيّاه بالنسبة إلى ذلك الشيء وعجزه بفقده - كما مرّ في العلم - وإنّا نجد من أنفسنا هذا الوجدان والفقدان وإن لم

---

١. البحار ٥٤: ٩٥، عن الكافي.

٢. قد يستظهر ذلك من قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ النمل (٢٧) ٤٠؛ ووجه الاستظهار دلالة صلة الموصول - وهي عنده علم من الكتاب - على أنّ القدرة على الإتيان حصلت من قبّل علمه، فصيرورته قادراً عليه نشأت من كمال العلم الذي كان عنده؛ وروي عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه أنّه قال: «العلم سلطان، من وجده صالح به ومن لم يجده صيل عليه» شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ٣١٩، ح ٦٦٠، وأيضاً في حديث أمير المؤمنين ﷺ للجائليق - المتقدّم في ص ٣١ - فقرات تؤيد المطلوب، وظاهر كلام المؤلف رحمه الله هنا أنّ النسبة بين العلم والقدرة العموم والخصوص مطلقاً كالحیوان والإنسان، لكنّه صرح في أواخر الكتاب بعينية العلم والقدرة وسائر الكمالات النورية، فلعل المراد العينية في أصل الحقيقة التي يعبر عنها بالنسخية، فلاحظ وتأمل.

٣. راجع ص ٣٣.

نعرف حقيقة القدرة ولا كيفية وجداننا إيّاها.

وأما في الله تعالى فإنّها عين العلم، وكذلك سائر الكمالات كلّها عين ذاته بلا تركيب. ومما استدلّ به لنفي التركيب في ذاته تعالى: أنّ التركيب انضمام الشيء بالشيء الآخر، والمركّب متقوم بأجزائه محتاج كلّ جزء منه إلى انضمامه إلى الجزء الآخر، وهذا الانضمام الذي يحتاج المركّب إليه صفة حادثة، كما يظهر ذلك من إمكان زواله. وهذه الصفة لا تخلو إمّا أن تكون ذاتية للمركّب أي ملازمة له ذاتاً، فملازم الحوادث ذاتاً حادث، أو عارضة فيحتاج عرضها إلى علّة؛ لبدهة عدم إمكان حدوث شيء بلا علّة، والعلّة إن كانت أمراً بسيطاً - أي غير مركّب - فينبغي أن يكون هو الأصل الأزليّ الذي يحتاج المركّب إليه، لا المركّب المحتاج، وإن كانت أمراً مركّباً فيُنقل الكلام المذكور إليه.

وعن العيون بسنده عن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن عرفة قال: قلت للرضا عليه السلام: خلق الله الأشياء بالقدرة أم بغير القدرة؟ فقال: لا يجوز أن يكون خلق الأشياء بالقدرة، لأنك إذا قلت: خلق الأشياء بالقدرة فكأنك قد جعلت القدرة شيئاً غيره، وجعلتها آلة لها بها خلق الأشياء، وهذا شرك... بل هو سبحانه قادر لذاته لا بالقدرة<sup>(١)</sup>.

تنبيه

القدرة إنّما تتعلّق بشيء ممكن في ذاته دون الممتنع، كالجمع بين التقيضين، وليس ذلك نقصاً فيها، بل النقص في المتعلّق وهو امتناعه ذاتاً، وهذا هو المراد من رواية ابن

تنبيهات في المبدأ / ١٩٩

أذينة عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قيل لأمر المؤمنين عليهم السلام: هل يقدر ربك أن يدخل الدنيا في بيضة، من غير أن تصغر الدنيا أو تكبر البيضة؟ قال: إن الله تعالى لا يُنسب إلى العجز، والذي سألتني لا يكون<sup>(١)</sup>.

وفي روايات أخر أوردتها في البحار<sup>(٢)</sup> جوابان آخران مرجعها إلى بيان أن ما يمكن في مورد السؤال أمران: أحدهما أن يصغر الكبير أو يكبر البيضة، والثاني انطباق صورة الكبير في عدسة العين، أو إحاطة الشعاع الذي قاعدته في العدسة على الكبير، على أحد القولين في كيفية الإبصار، وأن الله تعالى قادر عليها جميعاً، وعدم التصريح فيها بعدم تعلق القدرة بالمحال - كما صرح به أمير المؤمنين عليه السلام في الرواية المتقدمة وبينه الإمام الصادق عليه السلام لعمر بن أذينة - لعله إما لكون السائل معانداً، فيتشبه بقوله: الذي سألتني لا يكون لإثبات قصور القدرة وعجزه تعالى، أو لكونه قاصر الفهم فيتوهم ذلك من كلام الإمام عليه السلام.

تنبيه

القدرة بالمعنى المذكور كمال وجودي نجده في بعض الأحيان بالنسبة إلى بعض الأفعال، ولا بد من إثباتها بلا حد في الحق المتعالي بالنسبة إلى جميع الأفعال، كما هو المصرح به في قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»، في مقابل الاضطرار إلى أحد طرفي الفعل والترك الذي هو نقص وعجز ومحدودية، يجب عقلاً تنزهه تعالى عنه<sup>(٣)</sup>.

١. البحار ٤: ١٤٣، عن التوحيد.

٢. البحار ٤: ١٤٣.

٣. في قوله تعالى: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا

قَدِيرًا» فاطر (٣٥) ٤٤، إشارة إلى هذا الحكم العقلي، فتدبر.



### أدلة القائلين بالجبر والجواب عنها

هنا وهم لا بدّ من التعرّض له والجواب عنه، وهو أنّ القدرة بالمعنى المذكور ممّا لا يمكن الالتزام به لا في الخالق ولا في المخلوق، فإنّه ما لم يكن لأحد طرفيّ فعل الشيء وتركه مرجّح يكون ترجيحه على الطرف الآخر ترجيحاً بلا مرجّح، وهو محال، ووجه استحالته أنّ الشيء الذي يريد أن يفعله الفاعل ولم يفعله بعد، نسبه إلى طرفيّ الفعل والترك سيّان، فإن كان لأحدهما مرجّح فيه<sup>(١)</sup> تتمّ فاعليّة الفاعل فيقع لا محالة، وإلا لم يمكن وجوده، لعدم تامة العلة، فيكون وجوده مع عدم تامة العلة من قبيل وجود المعلول بلا علة.

توضيحه: أنّ مقتضى تعريف القادر بأنّ الذي له السلطنة على طرفيّ الفعل والترك، إن شاء فعل، وإن شاء لم يفعل، تعليق الفعل على المشيئة، والمشيئة إن كانت حادثة فلا بدّ لها - كما في سائر الحوادث - من العلة، ولا بدّ للعلة من كونها أمراً ذاتياً أزلياً أو منتهياً إليه، وإلا لزم التسلسل. ولذا جعل بعضهم المشيئة في الله تعالى العلم بالأصلح، وفي المخلوق الشوق الأكيد المنتهية علة إلى مشيئة الله الأزليّة، بل قال إنّ نسبة فعل كلّ فاعل إلى الله تعالى - الذي هو علة العلة - أولى من نسبه إلى الفاعل بالمباشرة، وبعض أنها في العباد إلى سعادتهم وشقاوتهم الذاتيّة، والذاتيّ لا يُعلّل، وقال: إنّ الله لم يجعل السعيد سعيداً والشقيّ شقيّاً وإنّها أوجدتهما، وبهذا يرفع استناده إليه تعالى<sup>(٢)</sup>.

والجواب عنه مضافاً إلى بطلان تفسير المشيئة بالعلم بالأصلح، فإنّ المشيئة صفة

١. لعلّ الأنسب «فيه».

٢. انظر كفاية الأصول: ٦٨.

الفعل، والعلم صفة الذات<sup>(١)</sup>، ولذا يصح القول بأن الله لم يشأه ولا يصح القول بأنه لم يعلم إلا بعناية<sup>(٢)</sup>.

ومضافاً إلى بطلان تفسيرها في المخلوق بالشوق الأكيد - لما نجد من أنفسنا أننا وإن كنا مشتاقين إلى عمل غاية الاشتياق، فإنه لا يصدر منا إلا بالعزم لنا الوارد على جميع العلل التكوينية والشهوات والأشواق، وفاعله النفس بها لها من القدرة التي أعطاها الله إياها وإليها ينتهي فعلها، كما قال المحقق الطوسي: والضرورة قاضية باستناد أفعالنا إلينا<sup>(٣)</sup>، ومضافاً إلى بطلان ذاتية السعادة والشقاوة في الإنسان -:

أن المرجح أي العلة الفاعلية لمشيئة الفاعل، سواء تعلق بالفعل أو الترك، هو ذات الفاعل بما له من القدرة، كما يشهد بذلك أنه ربها لا يكون لأحد الفعلين من جهة الخاصية والصلاح والفساد، والحسن والقبح، والسهولة والصعوبة، وغيرها مزية على الفعل الآخر، ومع ذلك لا نجد لأنفسنا نقصاً في التمكن على كل من الفعلين، كما ربما لا يكون لفعل الشيء في الجهات المذكورة مزية على تركه. وفي هذا الفرض أيضاً لا نجد لأنفسنا نقصاً في التمكن من الفعل والترك، وفي الاستيلاء عليهما، بل ولا توقفاً في العمل. وفي صورة وجود المزية أيضاً نجد أنه لا تأثير لوجودها في مالكتنا وتمكّنتنا على كل من الطرفين، ولكن لوجود العقل الكاشف عن الحسن والقبح، والعلم

١. في صحيحة محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام: المشيئة محدثة. وفي رواية بكير بن أعين عنه عليه السلام:

العلم ليس هو المشيئة... الخبر (التوحيد ١٤٦، البحار ٥: ١٢٢) والروايات في أن المشيئة والإرادة من صفات الفعل كثيرة، تقدّم بعضها في ص ٩٧ - ٩٨.

٢. كما في هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ آل عمران (٣): ١٤٢؛ والمعنى لما يجاهد المجاهدون منكم، فنفى العلم بعناية عدم وقوع متعلقه في الخارج.

٣. كشف المراد: ٣٠٨.

بالمصلحة والمفسدة ووجود كمال الحكمة فينا لا نفعل المرجوح مع كمال القدرة على فعله، فنسبة سلطنة القادر تكويناً على طرفي الفعل والترك في جميع الصور متساوية، والمرجح لكّل منهما هو المشيئة والعزم منّا، وفاعل المشيئة نفس القادر بما له من صفة القدرة، فمن كمال القادر على شيء أنّه لا يحتاج في ترجيح فعله أو تركه على الطرف الآخر إلى غير مشيئته.

وبعبارة أخرى فيها توضيح للمطلب: أنّ العلة الغائية من المصلحة والحسن والسهولة وامتنال أمر المولى وغيرها في أحد الطرفين وعلم الفاعل بها لا توجب عجزه وقصور قدرته وتمكّنه تكويناً من الطرف الآخر، ولا نفى صحّة نسبة وجود الفعل أو عدمه على نحو الحقيقة إلى مشيئة الفاعل، وإلى فاعل المشيئة الذي هو نفس الإنسان بما له من القدرة والسلطنة، وإنّما توجب رجحانه العقليّ واستحقاق المدح والشكر أو الذمّ على فعله أو تركه، بل أحياناً استحقاق الثواب أو عقاب المولى، ووجود الداعي تكويناً في نفس الفاعل وإعطاء الله القدرة إيّاه وسيلة لامتحانه واختباره. والحاصل أنّ العلة الفاعليّة هو نفس الفاعل بما له من القدرة، ومشيئته وإرادته وعزمه فقط، وإليها تنتهي جميع أفعاله المقدورة، وإليها تُنسب حقيقة لا إلى الدواعي وموجدها.

بل ظهر ممّا ذكرنا أنّه لا بدّ له في القدرة والسلطنة من ثبوت المشيئة له، لما ذكرنا من أنّ نسبة القدرة إلى فعل الشيء وتركه على السواء، فلا بدّ لظهورها وتعلّقها بأحدهما من مخصّص، فلو كان المخصّص غير الفاعل القادر ثبت له الاحتياج في صدور الفعل عنه إلى ذلك الغير، أو كونه مسلوب القدرة، وهذا خُلف، بخلاف ما لو كان المخصّص مشيئته، وفاعل المشيئة نفسه، وهذا هو الغنى والكمال والقدرة، ونحن نجد

هذا الغناء الذي هو عطاء من الله تعالى بالنسبة إلى بعض الأفعال، وهو ثابت له تعالى بالنسبة إلى جميع الأشياء لكونه كمالاً، كما يشير إليه مثل قوله تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(١)</sup> ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(٢)</sup>، وقولهم ﷺ: ما شاء ربي كان وما لم يشأ لم يكن<sup>(٣)</sup>، يا مَنْ يفعل ما يشاء ولا يفعل ما يشاء أحدٌ غيره<sup>(٤)</sup>.

وبالتأمل في ما ذكرنا تندفع شبهات أوردوها في المقام، نذكرها ونذكر غيرها  
والجواب عنها:

منها: أن جميع الموجودات - سوى الله تعالى - ومنها البشر وأفعاله الاختيارية من الممكنات، ولا يصلح لجعل الممكن وإيجاده إلا واجب الوجود، فلا بد من استناد أفعال العباد إليه.

والجواب: إنَّ الجعل والإيجاد الذي لا يصلح لأحد سوى الله تعالى هو الجعل والإيجاد بذات الفاعل، وإيجاد البشر للفعل الاختياري ليس بذاته، بل بالقدرة التي أعطاها الله إياه. فالقبايح الصادرة عنه اختياراً ليست مجعولة له تعالى ولا مستندة إليه. وقد مرَّ عن المحقق الطوسي رحمه الله أنَّ الضرورة قاضية باستناد أفعالنا إلينا. وفي الرواية: ومن نسب إليه ما نهى عنه فهو كافر<sup>(٥)</sup>.

نعم، حيث إنَّ الإنسان كسائر الممكنات مجعول ومخلوق له تعالى شأنه، وجميع

١. آل عمران (٣) ٧٤.

٢. آل عمران (٣) ٧٣.

٣. البحار ١٠١: ٢٩٩، عن مصباح التهجد.

٤. الكافي ٢: ٥٤٩.

٥. البحار ٣: ٢٩٣، عن العيون.

كما لاته من العلم والقدرة وغيرهما عطاء من الله تعالى أعطاهما الله إياه ليطيعه بها لا ليعصيه، وأعطاه الله العقل أيضاً ليعرف به وجوب الطاعة، وأكدته وأرشد إليه بأمره بها، وهياً له أسبابها، ووعدته جزيل الثواب عليها .. يظهر بها صحّة القول بأن الله تعالى أولى بحسنات العبد منه، والعبد أولى بسيئاته منه تعالى، وإن كان كلٌّ من الطاعة والمعصية مستندةً إلى العبد، وفعلاً منه حقيقةً وصادراً عنه بقدرته ومشيئته لا من الله تعالى، ولا ينافي ذلك كون العبد ذا قدرة ومشيئة بمشيئة الله تعالى، فتدبر جيداً كي لا يختلط عليك الأمر.

فمن العياشي عن صفوان بن يحيى عن أبي الحسن عليه السلام قال: قال الله تبارك وتعالى: ابن آدم، بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء وتقول، وبقوتي أديت إليّ فرائضي، وبنعمتي قويت على معصيتي، ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك، وذلك آتي أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيئاتك مني، وذلك آتي لا أسأل عما أفعل وهم يسألون<sup>(١)</sup>.

وعن قرب الإسناد عن ابن حكيم عن البرزنجي، قال: قلت للرضا عليه السلام: إن أصحابنا بعضهم يقول بالجبر، وبعضهم يقول بالاستطاعة، فقال لي: قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم، بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبقوتي أديت إليّ فرائضي، وبنعمتي قويت على معصيتي، جعلتك سمياً بصيراً قوياً، ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك، وذلك آتي أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئاتك مني، وذلك آتي لا أسأل عما أفعل وهم يسألون، فقد نظمت لك

كل شيء تريد<sup>(١)</sup>.

وعن تفسير علي بن إبراهيم بسنده عن السكوني عن جعفر عن أبيه صلوات الله عليهما، قال: قال رسول الله ﷺ: ... إن الله يقول: يا ابن آدم، بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبارادتي كنت أنت الذي تريد لنفسك ما تريد، وبفضل نعمتي عليك قويت على معصيتي، وبقوتي وعصمتي وعافيتي أديت إلي فرائضي، وأنا أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بذنبك مني، الخير مني إليك بما أوليتك به، والشر مني إليك بما جنيت جزاء<sup>(٢)</sup>.

قال المجلسي رحمه الله: قوله تعالى: بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء، أي شئت أن أجعلك شائياً مختاراً، وأردت أن أجعلك مريداً، فجعلتك كذلك.

ومنها: أن الله تعالى كان عالماً بكل شيء، ومنه أفعال العباد، فيجب أن تقع أفعالهم على طبق علمه وإلا لزم جهله.

والجواب: إنه تعالى كما علم وقوع المعاصي والطاعات من العباد، علم قدرتهم فيها وأتهم يفعلونها بها، والعلم كاشف لها على ما هي عليه، وهذا معنى قول المحقق الطوسي: والعلم تابع<sup>(٣)</sup>. وفي رواية الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام: إن الله لم يجبر أحداً على معصيته، ولا أراد إرادة حتم الكفر من أحد، ولكن حين كفر كان في إرادة الله أن يكفر، وهم في إرادة الله وفي علمه أن لا يصيروا إلى شيء من الخير...<sup>(٤)</sup>.

١. البحار ٥: ٥٧، عن قرب الإسناد والتوحيد والعيون.

٢. البحار ٥: ٩٣.

٣. كشف المراد: ٢٣٠.

٤. الكافي ١: ١٦٢.

ومنها: أن علمه فعليّ وعيّي، فإنّ علمه عين ذاته التي حيث ذاتها العلية لكلّ شيء، فيجب أن يكون علمه أيضاً علّة لكلّ شيء ومنه أفعال العباد، فيجب وقوعها.  
والجواب: منع كون ذاته تعالى علّة لأفعال العباد الاختيارية، بل العلة مشيئة العبد القادر عليها بالقدرة التي أعطها الله إيّاه.

ومنها: أن الشيء ما لم يوجد - (بالفتح) أي ما لم يكن موجوداً - لم يوجد (بالكسر)، وحيث إنّه لا وجود حقيقيّ للممكنات في ذواتها فلا إيجاد لها حقيقة، فيكون الإيجاد مطلقاً - حتّى لأفعال العباد - له تعالى شأنه.

والجواب: يظهر مما مرّ من أنّ الإيجاد المخصوص بالله تعالى هو الإيجاد بذاته، وإيجاد العباد ليس بذواتهم، بل بالقدرة التي أعطها الله إيّاهم.

ومنها: أنّ أفعالنا معلولة لإرادتنا، والإرادة غير اختيارية، ولا يجوز العقاب على أمر غير اختياريّ.

والجواب: إنّ الإشكال إنّما يرد لو كانت الإرادة بمعنى الشوق الأكيد، وكانت هي بهذا المعنى العلة الفاعلية أو الجزء الأخير منها للفعل، والأمر ليس كذلك - كما مرّ - بل الإرادة هو العزم الوارد على الشوق، المتأخّر عنه، وهو العلة الفاعلية، والشوق ليس إلّا المقتضي والداعي، ولا بأس بانتهائه إلى الله، بل هو ممّا يمتحن الله به العباد.

ومنها: أنّ الاختيار - أي اختيار الفعل الذي هو علّة لوجود الفعل - يكون حادثاً، ولا بدّ له من محدث، ومحدثه إن كان باختيار آخر ممّا فيتسلسل الاختيار فينا، وإن لم يكن باختيار ممّا بل بالغير فنحن مجبورون في كلّ فعل على الاختيار الخاصّ، ولا بدّ من انتهاء اختيارنا إلى الاختيار الأزليّ فيلزم الاضطرار في الفعل، ولذا قال بعضهم: نحن مضطّرون بصورة الاختيار.

والجواب: إنَّ اختيارنا لكلِّ فعل - بمعنى عزمنا عليه - نحن مُحدِّثوه بالقدره التي أعطانا الله إياها، وإلينا ينتهي، وإلَّا لزم أن يكون اختيارنا هذا باختيار آخر، فإنَّ الفعل الاختياري الصادر منَّا في الخارج هو الذي لا بدَّ أن يكون بالاختيار، وأمَّا نفس الاختيار بمعنى العزم عليه فإنَّه لا يحتاج إلى اختيار وعزم آخر.

ومنها: أنَّ الفعل تابع للإرادة، والإرادة ناشئة عن ذاتنا وطبقتنا، وهي لم تفوِّض إلينا بل مستندة إلى الله تعالى، ولازمه الجبر والاضطرار في الفعل. وعن بعض الأعاظم لدفع إشكال استنادها إلى الله: أنَّ الذاتي لا يُعلَّل، فلم يجعل الله السعيد سعيداً والشقي شقيّاً بل أوجدهما<sup>(١)</sup>.

والجواب: إنَّ السعادة والشقاوة من المقتضي والداعي<sup>(٢)</sup>، وذاتنا وطبقتنا بنفسها

---

١. كفاية الأصول: ٦٨.

٢. الذاتي في باب الإيساغوجي عبارة عن أجزاء الماهية ومقومات الذات، كالجنس والفصل بالنسبة إلى النوع في الكليات الخمسة. وفي باب البرهان عبارة عما ينتزع عن نفس الذات من دون حاجة إلى ضميمه، بحيث تكون الذات كافية لانتزاعه. كالزوجه بالنسبة إلى الأربعة، وكالإمكان بالنسبة إلى الإنسان وغيره من الماهيات الممكنة. ومن المعلوم عدم انطباق حدِّ الذاتي بكلا المعنيين على السعادة والشقاوة، فتبوتها للإنسان يحتاج إلى العلّة الخارجة عن ذاته كسائر الأوصاف العارضة عليه. وأمَّا ما روي من أنَّ الشقيَّ من شقي في بطن أمه... فقد ورد تفسيره في بيان الإمام الكاظم عليه السلام، على ما رواه الصدوق بسنده عن محمد بن أبي عمير قال: سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «الشقيَّ من شقي في بطن أمه»، والسعيد من سعد في بطن أمه» فقال: الشقيَّ من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل أعمال الأشقياء، والسعيد من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل أعمال السعداء... التوحيد: ٣٥٦؛ البحار ٥: ١٥٦.



أيضاً في سلسلة المقضيات، والعلة الفاعلية هي ذاتا بالقدرة الحقيقية الواردة على جميع المقضيات، والقدرة تنافي الجبر.

ومنها: ما قالوا من أن المشيئة والإرادة الأزلية تعلقتا بكل شيء ومنه الأفعال، فيلزم الجبر.

والجواب: إن المشيئة والإرادة من صفات الفعل فلا تكونان أزليتين، وهما تعلقتا بأفعالنا الاختيارية، أي بأن يكون صدور الأفعال منا باختيارنا، والله تعالى عالم بالعلم الذاتي، والعلم كاشف عن الواقع، فلا يلزم الجبر.

ومنها: ما قالوا من أن الحب للشيء حب لآثاره ولوآزمه، والله تعالى أحب نفسه ورضي بها، فأحب آثارها ولوآزمها، وهي كل ما يتحقق، ومنه أفعالنا.

والجواب: إنه بعد تحقق الفعل عن العبد باختياره وبالقدرة التي ملكها الله تعالى إياه لا يكون ذلك الفعل من لوازم الحق تعالى شأنه، ومع نهيته تعالى عن إيقاعه وإيعاده كيف يصح القول بأنه أحبه ورضي به؟! ففي سورة الزمر: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

ومنها: أن الاختيار بالداعي اضطرار، وعن بعض أن كل مختار غير الواجب الأول مضطر في اختياره ومجبور في أفعاله<sup>(٢)</sup>.

١. الزمر (٣٩) ٧.

٢. الأسفار ٦: ٣١٢. ثم قال: فالقدرة في نفوسنا عين القوة على الفعل والاستعداد والتهيؤ له، فلا فعل بالاختيار إلا من الحق تعالى. وذكر بعض الأعظم في الحاشية على الأسفار: أن المراد بكونه مضطراً في اختياره أنه جعل مختاراً لا باختيار منه بل خلق كذلك، والمراد بكونه مجبوراً في أفعاله أن لغيره دخلاً في تمام فاعليته، فليس يختار الفعل عن استقلال من نفسه من غير دخل من مسخر أو داع زائد. أقول: هل قوله: «مضطر في اختياره» على المعنى المذكور حسن، لكنه لا يلائم ما

والجواب: إنّه كذلك لولا أن تُفاض عليه القدرة بعد تحقّق الداعي، وأمّا بعد ورود القدرة عليه - كما هو المحقّق في الأفعال الاختياريّة، وهي الحجّة البالغة - فلا.

ففي مجمع البيان في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾<sup>(١)</sup>، وفي تفسير أهل البيت عليهم السلام: لو شاء الله أن يجعل كلّهم مؤمنين معصومين حتّى كان لا يعصيه أحد لما كان يحتاج إلى جنّة ولا إلى نار، ولكنّه أمرهم ونهاهم وامتحنهم وأعطاهم ما به عليهم الحجّة من الآلة والاستطاعة ليستحقّوا الثواب والعقاب<sup>(٢)</sup>.

ومنها: لو كان العبد فاعلاً للإيمان لما وجب عليه الشكر عليه، والتالي باطل إجماعاً فالمقدم مثله.

والجواب: إنّ الشكر على تعريفه تعالى إياه نفسه وتمكينه على الإيمان وتوفيقه له.

ومنها: الأدلّة السمعيّة من الآيات والروايات، منها الآيات الكريمة:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾<sup>(٥)</sup>.

---

بعده من العبارات، فتأمل.

١. الأنعام (٦) ١٠٧.

٢. مجمع البيان ٢: ٣٤٦.

٣. الصافات (٣٧) ٩٦.

٤. الرعد (١٣) ١٦.

٥. الزمر (٣٩) ٦٢.

- ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾<sup>(١)</sup>.
- ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَنَّاكُمْ لَكِنِ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾<sup>(٢)</sup>.
- ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.
- ﴿هَلْ مِنْ خَالِقِ غَيْرِ اللَّهِ﴾<sup>(٤)</sup>.
- ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾<sup>(٥)</sup>.
- ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾<sup>(٦)</sup>.
- ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ \* وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾<sup>(٧)</sup>.
- ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(٨)</sup>.
- ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾<sup>(٩)</sup>.
- ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١٠)</sup>.

١. الأنعام (٦) ١٠٧.

٢. البقرة (٢) ٢٥٣.

٣. الأنعام (٦) ١٣٧.

٤. فاطر (٣٥) ٣.

٥. يونس (١٠) ٩٩، ١٠٠.

٦. الحشر (٥٩) ٥.

٧. القمر (٥٤) ٥٢، ٥٣.

٨. المدثر (٧٤) ٣١.

٩. الإنسان (٧٦) ٣٠.

١٠. التكويد (٨١) ٢٩.

ورواية الكلينيّ بسنده عن حريز بن عبد الله وعبد الله بن مسكان، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبع: بمشيئته، وإرادة، وقدر، وقضاء، وإذن، وكتاب، وأجل، فمن زعم أنه يقدر على نقض واحدة فقد كفر<sup>(١)</sup>.

ورواية الصدوق بسنده عن حمدان بن سليمان، قال: كتبت إلى الرضا عليه السلام أسأله عن أفعال العباد: مخلوقة هي أم غير مخلوقة؟ فكتب عليه السلام: أفعال العباد مقدرة في علم الله عز وجل قبل خلق العباد بألفي عام<sup>(٢)</sup>.

وروايته أيضاً بسنده عن الرضا عن آبائه عن الحسين بن عليّ عليه السلام، قال سمعت أبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول: الأعمال على ثلاثة أحوال: فرائض، وفضائل، ومعاصي، فأما الفرائض فأمر الله تعالى، وبرضى الله، وبقضاء الله، وتقديره، ومشيئته، وعلمه. وأما الفضائل فليست بأمر الله ولكن برضى الله، وبقضاء الله، وبقدر الله، وبمشيئته ويعلمه. وأما المعاصي فليست بأمر الله ولكن بقضاء الله، وبقدر الله وبمشيئته ويعلمه، ثم يعاقب عليها<sup>(٣)</sup>.

وفي التوحيد بإسناده إلى أبي محمد العسكري عن أبيه عن جدّه عليه السلام قال: قال الرضا عليه السلام في ما يصف به الربّ: لا يجور في قضيته، الخلق إلى ما علم متقادون، وعلى

١. الكافي ١: ١٤٩، وروي في البحار ٥: ١٢١، عن المحاسن بسنده عن أبي جعفر عليه السلام. وفيه بدل «نقض»: «نقص». أقول: ظاهر هذه الروايات بل صريحها اشتراط الأمور التكوينية بهذه الخصال السبعة أو الأعم منها ومن التشريعية، وأما اختصاصها بالآخر كما عن بعض فلا وجه له بل هو مخالف للدلول الروايات.

٢. العيون ١: ١٣٦، وعنه البحار ٥: ٢٩.

٣. التوحيد ٣٧٠، البحار ٥: ٢٩ عنه وعن العيون والخصال.

ما سَطَّرَ في المكنون من كتابه ماضون، ولا يعملون خلاف ما علم منهم، ولا غيره يريدون...<sup>(١)</sup>.

والجواب: عن الآية الأولى يظهر بملاحظة صدرها: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آهِيهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ \* مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ \* فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ \* فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ \* قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ \* وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال الطبرسي رحمته في المجمع: أي وخلق ما عملتم من الأصنام. فكيف تدعون عبادته وتعبدون معمولكم؟! وهذا كما يقال: فلان يعمل الحصير، وهذا الباب من عمل فلان النجار... فليس لأهل الجبر تعلق بهذه الآية في الدلالة على أن الله سبحانه خالق لأفعال العباد، لأن من المعلوم أن الكفار لم يعبدوا نحتهم الذي هو فعلهم، وإنما كانوا يعبدون الأصنام التي هي الأجسام، وقوله: ﴿مَا تَنْحِتُونَ﴾ هو ما يعملون، في المعنى. على أن مبنى الآية على التفريع للكفار والإزراء عليهم بقيق فعلهم، ولو كان معناه: والله خلقكم وخلق عبادتكم، لكانت الآية إلى أن تكون عذراً لهم أقرب من أن تكون لوماً وتهجيناً، ولكان لهم أن يقولوا: ولم توبخنا على عبادتها والله تعالى هو الفاعل لذلك؟! فتكون الحجّة لهم لا عليهم. ولآته قد أضاف العمل إليهم بقوله: تعملون، فكيف يكون مضافاً إلى الله تعالى؟! وهذا تناقض، ولما لزمتهم الحجّة<sup>(٣)</sup>.

١. التوحيد ٤٧، وعنه في البحار ٥: ١٠١.

٢. الصافات (٣٧) ٩١ - ٩٦.

٣. مجمع البيان ٤: ٤٥٠. حاصل الجواب: أن «ما» في «ما تنحتون» - باعتراف القائل بالجبر - موصولة وأريد بها المنحوت. ومقتضى وحدة السياق أن تكون «ما» في «ما تعملون» أيضاً كذلك، مضافاً إلى أن إرادة نفس العمل من «ما تعملون» تنافي كون الآية في مقام توبيخ الكفار والإزراء عليهم. وهنا جواب ثالث وهو أنه لو سلمنا أنه أريد من «ما» العمل لا المعمول، لكن

انتهى كلامه ﷺ .

أقول: ومنه يظهر الجواب عن الاستدلال بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾<sup>(١)</sup>، فإنه أيضاً منصرف عن أعمال العباد، ولا سيما بعد ملاحظة قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ \* هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

وأما الآيات والروايات الدالة على أن الهداية والإيمان وسائر الأعمال بمشيئة الله وإرادته وقضائه، فالجواب أن حكم العقل بنفي الجبر في الأعمال المقدورة للبشر، وما دلّ من الآيات والروايات المذكورة لهذا الحكم العقلي والروايات المفسرة لهذه الآيات - كما ستجيء جملة منها - قرينة قطعية على أن المراد من مشيئة الله تعالى وإرادته وتقديره وقضائه في الأفعال الاختيارية للبشر ليس بمعناها في غيرها، وسيجيء توضيحها

الخلق فيها بدعنى التقدير لا التكوين، لما دلّت عليه الروايات من أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى خلق تقدير لا خلق تكوين. البحار ٥: ٣٠ ولا مانع من استعمال اللفظ في معنيين فضلاً عن الاستعمال في معنى جامع لفردين كما هو المحتمل هنا.

١. الزمر (٣٩) ٦٢.

٢. النحل (١٦) ١٧.

٣. النحل (١٦) ٢٠. معنى الآية: والذين يدعوهم الكفار آلهة من دون الله - كالأصنام - لا يخلقون شيئاً؛ وحكي في المجمع ٦: ٣٥٤، قراءة «تدعون» فيكون المعنى أوضح.

٤. لقمان (٣١) ١٠، ١١.

وبيان المراد منها.

### الأدلة النقلية على نفي الجبر

في البحار عن العيون ... وقال الرضا صلوات الله عليه في روايته عن آبائه عن الحسين بن علي عليه السلام: دخل رجل من أهل العراق على أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: أخبرنا عن خروجنا إلى أهل الشام، أبقضاء من الله وقدر؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أجل يا شيخ، فوالله ما علوتُم تلعة ولا هبطتم بطنَ وادٍ إلا بقضاء من الله وقدر، فقال الشيخ: عند الله أحتسب عنائي يا أمير المؤمنين! فقال: مهلاً يا شيخ، لعلك تظنّ قضاءً حتماً وقدراً لازماً! لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والأمر والنهي والزجر، ولسقط معنى الوعد والوعيد، ولم يكن على مسيء لائمة، ولا لمحسن محمّدة، ولكان المحسن أولى باللائمة من المذنب، والمذنب أولى بالإحسان من المحسن. تلك مقالة عبدة الأوثان، وخصماء الرحمان، وقدرية هذه الأمة ومجوسها. يا شيخ، إن الله عزّ وجلّ كلّف تخيراً، ونهى تحذيراً، وأعطى على القليل كثيراً، ولم يعص مغلوباً، ولم يُطع مكرهاً، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ذلك ظنّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار. فنهض الشيخ وهو يقول:

أنتَ الإمامُ الذي نرجو بطاعته يومَ النجاةِ من الرحمانِ غفرانا

إلى آخر الأبيات <sup>(١)</sup>.

وفيه عن الاحتجاج: روي عن علي بن محمّد العسكري عليه السلام: في رسالته إلى أهل الأهواز في نفي الجبر والتفويض أنّه قال: روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: أنّه سأله رجل

بعد انصرافه من الشام فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن خروجنا إلى الشام أبقضاء و قدراً؟ فقال له أمير المؤمنين: نعم يا شيخ، ما علوتم تلعلة ولا هبطتم بطن وإلا أبقضاء من الله و قدره. فقال الرجل: عند الله أحسب عنائي، والله ما أرى لي من الأجر شيئاً.

فقال عليّ عليه السلام: بلى فقد عظم الله لكم الأجر في مسيركم وأنتم ذاهبون، وعلى منصرفكم وأنتم منقلبون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين.

فقال الرجل: وكيف لا نكون مضطرين والقضاء والقدر ساقانا، وعنهما كان مسيرنا؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لعلك أردت قضاءً لازماً وقدراً حتماً! لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، والأمر من الله والنهي، وما كانت تأتي من الله لائمة لمذنب، ولا تحمدة لمحسن، ولا كان المحسن أولى بثواب الإحسان من المذنب، ولا المذنب أولى بعقوبة الذنب من المحسن، تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان، و جنود الشيطان، و خصماء الرحمان، و شهداء الزور والبهتان، وأهل العمى والطغيان، هم قدرية هذه الأمة ومجوسها، إن الله تعالى أمر تخييراً ونهى تحذيراً، وكلّف يسيراً، ولم يُعصّ مغلوباً، ولم يُطع مكرهاً، ولم يرسل الرسل هزلاً، ولم يُنزل القرآن عبثاً، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظنّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار.

قال: ثم تلا عليهم: ﴿وَقَصَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾<sup>(١)</sup>.

قال: فنهض الرجل مسروراً وهو يقول:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته يوم النشور من الرحمان رضوانا



إلى آخر الآيات<sup>(١)</sup>.

أقول: وجه عدم الملامة على المسيء وعدم المحمدة على المحسن إذا كان العبد مجبوراً واضح، ولعلّ وجه عدم كون المذنب أولى بالذنب من المحسن وعدم كون المحسن أولى بالمدح من المذنب كونها متساويين في عدم استناد الإحسان والإساءة إليهما.

وأما قوله في الرواية الأولى: لكان المحسن أولى ... فلا يبعد كونه مصحفاً، وإن وجهه العلامة المجلسي<sup>(٢)</sup> بوجوه ذكر بعضها في البحار، وبعضها في المرأة، فراجع<sup>(٣)</sup>. وعن اعتقادات الصدوق: وسئل الصادق<sup>(٤)</sup> عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، قال: مستطيعون للأخذ بها أمروا به، والترك لما نُهوا عنه، وبذلك ابتلوا. وقال أبو جعفر<sup>(٦)</sup>: في التوراة مكتوب مسطور: يا موسى، إني خلقتك واصطفيتك وقويتك، وأمرتك بطاعتي، ونهيتك عن معصيتي،

١. البحار ٥: ٩٥.

٢. البحار ٥: ١٤، مرآة العقول ٢: ١٧٥. من وجوه الأولوية: أنّه لم يبق حينئذٍ إلا الإحسان والعقوبة الدنيوية، والمذنب كالسلطان القاهر الصحيح الذي يكون في غاية التمتع يأتي بكلّ ما يشتهي من الشرب والزنا والقتل وأخذ أموال الناس وغير ذلك، ولا يكون له مشقة التكاليف الشرعيّة، والمحسن كالفقير المريض الذي يكون دائماً في التعب والنصب من الإتيان بالمأمورات والانتهاض عن المنهيات ومن قلة المؤنة وتحصيل المعيشة من الحلال في غاية المشقة، فحينئذٍ الإحسان الواقع للمذنب أكثر ممّا وقع للمحسن، فهو أولى بالإحسان من المحسن. والعقوبة الواقعة على المحسن أكثر ممّا وقع على المذنب فهو أولى بالعقوبة من المذنب.

٣. القلم (٦٨) ٤٣.

ولي المنة عليك في إطاعتك، ولي الحجة عليك في معصيتك<sup>(١)</sup>.

وعن الاحتجاج من سؤال الزنديق الذي سأل أبا عبد الله عليه السلام عن مسائل كثيرة: قال: أخبرني عن الله عز وجل، كيف لم يخلق الخلق كلهم مطيعين موحدين، وكان على ذلك قادراً؟

قال عليه السلام: لو خلقهم مطيعين لم يكن لهم ثواب؛ لأن الطاعة إذا ما كانت فعلهم لم تكن جنة ولا نار، ولكن خلق خلقه فأمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته، واحتج عليهم برسله، وقطع عذرهم بكتبه، ليكونوا هم الذين يطيعون ويعصون، ويستوجبون بطاعتهم له الثواب، وبمعصيتهم إياه العقاب.

قال: فالعمل الصالح من العبد هو فعله، والعمل الشر من العبد هو فعله؟ قال عليه السلام: العمل الصالح العبد يفعله، والله أمره، والعمل الشر العبد يفعله والله عنه نهاه.

قال: أليس فعله بالآلة التي ركبها فيه؟ قال عليه السلام: نعم، ولكن بالآلة التي عمل بها الخير قدر بها على الشر الذي نهاه عنه.

قال: فإلى العبد من الأمر شيء؟ قال عليه السلام: ما نهاه الله عن شيء إلا وقد علم أنه يطيق تركه، ولا أمره بشيء إلا وقد علم أنه يستطيع فعله؛ لأنه ليس من صفته الجور، العبث، والظلم، وتكليف العباد ما لا يطيقون.

قال: فمن خلقه الله كافراً أيسطيع الإيمان وله عليه بتركه الإيمان حجة؟ قال عليه السلام: إن الله خلق خلقه جميعاً مسلمين، أمرهم ونهاهم، والكفر اسم يلحق الفعل حين يفعله العبد، ولم يخلق العبد حين خلقه كافراً، إنه إنما كفر من بعد أن بلغ وقتاً لزمته الحجة

من الله، فعرض عليه الحق فجحده، فإنكاره الحق صار كافراً.

قال: فيجوز أن يقدر على العبد الشر ويأمره بالخير وهو لا يستطيع الخير أن يعمله ويعذبه عليه؟

قال عليه السلام: إنه لا يليق بعديل الله ورأفته أن يقدر على العبد الشر ويريده منه، ثم يأمره بما يعلم أنه لا يستطيع أخذه... الخبر<sup>(١)</sup>.

وعن التوحيد مسنداً عن صباح الحداء عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سأله زرارة وأنا حاضر فقال: أفرأيت ما افترض الله علينا في كتابه وما نهانا عنه جعلنا مستطيعين لما افترض علينا، مستطيعين لما نهانا عنه؟ فقال: نعم<sup>(٢)</sup>.

وعن الطرائف: روى جماعة من علماء الإسلام عن نبيهم عليه السلام أنه قال: لعنت القدرية على لسان سبعين نبياً، قيل ومن القدرية يا رسول الله؟ فقال: قوم يزعمون أن الله قدر عليهم المعاصي وعذبهم عليها<sup>(٣)</sup>.

وعنه أيضاً: روى صاحب الفائق وغيره من علماء الإسلام عن محمد بن علي المكي بإسناده قال: إن رجلاً قدم على النبي عليه السلام فقال له رسول الله عليه السلام: أخبرني بأعجب شيء رأيت، فقال: رأيت قوماً ينكحون أمهاتهم وبناتهم وأخواتهم، فإذا قيل لهم: لم تفعلوا ذلك؟ قالوا: قضاء الله تعالى علينا وقدره! فقال النبي عليه السلام: سيكون من أمتي أقوام يقولون مثل مقالتهم، أولئك مجوس أمتي<sup>(٤)</sup>.

١. البحار ٥: ١٨.

٢. البحار ٥: ٣٤.

٣. البحار ٥: ٤٧.

٤. البحار ٥: ٤٧.

وروى صاحب الفائق وغيره عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ: يكون في آخر الزمان قوم يعملون المعاصي ويقولون: إن الله تعالى قد قدرها عليهم، الراد عليهم كشاهر سيفه في سبيل الله<sup>(١)</sup>.

وعنه أيضاً: روي أن رجلاً سأل جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن القضاء والقدر، فقال: ما استطعت أن تلوم العبد عليه فهو منه، وما لم تستطع أن تلوم العبد عليه فهو من فعل الله. يقول الله للعبد: لم عصيت؟ لم فسقت؟ لم شربت الخمر؟ لم زנית؟ فهذا فعل العبد. ولا يقول له: لم مَرِضت؟ لم قَصُرْت؟ لم ابْيَضَّتْ؟ لم اسْوَدَّدَتْ؟ لأنه من فعل الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

وعن كنز الغوائد للكراجكي عن أيوب بن نوح عن الرضا عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: خمسة لا تطفأ نيرانهم، ولا تموت أبدانهم: رجل أشرك، ورجل عتق والديه، ورجل سعى بأخيه إلى السلطان فقتله، ورجل قتل نفساً بغير نفس، ورجل أذنب وحمل ذنبه على الله عز وجل<sup>(٣)</sup>.

وفي البحار أيضاً عن رسالة أبي الحسن الثالث صلوات الله عليه في الرد على أهل الجبر والتفويض: ... فأما الجبر الذي يلزم من دان به الخطاء فهو قول من زعم أن الله جل وعز أجبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها. ومن قال بهذا القول فقد ظلم الله في حكمه وكذبه، ورد عليه قوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا

١. البحار ٥: ٤٧.

٢. البحار ٥: ٥٩.

٣. البحار ٥: ٦٠.

٤. الكهف (١٨) ٤٩.

قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ<sup>(١)</sup>، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، مع آي كثيرة في ذكر هذا. فَمَنْ زعم أَنَّهُ مجبر على المعاصي فقد أحوال بذنبه على الله وقد ظلَّمه في عقوبته، ومن ظلَّم الله فقد كَذَّب كتابه، ومن كَذَّب كتابه فقد لزمه الكفر بإجماع الأمة<sup>(٣)</sup>.

وفيه عن الطرائف: حكى أَنَّ الحجاج بن يوسف كتب إلى الحسن البصري، وإلى عمرو بن عبَّيد، وإلى واصل بن عطاء، وإلى عامر الشعبي، أن يذكر ما عندهم وما وصل إليهم في القضاء والقدر، فكتب إليه الحسن البصري: إن أحسن ما انتهى إلي ما سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أَنَّهُ قال: أتظنُّ أَنَّ الذي نهاك دهاك؟! وإنَّها دهاك أسفلك وأعلاك، والله بريء من ذلك. وكتب إليه عمرو بن عبَّيد: أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: لو كان الزور في الأصل محتوماً لكان المزور<sup>(٤)</sup> في القصاص مظلوماً. وكتب إليه واصل بن عطاء: أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: أيدلُّك على الطريق ويأخذ عليك المضيق؟! وكتب إليه الشعبي: أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: كل ما استغفرت الله منه فهو منك، وكل ما حمَّدت الله عليه فهو منه. فلما وصلت كتبهم إلى الحجاج ووقف عليها قال:

١. الحج (٢٢) ١٠.

٢. يونس (١٠) ٤٤.

٣. البحار ٥: ٧١ عن تحف العقول، و ٥: ٢٢ عن الاحتجاج.

٤. كذا في البحار، لكن في الطرائف: لو كان الزور في الأصل محتوماً لكان المزور ...

لقد أخذوها من عين صافية<sup>(١)</sup>.

وعن التوحيد ومعاني الأخبار بإسناد رفعه إلى الصادق عليه السلام أنه سأله رجل فقال له: إن أساس الدين التوحيد والعدل، وعلمه كثير لا بد لعاقل منه، فاذكر ما يسهل الوقوف عليه ويتهيأ حفظه، فقال عليه السلام: أما التوحيد فأن لا تجوز على ربك ما جاز عليك، وأما العدل فأن لا تنسب إلى خالقك ما لامك عليه<sup>(٢)</sup>.

وعن العيون - في حديث - عن أبي الحسن الرضا عن أبيه عن جعفر بن محمد عليه السلام: من زعم أن الله يجبر عباده على المعاصي أو يكلفهم ما لا يطيقون فلا تأكلوا ذبيحته، ولا تقبلوا شهادته، ولا تصلوا وراءه، ولا تعطوه من الزكاة شيئاً<sup>(٣)</sup>.

ويدل على نفي الجبر - مضافاً إلى ما مر من الروايات الصريحة وستجيء جملة أخرى منها - ما أشير إليه إجمالاً في الروايات المتقدمة وغيرها، ونبه عليه العلامة السيد عبد الله شبر رحمته الله في بعض مؤلفاته أخذاً من الروايات. ومنها رسالة أبي الحسن الثالث عليه السلام، أوردها العلامة المجلسي رحمته الله في البحار<sup>(٤)</sup>: من أنه يلزم من القول به مخالفة الكتاب العزيز ونصوصه والآيات المتظاهرة فيه الدالة على إسناد الأفعال إلينا، كآيات الدالة على إضافة الفعل إلى العبد ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾<sup>(٥)</sup>. ﴿قَوْلٌ

١. البحار ٥: ٥٨، عن الطراف ٢: ٣٢٩ - ٣٣٠.

٢. التوحيد: ٩٦؛ معاني الأخبار: ١١، وعنهما في البحار ٥: ١٦.

٣. البحار ٥: ١١، وسائل الشيعة ٢٤: ٦٩ - الباب ٢٨ من أبواب الذبائح، الحديث ٩.

٤. البحار ٥: ٦٨ عن تحف العقول.

٥. ص ٣٨ (٣٨)، مريم (١٩) ٣٧.

لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴿١﴾ ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ ﴿٢﴾ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ ﴿٣﴾ ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ ﴿٤﴾ ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ ﴿٥﴾ ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ ﴿٦﴾ ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ ﴿٧﴾ ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ ﴿٨﴾ .

وكذا ما ورد في القرآن من مدح المؤمن على إيمانه، وذم الكافر على كفره، ووعده بالثواب والطاعة، وإيعاده بالعقاب على المعصية، كقوله: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ ﴿٩﴾. ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٠﴾. ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا﴾ ﴿١١﴾ .

إلى أن قال: وكذلك الآيات الدالة على أن أفعال الله تعالى منزّهة عن أن تكون مثل

- 
١. البقرة (٢) ٧٩.
  ٢. الأنعام (٦) ١١٦، يونس (١٠) ٦٦، النجم (٥٣) ٢٨، ٢٣.
  ٣. الأنفال (٨) ٥٣.
  ٤. المائدة (٥) ٣٠.
  ٥. النساء (٤) ١٢٣.
  ٦. يوسف (١٢) ١٨.
  ٧. الطور (٥٢) ٢١.
  ٨. إبراهيم (١٤) ٢٢.
  ٩. غافر (٤٠) ١٧.
  ١٠. الجنّة (٤٥) ٢٨.
  ١١. الأنعام (٦) ١٦٠.

أفعال المخلوقين من التفاوت والاختلافات والظلم، كقوله: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾<sup>(١)</sup>. ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾<sup>(٢)</sup>، والكفر والظلم ليس بحسن، وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾<sup>(٣)</sup> والكفر ليس بحق، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

وكذا الآيات الدالة على ذم العباد على الكفر والمعاصي، كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾<sup>(٥)</sup>، وكيف يجوز على زعمهم أن يقول الله: لم تفعلوا مع أنهم ما فعلوا؟! ويقول: ﴿لَمْ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾<sup>(٦)</sup>، و﴿لَمْ تَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾<sup>(٧)</sup>. ولنعم ما قال الصاحب بن عباد: كيف يأمر بالإيمان ولم يرده، وينهى عن الكفر وقد أراد، ويعاقب على الباطل وقد قدره، وكيف يصرف عن الإيمان ثم يقول: ﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾<sup>(٨)</sup>، ويخلق فيهم الكفر ثم يقول: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾، ويخلق فيهم لبس الحق بالباطل... ثم يقول: ﴿لَمْ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾، و﴿لَمْ تَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ إلى آخر ما نقله عنه<sup>(٩)</sup>.

١. الملك (٦٧) ٣.

٢. السجدة (٣٢) ٧.

٣. الحجر (١٥) ٨٥.

٤. النساء (٤) ٤٠.

٥. البقرة (٢) ٢٨.

٦. آل عمران (٣) ٧١.

٧. آل عمران (٣) ٩٩.

٨. يونس (١٠) ٣٢، الزمر (٣٩) ٦.

٩. حقّ اليقين للسيد شبّر: ٩٢ - ٩٤.



### معاني القضاء والقدر

يطلق القضاء في اللغة على معانٍ استشهد عليها بشواهد من القرآن: أحدها: الأمر والإيجاب والحكم مولويًا، كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾<sup>(٢)</sup>.

الثاني: الإعلام والإخبار، كقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾<sup>(٣)</sup>.

الثالث: الفراغ من الأمر، كقوله تعالى حكاية عن يوسف: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقيل: يطلق أيضاً على الخلق، ومثّل له بقوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سِنْعَ سَمَوَاتٍ﴾<sup>(٥)</sup>.

والقدر أيضاً يطلق على معان:

أحدها: وضع الأشياء في مواضعها من غير زيادة ونقصان، وتقدير خصوصياتها تكويناً، كقوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَانَهَا﴾<sup>(٦)</sup>. ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾<sup>(٧)</sup>.

الثاني: بيان تلك الأوضاع والخصوصيات المقدّرة على النحو المتحقق في الخارج،

١. الإسراء (١٧) ٢٣.

٢. غافر (٤٥) ٧.

٣. الإسراء (١٧) ٤.

٤. يوسف (١٢) ٤١.

٥. فصلت (٤١) ١٢.

٦. فصلت (٤١) ١٠.

٧. القمر (٥٤) ٤٩.

والإخبار عنها وكتابتها في اللوح مثلاً، كقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَمْرًا تُهْدَىٰ مِنْهُ قُدْرًا نَاهَا مِنَ الْغَائِبِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقيل: جاء بمعنى الخلق أيضاً، ومثّل له بقوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾<sup>(٢)</sup>. فتأمل.

فنقول: لا إشكال في تعلق القضاء والقدر بجميع معانيها بغير الأفعال الاختيارية، إنما الإشكال في تعلقها بتلك الأفعال، فمن أراد أن الله حكم عليها وألزم بها مولوتياً، بأن أمر ببعضها ونهى عن بعضها فهو معنى صحيح دلّ عليه الكتاب والسنة والعقل. وكذا إن أراد أنه يبيّن تلك الأحكام وبيّن مقاديرها ومراتبها بحسب الفرض والنفل، وبحسب الحسن والقبح، وكذا لو أراد أنه أعلم وكتب وبيّن أنهم سيفعلونها.

وكذا لا بأس بتعلق التقدير والقضاء التكوينيّ بأسبابها ومقدماتها وبالذواعي إلى وجودها أو عدمها، وبالقدرة على فعلها وتركها، فإنه وإن كانت المقدمات والمقتضيات والذواعي مخلوقة لله تعالى، وكانت القدرة المفاضة منه تعالى على العبد بقدر - كما عن الاحتجاج بعد ذكر الخبر المتقدم: وروي أن الرجل قال: فما القضاء والقدر الذي ذكرته يا أمير المؤمنين؟ فقال: الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية، والتمكين من فعل الحسنة وترك المعصية، والمعونة على القربة إليه، والخذلان لمن عصاه، والوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، كلّ ذلك قضاء الله في أفعالنا، وقدره لأعمالنا، أما غير ذلك فلا تظنه فإنّ الظنّ له مجبّط للأعمال. فقال: فرجت عني يا أمير

١. النمل (٢٧) ٥٧.

٢. فصلت (٤١) ١٠.

المؤمنين فرَجَّ الله عنك<sup>(١)</sup> - إلا أن تلك القدرة المفاضة عليه تجعل العمل المقدر له فعله ومنتهاً إليه، لا إلى معطي القدرة الذي أعطاها إياه ليصرفها في طاعته، وأعملها العبد بسوء اختياره في معصيته.

والإنسان وإن كان لا يعمل عملاً إلا بالداعي، ولكن القدرة المفاضة عليه بعد وجود الداعي توجب نسبة العمل على نحو الحقيقة إليه لا إلى الداعي.

ويظهر ذلك كمال الظهور إذا كان الداعي إلى الطرفين كليهما موجوداً، وكان اختيار أحدهما أي ترجيح أحد الداعيين على الآخر بيد الفاعل، فإن مقتضى قدرة القادر أن لا يحتاج في سلطته على ترجيح أحد طرفي المقدر، أي وجوده وعدمه - متساويين كانا من جهة الداعي أم لا - إلى مُرَجِّحٍ آخر سوى مشيئته التي هي فعل له، وإلا لزم الخلف، أي أن لا يكون قادراً، والالتزام به مخالف للوجدان وضرورة الأديان.

### تنبيه

قال العلامة الحلي<sup>(٢)</sup> ما حاصله: إن أبا الحسن الأشعري وأتباعه لما لزمهم القول بالجبر إنكاراً ما عُلِمَ بالضرورة ثبوته، وهو الفرق بين الحركات الاختيارية والحركات الجمادية وما شابه ذلك ذهب إلى إثبات الكسب للعبد، فقال: الله تعالى موجد الفعل، والعبد يكتسب، واضطرب كلامهم في معنى الكسب، فعن بعضهم أن للعبد اختيار الفعل أو عدمه، والله يخلق الفعل عند اختيار العبد إياه. وعن بعضهم أن أصل الفعل من الله، ووصف كونه طاعة أو معصية من العبد. وبعبارة أخرى: إن الله يخلق الفعل

١. الاحتجاج ١: ٣١١، عنه البحار ٥: ٩٦.

من غير أن يكون للعبد فيه أثر النسبة، لكن العبد يؤثر في وصف كون الفعل طاعة أو معصية. وعن بعضهم أنّ هذا الكسب غير معقول ولا معلوم مع أنّه صادر من العبد. وأجاب عن الأوّل بأنّ الاختيار فعل من الأفعال، فإذا جاز صدوره عن العبد فليجز صدوره أصل الفعل منه، وأيّ حاجة إلى هذا التمثّل تصحيحاً للقول بأنّ الظلم والجور والقبائح بأسرها من الله تعالى؟!!

وعن الثاني بأنّ الطاعة والمعصية المستندتين بإقرار القائل إلى العبد هل هو نفس الفعل أو أمر زائد عليه؟ فإن كان نفس الفعل فهو صادر من الله - على قوله - لا من العبد، وإن كان أمراً زائداً عليه فهو من العبد، فإذا جاز صدوره من العبد فليجز صدوره أصل الفعل منه كما قلنا في الجواب عن الأوّل.

على أنّ كون الفعل طاعة عبارة عن كونه موافقاً لأمر الشارع، وهو شيء يرجع إلى الفعل، إن كان مطابقاً لأمر الشارع كان طاعة، وإلا فلا، وحينئذ لا يكون الفعل مستنداً إلى العبد، لا في ذات الفعل على قولكم، ولا في وصف كونه طاعة؛ لأنّ المطابقة ليست من فعل العبد.

وعن الثالث بأنّ ما لا يعقل لا دليل عليه<sup>(١)</sup>، والحمد لله.

وأما المشيئة والإرادة فحقيقتها - كما في التقدير والقضاء - على ما يظهر من بعض الروايات ويصدّقه الوجدان أنّها هي الأفعال الصادرة عن الفاعل القادر المنتف، المتقدّمة على ما يصدر منه في الخارج، إما تقدّماً رتيباً فقط، كما في الأفعال الصادرة عنه متعاقبة، مثل الكلمات المحسوسة المضبوطة المقدّرة، الصادرة عن الخطيب العالم البليغ الماهر في التكلّم، فإنّ كلّ كلمة صدرت منه وإن كانت مسبوقة

بمشيئة المتكلم وإرادته وتقديره وقضائه، لأنه لو لم يشأها ولم يُردها لم تصدر منه، ولو لم يقدرها لم تتقدّر بقدر معين، ولو لم تكن بقضاء وعزم وجزم منه لم تتحقق ولم تمض في الخارج، إلا أنها لسرعة نفوذها ووقوعها تتداخل، بل تكون جميعها فانية في الفعل الخارجي الصادر منه، ولذا لا يتميز ولا يتأخر إحداها عن الأخرى، بل لا يتأخر متعلقها وهو الفعل الخارجي أيضاً عنها زماناً، بحيث لا يرى في الخارج إلا المتكلم والكلام الصادر منه.

وإما تقدماً زمانياً أيضاً، بحيث يظهر ويتميز إحداها عن الأخرى، وعن الفعل الصادر منه، وذلك فيما إذا تعلقّت المشيئة والإرادة بالفعل المتأخر زماناً. مثلاً في الذهاب من مكان إلى مكان آخر نتصور أولاً ونهتم بأصل هذا الذهاب، ويعبر عن هذا بالذكر الأول، وبالمشيئة. فإذا ثبتنا على هذه الفكرة وهذا الذكر يعبر عنها بالإرادة. ثم نقدر الذهاب بأنه في أي زمان، ومن أي طريق، وبأي وسيلة، ويعبر عنه بالتقدير. ثم نعزم على العمل، ويعبر عن هذا العزم بالقضاء. فإذا تمت تلك الأمور نشرع في العمل، ويعبر عن هذا الشروع بالإمضاء أي الإجراء في الخارج.

والظاهر من الروايات ثبوت هذه الأمور لله تعالى وصدورها عنه على الترتيب المذكور، ولكن لا بنحو ثبوتها وصدورها منّا، بل هو كتابة وثبت إجماليّ ثم تفصيلي في لوح ووعاء مخصوص لا نعرف حقيقته ولا كيفية كتابته، إلا أن مقتضى الدليل العقلي والنقليّ أنه كسائر أفعاله لا يوجب تغييراً في ذاته تعالى شأنه.

فعن التوحيد بسنده عن المعلّى بن محمد، قال: سئل العالم عليه السلام: كيف علم الله؟ قال: علمٍ وشاء، وأراد وقدر، وقضى وأمضى، فأمضى ما قضى، وقضى ما قدر، وقدر ما أراد، فبعلمه كانت المشيئة، وبمشيئته كانت الإرادة، وبإرادته كان التقدير، وبتقديره

كان القضاء، وبقضائه كان الإمضاء. فالعلم متقدم على المشيئة، والمشيئة ثانية، والإرادة ثالثة والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء. فله تبارك وتعالى البدء فيما علم متى شاء، وفيما أراد لتقدير الأشياء. فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بدء... إلى آخر الخبر بتفصيله، أورده العلامة المجلسي رحمته الله في البحار في باب القضاء والقدر<sup>(١)</sup>.

ولعل المراد بالإمضاء هو إيجاده في الخارج، فعليه ما لم يتحقق الشيء في الخارج يجري فيه البدء، كما ورد في الرواية: الدعاء يرذ القضاء وقد أبرم إبراماً<sup>(٢)</sup>.

وفي المحاسن بسنده عن يونس عن الرضا عليه السلام قال: قلت: لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقضى؟ فقال: لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى، قال: قلت: فما معنى شاء؟ قال: ابتداء الفعل، قلت: فما معنى أراد؟ قال: الثبوت عليه، قلت: فما معنى قدر؟ قال: تقدير الشيء من طوله وعرضه، قلت: فما معنى قضى؟ قال: إذا قضى أمضاه، فذلك الذي لا مرد له<sup>(٣)</sup>.

قال المجلسي رحمته الله: ابتداء الفعل، أي أول الكتابة في اللوح، أو أول ما يحصل من جانب الفاعل ويصدر عنه مما يؤدّي إلى وجود المعلول. أقول: لعل المراد بقوله إذا قضى أمضاه: القضاء المقارن للإمضاء، أي الإيجاد. أو المراد مسبوقية الإمضاء بالقضاء.

وفي المحاسن بسنده عن محمد بن إسحاق، قال: قال أبو الحسن عليه السلام ليونس مولى

١. البحار ٥: ١٠٢.

٢. البحار ٥٩: ٢٢٨.

٣. المحاسن ٢٤٤، وعنه البحار ٥: ١٢٢، وعبارة صدر الحديث متفاوتة فيها، والمتن موافق للمحاسن.

عليّ بن يقطين: يا يونس لا تتكلّم بالقدر، قال: إني لا أتكلّم بالقدر، ولكن أقول لا يكون إلا ما أراد الله وشاء وقضى وقدر، فقال: ليس هكذا أقول ولكن أقول: لا يكون إلا ما شاء الله وأراد، وقدر، وقضى. ثمّ قال: أتدري ما المشيئة؟ فقال: لا، فقال: همّه بالشيء، أو تدري ما أراد؟ قال: لا، قال: إتمامه على المشيئة، فقال: أو تدري ما قدر؟ قال: لا، قال: هو الهندسة من الطول والعرض والبقاء. ثمّ قال: إنّ الله إذا شاء شيئاً أراد، وإذا أراد قدره، وإذا قدره قضاه، وإذا قضاه أمضاه... إلى آخر الخبر<sup>(١)</sup>.

وعن تفسير عليّ بن إبراهيم، بسنده عن يونس، عن الرضا صلوات الله عليه ما يقرب منه، وفيه: إنّ المشيئة الذكر الأوّل، والإرادة العزيمة على ما شاء، والتقدير وضع الحدود من الآجال والأرزاق والبقاء والفناء، والقضاء إقامة العين<sup>(٢)</sup>.

وعن الدرّة الباهرة: قال الرضا صلوات الله عليه: المشيئة الاهتمام بالشيء، والإرادة إتمام ذلك الشيء<sup>(٣)</sup>.

وفي المحاسن بسنده عن هشام بن سالم، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله إذا أراد شيئاً قدره، فإذا قدره قضاه، فإذا قضاه أمضاه<sup>(٤)</sup>.

وفيه أيضاً مسنداً عن حريز بن عبد الله، وعبد الله بن مسكان، قالوا: قال أبو جعفر عليه السلام: لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبع: بمشيئة، وإرادة، وقدر، وقضاء، وإذن، وكتاب، وأجل، فمن زعم أنّه يقدر على نقص

١. المحاسن ٢٤٤، وعنه البحار ٥: ١٢٢.

٢. تفسير القمي ١: ٢٤، وعنه البحار ٥: ١١٦.

٣. البحار ٥: ١٢٦.

٤. المحاسن ٢٤٤، وعنه البحار ٥: ١٢١.

واحدة منهم فقد كفر<sup>(١)</sup>.

تنبيه

إنّ تعلّق مشيئة الله تعالى وإرادته وتقديره وقضائه بعملنا ليس بتعلّقها بذات العمل الصادر منّا بقدرتنا؛ لأنّه بعد فرض كون العمل بمشيئة العبد الصادرة عن قدرته التي أعطها الله إياه تكون هي العلة المستقلّة له، فيلزم من تعلّق مشيئة الله أيضاً به توارد العلتين المستقلّتين على معلول واحد، فلو كان لله تعالى أيضاً مشيئة في فعله ذلك - كما يظهر من بعض الآيات والروايات المتقدّمة وغيرها - فلا محالة يكون متعلّقها مقدمات ذلك الفعل وأسبابه والدواعي إليه، وحدود القدرة المفاضة إليه، والمعونة والخذلان فيه. ويكون المراد من تلك الروايات نفي التفويض لا إثبات الجبر، كما يشهد عليه - مضافاً إلى ما مرّ - أنّها نزلت وصدرت عن الله تعالى شأنه، وعن رسوله وخلفائه الذين من ضروريات دينهم نفي الجبر، فكيف يحتمل العاقل المنصف أنّهم أرادوا بها إثباته. مضافاً إلى ما ورد منهم في تفسيرها وبيان المراد منها.

هذا بعض الكلام في نفي الجبر في أفعال العباد.

وأما التفويض فهو أيضاً ممّا دلّت الأدلّة العقلية والنقلية على نفيه في أفعالنا، ولعلّ الدليل النقلي بل العقلي - بعد معرفة الإنسان نفسه - عليه أكثر، والمؤمن إلى التذكّر به والتوجّه إليه - دفعاً للوقوع في الشرك ولتوهم الاستقلال وغيرهما من المفاسد - أحوج.

ومما يدلّ عليه عقلاً: أنّ حقيقة الإنسان كسائر الموجودات شيء قائم بالغير، أي لا



قوام له إلا بالله تعالى، فهو في كل آن محتاج في شيبته وبقائه إليه تعالى، وهو بعد الوجود والتكوّن فاقد بذاته لجميع الكمالات من الحياة والشعور والفهم والعقل والقدرة وغيرها، ومحتاج - في وجدانه لها وفي بقائها له في كل آن أيضاً - إليه تعالى شأنه. مضافاً إلى أن تمكنه من الأفعال الخارجية إنّها هو بالآلات البدنية وبالأسباب، وهي كلّها في وجودها وتميئها للإنسان محتاجة إليه تعالى، وأيضاً للإنسان دواعٍ كثيرة، وكلّ واحدة منها يجزّ الإنسان إلى العمل بمقتضاه، فمع هذه الفاقة والحاجة في جميع شؤونه إليه تعالى كيف يجوز له الاعتقاد بالتفويض في أفعاله؟!

ويدلّ عليه - مضافاً إلى الآيات والروايات المتقدّم بعضها الدالّة على تعلق الأمور مطلقاً على مشيئة الله - آيات أخر يظهر منها ذلك.

﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.  
 ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾<sup>(٣)</sup>.  
 ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾<sup>(٤)</sup>.  
 ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزْباً فِي الْآخِرَةِ﴾<sup>(٥)</sup>.

١. هود (١١) ٣٤.

٢. المائدة (٥) ٤١.

٣. الأنعام (٦) ١٢٥.

٤. البقرة (٢) ٢٥٣.

٥. آل عمران (٣) ١٧٦.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وعدة روايات مصرحة بنفي الجبر، ونفي التفويض كليهما، وفي عدة منها أن لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين، أو منزلة بين المنزلتين.

والجمع بينهما بتخصيص نفي الجبر بالأفعال الاختيارية، ونفي التفويض بغيرها، وكذا بتخصيص نفي الجبر في الأفعال بالجبر التكويني ونفي التفويض بالتشريعي باطل.

ومما يشهد عليه أن هذين المعنيين ليس في إدراكهما وتحملهما إشكال وغموض يناسبه ما عن الأئمة صلوات الله عليهم في توصيف تلك المسألة من أنها لا يعلمها إلا العالم أو من علمه، كما في رواية الكافي بسنده عن صالح بن سهل عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام<sup>(٣)</sup>. أو أنها بحر عميق، كما في رواية التوحيد بسنده عن عبد الملك ابن عنتر الشيباني عن أمير المؤمنين عليه السلام<sup>(٤)</sup>. أو قوله: لو أجبتك فيه لكفرت، كما في رواية ابن سنان عن مهزم عن أبي عبد الله عليه السلام<sup>(٥)</sup>. أو ما عن فقه الرضا: أروي عن العالم عليه السلام أنه قال: منزلة بين منزلتين في المعاصي وسائر الأشياء، فالله جلّ وعزّ الفاعل لها والقاضي والمقدّر والمدبّر<sup>(٦)</sup>، ونحو ذلك.

١. يونس (١٠) : ١٠٠.

٢. القصص (٢٨) : ٥٦.

٣. الكافي ١ : ١٥٩.

٤. التوحيد : ٣٦٥.

٥. البحار ٥ : ٥٣، عن التوحيد.

٦. البحار ٥ : ٥٤.

وإنما الإشكال والغموض في إدراك المعنى الظاهر من الرواية، وهو كون متعلق نفي الجبر والتفويض كليهما هو خصوص الأفعال الاختيارية، لا كون متعلق أحدهما شيئاً، ومتعلق الآخر شيئاً آخر. ولعل وجه الاكتفاء في بعض الروايات بالشرعيّ ضعف السائل عن إدراك المطلب، أو كونه مناسباً لفهم العموم، كما في رسالة أبي الحسن الثالث عليه السلام <sup>(١)</sup>، فإنّ الذي يناسبه فهم الجميع هو نفي التفويض من جهة التشريع.

### نفي الجبر والتفويض، وإثبات الأمر بين الأمرين

هنا روايات عن الأئمة المعصومين عليهم السلام يظهر منها المراد من الأمر بين الأمرين <sup>(٢)</sup>. وحاصل ما يظهر من أكثر أخبار الباب ويوافقه العقل السليم ويجده الإنسان من نفسه: نفي الجبر في الأفعال، بمعنى نفي كونها من فعل الله تعالى أجراها بيد العبد، وحصولها بقدرة الله من غير مدخلية لقدرة العبد وإرادته، ونفي التفويض أيضاً فيها، بمعنى نفي القول بأنّ الله خلق العباد وأقدرهم على أعمالهم، وفوض إليهم اختيارها على وفق مشيئتهم من غير أن يكون لله تعالى فيها صنع، وأنّ الواقع الحقّ أمر بين الأمرين، وهو أنّ هدايته تعالى ولتوقيقاته - ومنها الدواعي - مدخلاً في أفعالهم وطاعاتهم من غير أن تصل إلى حدّ الإلجاء وسلب القدرة عليها، كما أنّ للخذلان وترك النصرة وإيكالها إلى أنفسهم مدخلاً في فعل المعاصي وترك الطاعات، من غير أن تصل إلى حدّ الإلجاء وسلب القدرة عليها، ومن دون أن تصحّ نسبتها إلى الله تعالى.

١. البحار ٥: ٦٨.

٢. راجع التوحيد: ٣٦١، البحار ٥: ١٦، ١٧، ٤٠.

وذلك أن الإنسان يجد بعقله أن المولى إذ أمر عبده بشيء يقدر عليه، وأعلمه بذلك، ووعدته على فعله شيئاً من الثواب، وأوعده على تركه شيئاً من العقاب، واكتفى في تكليفه إياه بهذا المقدار من التكليف، والوعد والوعيد، لم يكن ملوماً عقلاً وعقلاءً لو عاقبه على تركه، ولا ينسب العقل إلى الظلم، ولا يقول: إنه أجبره على ترك الفعل، كما أنه لو زاد في ألطافه ومنه بتواتر بعث من يحثه على الطاعة ويرغبه فيها ويحذره من تركها، فأطاع بقدرته واختياره، لا يقول العاقل: إنه أجبره على الفعل، كما أنه لا يرى بأساً لو فعل تلك الألفاظ إلى بعض عبده وتركها بالنسبة إلى آخرين لعل لا يصل إليها علمنا.

وبالجملة: القول بهذا الأمر الثالث لا يوجب نسبة الظلم إلى الله تعالى، بأن يقال: أجبرهم على المعاصي وعدّ بهم عليها، كما قال به المجبر، ولا استقلال العباد واستغناءهم في حركاتهم وسكناتهم عن الله ونسبة الوهن إليه تعالى وعزله عن ملكه كما قال به المفوض.

وبه يصحّ التكليف وبعث الرسل والوعد والوعيد والثواب والعقاب والشكر على الإيمان والطاعة لله، والاستعانة به وطلب التوفيق منه، والخوف من الخذلان ومن العقاب، وغير ذلك مما ورد في القرآن المجيد وفي كلام المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، وبدونه يلزم الظلم والعبث ولغوية جميع ما ذكرنا.

ومنه يظهر أن نفي التفويض من أجل أن مبادي الفعل ومقدّماته الخارجيّة والداخلية وغيرها من العلل التكوينية حتى القدرة كلّها من الله تعالى، والعبد قبل العمل ومع العمل حدوثاً وبقاءً من أوله إلى آخره محتاج إليه تعالى، والقدرة على كل عمل إنما تُفاض على العبد قبل ذلك بالقبليّة الرتيبة.

ونفي الجبر من أجل أن القدرة واردة على جميع تلك المبادي والعلل والدواعي وحاكمة عليها، وأنه بإفاضتها تصير نسبة العبد إلى الفعل والترك من جهة السلطنة عليهما على السواء، ويكون المرجح والعلّة لكل واحد من الفعل والترك المتساوية نسبتها إلى الفاعل هو مشيئته، والمشيئة منتهية إلى نفس الفاعل القادر، فهو المخصّص والمرجح لأحد المتساويين على الآخر من جهة السلطنة، ولا يحتاج في ترجيح أحدهما على الآخر وفي تماميّة العلة له إلى غيره، وإلى غير مشيئته، والمشيئة فعله الصادر منه بعد تمام المقدمات، وبعد تمام الدواعي، فهو الفاعل للفعل لا خالق المقدمات، وموجد الدواعي ومفيض القدرة، وبه تتمّ الحجّة.

### تنبيه

توضيح آخر للأمر بين الأمرين ولمعنى المشيئة والإرادة والتقدير والقضاء في الأفعال الاختيارية، وإن كان لا يخلو من تكرار لما مرّ.

فأقول: المشيئة المعبر عنها بـ «خواست» أو «خواستن» المتعلقة بفعل شيء أو تركه، وكذا الإرادة تطلق على معنيين:

أحدهما: ما يعبر عنه بالفارسيّة «خواستن از غير انجام دادن كارى را، يا انجام ندادن و ترك آن را» ومنه الحكم المولويّ بفعل شيء أو تركه، سواء كان بصيغة الأمر أو النهي أو غيرهما من الألفاظ الدالة على البعث أو الزجر. وظاهر أنّه لا يخلو هذا الحكم الصادر عن الحاكم العالم الملتفت من التقدير في ذات الحكم من جهة الإيجاب والندب، وفي متعلّقه وموضوعه من الأجزاء والشروط، ولا يخلو أيضاً من العزيمة عليه المعبر عنها بالقضاء، فإنّه إن لم يعزم عليه لم يقض به.

ثانيهما: همّ الفاعل وعزمه على فعل شيء أو تركه، الفاني فيما يصدر عنه الفعل أو

الترك في زمان صدورهما، فإنَّ الإنسان يجد من نفسه أن كلَّ فعل أو ترك اختياريّ يتحقّق منه مسبوق بهذا الهمّ المعبرّ عنه بالمشيئة، ويجد أيضاً كونها ملازمة للتقدير والعزيمة، ويجد أيضاً أنّ سبقها وتقدّمها على العمل لشدة نفوذها وسرعتها رتبيّ لا زمانيّ. ويصحّ التعبير عنها بالمشيئة والتقدير والقضاء التكوينيّ، وتسمية القسم الأوّل بالتشريعيّ.

ثمّ إنّّه قد يهتمّ الإنسان تكويناً بفعل شيء أو تركه بعد حين وزمان، وهذا أيضاً لا يخلو من التقدير والعزم عليه قبل بلوغ ذلك الزمان. وربّما يُعلم همّه ذلك غيره ويُعلم زمانه وأجله وعزمه، وربّما يكتبه في لوح ونحوه، ويترتّب غالباً على مشيئته وتقديره وقضائه الشروع في إيجاد مقدمات ذلك الفعل أو الترك.

وقد مرّ أنّ مقتضى المدارك القطعيّة أنّ الله تعالى قبل إيجاد المخلوقات المشيئة والإرادة والتقدير والقضاء بالنسبة إليها، وأنّه كتبها في كتاب وأثبتها في أوعية لا نعرف حقيقتها ولا كيفية الإثبات فيها. نعم، الثابت عقلاً ونقلأ أنّه تعالى لا يتغيّر بصدور تلك الأفعال منه.

ثمّ إنّّه لا إشكال في ما لا يكون متعلّق مشيئته تعالى الأفعال الصادرة عن غيره بقدرته التي أعطاه إياها، إنّما الإشكال في ما لو كانت المشيئة وأخواتها مرتبطة بأفعال الغير، وأنّه ما معنى هذه فيها.

فنقول: قد أشرنا إلى أنّ متعلّق مشيئة الله تعالى التكوينيّة في مورد الفرض - وهو الفعل أو الترك الصادر عن العبد بقدرته واختياره - لا يمكن أن يكون نفس هذا الفعل أو الترك بعينه، وإلّا لزم الخلف. وإنّما الممكن تعلّقها بمقدماته وأسبابه والدواعي التي لا توجب جبر العبد، ولذا لا بأس بأن يقال إنّ الله شاء أن يشاء العبد

ذلك الفعل أو الترك بقدرته ومشيتته، كما عن أمير المؤمنين عليه السلام في الاستغفار عند المنام: وشئتُ إذ شئتَ أن أشاءه، وأردتُه إذ أردتَ أن أريده<sup>(١)</sup>، فإن مرجعه إلى مشيئته تعالى أن يكون العبد متصفاً بآته الذي يشاء ما شاء بقدرته، كما صرح به بقوله عليه السلام: لم تُدخلني فيه جبراً ولم تحملني عليه قهراً<sup>(٢)</sup>. وواضح أن الالتزام بالمشيئة بهذا المعنى لا يستلزم الجبر.

نعم، حيث إن الفعل الصادر من العبد يكون متعلقاً لأمره تعالى ونهيه المولويين ويصير لذلك متصفاً بوصف الطاعة أو المعصية، ويكون أيضاً موضوعاً لحكمه بالثواب والعقاب عليه، وكلّ منها أي الأمر والنهي والثواب والعقاب بقدر معين، فالمشيئة والإرادة والقدر والقضاء منه تعالى يكون بأحد هذه المعاني، لا التكويني أو غيره الذي يوجب الجبر وسلب القدرة عن العبد، كما تدلّ عليه رواية يزيد بن عمير<sup>(٣)</sup> ابن معاوية:

قال: دخلت على عليّ بن موسى الرضا عليه السلام بمرو، فقلت له: يا ابن رسول الله، روي لنا عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين، فما معناه؟ فقال: من زعم أن الله يفعل أفعالنا ثم يعذبنا عليها فقد قال بالجبر، ومن زعم أن الله عزّ وجلّ فوّض أمر الخلق والرزق إلى حججه عليهم السلام فقد قال بالتفويض، فالقاتل بالجبر كافر، والقاتل بالتفويض مشرك. فقلت له: يا ابن رسول

١. رواه العلامة النوري رحمته الله في الصحيفة العلوية: ٦٩، ودار السلام ٣: ١٣٥ عن مفاتيح النجاة للمحقق السبزواري.

٢. نفس المصدر.

٣. كما في البحار، وفي العيون: زيد بن عمير.

الله، فما أمر بين أمرين؟ فقال: وجود السبيل إلى إتيان ما أمروا به وترك ما نُهوا عنه. فقلت له: فهل لله عزّ وجلّ مشيئة وإرادة في ذلك؟ فقال: أمّا الطاعات بإرادة الله ومشيئته فيها الأمر بها، والرضا لها، والمعاونة عليها. وإرادته ومشيئته في المعاصي النهي عنها والسخط لها، والخذلان عليها. قلت: فلله عزّ وجلّ فيها القضاء؟ قال: نعم، ما من فعل يفعل العباد من خيرٍ وشرٍّ إلا والله فيه قضاء. قلت: فما معنى هذا القضاء؟ قال: الحكم عليهم بما يستحقّونه على أفعالهم من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>.

وما في البحار عن الكراجكيّ في كنز الفوائد، قال الصادق عليه السلام لزرارة بن أعين: يا زرارة، أعطيك جملة في القضاء والقدر؟ قال: نعم، جعلت فداك. قال: إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق سألهم عمّا عهد إليهم، ولم يسألهم عمّا قضى عليهم<sup>(٢)</sup>. وفيه أيضاً عن الاحتجاج عن عليّ بن محمّد العسكري عليه السلام في رسالته إلى أهل الأهواز في نفي الجبر والتفويض أنّه قال: روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه سأله رجل بعد انصرافه من الشام: يا أمير المؤمنين! أخبرنا عن خروجنا إلى الشام، أبقضاء وقدر؟ فقال له أمير المؤمنين: نعم يا شيخ... إلى أن قال: فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لعلك أردت قضاءً لازماً وقدرًا حتمًا! لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، والأمر من الله والنهي... إلى آخر الخبر<sup>(٣)</sup>، الذي ذكرناه في الأدلّة النقلية

١. البحار ٥: ١١، عن العيون.

٢. البحار ٥: ٦٠.

٣. البحار ٥: ٩٥.



على نفي الجبر<sup>(١)</sup>.

وفيه أيضاً عن الاحتجاج: وروي أنّ الرجل قال: فما القضاء والقدر الذي ذكرته يا أمير المؤمنين؟ قال: الأمر بالطاعة، والنهي عن المعصية، والتمكين من فعل الحسنة وترك المعصية، والمعونة على القربة إليه، والخذلان لمن عصاه، والوعد والوعيد، والترغيب والترهيب. كلّ ذلك قضاء الله في أفعالنا وقدره لأعمالنا. أمّا غير ذلك فلا تظنه؛ فإنّ الظنّ له محبط للأعمال. فقال الرجل: فرّجت عني يا أمير المؤمنين، فرّج الله عنك<sup>(٢)</sup>.

ومنها يظهر معنى ما في البحار عن التوحيد في خبر الفتح بن يزيد، عن أبي الحسن عليه السلام: إنّ الله إرادتين ومشيتين: إرادة حتم، وإرادة عزم، ينهى وهو يشاء، ويأمر وهو لا يشاء. أو ما رأيت أنّ الله نهى آدم وزوجه أن يأكلا من الشجرة وهو شاء ذلك؟! ولو لم يشأ لم يأكلا، ولو أكلا لغلبت مشيئتها مشيئة الله، وأمر إبراهيم بذبح ابنه وشاء أن لا يذبحه ولو لم يشأ أن لا يذبحه لغلبت مشيئة إبراهيم مشيئة الله عزّ وجلّ<sup>(٣)</sup>.

ويظهر أيضاً أنّ الإذن في قوله عليه السلام في رواية الاحتجاج عن عليّ بن محمّد العسكري<sup>(٤)</sup> عن موسى بن جعفر عليه السلام: ولا يكونوا آخذين ولا تاركين إلّا بإذنه<sup>(٥)</sup>،

١. راجع ص ٢١٤ - ٢١٥.

٢. البحار ٥: ٩٦.

٣. البحار ٥: ١٠١.

٤. كما في البحار، لكن في الاحتجاج: عن الحسن بن عليّ بن محمّد العسكري.

٥. الاحتجاج ٢: ١٥٨، البحار ٥: ٢٦.

بمعنى التخلية بينهم وبين العمل وعدم منعهم عنه تكويناً لا الترخيص فيه ولا الجبر فيه أيضاً.

وما في البحار عن معاني الأخبار بسنده عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: شاء وأراد ولم يحب ولم يرض. قلت: كيف؟ قال: شاء أن لا يكون شيء إلا بعلمه، وأراد مثل ذلك، ولم يحب أن يقال له: ثالث ثلاثة، ولم يرض لعباده الكفر<sup>(١)</sup>.  
الظاهر أن المراد منه أيضاً إمكان الجمع بين مشيئته وجود شيء وبين عدم الحب له وعدم الرضا به، فإن القول بأنه ثالث ثلاثة وكذا الكفر به تعالى الصادران عن المخلوق بسوء اختياره مما لا يحبّه الله ولا يرضى به، ومع ذلك صحّ القول بأنّها بمشيئة الله، حيث إنّه لو لم يشأهما من أحد - لكونها مما يمتحن به العبد - لمنع من وقوعها، فالمشيئة هنا أيضاً بمعنى التخلية بين العبد وبين ما يفعله بسوء اختياره الذي يعلمه الله، من دون أن يرخّصه فيه أو يجبره عليه.

#### تنبيه

في معنيين آخرين للتفويض لا ارتباط لهما بأفعال العباد تكويناً:  
أحدهما: تفويض أمر الخلق والرزق إلى الأئمة صلوات الله عليهم، وهو أيضاً منفي بحسب الأدلة المعتبرة.

ثانيهما: تفويض أمر الدين إليهم، وهو في الجملة مثبت لهم بحسب الروايات، لكن له حدوداً نبيّنها إن شاء الله تعالى.

أما الأوّل فمما يدلّ عليه ما في البحار عن العيون بسنده عن يزيد بن عمير بن

---

١. البحار ٨٩: ٥، عن معاني الأخبار: ١٧٠. ورواه الكليني في الكافي ١: ١٥١ بسنده عن الفضيل بن يسار

عن أبي عبد الله عليه السلام.

معاوية الشامي، قال: دخلت على علي بن موسى الرضا عليه السلام بمرور فقلت له: يا ابن رسول الله، روي لنا عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين، فما معناه؟ فقال: من زعم أن الله يفعل أفعالنا ثم يعدبنا عليها فقد قال بالجبر، ومن زعم أن الله عز وجل فوض أمر الخلق والرزق إلى حججه فقد قال بالتفويض، والقائل بالجبر كافر، والقائل بالتفويض مشرك... إلى آخر الخبر<sup>(١)</sup>.

وفيه عن العيون أيضاً عن ياسر الخادم، قال: قلت للرضا عليه السلام: ما تقول في التفويض؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى فوض إلى نبيه عليه السلام أمر دينه فقال: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾<sup>(٢)</sup>. فأما الخلق والرزق فلا. ثم قال عليه السلام: إن الله عز وجل خالق كل شيء وهو يقول: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وفيه عن الاحتجاج عن علي بن أحمد الدلال القمي، قال: اختلف جماعة من الشيعة في أن الله عز وجل فوض إلى الأئمة عليهم السلام أن يخلقوا ويرزقوا، فقال قوم: هذا محال لا يجوز على الله عز وجل، لأن الأجسام لا يقدر على خلقها غير الله عز وجل.

وقال آخرون بل الله عز وجل أقدّر الأئمة على ذلك وفوض إليهم فخلقوا ورزقوا. وتنازعا في ذلك تنازعا شديداً. فقال قائل: ما بالكم لا ترجعون إلى أبي جعفر محمد بن عثمان فتسألونه عن ذلك ليوضح لكم الحق فيه، فإنه الطريق إلى

١. البحار ٥: ١١.

٢. الحشر (٥٩) ٧.

٣. الروم (٣٠) ٤٠، والحديث في البحار ٢٥: ٣٢٨.

صاحب الأمر عليه السلام، فرضيت الجماعة بأبي جعفر وسلّمت وأجابت إلى قوله، فكتبوا المسألة وأنفذوها إليه، فخرج إليهم من جهته توقيع نسخته: إن الله تعالى هو الذي خلق الأجسام وقسم الأرزاق، لأنّه ليس بجسم ولا حال في جسم، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. فأما الأئمة عليهم السلام فيأتهم يسألون الله تعالى فيخلق، ويسألونه فيرزق، إيجاباً لمسألتهم، وإعظماً لحقهم<sup>(١)</sup>.

وفيه عن الصدوق في الاعتقادات: وروي عن زرارة أنّه قال: قلت للصادق عليه السلام: إن رجلاً من ولد عبد الله بن سبأ يقول بالتفويض، فقال: وما التفويض؟ قلت: إن الله تبارك وتعالى خلق محمداً وعلياً صلوات الله عليهما ففوض إليهما فخلقاً ورزقا، وأماتا وأحيا، فقال عليه السلام: كذب عدوّ الله، إذا انصرفت إليه فأتل عليه هذه الآية التي في سورة الرعد: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾<sup>(٢)</sup>، فانصرفت إلى الرجل، فأخبرته، فكأنّي ألقمته حجراً، أو قال: فكأنّي خرست<sup>(٣)</sup>.

نعم، مقتضى الروايات الصادرة عنهم صلوات الله عليهم أنّ الله تعالى أقدرهم على ما يريدون وسخر لهم كلّ شيء. منها ما عن تفسير القميّ في سورة القمر أنّ جبرئيل قال لرسول الله ﷺ: يا محمد، إنّ الله يُقرئك السلام ويقول لك: إنّني قد أمرت كلّ شيء بطاعتك<sup>(٤)</sup>.

١. البحار ٢٥: ٣٢٩.

٢. الرعد (١٣) ١٦.

٣. البحار ٢٥: ٣٤٣.

٤. تفسير القميّ ٢: ٣٤١، البحار ١٧: ٣٥٢.

وعن البصائر بسنده عن جابر عن الباقر صلوات الله عليه - في حديث - : إن الله أقدرنا على ما نريد، ولو شئنا أن نسوق الأرض بأزمّتها لسقناها<sup>(١)</sup>.

وعن المناقب عن زرارة عن الصادق عن آبائه عن الحسين صلوات الله عليهم - في حديث - : والله ما خلق الله شيئاً إلا وقد أمره بالطاعة لنا<sup>(٢)</sup>.

وعن مدينة المعاجز عن الصادق صلوات الله عليه في رواية مفصلة: سبحان الذي سخّر للإمام كلّ شيء، وجعل له مقاليد السماوات والأرض لينوب عن الله في خلقه<sup>(٣)</sup>.

وعن الصحيفة السجّادية: الحمد لله الذي اختار لنا محاسن الخلق - إلى أن قال - : وجعل لنا الفضيلة بالملّكة على جميع الخلق، فكّل خليفته منقادة لنا بقدرته، وصائرة إلى طاعتنا بعزّته<sup>(٤)</sup>.

ويؤيد ذلك ما ظهر منهم بالنقل المتواتر إجمالاً من المعجزات، كما في المناقب ومدينة المعاجز وإثبات الهداة وغيرها، بعد إمكان إفاضة القدرة على الخلق والرزق عموماً عليهم صلوات الله عليهم، بل على من دونهم في المنزلة عند الله تبارك وتعالى، كما يظهر من رواية المحاسن بسنده عن العلاء عن خالد الصيقل عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إن الله فوّض الأمر إلى ملك من الملائكة فخلق سبع سماوات وسبع أرضين، فلما رأى أنّ الأشياء قد انقادت له قال: من مثلي؟ فأرسل الله إليه نُوريرة من النار، قلت: وما

١ . بصائر الدرجات: ٣٧٦، البحار ٤٦ : ٢٣٩ .

٢ . المناقب ٣ : ٢١٠، البحار ٤٤ : ١٨٣ .

٣ . مدينة المعاجز: ٦ : ١٠٠، المعجز الثاني عشر ومثان من معاجز الإمام الصادق عليه السلام .

٤ . الدعاء الأوّل .

النويرة؟ قال: نار مثل الأنملة، فاستقبلها بجميع ما خلق فتخيّل<sup>(١)</sup> لذلك حتّى وصلت إلى نفسه لما أن دخله العُجب<sup>(٢)</sup>.

أقول: المراد من التفويض في الرواية هو الإقدار لا التفويض المنفيّ في قوله: لا جبر ولا تفويض، فتدبّر.

كما أفاض علينا القدرة على أمور يسيرة من دون تفويض في أفعالنا الاختيارية، والفرق في تفاوت مراتب وجدان القدرة.

هذا، ولكن ثبوت القدرة لهم ﷺ على الخلق والرزق لا يلزم تفويض أمرها إليهم ﷺ، وإعماهم القدرة فيهما، كما هو واضح. وبالجملة: لا منافاة بين الأدلة الدالة على قدرة الأئمة ﷺ بإقدار الله تعالى على الخلق والرزق وبين ما دلّ على أن الخلق والرزق لله تعالى وحده، كما يظهر بالتأمّل<sup>(٣)</sup>.

---

١. كما في الوسائل، وفي المحاسن: فتخيّل، وفي البحار: فتحلّلت.

٢. المحاسن ١٢٣، الوسائل ١: ١٠٢ - الباب ٢٣ من أبواب مقدّمة العبادات، الحديث ١١، البحار ٦٩: ٣١٧.

٣. قال العلامة المامقاني رحمه الله في بيان المفوّضة ومعاني التفويض: هي على ما أفاده الوحيد والعلامة المجلسي وغيرهما - رحمهم الله - تطلق على معانٍ كثيرة فيها الصحيح والفاقد: أحدها: ما ذكره في آخر التعليقة من أنّ الله تعالى خلق محمداً ﷺ وفوّض إليه أمر العالم، فهو الخلاق للدنيا وما فيها، وقيل فوّض ذلك إلى عليّ ﷺ، وربّما يقولون بالتفويض إلى سائر الأئمة ﷺ أيضاً... إلى أن قال: فإن أرادوا ظاهره وهو أنّهم الفاعلون لذلك حقيقة فهو الكفر الصريح، وقد دلّت الأدلة العقلية والنقلية على بطلانه... وإن أرادوا أنّ الله تعالى هو الفاعل وحده لا شريك له ولكن مقارناً لإرادتهم ودعائهم وسؤالهم من الله ذلك، كشقّ القمر وإحياء الموتى وقلب العصا وغير ذلك من المعجزات، فهو حق، لكرامتهم عند الله وزيادة قربهم منه، وإظهار فضلهم ورفعته

وأما التفويض إليهم صلوات الله عليهم في أمر الدين فيدل عليه غير واحد من الروايات، أورد عدة منها المجلسي رحمته الله في المجلد السابع من البحار<sup>(١)</sup>. وإنما الإشكال في موضوعه وحدوده.

فقول - بعد وضوح بطلان القول به على نحو العموم بأن يُملّوا ما شاؤوا ويحرموا ما شاؤوا مطلقاً من غير وحي وإلهام من الله تعالى، أو يغيروا ما أوحى الله إليهم بأرائهم، كما يظهر لمن تتبّع أحوال النبي صلى الله عليه وآله وما وصل إلينا منه ومن أوصيائه، وآتاه كان ينتظر الوحي، بل لا يقول به عاقل - : إن الذي يظهر من مجموع الروايات المباركات أن الأحكام الصادرة منهم لبيان وظائف الناس على قسمين:

القسم الأول: أحكام فرضها الله تعالى، وكان شأن النبي والأئمة عليهم السلام إبلاغها، إما بنحو كلي أو بصورة الحكم الجزئي الذي يشمل الحكم الكلي الصادر من الله تعالى. ويعبر عن تلك الأحكام بالفريضة أو بفرض الله، وهذا يعم الواجبات والمحرمات، بل وغيرهما، فإن كل حكم شرعه الله تعالى وعينه - تكليفاً كان أو وضعياً - فهو فريضة منه تعالى وإن كان الشائع استعمالها في الواجبات.

القسم الثاني: أحكام فوض أمرها إلى النبي صلى الله عليه وآله، وجعل له الولاية عليها، وهذا على ثلاثة أقسام كلّها من شؤون الولاية التشريعية التي جعلها الله للنبي صلى الله عليه وآله - بلا

مقامهم بين خلقه وعباده، حتى يصدّقوهم وينقادوا لهم ويبتدوا بهداهم ويقتدوا بهم، فيأثم الدعاء إلى الله والأدلاء على مرضاته، ولكن هذا المعنى ليس من التفويض في شيء بل هو المعجز الصرف نشأ على يدي حجة الله تعالى لبلوغه أعلى مراتب الإخلاص والعبودية. ... مقباس الهداية

٢: ١٠٧، ١٠٨.

إشكال - وللأئمة عليهم السلام أيضاً طبق ظاهر بعض الروايات، كما سيأتي وهذه الأقسام هي:  
الأول: تشريع الحكم الدائم. وموضوعه ما لم يشرع الله فيه حكماً، فإنه الذي  
فوض أمره إلى النبي صلى الله عليه وآله، وعبر عنه تارة بالسنة، وأخرى بفرض النبي، وهذا ثابت  
للنبي، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

الثاني: تشريع الحكم الموقت لمصالح وقتية، وهذا ثابت للنبي صلى الله عليه وآله، كما في نهيته صلى الله عليه وآله  
عن أكل لحوم الخمر الأهلية في بعض الغزوات<sup>(١)</sup>. وظاهر بعض الروايات ثبوته  
للأئمة عليهم السلام أيضاً، كما روي في جعل علي عليه السلام الزكاة على الخيل العتاق<sup>(٢)</sup>، وإيجاب  
الإمام الجواد عليه السلام الخمس على عدّة من أصحابه في بعض أموالهم الزكوية<sup>(٣)</sup>، على  
إشكال في أن هذا قسم مستقل أو مندرج في القسم الآتي، ولعله الأقرب.

الثالث: الأوامر والنواهي أو ما يؤدي مؤداهما الصادرة منهم من غير تصريح  
بالجوب أو التحريم على نحو العموم أو الخصوص. وهذا من شؤون ولايتهم  
تشريعاً على كيفية التبليغ، وإعمال اللحن، والمعارض، والثورية من غير كذب، وإبراز  
الحكم الغير الإلزامي بصورة الإلزام تربيةً أو تقيّة. وهذا ثابت للنبي والأئمة عليهم السلام بلا  
إشكال.

أمّا الدليل على التفويض إجمالاً فكثير، منها ما عن البصائر بسنده عن محمد بن  
الحسن الميثمي، عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إن الله أدب رسوله  
حتى قومه على ما أراد ثم فوض إليه فقال: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ

١. الوسائل ٢٤: ١١٧، الباب ٤ من أبواب الأطعمة المحرمة.

٢. الوسائل ٩: ٧٧، الباب ١٦ من أبواب ما تجب فيه الزكاة وما تستحب.

٣. الوسائل ٩: ٥٠١، الباب ٨ من أبواب ما يجب فيه الخمس، الحديث ٥.



فَأَنْتَهُوا ﴿١﴾، فما فَوْضَ اللهُ إلى رسوله فقد فَوْضَهُ إِلَيْنَا ﴿٢﴾.

وعنه بسنده عن زرارة، قال: سمعت أبا جعفر وأبا عبد الله عليهما السلام يقولان: إن الله فَوْضَ إلى نبيِّه أمر خلقه لينظر كيف طاعتهم، ثم تلا هذه الآية:

﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ ﴿٣﴾.

وعنه عن نوادر محمد بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لا والله ما فَوْضَ اللهُ إلى أحد من خلقه إلا إلى الرسول وإلى الأئمة عليهم السلام فقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ﴾ ﴿٤﴾، وهي جارية في الأوصياء ﴿٥﴾.

والروايات بهذا المضمون كثيرة يأتي بعضها إن شاء الله تعالى، ولكن لم يتعرَّض في شيء منها ما الذي يشاؤون إلا في بعضها، نذكره إن شاء الله تعالى.

والدليل على ثبوت القسم الأول من القسم الثاني: منه ما ورد من أنه عليه السلام حرَّم كلَّ مسكر، كصحيحة الفضيل عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث، قال: حرَّم اللهُ الخمر بعينها، وحرَّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسكر من كلِّ شراب، فأجاز الله له ذلك ﴿٦﴾.

وروايته الأخرى عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألتُه عن النبيذ، فقال: حرَّم اللهُ الخمر بعينها، وحرَّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأشربة كلَّ مسكر ﴿٧﴾.

١. الخشر (٥٩) : ٧.

٢. البحار : ٢٥ : ٣٣٢.

٣. البحار : ٢٥ : ٣٣٢.

٤. النساء (٤) : ١٠٥.

٥. البحار : ٢٥ : ٣٣٤.

٦. الوسائل ٢٥ : ٣٢٥، الباب ١٥ من أبواب الأشربة المحرمة، الحديث ٢.

٧. الوسائل ٢٥ : ٣٢٦، الباب ١٥ من أبواب الأشربة المحرمة، الحديث ٦.

ويدلّ عليه أيضاً رواية أبي الربيع الشاميّ عن أبي عبد الله عليه السلام <sup>(١)</sup> .  
ومنه ما ورد من أنّه عليه السلام حرّم كلّ ذي ناب من السباع، ومخلّب من الطير <sup>(٢)</sup> .  
ومنه ما ورد في إرث الجدّ من أنّ رسول الله عليه السلام أطعمه السدس استحباباً إذا كان  
الوارث الأب دون الولد، وأورثه السدس وجوباً وجعله كأحد الإخوة وجعل الجدة  
كأحد الأخوات إذا لم يكن وارث من الطبقة الأولى <sup>(٣)</sup> .  
ومنه ما ورد في دية العين ودية النفس ودية الأنف، كما في صحيحة زرارة عن أبي  
جعفر عليه السلام ، قال: وضع رسول الله عليه السلام دية العين ودية النفس ودية الأنف، وحرّم  
النبيذ وكلّ مسكر، فقال له رجل: فوضع هذا رسول الله عليه السلام من غير أن يكون جاء فيه  
شيء؟ قال: نعم، ليعلم من يطيع الرسول ومن يعصيه <sup>(٤)</sup> .  
ومنه ما ورد في النوافل اليومية، وصوم شعبان، وصوم ثلاثة أيّام في كلّ شهر <sup>(٥)</sup> .  
ومنه ما ورد من أنّه عليه السلام حرّم المدينة <sup>(٦)</sup> .

- 
١. الوسائل ٢٥: ٣٢٦، الباب ١٥ من أبواب الأشربة المحرّمة، الحديث ٤.
  ٢. الوسائل ٢٤: ١١٣، الباب ٣ من أبواب الأطعمة المحرّمة.
  ٣. الوسائل ٢٦: ١٣٦، الباب ٢٠ من أبواب ميراث الأبوين.
  ٤. البحار ٢٥: ٣٣٢، عن بصائر الدرجات.
  ٥. الوسائل ٤: ٤٥، الباب ١٣ من أبواب أعداد الفرائض، الحديث ٢، الوسائل ١٠: ٤٨٧، الباب ٢٨ من أبواب الصوم المنسوب، الحديث ٥.
  ٦. البحار ١٧: ١٨، عن الاختصاص والبصائر. وراجع أيضاً الوسائل ١٤: ٣٦٢، الباب ١٧ من أبواب المزار؛ قال المحقّق في الشرائع: للمدينة حرم، وحده من عاير إلى وغير. وقال صاحب المدارك (٨: ٢٧٤): «ذهب الأكثر إلى أنّه لا يجوز قطع شجره ولا قتل صيد ما بين الحرتين منه، وبه قطع في المنتهى وأسنده إلى علمائنا مؤذناً بدعوى الإجماع عليه، وقيل بالكراهة وهو ظاهر

ومنه إسهاد شهيدين في النكاح استحباباً<sup>(١)</sup>.

ومنه غسل الميت<sup>(٢)</sup>.

ومنه ما ورد في الحجّ من أنّ الطواف فريضة، والرمي سنّة<sup>(٣)</sup>.

ومنه ما ورد في الصلاة من أنّ بعض أجزائها وشرائطها فريضة، وبعضها سنّة. كصحيفة زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا تُعاد الصلاة إلا من خمسة: الطهور، والوقت، والقبلة، والركوع، والسجود. ثم قال عليه السلام: القراءة سنّة، والتكبير سنّة، ولا تنقض السنّة الفريضة<sup>(٤)</sup>.

ومنه ما ورد من أنّ الله فرض على العباد عشر ركعات، وفيهنّ القراءة، وليس فيهنّ وهم، فزاد رسول الله صلى الله عليه وآله سبعاً وفيهنّ الوهم وليس فيهنّ قراءة<sup>(٥)</sup>.

وموضوع سنّة الرسول ما ليس فيه حكم من الله تعالى، أو ورد ولكن لا على سبيل الإلزام والإيجاب. وذلك مثل القصر في السفر، فإنّ ظاهر الآية المباركة: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾<sup>(٦)</sup> الرخصة لا الإيجاب، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله عزم عليه وجعله بمنزلة الهدية، فأوجبه وجعل ردّه بمنزلة ردّ الهدية، كما ربّما يظهر من

اختيار المصنّف - يعني المحقق عنه - ... والمعتمد الأول».

١. الوسائل ٢١: ٦٥، الباب ٣١ من أبواب المتعة.

٢. الوسائل ٣: ٣٧٥، الباب ١٨ من أبواب التيمّم.

٣. الوسائل ١١: ٢٣٣، الباب ٢ من أبواب أقسام الحجّ، الحديث ٢٩، الوسائل ١٣: ٤٨٥، الباب ٨

من أبواب السعي، الحديث ١.

٤. الوسائل ٥: ٤٧٠، الباب ١ من أبواب أفعال الصلاة، الحديث ١٤.

٥. الوسائل ٨: ١٨٧، الباب ١ من أبواب الخلل الواقع في الصلاة.

٦. النساء (٤) ١٠١.

رواية السكوني، ومرسلة ابن أبي عمير عن أبي عبد الله عليه السلام، وكذا من رواية زرارة ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام <sup>(١)</sup>.

ويُلوح من الروايتين الأوليين، ورواية يحيى بن أبي العلاء، ورواية العيص بن القاسم <sup>(٢)</sup>، ورواية عبد الرحمان بن أبي عبد الله، ورواية الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام <sup>(٣)</sup>: أن وجوب الإفطار في السفر أيضاً من هذا القبيل.

وأما ما ورد فيه حكم إلزامي من الله تعالى فليس للنبي الحكم بخلافه، كما أنه ليس للإمام الحكم بخلاف ما حكم به الله أو حكم به رسوله على سبيل الإلزام. ويدل عليه ما رواه الصدوق في العيون بسنده عن أحمد بن الحسن الميثمي عن الرضا صلوات الله عليه <sup>(٤)</sup>. ورواية عبد الأعلى عن أبي عبد الله عليه السلام <sup>(٥)</sup>، ورواية عبد الله بن سنان عنه أيضاً <sup>(٦)</sup>، وما دل على وجوب طرح ما خالف الكتاب <sup>(٧)</sup>.

نعم، ربّما يكون الأمر أو النهي من الرسول عليه السلام غير إلزامي بحسب الواقع، وإن كان ظاهر الأمر الإلزام - ولا بأس به كما ثبت في محله - وتكون رخصة الإمام كاشفة

١. الوسائل ٨: ٥١٧، الباب ٢٢ من أبواب من صلاة المسافر.

٢. الوسائل ١٠: ١٧٥، الباب ١ من أبواب يصح منه الصوم، الحديث ٥، و٧.

٣. الوسائل ١٠: ١٧٩، الباب ٢ من أبواب يصح منه الصوم، الحديث ٢، و٣.

٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٠، الوسائل ٢٧: ١١٣، الباب ٩ من أبواب صفات القاضي، الحديث ٢١، البحار ٢: ٢٣٣، سيأتي هذا الحديث في ص ٢٥٧ - ٢٥٩.

٥. الآتية في ص ٢٥٤.

٦. البحار ٢٥: ٣٤٠.

٧. الوسائل ٢٧: ١٠٦، الباب ٩ من أبواب صفات القاضي، البحار ٢: ٢٤٢.

عن عدم كونه إلزامياً، أو كاشفاً عن كون الإلزام موقفاً بوقت خاص، كنهى الرسول ﷺ عن أكل الحُمُر الأهلية في بعض الغزوات<sup>(١)</sup>.

وأما القسم الثاني أو الثالث، وهو التفويض في كيفية التعليم والتبليغ وبيان الأحكام وفي الحكم على الناس على حسب ما تقتضيه المصالح، إماماً من جهة تربيتهم بما فيهم من اختلاف الأوصاف والأحوال والعقول، وإماماً من جهة حفظ دمائهم ودماء الشيعة، فهو مقام رفيع أعطاه الله نبيه ﷺ بعد ما أكمل عقله، وهو جارٍ في الأئمة ﷺ بلا إشكال، كما هو مقتضى حكم العقل بلزوم وجوده في من بيده تربية الناس وسياستهم من قبل الله تعالى.

وقد دلت عليه الروايات المتواترة، أوردها في الكافي والبحار في أبواب مختلفة منها: باب أنه جرى لهم من الفضل والطاعة مثل ما جرى لرسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

وهذا القسم الثالث أيضاً مورد الروايات المستفيضة الدالة على أن كلمة آل محمد صلوات الله عليهم تنصرف إلى سبعين وجهاً لهم من جميعها المخرج، كرواية داود بن فرقد، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أنتم أفقه الناس إذا عرفتم معاني كلامنا، إن الكلمة لتصرف على وجوه، فلو شاء إنسان لَصرف كلامه كيف شاء ولا يكذب<sup>(٣)</sup>.

ورواية إبراهيم الكرخي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: حديث تدرية خير من ألف ترويه، ولا يكون الرجل منكم فقيهاً حتى يعرف معاريض كلامنا، وإن الكلمة من

١. الوسائل ٢٤: ١١٧، الباب ٤ من أبواب الأطعمة المحرمة.

٢. الكافي ١: ٢٦٥، البحار ٢٥: ٣٥٢.

٣. البحار ٢: ١٨٣، عن معاني الأخبار.

كلامنا لتتصرف على سبعين وجهاً لنا من جميعها المخرج<sup>(١)</sup>.

ورواية علي بن أبي حمزة، قال: دخلت أنا وأبو بصير على أبي عبد الله عليه السلام، فبينما نحن قعود إذ تكلم أبو عبد الله عليه السلام بحرف، فقلت أنا في نفسي: هذا مما أحمله إلى الشيعة، هذا والله حديث لم أسمع مثله قط. قال: فنظر في وجهي، ثم قال: إني لأتكلم بالحرف الواحد لي فيه سبعون وجهاً، إن شئت أخذت كذا، وإن شئت أخذت كذا<sup>(٢)</sup>.  
ورواية أبي الصباح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إني لأحدث الناس على سبعين وجهاً لي في كل وجه منها المخرج<sup>(٣)</sup>.

ورواية الأحول عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أنتم أفقه الناس ما عرفتم معاني كلامنا، إن كلامنا لتتصرف على سبعين وجهاً<sup>(٤)</sup>.

ورواية أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قيل له وأنا عنده: إنَّ سالم بن أبي حفصة يروي عنك أنك تتكلم على سبعين وجهاً لك من كلِّها المخرج، فقال: ما يريد سالم مني؟! أيريد أن أجيء بالملائكة؟! فوالله ما جاء بهم النبيون، ولقد قال إبراهيم: إني سقيم، والله ما كان سقيماً وما كذب، ولقد قال إبراهيم: بل فعله كبيرهم هذا، وما فعله كبيرهم وما كذب، ولقد قال يوسف: أيتها العير إنكم لسارقون، والله ما كانوا سرقوا وما كذب<sup>(٥)</sup>.

١. البحار ٢: ١٨٤، عن معاني الأخبار.

٢. البحار ٢: ١٩٨، ١٩٩ عن بصائر الدرجات.

٣. البحار ٢: ١٩٨، ١٩٩ عن بصائر الدرجات.

٤. البحار ٢: ١٩٨، ١٩٩ عن بصائر الدرجات.

٥. البحار ٢: ٢٠٦ عن تفسير العياشي، والبحار ٢: ٢٠٩ عن رجال الكشي، عن أبي عبد الله عليه السلام،

ورواية عبد الأعلى، قال: سأل علي بن حنظلة أبا عبد الله عليه السلام عن مسألة وأنا حاضر فأجابه فيها، فقال له علي: فإن كان كذا وكذا، فأجابه بوجه آخر حتى أجابه بأربعة أوجه، فقال علي بن حنظلة: يا أبا محمد، هذا باب قد أحكمناه، فسمعه أبو عبد الله عليه السلام فقال له: لا تقل هكذا يا أبا الحسن، فإنك رجل ورع، إن من الأشياء أشياء مضيقة ليس تجري إلا على وجه واحد، منها وقت الجمعة ليس لوقتها إلا حد واحد حين تزول الشمس، ومن الأشياء موسعة تجري على وجوه كثيرة، وهذا منها، والله إن له عندي لسبعين وجهاً<sup>(١)</sup>.

ومن الواضح أن ليس المراد منها ما توهمه بعض المنحرفين فتحاً لباب التأويل في الروايات المباركات، تثبيتاً لأوهامهم الفاسدة من أن الكلمة الصادرة عنهم ذات وجوه مختلفة ومعانٍ متعدّدة<sup>(٢)</sup>.

بل المراد أنّ الكلمة التي يريدون أن يتكلّموا بها في بيان حكم من الأحكام مثلاً لهم أن يغيروها إلى وجوه وصور مختلفة كلّ منها مشتمل على معنى غير المعنى الآخر، لهم من جميعها المخرج.

وموضوعها - كما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام في رواية عبد الأعلى المتقدمة - هو الأحكام الموسعة، ويظهر ذلك من ملاحظة ما قاله الإمام عليه السلام في رواية عبد الله بن زرارة في وجه الاختلاف بين ما أمر به زرارة وما أمر به أبا بصير في عدد ركعات مجموع الفرائض والنوافل اليوميّة، وفي عقد الإمام بالحجّ والعمرة.

١. البحار ٢: ٢٤٣، عن المحاسن، البحار ٢: ١٩٧، عن الاختصاص والبصائر، بتفاوت سير.

٢. نقله أستاذ المعارف، الفقيه الزاهد العارف الميرزا مهدي الإصفهاني رحمته الله في المواهب السنية

(ص ١٠) عن الشيخ أحمد الأحسائي، وشدّد النكير عليه.

ففي رجال الكشي عن عبد الله بن زرارة، قال: لي أبو عبد الله عليه السلام: اقرأ مني على والدك السلام وقل له: إني أعيبك دفاعاً مني عنك، فإن الناس والعدو يسارعون إلى كل من قربناه وحمدنا مكانه، لإدخال الأذى في من نحبه ونقربه، ويذمونه لمحبتنا له وقربه ودنوه منا، ويرون إدخال الأذى عليه وقتله، ويحمدون كل من عيناه نحن ... فإنها أعيبك لأنك رجل اشتهرت بنا وبميلك إلينا ... فأحييت أن أعيبك ليحمدوا أمرك في الدين بعيبك ونقصك، ويكون بذلك منا دافع شرهم عنك.

يقول الله جلّ وعزّ: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾<sup>(١)</sup>. هذا التنزيل من عند الله صالحة<sup>(٢)</sup>، لا والله ما عابها إلا لكي تسلم من الملك ولا تعطب على يديه، ولقد كانت صالحة ليس للعب فيها مساع، والحمد لله. فافهم المثل يرحمك الله فإنك والله أحب الناس إليّ، وأحب أصحاب أبي حياً وميتاً. فإنك أفضل سفن البحر القمقام الزاخر، وإن من ورائك ملكاً ظلوماً غصباً يرقب عبور كل سفينة صالحة ترد من بحر الهدى ليأخذها غصباً ثم يغصبها وأهلها.

ورحمة الله عليك حياً ورحمة الله ورضوانه عليك ميتاً. ولقد أدى إليّ ابنائك الحسن والحسين رسالتك أحاطهما الله وكلاهما وحفظهما بصلاح أبيهما كما حفظ الغلامين، فلا يضيقت صدرك من الذي أمرك أبي وأمرتك به وأتاك أبو بصير بخلاف الذي

١. الكهف (١٨) ٧٩.

٢. في البحار: أي إنها نزل من عند الله: كل سفينة صالحة، وقد ذكر المفسرون أنها قراءة أهل البيت عليهم السلام. أقول: يحتمل أن تكون تلك الزيادة بعنوان التنزيل من الله شرحاً للمراد، إذ ليس كل ما نزل من الله وحياً يلزم أن يكون من القرآن.



أمرناك به، فلا والله ما أمرناك ولا أمرناه إلا بأمر وسعنا ووسعكم الأخذُ به، ولكل ذلك عندنا تصاريف ومعانٍ توافق الحق. ولو أُذن لنا لعلمتم أنّ الحق في الذي أمرناكم، فردوا إلينا الأمر، وسلّموا لنا، واصبروا لأحكامنا وارضوا بها.

والذي فرّق بينكم فهو راعيكم الذي استرعاه الله خلقه، وهو أعرف بمصلحة غنمه في فساد أمرها، فإن شاء فرّق بينها لتسلم، ثم يجمع بينها ليأمن من فسادها وخوف عدوها في آثار ما يأذن الله ويأتيها بالأمن من مأمنه والفرج من عنده.

عليكم بالتسليم والردّ إلينا وانتظار أمرنا وأمركم وفرجنا وفرجكم، فلو قد قام قائمنا وتكلّم متكلّمنا ثم استأنف بكم تعليم القرآن وشرائع الدين والأحكام والفرائض كما أنزله الله على محمد ﷺ لأنكر أهل البصائر فيكم ذلك اليوم إنكاراً، ثم لم تستقيموا على دين الله وطريقته إلا من تحت حدّ السيف فوق رقابكم. إنّ الناس بعد نبي الله ﷺ ركب الله به سنة من كان قبلكم، فغيّروا وبدّلوا وزادوا في دين الله ونقصوا منه، فما من شيء عليه الناس اليوم إلا وهو منحرف عما نزل به الوحي من عند الله.

فأجب - رحمك الله - من حيث تدعى إلى حيث تدعى حتى يأتي من يستأنف بكم دين الله استينافاً. وعليك بالصلاة الستة والأربعين، وعليك بالحجّ أن تهلّ بالإفراد وتنوي الفسخ إذا قدمت مكة وطفّت وسعيت فسخت ما أهللت به وقلبت الحجّ عمرة أحللت إلى يوم التروية، ثم استأنف الإهلال بالحجّ مفرداً إلى منى، وتشهد المنافع بعرفات والمزدلفة، ف كذلك حجّ رسول الله ﷺ، وهكذا أمر أصحابه أن يفعلوا، أن يفسخوا ما أهلوا به ويقبلوا الحجّ عمرة.

وإنما أقام رسول الله ﷺ على إحرامه ليسوق الذي ساق معه، فإنّ السائق قارن، والقارن لا يحلّ حتى يبلغ هديّه محلّه، ومحله المنحر بمنى، فإذا بلغ أحلّ، فهذا الذي

أمرناك به حجّ التمتع، فالزم ذلك ولا يضيّقنّ صدرك.

والذي أتاك به أبو بصير من صلاة إحدى وخمسين والإهلال بالتمتع بالعمرة إلى الحجّ، وما أمرناه به من أن يُهَلَّ بالتمتع فلذلك عندنا معانٍ وتصاريّف لذلك ما يسعنا ويسعكم، ولا يخالف شيء منه الحقّ ولا يضاذه، والحمد لله ربّ العالمين<sup>(١)</sup>.

فإنّ الظاهر من هذه الرواية أنّ ما أمر به أبو عبد الله عليه السلام زرارة هو الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه الذين لم يكونوا مقيمين في الحرم ومن حاضري المسجد الحرام - كما عبّر عنهم في الكتاب الكريم<sup>(٢)</sup> - فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالإهلال بالحجّ مع نيّة الفسخ عند قدوم مكة، والذي أمر به أبو بصير هو التمتع بالعمرة إلى الحجّ، كما عليه الفتوى. ولعلّه كان في الواقع توسعة وتخيراً، لكنّهم صلوات الله عليهم أمروا الشيعة عند بُعدهم عن الحرم بخصوص التمتع بالعمرة إلى الحجّ، لمصالح معلومة هم صلوات الله عليهم.

ويظهر ذلك أيضاً من رواية أحمد بن الحسن الميثمي<sup>(٣)</sup> أنّه سأل الرضا صلوات الله عليه وقد اجتمع عنده قوم من أصحابه، وقد كانوا يتنازعون في الحديثين المختلفين عن رسول الله صلى الله عليه وآله في الشيء الواحد، فقال صلى الله عليه وآله: إنّ الله حرّم حراماً وأحلّ حلالاً، وفرض فرائض، فما جاء في تحليل ما حرّم الله أو في تحريم ما أحلّ الله، أو دفع فريضة

١. رجال الكشي: ١٣٨، البحار ٢: ٢٤٦.

٢. البقرة (٢) ١٩٦.

٣. هو أحمد بن الحسن بن إساعيل بن شعيب بن ميثم التمار، كوفي ثقة، صحيح الحديث، سليم، معتمد عليه - وقيل واقفي - وطريق الصدوق إليه صحيح. (رجال النجاشي: ١٧٩/٧٤، فهرست

الشيخ الطوسي: ٥٦/٢٢، من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٨٣).

في كتاب الله رُسْمُهَا بَيْنَ قَائِمٍ بِلَا نَاسِخٍ نَسَخَ ذَلِكَ، فَذَلِكَ مَا لَا يَسَعُ الْأَخْذَ بِهِ؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ لِيَحْرَمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ وَلَا لِيُحَلِّلَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَلَا لِيُغَيِّرَ فَرَائِضَ اللَّهِ وَأَحْكَامَهُ، كَانَ فِي ذَلِكَ كَلَّةً مَتَّبِعاً مُؤَدِّياً عَنِ اللَّهِ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيْكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، فَكَانَ ﷺ مَتَّبِعاً لِلَّهِ، مُؤَدِّياً عَنِ اللَّهِ مَا أَمَرَهُ بِهِ مِنْ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ.

قلت: فَإِنَّهُ يَرِدُ عَنْكُمْ الْحَدِيثُ فِي الشَّيْءِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ وَهُوَ فِي السَّنَةِ ثُمَّ يَرُدُّ خِلَافَهُ، فَقَالَ: كَذَلِكَ قَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَشْيَاءَ نَهَى حَرَامٌ فَوَافِقٌ فِي ذَلِكَ نَهْيُهُ نَهْيَ اللَّهِ، وَأَمْرٌ بِأَشْيَاءَ فَصَارَ ذَلِكَ الْأَمْرُ وَاجِباً لِأَمْرٍ كَعَدْلِ فَرَائِضِ اللَّهِ، فَوَافِقٌ فِي ذَلِكَ أَمْرُهُ أَمْرَ اللَّهِ، فَمَا جَاءَ فِي النَّهْيِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَهْيٌ حَرَامٌ ثُمَّ جَاءَ خِلَافُهُ لَمْ يَسَعِ اسْتِعْمَالُ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ فِيهَا أَمْرٌ بِهِ، لِأَنَّ لَا نَرُخِّصُ فِيهَا لَمْ يَرُخِّصْ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَا نَأْمُرُ بِخِلَافِ مَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَّا لِعَلَّةِ خَوْفِ ضَرُورَةٍ. فَأَمَّا أَنْ نَسْتَحِلَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْ نَحْرَمَ مَا اسْتَحَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ أَبَدًا، لِأَنَّ تَابِعُونَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مُسَلِّمُونَ لَهُ، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَابِعاً لِأَمْرِ رَبِّهِ مُسَلِّماً لَهُ، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾<sup>(٢)</sup>.

وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ أَشْيَاءَ لَيْسَ نَهْيٌ حَرَامٌ بَلْ إِعَافَةٌ وَكَرَاهَةٌ، وَأَمْرٌ بِأَشْيَاءَ لَيْسَ بِأَمْرٍ فَرَضٌ وَلَا وَاجِبٌ بَلْ أَمْرٌ فَضْلٌ وَرَجْحَانٌ فِي الدِّينِ، ثُمَّ رُخِّصَ فِي ذَلِكَ لِلْمَعْلُولِ وَغَيْرِ الْمَعْلُولِ، فَمَا كَانَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَهْيٌ إِعَافَةٌ أَوْ أَمْرٌ فَضْلٌ فَذَلِكَ الَّذِي يَسَعُ اسْتِعْمَالَ الرِّخْصَةِ فِيهِ.

إِذَا وَرَدَ عَلَيْكُمْ عَنَّا فِيهِ الْخَبْرَانِ بِاتِّفَاقٍ، يَرُويهِ مِنْ يَرُويهِ فِي النَّهْيِ وَلَا يَنْكُرُهُ، وَكَانَ

١. الأنعام (٦) ٥٠، يونس (١٠) ١٥.

٢. الحشر (٥٩) ٧.

الخبران صحيحين معروفين باتفاق الناقله فيها يجب الأخذ بأحدهما أو بهما جميعاً أو بأيهما شئت وأحببت، موسع ذلك لك من باب التسليم لرسول الله ﷺ والرد إليه وإلينا. وكان تارك ذلك من باب العناد والإنكار وترك التسليم لرسول الله ﷺ مشركاً بالله العظيم.

فما ورد عليكم من خبرين مختلفين فاعرضوهما على كتاب الله، فما كان في كتاب الله موجوداً حلالاً أو حراماً فاتبعوا ما وافق الكتاب، وما لم يكن في الكتاب فاعرضوه على سنن رسول الله ﷺ، فما كان في السنّة موجوداً منهيّاً عنه نهي حرام ومأموراً به عن رسول الله أمر إلزام فاتبعوا ما وافق نهي رسول الله ﷺ وأمره. وما كان في السنّة نهي إعافه أو كراهة ثم كان الخبر الأخير خلافه فذلك رخصة فيما عافه رسول الله وكرهه ولم يحرمه، فذلك الذي يسع الأخذ بهما جميعاً. بأيهما شئت وسعك الاختيار من باب التسليم والاتباع والرد إلى رسول الله ﷺ. وما لم تجدوه في شيء من هذه الوجوه فردوا إلينا علمه، فنحن أولى بذلك، ولا تقولوا فيه بأرائكم. وعليكم بالكفّ والتثبت والوقوف، وأنتم طالبون باحثون حتى يأتيكم البيان من عندنا<sup>(١)</sup>.

ومن هذا القبيل الواجبات التخيرية التي للإمام أن يأمر بواحد شخصاً، ويأمر بالآخر شخصاً آخر، من غير تصريح بالتخير، ومنه المستحبات والمكروهات المختلفة درجات الاستحباب والكراهة فيها، باختلاف وجود بعض الأجزاء والشرائط وعدمه في متعلقاتها، وباختلاف أحوال موضوعاتها بحسب الزمان والمكان وأحوال المكلف المقتضي لاختلاف التعبيرات الظاهرة في الوجوب، من غير تصريح بأنه من

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٠، الوسائل ٢٧: ١١٣، الباب ٩ من أبواب صفات القاضي، الحديث

الله أو من الرسول، أو بأنه حكم مولوي من الإمام إحياءاً للسنة، أو الظاهرة في التحريم، من غير تصريح بأنه من الله أو من الرسول، أو أنه حكم مولوي إمامة لما كرهه الله ورسوله.

وربما يكون إخفاء الحكم الواقعي للثقة من العدو خوفاً منه على الراوي أو على جمع من الشيعة. وربما يكون نفس الاختلاف في الحكم مصلحة لجملة من الشيعة صيانة لهم من سطوات سلاطين الجور الخائفين من تشكّل الشيعة واجتماعهم على أمر واحد.

وبالجملة: إن أكثر موارد الاختلاف هو الموسعات التي يجوز لولي الأمر الاختلاف في كيفية الأمر والنهي إلزامياً أو غير إلزامي، وفي جميع ذلك يجب إطاعة ولي الأمر في ما ظاهره الإلزام من الإمام، ولو فرض عدم الإلزام من الله ومن رسوله واقعاً.

ولا بأس بإخفاء الحكم الواقعي الموسع على السائل عن السائل إذا كان فيه المصلحة، كما ذكرنا، ولذا ورد في غير واحد من الروايات أن عليكم السؤال وليس الجواب واجباً علينا، كرواية أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، من هم؟ قال: نحن، قلت: علينا أن نسألكم؟ قال: نعم، قلت: عليكم أن تجيبونا؟ قال: ذاك إلينا<sup>(٢)</sup>.

على أن منشأ الجهل كثيراً قصور فهم المستمع عن معاريض الكلام الصادر من الإمام.

١. النحل (١٦) ٤٣.

٢. الكافي ١: ١٦٤/٦، الوسائل ٢٧: ٦٦، الباب ٧ من أبواب صفات القاضي، الحديث ١٢.

ويحتمل جريان ما ذكرنا أيضاً في الروايات المختلفة الواردة في علاج المتعارضين، حيث إن مقتضى بعضها التخيير في الأخذ بأبيها شئت إذا كان راوي كليهما ثقة، ومقتضى روايات أخرى الأمر بالأخذ بما فيه المزية<sup>(١)</sup>، من أنها أيضاً مصاديق لتلك الروايات التي موضوعها الموسّعات التي للإمام الولاية في كيفية الأمر بها والنهي عنها، فإنه وإن كان المشهور تقييد المطلق المذكور بما إذا لم يكن في أحدهما المزية على الآخر، إلا أن مقتضى قبح تأخير البيان في الأحكام الإلزامية عن وقت الحاجة مؤيد لما ذكرنا، فيحمل ما دل على الأخذ بما فيه المزية على الاستحباب.

### تنبيه في مسألة البداء

من الأمور المهمة التي يجب الاعتماد بها جواز البداء لله تعالى شأنه، ويدل عليه من الآيات المباركات:

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ \* يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾<sup>(٤)</sup>.

١. انظر الوسائل ٢٧: ١٠٦، الباب ٩ من أبواب صفات القاضي.

٢. الرعد (١٣) ٣٨، ٣٩.

٣. المائدة (٥) ٦٤.

٤. فاطر (٣٥) ١.

﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِهِ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن الروايات ما عن الكافي بسنده عن زرارة عن أحدهما عليهما السلام، قال: ما عبد الله عز وجل بشيء مثل البداء<sup>(٢)</sup>.

وعن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام: ما عظم الله عز وجل بمثل البداء<sup>(٣)</sup>.

وعن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ما بعث الله عز وجل نبياً حتى يأخذ عليه ثلاث خصال: الإقرار له بالعبودية، وخلق الأنداد، وأن الله يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء<sup>(٤)</sup>.

وعن مrazم بن حكيم، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما تنبأ نبي قط حتى يقرّ الله تعالى بخمس خصال: بالبداء، والمشئنة، والسجود، والعبودية، والطاعة<sup>(٥)</sup>.

وعن الريان بن الصلت: قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: ما بعث الله نبياً قط إلا بتحريم الخمر وأن يُقرّ الله بالبداء<sup>(٦)</sup>.

وعن مالك الجهني قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فترّوا عن الكلام فيه<sup>(٧)</sup>.

وسيعلم وضوح الدليل عقلاً ونقلًا على الحكم المذكور إن شاء الله تعالى.

١. الروم (٣٠) ٤.

٢. الكافي ١: ١٤٦، باب البداء، البحار ٤: ١٠٧.

٣. الكافي ١: ١٤٦، باب البداء، البحار ٤: ١٠٧.

٤. الكافي ١: ١٤٦، باب البداء، البحار ٤: ١٠٧.

٥. الكافي ١: ١٤٦، باب البداء، البحار ٤: ١٠٧.

٦. الكافي ١: ١٤٦، باب البداء.

٧. الكافي ١: ١٤٦، باب البداء.

## تنبيهات في المبدأ / ٢٦٣

فقول: **البداء لغة: الظهور، المعبر عنه بالفارسيّة بـ «پدايش»**، فعن القاموس: بدا له في الأمر **بُدُوًّا وبَدَاءة**: نشأ له فيه رأي<sup>(١)</sup>. وفي المنجد: بدا له في أمر: خطر له فيه رأي. وعن الصراح: **بدوّ بضمّتين: پدايش**.

فمنها يظهر أنّ البداء بمعنى حدوث الرأي لا الظهور في مقابل الخفاء. ثم إن البداء وحدث الرأي وتجدده في الخارج قد يكون منشؤه الجهل، كما هو الغالب في المخلوق، وقد يكون منشؤه كمال القدرة والاختيار وعدم انحصار المصلحة فيما رآه أولاً، مع العلم الكامل بها كان وما يكون ووجوه المصلحة فيهما. والظاهر أنّ المراد منه في الآيات والروايات المباركات أنّ الله تعالى وإن خلق الأشياء بمشيئته وإرادته، وقدرها إلى يوم القيامة بل قضى بها وكتبها، ولكنه مع ذلك لم يفرغ من الأمر، بل له الرأي والمشية في المحو والإثبات، والزيادة والنقص، والتقديم والتأخير، والتغيير والتبديل، وأنها ليست عن جهل، بل عن علم بما كان كما كان، وبما يكون كما يكون.

ففي الكافي بسنده عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ما بدا لله في شيء إلا كان في علمه قبل أن يبدو له<sup>(٢)</sup>.

وعن داود بن فرقد، عن عمرو بن عثمان الجهني، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ

---

١. القاموس المحيط ٤: ٣٠٢ وأورد هذا المعنى أيضاً الجوهرية في الصحاح ٦: ٢٢٧٨؛ ونقل ابن منظور في لسان العرب ١: ٢٤٨ عن الفراء أنّه قال: بدالي بداء أي ظهر لي رأي آخر. أقول: الظاهر أنّ الظهور في كلامه بمعنى الحدوث لا بمعنى الظهور بعد الخفاء، لأنّ كلّ حادث له ظهور من حيث حدوثه وليس بالعكس.

٢. الكافي ١: ١٤٦، باب البداء.



الله لم يبدُ له من جهل<sup>(١)</sup>.

وعن منصور بن حازم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله بالأمس؟ قال: لا، من قال هذا فأخزاه الله قلت: أرأيت ما كان وما هو كائن يوم القيامة أليس في علم الله؟ قال: بلى قبل أن يخلق الخلق<sup>(٢)</sup>.

وعن يونس، عن جهم بن أبي جهمة، عن حماد بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إن الله جلّ وعزّ أخبر محمداً عليه السلام بما كان منذ كانت الدنيا، وبما يكون إلى انقضاء الدنيا، وأخبره بالمحتوم من ذلك، واستثنى عليه فيما سواه<sup>(٣)</sup>.

وفي البحار عن إكمال الدين عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من زعم أن الله عزّ وجلّ يبدو له في شيء لم يعلمه أمس فابروا منه<sup>(٤)</sup>.

وفيه عن التوحيد، بسنده عن إسحاق عمن سمعه، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ لم يعنوا أنه هكذا، ولكنهم قالوا قد فرغ من الأمر فلا يزيد ولا ينقص، فقال الله جلّ جلاله تكديماً لقولهم: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾، ألم تسمع الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾<sup>(٥)</sup>؟

وعن تفسير العياشي، قال أبو حمزة: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إن علياً كان يقول: إلى

١. الكافي ١: ١٤٦، باب البدء.

٢. الكافي ١: ١٤٦، باب البدء.

٣. الكافي ١: ١٤٦، باب البدء.

٤. البحار ٤: ١١١.

٥. التوحيد: ١٦٧، البحار ٤: ١٠٤.

السبعين بلاء، وبعد السبعين رخاء، فقد مضت السبعون ولم يَرَوْا رخاءً، فقال لي أبو جعفر عليه السلام: يا ثابت، كان الله قد وَقَّتَ هذا الأمر في السبعين، فلَمَّا قُتِلَ الحسين عليه السلام اشتدَّ غضب الله على أهل الأرض، فأخره إلى أربعين ومائة سنة، فحدثناكم فأذعتم الحديث وكشفتهم قناع الستر<sup>(١)</sup>، فأخره الله ولم يجعل لذلك عندنا وقتاً، ثم قال: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وعنه أيضاً عن حمران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾، فقال: يا حمران، إنّه إذا كان ليلة القدر ونزلت الملائكة الكتبة إلى سماء الدنيا، فيكتبون ما يقضى في تلك السنة من أمر، فإذا أراد الله أن يقدم شيئاً أو يؤخره أو ينقص منه أو يزيد أمر الملك فمحا ما شاء، ثم أثبت الذي أراد. قال: فقلت له عند ذلك: فكُلُّ شيء يكون عند الله في كتاب؟ قال: نعم، فقلت: يكون كذا وكذا ثم كذا وكذا حتى ينتهي إلى آخره؟ قال: نعم، قلت: أي شيء يكون بيده بعده؟ قال: سبحان الله! ثم يُحدث الله أيضاً ما شاء تبارك وتعالى<sup>(٣)</sup>.

وعن العيون بإسناده عن الحسن بن محمد النوفلي في مكاملة سليمان المروزي في أمر البداء، قال عليه السلام: ما أنكرت من البداء يا سليمان والله عزّ وجلّ يقول: ﴿أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾<sup>(٤)</sup>، ويقول عزّ وجلّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ

١. كما في تفسير العياشي ٢: ٢١٨، وفي البحار: السر.

٢. البحار ٤: ١٢٠؛ رواه الشيخ الطوسي في الغيبة: ٢٦٣، وعنه البحار ٤: ١١٤؛ وحمله بعض العلماء على الفرج الجزئي الذي عبّر عنه بالرخاء، لأنّ الفرج الكلي قد قدر بالحتم على يدي حجة بن الحسن المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف. (هداية الأمة: ٧٦٨).

٣. البحار ٤: ١١٩.

٤. مريم (١٩) ٦٧.

الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ»<sup>(١)</sup>، ويقول: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(٢)</sup>، ويقول: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾<sup>(٣)</sup>، ويقول: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾<sup>(٤)</sup>، ويقول عز وجل: ﴿وَأَخْرَجُوا مِنْ جُحُونَ لَأْمِرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٥)</sup>، ويقول عز وجل: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِضُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾<sup>(٦)</sup>.

قال سليمان: هل رويت فيه عن آبائك شيئاً؟ قال: نعم، رويت عن أبي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: إن الله عز وجل علمين: علماً مخزوناً مكنوناً لا يعلمه إلا هو، من ذلك يكون البداء، وعلماً علّمه ملائكته ورسله، فالعلماء من أهل بيت نبينا يعلمونه، قال سليمان: أحب أن تنزعه لي من كتاب الله عز وجل، قال: قول الله عز وجل لنبيه عليه السلام: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾<sup>(٧)</sup>، أراد إهلاكهم ثم بدا لله تعالى وقال: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٨)</sup>. قال سليمان: زدني جعلت فداك، قال

١. الروم (٣٠) ٢٧.

٢. البقرة (٢) ١١٧.

٣. فاطر (٣٥) ١.

٤. السجدة (٣٢) ٧.

٥. التوبة (٩) ١٠٦.

٦. فاطر (٣٥) ١١. يظهر من استدلال الإمام عليه السلام بآيات بدء الخلق أنه بصدد إثبات القدرة التامة المطلقة لله تعالى، وأن له أن يحدث شيئاً لم يكن أو يغير ما قد كان، وأن الاعتقاد بالبدء وبالبداء متلازمان، فمن صدق بدء الخلق فتصديق البداء له أسهل، ومن أنكر البداء فلازمه إنكار البدء أيضاً، وهذا لم يطالب سليمان المتكلم بعد ذكر الآيات دليلاً عقلياً على أصل البداء.

٧. الذاريات (٥١) ٥٤.

٨. الذاريات (٥١) ٥٥.

الرضا عليه السلام: لقد أخبرني أبي عن آبائه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن الله عز وجل أوحى إلى نبي من أنبيائه أن أخبر فلان الملك آتي متوفيه إلى كذا وكذا، فأتاه ذلك النبي فأخبره، فدعا الله الملك وهو على سريرته حتى سقط من السرير وقال: رب أجلني حتى يشب طفلي وأقضي أمري، فأوحى الله عز وجل إلى ذلك النبي أن أت فلان الملك فأعلمه آتي قد أنست أجله وزدت في عمره خمس عشرة سنة، فقال ذلك النبي: يا رب، إنك لتعلم آتي لم أكذب قط، فأوحى الله عز وجل إليه: إنما أنت عبد مأمور فأبلغه ذلك، والله لا يسأل عما يفعل.

ثم التفت إلى سليمان فقال: أحسبك ضاهيت اليهود في هذا الباب، قال: أعوذ بالله من ذلك، وما قالت اليهود؟ قال: قالت اليهود: يد الله مغلولة، يعنون أن الله قد فرغ من الأمر فليس يحدث شيئاً، فقال عز وجل: غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا. الخبر <sup>(١)</sup>.

وعن روضة الكافي وتفسير القمي بإسنادهما عن أبي عبيدة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز ذكره ﴿الْم \* غُلِبَتِ الرُّومُ \* فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾، قال: يا أبا عبيدة، إن هذا لتأويلاً لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم من (آل محمد) <sup>(٢)</sup>، إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما هاجر إلى المدينة وقد ظهر الإسلام كتب إلى ملك الروم كتاباً وبعث إليه رسولاً يدعوه إلى الإسلام، وكتب إلى ملك فارس كتاباً وبعث إليه رسولاً يدعوه إلى الإسلام. فأما ملك الروم فإنه عظم كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وأكرم رسوله. وأما ملك فارس فإنه مزق كتابه واستخف برسول الله صلى الله عليه وآله.

وكان ملك فارس يومئذ يقاتل ملك الروم، وكان المسلمون يهونون أن يغلب ملك

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٨٠، البحار ٤: ٩٥.

٢. كما في الروضة، وفي تفسير القمي: الأئمة.

الروم ملك فارس، وكانوا الناحية ملك الروم أرجى منهم لملك فارس، فلما غلب ملك فارس ملك الروم (بكى لذلك) <sup>(١)</sup> المسلمون واغتموا، فأنزل الله:

﴿الْمَ \* غَلَبَتِ الرُّومُ \* فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ يعني غَلَبَتْهَا فارس ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ وهي الشامات وما حولها ﴿وَهُمْ﴾ يعني فارس ﴿مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ الروم ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ يعني يغلبهم المسلمون ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾. قوله: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ﴾ أن يأمر ﴿وَمِنْ بَعْدُ﴾ أن يقضي بما يشاء. قوله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِحُ الْمُؤْمِنُونَ \* بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾.

قلت: أليس الله عز وجل يقول: في بضع سنين، وقد مضى للمسلمين سنون كثيرة مع رسول الله، وفي إمارة أبي بكر، وإنما غلب المؤمنون فارس في إمارة عمر، فقال: ألم أقل لك إن لهذا تأويلاً وتفسيراً، والقرآن - يا أبا عبيدة - ناسخ ومنسوخ، أما تسمع قوله: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾، يعني إليه المشيئة في القول أن يؤخر ما قدم ويقدم ما أخر، إلى يوم يحتم القضاء بنزول النصر فيه على المؤمنين، وذلك قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِحُ الْمُؤْمِنُونَ \* بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ <sup>(٢)</sup>.

وعن الخرائج قال أبو هاشم: سأل محمد بن صالح أبا محمد عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾، فقال: له الأمر من قبل أن يأمر به، وله الأمر من بعد أن يأمر به بما يشاء... الخبر <sup>(٣)</sup>.

١. كما في تفسير القمي والبحار، وفي الكافي: كره ذلك.

٢. تفسير القمي ٢: ١٥٢ وعنه البحار ٤: ١٠٠، الكافي ٨: ٢٦٩. وعنه تفسير البرهان ٤: ٣٣٦.

٣. البحار ٤: ١١٥، ورواه في تفسير البرهان ٤: ٣٣٦، عن ثاقب المناقب.

وعن العياشي عن فضيل بن يسار عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إن الله كتب كتاباً فيه ما كان وما هو كائن، فوضعه بين يديه، فما شاء منه قدام، وما شاء آخر، وما شاء منه محاً، وما شاء منه أثبت، وما شاء منه كان، وما لم يشأ منه لم يكن<sup>(١)</sup>.

وعن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين يقول: لولا آية من كتاب الله لحدثتكم بما يكون إلى يوم القيامة، فقلت: آية آية؟ قال: قول الله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾<sup>(٢)</sup>.

### توضيح الأمر في البدء يتوقف على بيان أمور

الأول: أن الله تعالى عالم أزلاً بجميع الأنواع الممكنة من المخلوقات بأطوارها وكيفياتها المتضادة وغير المتضادة بها لها من الكثرة، بل إنها لا تنتهي لها، وهو تعالى عالم بنقائضها وتقديراتها قبل وجود شيء منها. وكذا قادر أزلاً على إيجادها على الوجه الممكن من الإيجاد قبل وجود شيء منها أيضاً.

وهذا معنى كونه تعالى عالماً ولا معلوم وقادراً بلا مقدور، كما هو المصرح به في الروايات المباركات، فليس علمه وقدرته عبارة عن الإضافة الإشرافية للوجود إليها، كما قيل، حتى في زمان وجود المعلوم والمقدور، فكيف بما قبله، بل العلم عبارة عن النور الذي تُكشف به المعلومات قبل كونها وبعده. والقدرة عبارة عن السلطنة على إيجادها وعدمه، وعلى أن يفعل وأن لا يفعل، أو جدها أو لم يوجد لها. وهذان كما في سائر كمالاته عين ذاته تعالى، لها الفعلية، أي الواقعية كذاته، أو جد شيئاً أو لم يوجد.

الثاني: أن فعله وخلقته تعالى شيئاً ليس برشح وفيضان من ذاته القدوس، فإنه

١. البحار ٤: ١١٩، عن تفسير العياشي.

٢. البحار ٤: ١١٨، عن تفسير العياشي.

الولادة المنزه ذاته عنها، ولا بتطور وتشوّن لذاته بالأطوار والشؤون، فإنّه النغير المنزه ذاته تعالى عنه أيضاً، فلا اقتضاء في ذاته يكون هو المرجح، أي العلة لخلق شيء دون الآخر فيوجب محدودية القدرة من هذه الجهة.

الثالث: أنّ ما عداه من العوالم لم يُخلق من أصول أزليّة، وليس مسبوقاً بمثال احتذاه، كما صرّح به في غير واحد من الخطب وغيرها أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام، بل جميعها بما لها من المادّة والصور النوعية والتقدير والنظم وسائر الأعراض إبداع منه تعالى، خلقت لا من شيء، فلا محدودية من هذه الجهة أيضاً.

الرابع: أنّ العلة الغائية التي تخرج بها الأفعال عن العيب واللغوية، وعن كونها غير مناسبة لصفة الحكمة في ذاته القدّوس من جهة الحُسن والقبح العقليّين، والمصلحة والمفسدة فيها - بعد وضوح عدم تأثيرها في قدرته تعالى وسلطنته تكويناً عليها - لا تنحصر في شيء واحد منها تكون هي المخصّص والمرجّح العقليّ له دون غيره، بل تكون في كثير منها، بل يكون الحُسن والمصلحة في كثير منها على السواء. ودعوى حصرها في العالم الموجود دون غيره مجازفة. وفيما يكون المرجّح العقليّ في فعلين مثلاً على السواء يكون المرجّح في فعل أحدهما منحصراً بالمشيئة، ويفعله الحكيم بمشيئته بلا تأمّل، لكونه محصّلاً للغرض، فلا محدودية لذاته الحكيم من جهة حكمته توجب عليه خلقة هذا العالم الموجود دون غيره.

فتحصّل ممّا ذكرنا أنّ الذات القدّوس له الإطلاق والحريّة وعدم المحدودية في قدرته تكويناً مع عدم تناهي مقدوراته الممكن إيجادها، وفي حكمته أي في قدرته بحسب حكم العقل أيضاً بحسب الغالب لعدم انحصار ما فيه المصلحة والحسن في شيء معيّن من مقدوراته.

بل المخصّص تكويناً وعقلاً لإيجاده بعضها دون غيره منحصر في مشيئته وأمره،  
فيفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

وظهر ممّا ذكرنا أنّه لا بدّ للقادر من المشيئة كي تكون هي المرجّح والعلّة تكويناً  
للشيء، وإلاّ لزم الترجيح بلا مرجّح الذي مرجعه إلى وجود المعلول بلا علّة؛ فإنّ  
نسبة الذات القادر وقدرته لولا مشيئته إلى مقدوراته على سواء. فإن كان ذاته لولا  
مشيئته كافياً في وجود المقدور لزم وجود جميعها، وإلاّ لزم عدم وجود شيء منها، فلا  
مخصّص للشيء الموجد إلاّ مشيئته، والمشيئة فعله.

وتأمّا أطلنا الكلام في المقام لدفع بعض الأوهام الصادرة من بعض الأفلام،  
الموجب لتوهم وجوب خلقه هذا العالم وتعيّنه عليه تعالى شأنه. فنقول: ربّنا لك الحمد  
كما استحمدت به على أهلّه الذين خلقتهم له. اللهم ربّنا لك الحمد كما رضيت به  
لنفسك وقضيت به على عبادك.

ثمّ إنّ تعالى بعد ما خلق الخلق تكون قدرته وبسط يده على إبقائه وإفائه وتبديله  
وتغيير ما قدر فيه زيادة ونقصاً وتقديماً وتأخيراً نظير قدرته على إيجاده وإحداثه، لا  
ملزم له على إبقاء شيء منه، لا تكويناً لسعة قدرته وعدم تناهي مقدوراته الممكنة، ولا  
بحكم العقل إلاّ ما يقبح عقلاً كالظلم ونظيره من القبائح العقلية. التي منها خلف  
الوعد المنجز<sup>(١)</sup> - دون المشروط بشيء كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ

١. يرشد إلى هذا الحكم العقلي قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْسِبَنَّ اللَّهُ الْمُخْلِيفَ وَعْدَهُ رَسُولُهُ﴾ إبراهيم (١٤):

٤٧، وما ورد في آيات عديدة من أنّه لا يخلف الميعاد، منها: سورة الزمر (٣٩): ٢٠؛ ويؤيده

ظواهر الروايات الدالة على وجوب الوفاء بالوعد (الوسائل ١٢: ١٦٤، الباب ١٠٩ من أبواب

أحكام العشرة) وإن حلها الأكثر على الاستحباب.



بِعَهْدِكُمْ ﴿<sup>(١)</sup>﴾ - لا خلف الوعيد، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ ﴿<sup>(٢)</sup>﴾. وإلا فيما يكون فيه الحزاة مما لا يليق بكرمه تعالى، كما يشهد عليه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ ﴿<sup>(٣)</sup>﴾، ونحو ذلك مما هو أعلم بمواضعه بل هو العالم دوننا.

وبالجملة: أن مجرد مشيئته وإرادته وتقديره بل وقضائه بشيء لا يوجب عليه تنفيذه وإمضاه، بل له تغييره بأيسر الدعاء وأيسر الطاعة وأيسر المعصية، وبقول ما شاء الله، وأمثال ذلك من الأفعال والأذكار.

فمن كتاب الإمامة والتبصرة من الحيرة لعلي بن بابويه بسنده عن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل نبيّ وعده الله أن ينصره إلى خمس عشرة ليلة، فأخبر بذلك قومه فقالوا: والله إذا كان ليفعلنّ ويفعلنّ، فأخره الله إلى خمس عشرة سنة. وكان فيهم من وعده الله النصر إلى خمس عشرة سنة، فأخبر بذلك النبيّ قومه فقالوا: ما شاء الله، فعجله الله لهم في خمس عشرة ليلة <sup>(٤)</sup>.

وعرفان العبد هذا الكمال له تعالى يفتح عليه باب الرجاء، والخوف، والدعاء، والإنابة، والمواظبة على الطاعة، وترك المعصية، والتوبة، وابتغاء الوسيلة، والاجتهاد في العبادة، والتضرّع إليه تعالى شأنه، وصلّة الأرحام والصدقة وغيرها <sup>(٥)</sup>.

١. البقرة (٢) ٤٠.

٢. آل عمران (٣) ١٢٩، المائدة (٥) ١٨، الفتح (٤٨) ١٤.

٣. الأنفال (٨) ٥٣.

٤. البحار ٤: ١١٢؛ الإمامة والتبصرة: ٩٤.

٥. القول بالبداة مما أوجب به عمّا يعترضه بعض المخالفين على مبيت الوصيّ سلام الله عليه على فراش النبيّ عليه السلام ليلة فراره من مكّة المكرّمة، بإنكار كون ذلك فضيلة له، وذلك لأنّ الفضيلة إنّما

## تنبيه

الأدلة الدالة على الحثّ على الخصال المذكورة آنفاً ونحوها في القرآن المجيد وفي ما وصل إلينا من الأئمة الهداة - صلوات الله عليهم - قولاً وعملاً، كلّ واحد منها دليل على ثبوت البداء له تعالى شأنه.

ففي الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام: ادعُ ولا تُقل إن الأمر قد فرغ منه، إن عند الله منزلة لا تنال إلا بمسألة<sup>(١)</sup>.

وفيه عنه عليه السلام: إن الدعاء يردّ القضاء وقد نزل من السماء وقد أبرم إبراهيم<sup>(٢)</sup>.

وفيه عن أبي الحسن موسى عليه السلام: عليكم بالدعاء؛ فإن الدعاء لله والطلب إلى الله

تكون مع عدم علمه بما قدّر له من السلامة، فمع علمه بها - كما هو دعوى الشيعة أن الإمام يعلم الغيب - لا يكون المبيت فضيلة وفخراً له.

وتوضيح الجواب ما يستفاد من الروايات المتقدمة من أنه عليه السلام كان عالماً بما هو المسطور في لوح المحو والإثبات وهو سلامته من القتل في تلك الليلة، ولكنه مع ذلك كان الجائر في نفسه مغايرة علمه للعلم المخزون الذي لا يعلمه إلا هو بإمكان كون سلامته مشروطة بشرط مستور عنه عليه السلام، فيكون المقدّر له في ليلته القتل والهلاك بالبداء منه تعالى، فوطن نفسه على ذلك ولم يبالي بهلاك نفسه الشريفة مع سلامة النفس المقدّسة النبوية عليه السلام، ولذلك قام جبرئيل عليه السلام عند رأسه وميكائيل عند رجله ونادى جبرئيل: «بخ بخ، من مثلك يا ابن أبي طالب، يباهي الله بك الملائكة؟!»، وأنزل الله سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ البقرة (٢) ٢٠٧. (أسد الغابة ٤: ٢٥، شواهد التنزيل ١: ١٢٣، تفسير البرهان ١: ٤٤١ - ٤٤٥، نور الأفهام ٢: ١٠٠ - ١٠١).

١. الكافي ٢: ٤٦٦.

٢. الكافي ٢: ٤٦٩.

يردّ القضاء وقد قُدّر وقُضي ولم يَبَقْ إلّا إمضاءؤه. فإذا دُعِيَ الله عزّ وجلّ وسئل صرف البلاء صرفه<sup>(١)</sup>.

وفيه بسنده عن عمر بن يزيد، قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: إنّ الدعاء يرَدّ ما قُدّر وما لم يُقَدَّر. قلت: وما قُدّر عرفته، فما لم يُقَدَّر؟ قال: حتّى لا يكون<sup>(٢)</sup>.  
ومّا ذكرنا يظهر وجه الإصرار في الكتاب والسنة على تعليق الأمور بمشيئة الله، وترتب الثواب على القول بها وإظهار الاعتراف بها.

### تنبيه

في البحار عن كتاب زيد النرسيّ عن عبيد بن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما بدا لله بداء أعظم من بداء بدا له في إسماعيل ابني<sup>(٣)</sup>.

وفيه عن إعلام الوري وإرشاد المفيد مسنداً عن عليّ بن جعفر، قال: كنت حاضراً أبا الحسن عليه السلام لما توفيّ ابنه محمد، فقال للحسن: أحدث الله شكراً فقد أحدث فيك أمراً<sup>(٤)</sup>.

أقول: ليس المراد البداء في أمر الإمامة، لضرورة الروايات، بل لعله في رفع الاختلاف والفتنة التي تترتب على بقائها بعد رحلة الإمامين عليهما السلام.

١. الكافي ٢: ٤٦٩.

٢. الكافي ٢: ٤٦٩.

٣. البحار ٤: ١٢٢ و ٤٧: ٢٦٩.

٤. البحار ٥٠: ٢٤٤. وفي رواية أبي هاشم الجعفريّ عن أبي الحسن عليه السلام: «بدا لله في أبي محمد بعد

أبي جعفر ما لم يكن يعرف له، كما بدا له في موسى بعد مضيّ إسماعيل ما كشف به عن حاله»

(الكافي ١: ٣٢٧). أقول: وردت روايات عديدة بهذا المضمون لكن ليست بصحيحة على

الاصطلاح، فالتوجيه المتين المذكور في المتن مبنيّ على فرض صحة أسنادها.

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

## تنبيهات في المعاد

المعاد على ثلاثة معانٍ: المعنى المصدرى - أي العود - وهو الرجوع، ومكان العود، وزمانه. ومورد الكلام هو المعنى الأول. والمراد منه هنا: عود الإنسان بعد موته حياً لجزاء أعماله التي ارتكبها في دار الدنيا باختياره.

## الدليل العقلي والنقلي على ثبوت المعاد

المعاد أمر ثابت عقلاً ونقلاً، ويجب الاعتقاد به.

أما العقل فلأن الإنسان يجد بحسّه وعيانه أنّ من الناس قوماً يؤمنون بالله ورسوله ويطيعونها، ويعملون الصالحات ويحسنون إلى العباد، ومنهم قوم يكفرون بالله ويعصونه ويصرفون أعمارهم في الجناية والظلم. وكثيراً ما يكون الكافر والعاصي والظالم في سعة من المال، وصحة في البدن، وأمن من الخوف، وأمثال ذلك من نعم

الله، والمؤمن المطيع مظلوماً مقهوراً في أيدي الظلمة، أو في ضيق من المعيشة، وعلل في الجسم ونحو ذلك، وقل من يخلو منهما. والجميع يموتون على ما كانوا عليه من الحالين، فلو لم تكن بعد هذه الحياة دار يُجزون فيها بأعمالهم ويُقتصّ فيها من الجاني، ويُجبر كسر المظلوم كان ذلك منافياً لعدل الخالق الذي وصف نفسه بالعدل ونفي الظلم.

وتوهم عدم الحاجة إلى المعاد فيما إذا كان المؤمن المطيع في السعة، والكافر أو العاصي في الضيق في هذه الدنيا، مدفوع بأن المشهود أنّ الجزء كثيراً ما لا يُعطى، وإن أُعطي فإنه لا يُستوفى.

وأيضاً كان منافياً لحكمة الخالق الذي وصف نفسه بالحكمة، ووصف فعله بالتره عن العبث. وقد نبّه على هذين الحكمين في القرآن العظيم بقوله تعالى:

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ \* وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى

١. السجدة (٣٢) ١٨.

٢. القلم (٦٨) ٣٥.

٣. ص (٣٨) ٢٨.

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١﴾ .

﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَسْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ \* فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \*  
وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٢) .

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (٣) .

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ (٤) .

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ... فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِيفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ

اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ (٥) .

وأما النقل فالكتاب العزيز - مضافاً إلى ما ذكرناه وما نذكره، وكذلك الروايات المباركات - مشحون بالبشارة والإنذار، وبذكر الجنة والنار وما أعدّ فيها للأبرار والفجار، فهو من ضروري دين الإسلام بل ضروري جميع الأديان الإلهية (١) .

١ . الجاثية (٤٥) ٢١، ٢٢ .

٢ . الزلزلة (٩٩) ٦ - ٨ .

٣ . المؤمنون (٢٣) ١١٥ .

٤ . طه (٢٠) ١٥ .

٥ . إبراهيم (١٤) ٤٢، ٤٧ .

٦ . ضروري الدين عبارة عن ما علم بالضرورة أنه من الدين، سواء أكان من الأصول الاعتقادية أم كان من الفروع العملية، كوجوب الصلاة والزكاة ونحوهما، وعلى هذا فكل أصل ضروري وليس بالعكس. وثمرة الفرق بينهما تظهر عند الإنكار، فإن إنكار الأصل يوجب كفر منكروه سواء أكان مقصراً أم قاصراً، ملتفتاً، أم غافلاً، لأنه أنكر ما يتقوم به الدين ويعتبر على وجه الموضوعية في تحققه فلا مدخلة هنا للعلم والاتفات، غاية الأمر أن القصور أو الغفلة قد يوجبان عدم استحقاق العقوبة، بخلاف إنكار الضروري فإنه - على ما قال جمع من المحققين -

### المعاد الروحاني والجسماني

المعاد الروحاني عبارة عن بقاء الأرواح بعد مفارقة الأبدان مُنعمّة أو مُعذّبة، والأبدان تَبلى وتُفنى ولا عود لها. والجسماني عبارة عن أنّ الله تعالى شأنه يعيد الأبدان بعد موتها وتفرّق أجزائها، ويؤلّف بينها على هيئتها الأولى، أو مع تغيير في بعض العوارض، فتعلّق بها الأرواح، كما في هذه الدنيا، ويُعذّب أو يُنعم كلّ إنسان بجسمه الواجد للروح، وإن شئت قلت: الروحاني والجسماني معاً.

فمن العلامّة في شرح الياقوت: اتفق المسلمون على إعادة الأجساد، خلافاً للفلاسفة<sup>(١)</sup>.

وعن الفخر الرازي في نهاية العقول: إجماع الأنبياء على إثبات المعاد البدني<sup>(٢)</sup>.  
وعن المحقق الدواني في شرح العقائد العضدية: والمعاد - أي الجسماني، فإنّه المتبادر من إطلاق الشرع، إذ هو الذي يجب الاعتقاد به ويكفر من أنكره - حقّ بإجماع أهل

ليس سبباً مستقلاً للكفر، بل إنّما يوجبه إذا كان المنكر ملتفتاً إلى ضروريته فيستلزم إنكاره إنكار النبي ورسالته؛ وعلى ما ذكرنا فمن قال بأنّ المعاد مطلقاً أو المعاد الجسماني من ضروريات دين الإسلام أو الأديان الإلهية، فالظاهر أنّ مراده أنّه ليس من المسائل الاعتقادية النظرية لا أنّه ليس من أصول الدين، لما عرفت من أنّ الضروري يعمّ الأصول وغيرها، وقد صرح بعض الفقهاء بأنّ الإيمان بالمعاد لما قرّن في كتاب الله بالإيمان بالله تبارك وتعالى فهو من أصول الدين وله موضوعيّة في التلبس بحلية الإسلام وأنّ إنكار المعاد الجسماني وجمع العظام البالية وإرجاع الأرواح فيها موجب للكفر سواء أكان مستنداً إلى العناد أم كان مستنداً إلى الغفلة وعدم الالتفات. مصباح الفقاهة ١: ٣٨٢ - ٣٨٣.

١. أنوار الملوكوت: ١٩١.

٢. البحار ٧: ٤٨، ٥٠.

الملل الثلاث، وشهادة نصوص القرآن في المواضع المتعددة بحيث لا يقبل التأويل ...  
وعنه أيضاً: قال الإمام: الإنصاف أنه لا يمكن الجمع بين الإيمان بما جاء به النبي ﷺ  
وبين إنكار الحشر الجسماني<sup>(١)</sup>.

وعن أبي عليّ الشيخ الرئيس أنه - مع إنكاره الدليل العقليّ على المعاد الجسمانيّ -  
اعترف بثبوتها من طريق الشرع، حيث قال في كتاب النجاة والشفاء: وقد بسطت  
الشرعية الحقّة التي أتانا بها سيدنا ومولانا محمد ﷺ حال السعادة والشقاوة التي  
بحسب البدن ...<sup>(٢)</sup>.

ثمّ المراد من المعاد الجسمانيّ - كما ذكرنا - هو عود البدن بما له من المادّة المشخّصة  
التي بها قوام الجسميّة الموجودة قبل الموت بعينه، وإن كانت الصورة العرضيّة جديدة،  
كما سيأتي في الرواية تمثيل الإمام ﷺ لذلك باللبنة إذا كُمرت وأعيدت ثانية بصورة  
اللبنة، فهو هو من جهة المادّة والجسميّة، وغيره من حيث الصورة العرضيّة.

### الآيات والروايات الدالّة على المعاد الجسمانيّ

المعنى المذكور للمعاد الجسمانيّ هو الظاهر من الآيات بل صريح بعضها، وكذا  
الروايات المتواترة:

أما الآيات فمنها قوله تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ  
مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ \* قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ<sup>(٣)</sup>.

١. البحار ٧: ٤٨، ٥٠.

٢. راجع البحار ٧: ٤٨، ٥٠. النجاة: ٢٩١؛ الشفاء (الإلهيات): ٤٢٣.

٣. الأعراف (٧) ٢٤، ٢٥.



﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾<sup>(١)</sup>.  
 ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا  
 أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.  
 ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِنَّمَا نُنَادِيكُمُ آبَاءَانَا إِنَّنَا لَمُخْرَجُونَ ﴾ \* لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ  
 وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>.  
 ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾<sup>(٤)</sup>.  
 ﴿ وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ \* قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي  
 أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾<sup>(٥)</sup>.  
 ﴿ أَئِنَّمَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ \* أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴾ \* قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ  
 دَاخِرُونَ ﴾ \* فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴾<sup>(٦)</sup>.  
 ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ \* حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ  
 سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ \* وَقَالُوا لَوْلَا دِهِمُ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا  
 قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾<sup>(٧)</sup>.  
 ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكِيرٍ ﴾ \* خُشِعَا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنْ

١. طه (٢٠) ٥٥.

٢. الروم (٣٠) ٢٥.

٣. النمل (٢٧) ٦٧، ٦٨.

٤. الحج (٢٢) ٧.

٥. يس (٣٦) ٧٨، ٧٩.

٦. الصافات (٣٧) ١٦ - ١٩.

٧. فصلت (٤١) ١٩ - ٢١.

الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُتَشِيرٌ \* مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿١﴾ .  
 ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ \* قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٢﴾ .

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ \* وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٣﴾ .

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ \* إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ \* يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤﴾ .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمْرِقٍ إِنَّا لَنُفِخُ فِي الصُّورِ نَفْخًا وَنُحْيِي الْمَوْتَى لَنُرَآهُمْ أَصْفَادًا \* أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٥﴾ .

﴿أَنذَأْ مَتَنًا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ \* قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴿٦﴾ .

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ

١. القمر (٥٤) ٦-٨ .

٢. يس (٣٦) ٥١، ٥٢ .

٣. الزمر (٣٩) ٦٨، ٦٩ .

٤. ق (٥٠) ٤٢-٤٤ .

٥. سبأ (٣٤) ٨، ٧ .

٦. ق (٥٠) ٤، ٣ .

لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً  
لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى  
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَى  
وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ  
مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ \* (١)

\* وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ \* فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ  
بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ \* (٢)

وأما الروايات فلا تحصى كثرة، نكتفي بذكر عدة منها:

في الاحتجاج: أنه قال الزنديق للصادق عليه السلام: أتى له بالبعث والبدن قد بلي،  
والأعضاء قد تفرقت؟! فعضو في بلدة تأكله سباعها، وعضو بأخرى تمرّقه هوائها،  
وعضو قد صار تراباً بُني به مع الطين حائط!

قال: إن الذي أنشأه من غير شيء وصوره على غير مثال كان سبق إليه، قادر أن  
يعيده كما بدأه.

قال: أوضح لي ذلك.

قال: إن الروح مقيمة في مكانها، روح المحسن في ضياء وفسحة، وروح المسيء  
في ضيق وظلمة، والبدن يصير تراباً كما منه خلق، وما تقذف به السباع والهوام من  
أجوافها، فما أكلته ومرّفته كل ذلك في التراب محفوظ عند من لا يعزب عنه مثقال ذرة  
في ظلمات الأرض ويعلم عدد الأشياء ووزنها. وإن تراب الروحانيين بمنزلة الذهب

١. البقرة (٢)، ٢٥٩، ٢٦٠.

٢. البقرة (٢)، ٧٢، ٧٣.

في التراب، فإذا كان حيث البعث مطرت الأرض، فتربو الأرض ثم تمخض مخض السقاء، فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب إذا غسل بالماء، والزيد من اللبن إذا مخض، فيجتمع تراب كل قالب (إلى قالبه)<sup>(١)</sup>، فينتقل بإذن الله تعالى إلى حيث الروح، فتعود الصور بإذن المصوّر كهيتها، وتلج الروح فيها، فإذا قد استوى لا ينكر من نفسه شيئاً...<sup>(٢)</sup>.

وعن أمالي الشيخ مسنداً عن حفص بن غياث، قال: كنت عند سيّد الجعافرة جعفر بن محمد عليه السلام لما أقدمه المنصور، فأتاه ابن أبي العوجاء وكان ملحداً فقال: ما تقول في هذه الآية: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾<sup>(٣)</sup>، هب هذه الجلود عصت فعُدّبت، فما ذنب الغير؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: ويحك هي هي، وهي غيرها. قال: أعقّلي هذا القول، فقال له: رأيت لو أنّ رجلاً عمد إلى لبنة فكسرها ثم صبّ عليها الماء، وجعلها ثم ردها إلى هيتها الأولى ألم تكن هي هي وهي غيرها؟ فقال: بلى، أمتع الله بك<sup>(٤)</sup>.

أقول: الظاهر أنّ المراد أنّها هي من جهة المادّة، وغيرها من جهة الصورة، فعليه تكون الرواية صريحة في أنّ المعدّب ليس هو الصورة المحضة، وإلا فلا يكون هي هي حقيقة<sup>(٥)</sup>.

١. ما بين القوسين ليس في البحار.

٢. الاحتجاج ٢: ٩٧، وعنه البحار ٧: ٣٧.

٣. النساء (٤) ٥٦.

٤. البحار ٧: ٣٩ عن الأمالي ٧: ٣٨ عن الاحتجاج بتفاوت سير.

٥. يستفاد من هذه الرواية أنّ الصورة الاتصالية من الأعراض وأنّه لا مدخلة لها في تشخيص الجسم بل هي من المميزات والأمارات، فلا يضرّ انعدامها في تشخيصه حتّى يستلزم إعادتها

وعن أمالي الصدوق مسنداً عن جميل عن جعفر بن محمد عليه السلام، قال: إذا أراد الله أن يبعث الخلق أمطر السماء أربعين صباحاً، فاجتمعت الأوصال ونبتت اللحوم <sup>(١)</sup>.  
وعن تفسير علي بن إبراهيم بسنده الصحيح عن جميل بن دراج، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إذا أراد الله أن يبعث الخلق أمطر السماء على الأرض أربعين صباحاً، فاجتمعت الأوصال ونبتت اللحوم. وقال: أتى جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وآله، فأخذه فأخرجه إلى البقيع، فأنهى به إلى قبر فصوت بصاحبه فقال: قم بإذن الله، فخرج رجل أبيض الرأس واللحية يمسح التراب عن وجهه وهو يقول: الحمد لله والله أكبر، فقال جبرئيل: عد بإذن الله. ثم انتهى به إلى قبر آخر فقال: قم بإذن الله، فخرج منه رجل مسود الوجه وهو يقول: يا حسرتاه يا ثوراه، ثم قال له جبرئيل: عد إلى ما كنت فيه بإذن الله. فقال: يا محمد، هكذا يُحشرون يوم القيامة، والمؤمنون يقولون هذا القول، وهؤلاء يقولون ما ترى <sup>(٢)</sup>.

وفي لآلي الأخبار عن علي بن الحسين عليهما السلام، قال: فنبتت أجساد الخلائق كما نبتت البقل، فتتداني أجزاءهم التي صارت تراباً بعضها إلى بعض بقدرة العزيز الحميد، حتى أنه لو دُفن في قبر واحد ألف ميت وصار لحومهم وأجسادهم وعظامهم النخرة

---

إعادة المدوم. فيندفع ما قيل - بناءً على القول بالاتصال الذاتي ومساوغة الصورة الاتصالية للوحدة الشخصية وامتناع إعادة المدوم - من أن البدن عند تفرقه ينعدم بصورته الاتصالية وأعراضه، فلا يعاد بشخصه، وأن المعاد بمعنى عود النفس التي لا فناء لها إلى عالم المقارقات.

١. البحار ٧: ٣٣.

٢. تفسير القمي ٢: ٢٥٣، وعنه البحار ٧: ٣٩.

تراباً مختلطة بعضها في بعض لم يختلط تراب مَيِّت بمَيِّت آخر<sup>(١)</sup>.

وفي الكافي بسنده عن عمار بن موسى، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سئل عن المَيِّت يبلى جسده؟ قال: نعم، حتّى لا يبقى له لحم ولا عظم إلا طينته التي خُلِقَ منها فإِتْهَا لا تبلى، تبقى في القبر مستديرة حتّى يُخْلَقَ منها كما خُلِقَ أول مرّة<sup>(٢)</sup>.

وما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾<sup>(٣)</sup>، وهي عدّة روايات منها: خبر زرارة، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ قال: تُبَدَّلُ خبزة نقيّة يأكل الناس منها حتّى يفرغ الناس من الحساب، فقال له قائل: إنهم لفي شغل يومئذ عن الأكل والشرب، قال: إن الله خلق ابن آدم أجوف، فلا بدّ له من الطعام والشراب، أهم أشدّ شغلاً يومئذ أم من في النار؟ فقد استغاثوا، والله يقول: ﴿وَإِنْ يَسْتَعْجِلُوا يُعَاقَبُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ﴾<sup>(٤)</sup>.

أقول: فُتِرَ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ بوجوه:

منها: تبديلها عند خروج الناس من قبورهم يوم القيامة بما يمكن أكله كالخبز النقيّ يأكلون منها حتّى يفرغوا من الحساب.

ومنها: صيرورتها كما دُحيت أول مرّة، ليس عليها جبال ولا نبات. وقد دلّت على

١. لآلي الأخبار ٥: ٦٠.

٢. الكافي ٣: ٢٥١، البحار ٧: ٤٣.

٣. إبراهيم (١٤) ٤٨.

٤. الكهف (١٨) ٢٩، البحار ٧: ١٠٩، عن المحاسن.

هذا عدّة من الروايات أوردتها في تفسير البرهان ونور الثقلين<sup>(١)</sup>.

ومنها: تبديلها بأرض أخرى يخلقها بعد استقرار أهل الجنّة في الجنان، وأهل النار في النيران، ويخلق عليها خلقاً آخر.

دلّت عليه رواية محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لقد خلق الله عزّ وجلّ في الأرض منذ خلقها سبعة عالمين، ليس هم من ولد آدم، خلقهم من أديم الأرض، فأسكنهم فيها واحداً بعد واحد مع عالمه، ثمّ خلق الله عزّ وجلّ آدم أبا البشر وخلق ذريّته منه. ولا والله ما خلقت الجنّة من أرواح المؤمنين منذ خلقها، ولا خلقت النار من أرواح الكفّار والعصاة منذ خلقها عزّ وجلّ. لعلكم ترون أنّه إذا كان يوم القيامة وصير الله أبدان أهل الجنّة مع أرواحهم في الجنّة، وصير أبدان أهل النار مع أرواحهم في النار أنّ الله تبارك وتعالى لا يُعبد في بلاده ولا يخلق خلقاً يعبدونه ويوحّدونه ويعظّمونه؟ بل والله ليخلقن خلقاً من غير فحولة ولا إناث يعبدونه ويوحّدونه ويعظّمونه، ويخلق لهم أرضاً تحملهم، وسماً تظلمهم، أليس الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

أقول: وأما تبديل الأرض بالصورة الجسميّة المصطلحة - أي الصورة المجردة عن المادّة كما عن بعض - فليس عليه دليل، بل صريح بعض الروايات المتقدّمة خلافه.

ومما يدلّ على المعاد الجسمانيّ بمعناه الحقيقيّ<sup>(٣)</sup> - لا الصورة الجسميّة فضلاً عن

١. تفسير البرهان ٣: ٣٢٠ - ٣٢١؛ نور الثقلين ٢: ٥٥٦.

٢. في (٥٠) ١٥، البحار ٥٤: ٣١٩ عن الخصال.

٣. معناه أن يكون البدن المعاد عين البدن الدنيوي في جوهره ومادته ويجمع أجزاء ذلك البدن مع

كون ما يُرى في القيامة من مبدعات النفس - مضافاً إلى ما تقدّم ما رواه في البحار عن التهذيب مسنداً عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث فضل مسجد السهلة: ... وهو من كوفان، وفيه يُنفخ في الصور، وإليه المحشر، ويحشر من جانبه سبعون ألفاً يدخلون الجنة<sup>(١)</sup>.

وعن المحاسن مسنداً عن أبي عبد الله عليه السلام: يخرج شيعتنا من قبورهم على نُوقٍ بيض لها أجنحة، وشُرْكُ نعالهم نور يتلأأ، قد وضعت عنهم الشدائد ... توضع لهم مائدة يأكلون منها والناس في الحساب<sup>(٢)</sup>.

وعن الأمالي للصدوق مسنداً عن الصادق عن أبيه عليه السلام أن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: لا تنشق الأرض عن أحد يوم القيامة إلا وملكان آخذان بضبعه<sup>(٣)</sup> يقولان: أجب رب العزة<sup>(٤)</sup>.

وعن تفسير فرات بن إبراهيم عن الحسين بن سعيد مسنداً عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال - وعنده نفر من أصحابه وفيهم علي بن أبي طالب عليه السلام - : إن الله تعالى إذا بعث الناس يوم القيامة يخرج قوم من قبورهم، بياض وجوههم كيباض الثلج، عليهم ثياب بياضها كيباض اللبن، وعليهم نعال من ذهب شراكها - والله - من

---

الروح والبدن الأصلي، حتى يصدق أنّ الإنسان المعاد عين الإنسان المكلف في عالم الدنيا، إذ بدون ذلك لا تصدق العينية ولو كان البدن الأخرى في الصورة الجسميّة القابلة للأبعاد الثلاثة مثل البدن الدنيوي ومن جهة النفس عينه.

١. البحار ٧: ١١٦، وفي التهذيب ٦: ٣٧؛ يدخلون الجنة بغير حساب.

٢. المحاسن: ١٧٩، وعنه البحار ٧: ١٨٤.

٣. الضّيع - بسكون الباء - : وسط العُضد. (لسان العرب ٣: ٢٢٨٠).

٤. أمالي الصدوق: ٣٣٦، وعنه البحار ٧: ١٠٦.



نور يتلألاً، فيؤتون بنوق من نور عليها رحال الذهب قد وُسحت بالزبرجد والياقوت، أزيمة نوقهم سلاسل الذهب، فيركبونها حتى ينتهوا إلى الجنان، والناس يُجاسبون ويغتمون ويهتمون وهم يأكلون ويشربون. فقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: مَنْ هم يا رسول الله؟ قال: هم شيعةك، وأنت إمامهم، وهو قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾<sup>(١)</sup>، قال: على النجائب<sup>(٢)</sup>.

وعنه عن محمد بن عيسى الدهقان مسنداً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلي: يا علي، أبشر وبشر فليس على شيعةك حسرة عند الموت، ولا وحشة في القبور، ولا حزن يوم النشور، ولكأني بهم يخرجون من جدث القبور ينفضون التراب عن رؤوسهم ولحاهم يقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

وعنه عن الحسين بن سعيد بسنده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقنوا موتاكم «لا إله إلا الله»؛ فإنها أنيس للمؤمن حيث يَمْرُق من قبره. قال لي جبرئيل: يا محمد، لو تراهم حين يمرقون من قبورهم ينفضون التراب عن رؤوسهم وهذا يقول: لا إله إلا الله والحمد لله، مبيض وجهه، وهذا يقول: يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله - يعني في ولاية علي - مُسَوِّد وجهه<sup>(٤)</sup>.

وعن ثواب الأعمال عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان في ما ناجى به موسى ربه أن قال:

١. مريم (١٩) : ٨٥.

٢. البحار ٧: ١٩٤، عن تفسير فرات: ٩١.

٣. فاطر (٣٥) : ٣٤. البحار ٧: ١٩٨، عن تفسير فرات: ١٢٨.

٤. البحار ٧: ٢٠٠، عن تفسير فرات: ١٤٠.

يا رب، ما لمن شيع جنازة؟ قال: أوكل به ملائكة من ملائكتي معهم رايات يشيعونهم من قبورهم إلى محشرهم<sup>(١)</sup>.

وعن تفسير القمي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾<sup>(٢)</sup>: فَإِنَّ الْقَوْمَ كَانُوا فِي الْقُبُورِ، فَلَمَّا قَامُوا حَسِبُوا أَنَّهُمْ كَانُوا نِيَامًا قَالُوا: يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا؟ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وعن كتاب فضائل الشيعة للصدوق بسنده عن أبي بصير عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: يا علي، أنا أول من يفيض التراب عن رأسه وأنت معي، ثم سائر الخلق... الخبر<sup>(٤)</sup>.

وعن تفسير علي بن إبراهيم قال: وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿أَنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾<sup>(٥)</sup>، يقول: أي في خلق جديد. وأما قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾، فالساهرة الأرض، كانوا في القبور، فلما سمعوا الزجرة خرجوا من قبورهم واستَووا على الأرض<sup>(٦)</sup>.

١. البحار ٧: ٢٠٨، عن ثواب الأعمال.

٢. يس (٣٦) ٥٢.

٣. تفسير القمي ٢: ٢١٦، وعنه البحار ٧: ١٠٣.

٤. البحار ٧: ١٧٩.

٥. النازعات (٧٩) ١٠.

٦. البحار ٧: ١٠٧، عن تفسير القمي ٢: ٤٠٣.

### فصل: حقيقة الإنسان وما خلُق منه

لا بدّ لإدراك حقيقة المعاد، ورفع ما أوجب صرف الآيات المباركات والروايات الواصلة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام عن ظواهرها بل عن نصوصها الدالّة على المعاد الجسمانيّ بمعناه الحقيقيّ، من البحث عن حقيقة المعاد - بضم الميم - وهو الإنسان، ومبدئه الذي خلُق منه.

ولا بدّ أيضاً قبل الورود في البحث من بيان أمر هو كالقاعدة في أمثال المقام.

وهو: أنّه لا ريب في وجوب الرجوع إلى أقوال المعصومين عليهم السلام فيما لا حكم قطعياً للعقل فيه، فإنّه مقتضى عصمتهم عليهم السلام.

ومن المعلوم أنّ مبدأ خلقه العالم عموماً وخلق الإنسان خصوصاً، وما يرجع إليه بعد الموت والشؤون المربوطة بهاتين الجهتين، ليس من الأمور التي يحكم العقل فيها بحكم قاطع، ولا يجوز الاعتماد فيها على مقدّمات ظنيّة، فإنّ الظنّ لا يغني عن الحقّ شيئاً.

فالطريق الوحيد - بحكم العقل - هو اتّباع من قام الدليل على عصمته، فلا بدّ فيها من الرجوع إلى الآيات الكريمة والروايات المرويّة عن أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم، والأخذ بنصوصها وكذا ظواهرها، ما لم تقم قرينة قطعية على خلافها.

فإذا كانت الرواية المرويّة في الباب - ولو بلحاظ ضمّ بعضها إلى بعض - موجبة للقطع أو الاطمئنان صدوراً ودلالة فلا إشكال، ولا يجوز رفع اليد عنها وتأويل ظواهرها - فضلاً عن نصوصها - بمجرد مخالفتها لبعض الأمور الظنيّة أو ما دونها.

وإذا فرضنا أنّ الروايات لم تصل إلى الحدّ المذكور، فلا أقلّ من كون الاستفادة منها فرضية محتملة تشهد عليها تلك الروايات، ولا يجوز ردّها أو تأويلها، بعد أن كان

المفروض عدم قيام دليل قطعي على خلافها.

وبعد هذا يقع الكلام في حقيقة المعاد - وهو الإنسان - وفي حقيقة العالم بأجمعه، على ما هو المستفاد من الروايات المأثورة عن المعصومين عليهم السلام في تنبيهات نذكرها إن شاء الله تعالى.

### التبئية الأول: المادّة الأصليّة للعالم جوهر مسمّى بالماء

إنّ الذي يظهر من الروايات - كما مرّ - أنّ جميع المخلوقات من الدنيا والآخرة وما فيها ومنه الإنسان روحه وبدنه، والملائكة والجانّ، والجنّة والنار وما فيها، بل البرزخ وما فيه، كلّها - سوى الأنوار المجرّدة، أي العلم والعقل والقدرة - أجزاء جوهرية أي مادّة واحدة سمّيت بالماء، وفي بعض الروايات بالهواء والنور. وتفسيرها بالوجود كما ترى.

وقد مرّ أيضاً أنّ اختلاف تلك الأجزاء إنّما هو باللطافة والكثافة والرقّة والغلظة وغيرها من الأعراض. فعليه تكون الصور النوعيّة كلّها عرضيّة<sup>(١)</sup>، وبه يرتفع إشكال تبديل نوع بنوع آخر، كما في الأمم السالفة من مسخ أفراد الإنسان بالقردة والخنازير، على ما نطقت به الآيات المباركة<sup>(٢)</sup>، وبسائر المسوخ فيها، وفي الأئمة المرحومة أيضاً بصورة الوزغ أو الكلب أو غيرها كما في غير واحد من الروايات<sup>(٣)</sup>.

١. تقدّمت آراء الفلاسفة واختلافهم في جوهرية الصور النوعيّة، فراجع ص ١٨٥.

٢. البقرة (٢)؛ المائدة (٥)؛ الأعراف (٧)؛ ١٦٦.

٣. الكافي ٨: ٢٣٢، حديث ٣٠٥؛ علل الشرائع ٢: ٤٨٥، باب ٢٣٩ (علل المسوخ وأصنافها)؛

البحار ٦: ٢٣٥، حديث ٥١؛ وج ٤٥: ٣١٢، وج ٦٢: ٢٢٠.

وقال المفيد رحمته الله في الإرشاد ٣٥٧ - في بيان الحوادث التي تقع قبل قيام الإمام المهديّ

وقد مرّ أن تلك المادّة الواحدة حادثة بالحدوث الحقيقي، أي مبدعة لا من شيء. وقد ذكرنا الدليل عليه من غير واحد من الروايات الواصلة عن المعصومين عليهم السلام، وسيجيء بعضها إن شاء الله تعالى.

أما كون المخلوقات من مادّة واحدة فمما يدلّ عليه: رواية الكافي بسنده عن الحسين بن سعيد، عن محمد بن داود عن محمد بن عطية، قال: جاء إلى أبي جعفر عليه السلام رجل من أهل الشام من علمائهم، فقال: يا أبا جعفر، جئتُ أسألك عن مسألة قد أعيتُ عليّ أن أجد أحداً يفسرها، وقد سألت عنها ثلاثة أصناف من الناس، فقال كلّ صنف منهم شيئاً غير الذي قال الصنف الآخر، فقال له أبو جعفر عليه السلام: ما ذاك؟ قال: فإني أسألك عن أوّل ما خلق الله من خلقه، فإن بعض من سألته قال: القدر، وقال بعضهم: القلم، وقال بعضهم: الروح. فقال أبو جعفر عليه السلام: ما قالوا شيئاً، أخبرك أنّ الله تبارك وتعالى كان ولا شيء غيره، وكان عزيزاً ولا أحد كان قبله، وذلك قوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وكان الخالق قبل المخلوق. ولو كان أوّل ما خلق الله الشيء من الشيء إذ لم يكن له انقطاع أبداً، ولم يزل الله إذأً ومعه شيء ليس هو يتقدّمه، ولكنّه كان إذ لا شيء غيره، وخلق الشيء الذي جميع الأشياء منه، وهو الماء الذي خلق الأشياء منه، فجعل نسب كلّ شيء إلى الماء، ولم

---

عجل الله فرجه - ومسح لقوم من أهل البدع حتى يصيروا قردة وخنازير. أقول: يدلّ عليه ما روي في تفسير البرهان (٤: ١٠٧) ذيل قول الله تعالى: ﴿لِنُدَبِقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فضلت (٤١) ١٦، عن النعماني بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام، وما رواه الكشي في رجاله (اختيار معرفة الرجال ٢٠ - ٢٢) عن أبي عبد الله عليه السلام في خطبة سلمان رضي الله عنه. فراجع.

يجعل للماء نسباً يضاف إليه، وخلق الريح من الماء، ثم سلط الريح على الماء، فشقت الريح متن الماء حتى ثار من الماء زبد على قدر ما شاء أن يثور، فخلق من ذلك الزبد أرضاً بيضاء نقية ليس فيها صدع، ولا ثقب، ولا صعود، ولا هبوط، ولا شجرة، ثم طواها فوضعها فوق الماء، ثم خلق الله النار من الماء... الخبر<sup>(١)</sup>.

وفي العلل بسنده عن محمد بن سنان، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته عن أول ما خلق الله عز وجل، قال: إن أول ما خلق الله عز وجل ما خلق منه كل شيء، قلت: جعلت فداك، وما هو؟ قال: الماء، إن الله تبارك وتعالى خلق الماء بحرین، أحدهما عذب والآخر ملح. فلما خلقها نظر إلى العذب فقال: يا بحر، فقال: لبيك وسعديك، قال: فيك برکتی ورحمتی، ومنك أخلق أهل طاعتي وجنتي، ثم نظر إلى الآخر فقال: يا بحر، فلم يجب، فأعاد عليه ثلاث مرّات: يا بحر، فلم يجب، فقال: عليك لعنتي، ومنك أخلق أهل معصيتي ومن أسكنته ناري، ثم أمرهما أن يمتزجا فامتزجا، قال: فمن ثم يخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن<sup>(٢)</sup>.

نعم، في بعض الروايات: أن أول ما خلق الله نور النبي صلى الله عليه وآله، أو نوره مع أنوار الأئمة عليهم السلام<sup>(٣)</sup>. ويمكن حملها على الخلقة التفصيلية بعد خلق الماء، وبهذا الاعتبار يكون الماء مادة المخلوقات، ويكون نوره وروحه المقدسة وأرواح الأئمة التي هي من

١. الكافي ٨: ٩٤/٦٧، البحار ٥٤: ٩٦، ورواه في ص ٦٦ بتفاوت عن توحيد الصدوق بسنده عن جابر الجعفي، إلى قوله: وهو الماء.

٢. علل الشرائع ١: ٨٣، البحار ٥: ٢٤٠. وعمّا يدلّ أيضاً على أنّ مادة المخلوقات كانت شيئاً واحداً سمى بالماء ما روي في الكافي (٨: ٩٥، ١٥٣) بسندين صحيحين عن محمد بن مسلم قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «كان كل شيء ماءً وكان عرشه على الماء...».

٣. كما في البحار ٥٤: ١٦٨-١٧٦.

نوره أوّل المخلوقات، كما عن العيون بسنده عن أبي الصلت الهروي، عن الرضا عليه السلام، عن آباءه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: إن أوّل ما خلق الله عزّ وجلّ أرواحنا، فأنطقها بتوحيده وتحميده... الخبر<sup>(١)</sup>.

وأما اختلاف الأشياء بالأعراض فمما يدلّ عليه قول أبي الحسن الرضا عليه السلام - في جواب عمران الصابي حيث قال: أخبرني عن الكائن الأوّل - سألت فافهم، أمّا الواحد فلم يزل واحداً كائناً لا شيء معه بلا حدود ولا أعراض، ولا يزال كذلك، ثم خلق خلقاً مبتدعاً مختلفاً بأعراض وحدود مختلفة... واعلم أنّ الواحد الذي هو قائم بغير تقدير ولا تحديد خلق خلقاً مقدّراً بتحديد وتقدير، وكان الذي خلق خلقين اثنين: التقدير والمقدّر، وليس في واحد منهما لون ولا وزن ولا ذوق، فجعل أحدهما

١. العيون ١: ٢٦٢، البحار ٥٤: ٥٨.

تكلمة: يمكن أن يقال في كيفية الجمع بين ما يدلّ على أنّ أوّل ما خلق الله العقل وبين الروايات التي تدلّ على أنّ أوّل ما خلق الله الماء: إنّ خلقه العقل عبارة عن إشرافه وبمجرد خلق الماء أشرق عليه نور العلم والعقل، مضافاً إلى أنّ رواية أولية العقل ضعيفة السند، قال العلامة المجلسي رحمته الله في البحار ١: ١٠٢: خبر أوّل ما خلق الله العقل ما وجدته في الأخبار المعتمدة وإنّما هو مأخوذ من أخبار العامة، وظاهر أكثر أخبارنا أنّ أوّل المخلوقات الماء أو الهواء كما سيأتي في كتاب السماء والعالم، نعم ورد في أخبارنا: أنّ العقل أوّل خلق من الروحانيين، وهو لا ينافي تقدّم خلق بعض الأجسام على خلقه. انتهى. وأما وجه الجمع بين الروايات الدالة على أوليّة الماء وما يدلّ على أوليّة الحروف في الإبداع، فيمكن حمل الأخير على الأوليّة الإضافيّة بالنسبة إلى الأنواع المخلوقة بعدها، ويؤيده فقرات من نفس الرواية التي تدلّ على أوليّة الحروف، فراجع التوحيد: ٤٣٥، ٤٣٦، حديث الإمام الرضا عليه السلام لعمران الصابي.

يدرك بالآخر، وجعلها مدركين بنفسها ... الخبر<sup>(١)</sup>.

أقول: لعل المراد من التقدير عرض الكمّ الذي هو لازم للمادة، ومن المقدر نفس المادة ذات الأبعاد الثلاثة<sup>(٢)</sup>.

١. البحار ٥٤: ٤٧، ٥٢، عن العيون والتوحيد.

روى الصدوق رحمته الله في العيون بسنده عن أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي، قال: سألت المأمون أبا الحسن علي بن موسى الرضا رحمته الله عن قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ هود (١١)، ٧، فقال: إن الله تبارك وتعالى خلق العرش والماء والملائكة قبل خلق السماوات والأرض، فكانت الملائكة تستدل بأنفسها وبالعرش وبالماء على الله عز وجل، ثم جعل عرشه على الماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة ... «عيون أخيار الرضا رحمته الله ١: ١٣٤، حديث ٣٣.

يمكن أن يقال: إن هذه الرواية تنافي ما تقدم في أول هذا التنبيه من أن الله تعالى خلق الملائكة وجميع الأشياء من الماء؛ لأن ظاهرها تعدد خلق الماء والملائكة وعدم خلق أحدهما من الآخر. والجواب: أنه - بملاحظة الروايات التي تدل على أنه لم يكن قبل الماء خلق جسماني وأن كل شيء خلق من الماء وأن الملائكة لا تكون من المجردات بل هي أجسام لطيفة - يمكن حمل الرواية على أن الملائكة خلقت من الماء الذي هو مادة جميع المخلوقات - كما قال المؤلف رحمته الله - قبل أن يخلق الله تعالى السماوات والأرض، فكانت الملائكة تستدل بالماء الذي مادة خلقها وبأنفسها المخلوقة من الماء وبالعرش على الله تبارك وتعالى، ولا يخفى أن هذا الحديث الشريف يدل أيضا على أن المخلوق الأول كان له فعلية وواقعية خارجية، وأن العرش مع علوه وعظمته مخلوق له تعالى ودليل على خالقه القدوس، فتدبر.

٢. على هذا فالمراد من قوله: «فجعل أحدهما يدرك بالآخر» أنه جعل المقدر الذي هو نفس المادة يعرف ويدرك بالتقدير والكمّ، وقوله: «وجعلها مدركين بنفسها» إشارة إلى أنهما من الأمور المحسوسة، لأن المصنوع المحسوس إنما يعرف بنفسه وغير المحسوس كالصانع تعالى يعرف بآثاره كما ورد في الأحاديث: إنه تعالى معروف بالآيات وأنه ليس بإله من عرف بنفسه، وأن كل



### التنبيه الثاني: المادّة الأصليّة فاقدة للعلم والحياة

تلك المادّة مع وجودها - أي تكوّنها بالله تعالى شأنه - فاقدة بذاتها لنور الحياة والعلم والقدرة وسائر الكمالات النوريّة. وصيرورتها حيّة عالمة إنّها هي بوجودها ذلك النور، كما أنّ موتها بفقدها إيّاه. وإنّا نجد ذلك الوجدان والفقدان في أنفسنا كلّ يوم وليلة باليقظة والنام، مع كوننا موجودين في كلتا الحالتين.

وقد تقدّم هذا المبحث مفصّلاً في بعض التنبيهات السابقة.

ومما ذكرنا يظهر قوّة احتمال كون المراد من قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾<sup>(١)</sup> - بناءً على كون المراد من العرش هو نور العلم، كما هو أحد معاني العرش على ما يظهر من بعض الروايات<sup>(٢)</sup> - أنّه لم يكن بعد خلقه الماء موجوداً يكون حاملاً لنور الحياة والعلم سوى تلك المادّة الواحدة بها لها من البساطة، أي قبل التعيّن بصورة أرض أو سماء أو غيرهما من المخلوقات.

ويدلّ عليه ما رواه في الكافي بسنده عن داود الرقيّ، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، فقال عليه السلام: ... إن الله حمّل دينه وعلمه الماء قبل أن تكون أرض أو سماء أو جنّ أو إنس أو شمس أو قمر، فلمّا أراد أن يخلق الخلق نشرهم بين يديه فقال لهم: من ربكم؟ فأول من نطق رسول الله ﷺ وأمير

---

معروف بنفسه مصنوع (البحار ٤: ٢٥٣، ٢٩٧) وجاء في الحديث المذكور في المتن أنّه سأل عمران عن الرضا عليه السلام: فبأي شيء عرفناه؟ (يعني الله تعالى) قال عليه السلام: بغيره. ولا يخفى أنّ هذه المعرفة غير المعرفة الحقيقيّة الفطريّة، كما تقدّم.

١. هود (١١) ٧.

٢. البحار ٥٥: الباب ١، وتقدّم بعض رواياته في ص ٣٢-٣٣.

المؤمنين والأئمة عليهم السلام فقالوا: أنت ربنا، فحملهم العلم والدين...<sup>(١)</sup>.

ويصلح كل جزء من تلك المادة لتحميل نور الحياة والعلم والقدرة إياه، ولعرض المطالب والتكاليف المناسبة له عليه، ولأخذ العهد والميثاق منه، ولصدور الطاعة والعصيان عنه. سواء تعين بصورة خاصة أو بعروض عرض عليه أم لم يتعين، بل هو دائر مدار مشيئة الله تعالى. وما يشاهد من العلل والأسباب العادية، فإنها سنة أجزاها الله بقدرته واختياره، وله تبديلها بأخرى، كما تشهد عليه شهادة الأيدي والأرجل والجلود والأمكنة وغيرها يوم القيامة بما يكتسب الإنسان بها وفيها من الطاعة والعصيان، على ما نطقت به الآيات المباركة<sup>(٢)</sup>، والروايات الواردة عن السادة الأطياب صلوات الله عليهم<sup>(٣)</sup>، وشهادة الحيوان والنبات والجماد على نبوة نبينا عليه السلام<sup>(٤)</sup>، وأذكار أصناف من الحيوانات<sup>(٥)</sup>، وظاهر قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾<sup>(٦)</sup>، ولا موجب لحملة على خصوص التسبيح التكويني<sup>(٧)</sup>.

١. الكافي ١: ١٣٢، البحار ٥٤: ٩٥.

٢. النور (٢٤) ٢٤، يس (٣٦) ٦٥، فصلت (٤١) ٢٠.

٣. البحار ٧: ٣٠٦، الباب ١٦.

٤. البحار ١٧: الباب ٢، ٤، ٥.

٥. البحار ٦١: ٢٧، ٢٨، ٣٤، ٣٥، ٤٦، ٩٤، وراجع «كلمة طيبة» للمحدث النوري: ٢٨٦.

٦. الإسراء (١٧) ٤٤.

٧. المراد من التسبيح التكويني دلالة المخلوقات بذواتها على وجود الخالق وصفاته الكمالية والجلالية، ولما كان التسبيح من الأفعال الاختيارية المسبوقه بالعلم والقدرة فحملة على ما لم ينشأ منها لا وجه له، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، كما أن حمل السجود في

ويظهر من رواية ابن سنان المتقدمة عرض التكليف في الجملة على الماء قبل تعيين أجزائه بصورة المخلوقات، فراجع.

### التنبيه الثالث: انشعاب تلك المادّة إلى: عليّين وسجّين

يظهر من جملة من الروايات المباركة أنّ الله تعالى جعل المادّة التي خلق جميع الأشياء منها على قسمين، أحدهما: العذب الفرات، والثاني الملح الأجاج، وخلق الطينة الطيّبة من الأوّل، والطينة المتنتة من الثاني، وسمّى الأوّل عليّين الذي خلق منه بعد ذلك أرواح المؤمنين وأبدانهم وما يناسبهم من الجنّة ونعيمها، وسمّى القسم الثاني سجّين الذي خلق منه أرواح الكفّار وأبدانهم وما يناسبهم من النار وما فيها.

ويظهر من بعضها أنّ الماء كلّه كان عذباً، ثمّ عرضت الملوحة على بعض أجزائه. كما في رواية محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام، قال: كان الله تبارك وتعالى كما وصف نفسه وكان عرشه على الماء، والماء على الهواء، والهواء لا يجري، ولم يكن غير الماء خلق، والماء يومئذ عذب فرات... الخبر<sup>(١)</sup>.

ولعلّ منشأ التقسيم المذكور مسبقيّة بعرض ربوبيّته تعالى شأنه على الماء بما له من الأجزاء قبل تمييزها وتجزئتها حسّاً، وإجابة بعضها واستنكاف بعض آخر، بعد إعطاء العلم والقدرة إيّاها.

ويمكن أن يكون المنشأ علمه سبحانه بما يصدر من كلّ جزء من الطاعة

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ...﴾ الحجّ (٢٢) ١٨، على مجرّد الخضوع التكويني لا وجه له، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَتَدَبَّرَ﴾.

١. البحار ٥٤: ٨٦، عن تفسير العياشي.

والعصيان، بعد التمييز والتشخيص ووجدان شرائط التكليف، كما هو ظاهر رواية الصدوق في العلل بسنده عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام - في مقام الردّ على قول العُمريّ القائل بعدم النفع لاستلام الحجر وبطلان حجّ مَنْ فعله - : إنّ الله تبارك وتعالى لما خلق السماوات والأرض خلق بحرين: بحرأً عذباً وبحراً أُجاجاً... فقال أهل اليسار: لمْ خلقت لنا النار ولم تبيّن لنا ولم تبعث إلينا رسولاً؟ فقال الله عزّ وجلّ لهم: ذلك لعلمي بما أنتم صائرون إليه، وإني سأبتليكم، فأمر الله عزّ وجلّ النار فأسعرت...<sup>(١)</sup>.

ويمكن أيضاً أن يقال: إنّ ذلك التقسيم واختلاف الطينة لطف من الله تعالى على أصحاب الطيبتين. أمّا بالنسبة إلى من يعلم أنّه يؤمن فلاأنّ جعل أرواحهم وأبدانهم طيبة مقتضية للطاعة ماثلة إليها إعانة منه تعالى لأهل الإيمان والطاعة بما جعل فيهم من الاقتضاء والميل الطبيعيّ إليها. وأمّا بالنسبة إلى من يعلم أنّه يكفر بسوء اختياره فلاأنّ جعل طبيعتهم خبيثة ماثلة إلى الكفر والعصيان تخفيف منه تعالى في الاستحقاق العقليّ للعقوبة والعذاب، بما جعل فيهم من الاقتضاء والتهايل إلى المعصية، فإنّ

١. علل الشرائع ٢: ٤٢٥، البحار ٥: ٢٤٥؛ وفي البحار ١٠: ١٧٠، عن الاحتجاج عن الصادق عليه السلام قال: «إنّ الله عزّ وجلّ اختار من ولد آدم أناساً طهّر ميلادهم وطيب أبدانهم وحفظهم في أصلاب الرجال وأرحام النساء، أخرج منهم الأنبياء والرسل، فهم أركى فروع آدم، فعل ذلك لا لأمر استحقّوه من الله عزّ وجلّ ولكن علم الله منهم حين ذرأهم أنّهم يطيعونه ويعبدونه ولا يشركون به شيئاً، فهؤلاء بالطاعة نالوا من الله الكرامة والمنزلة الرفيعة عنده». أقول: هذا الحديث وإن كان مورده غير الطينة الأولى، لكن يستفاد منه أنّ علم الله تعالى بطاعة أنبيائه ورسله في الدنيا صار سبباً لطهارة مولدهم وغيرها من الكرامات؛ ولا يخفى أنّ ذيل الحديث علّق الكرامة على نفس الطاعة لا على العلم بها، فكأنّه إشارة إلى أنّ العلم تابع، فتأمل.

استحقاق العقوبة على الزنا مثلاً يَمُنُّ له شهوة شديدة ليس كاستحقاق من هو أقل شهوة منه<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن يكون المنشأ غير ذلك مما لا نعلمه.

ثم بعد تقسيم المادّة على قسمين - كما ذكرنا - خلق الله تعالى أرواح المؤمنين من عليّين، وأرواح الكفّار من سجنين، بأن ميز بين أجزاء تلك المادّة بالأعراض والحدود المختلفة وأفاض على كلّ شخص منها ما شاء من العلم والقدرة، ثمّ عرض روح محمد ﷺ وأرواح أوصيائه ﷺ على سائر الأرواح وكلفهم بأشخاصهم بالإقرار بربوبيّته ونبوّه نبيّه الأكرم وولاية أوليائه المُكْرَمين، فأمن القسم الأوّل من الأرواح وسَمّاهم أصحاب اليمين، وكفر الآخرون وسَمّاهم أصحاب الشمال.

ومما يدلّ على ذلك ما في عدّة من الروايات من أنّ الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، رواه في البحار<sup>(٢)</sup>، عن البصائر بسنده عن إسماعيل بن أبي حمزة عن حدّثه عن أبي عبد الله ﷺ وعن سلام بن أبي عمير عن عمارة عن أمير المؤمنين ﷺ، وعن أبي حمزة الثماليّ عن أبي عبد الله ﷺ، وعن جابر عن أبي جعفر ﷺ، وعن أبي محمد المشهديّ من آل رجاء البجليّ عن أبي عبد الله ﷺ، وعن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر ﷺ، وعن أبي البلاد عن بعض أصحاب أمير المؤمنين ﷺ، وعن صالح بن سهل عن أبي عبد الله ﷺ، وعن سماعة بن مهران عن أبي عبد الله ﷺ.

وفيه أيضاً عن الكافي بسنده عن بكير بن أعين عن أبي جعفر ﷺ، وعن معاني

١. وهذا علّل في بعض الروايات كفر تارك الصلاة دون الزاني كرواية مسعدة بن صدقة عن

الصادق ﷺ، فراجع العلل ٢: ٣٣٩. (منه ﷺ)

٢. البحار ٥٨: ١٣١ - ١٣٨.

الأخبار مسنداً عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام، وعن رجال الكوفي بسنده عن ميمون بن عبد الله عن الصادق عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وإشكال الشيخ المفيد - قدس الله نفسه الزكية - عليها من جهة السند بأنها من أخبار الآحاد وليست مما يُقطع بصحته، ومن جهة الدلالة بدعوى كون المراد منها خلق التقدير في العلم لا خلق ذواتها، وإلا لزم كون الأرواح قائمة بذواتها غير محتاجة إلى الآلات التي تتعلق بها، ولزم أيضاً أن نعرف ونذكر ما سلف لنا قبل الأجساد كما نعلم أحوالنا بعد خلق الأجساد، وهذا محال... <sup>(١)</sup> فإنه مدفوع بأن استشكله عليه السلام إنما هو في أصل خلقه الإنسان قبل خلق تلك الأجساد المشهودة، لا في خصوص تلك الجملة، أعني خلق الأرواح قبل الأجساد. وعلى هذا يرد على ما قال في سند الأخبار أنه مضافاً إلى ما ذكرنا من أن هذه الجملة منقولة بطرق عديدة يمكن دعوى أنه ليس في الأخبار المتواترة ما يبلغ هذا الحد من التواتر المعنوي أو الإجمالي، بحيث يُعدّ مضمون تلك الجملة من أحد الأدلة النقلية على سبق الخلقة، وهذا واضح لمن لاحظ

---

١. البحار ٥: ٢٦٦، عن المفيد في جواب المسائل السروية. وعبارته: فأما الخبر بأن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام فهو من أخبار الآحاد، وقد روته العامة كما روته الخاصة، وليس هو مع ذلك مما يُقطع على الله بصحته، وإنما نقله رواه حسن الظن به، وإن ثبت القول فالعنى فيه أن الله تعالى قدر الأرواح في علمه قبل اختراع الأجساد، واختراع الأجساد واختراع لها الأرواح، فالخلق للأرواح قبل الأجساد خلق تقدير في العلم كما قدمناه وليس بخلق لذواتها كما وصفناه، والخلق لها بالاحداث والاختراع بعد خلق الأجسام والصور التي تدبرها الأرواح، ولولا أن ذلك كذلك لكانت الأرواح تقوم بأنفسها ولا تحتاج إلى آلات يعتملها، ولكننا نعرف ما سلف لنا من الأحوال قبل خلق الأجساد، كما نعلم أحوالنا بعد خلق الأجساد، وهذا محال لا خفاء بفساده.

مجموع ما دلّ عليه في الأبواب المتعدّدة، كما أشرنا إليها سابقاً.

وأما إيراده على دلالتها فخالٍ عن الإنصاف، كما لا يخفى على من نظر إليها<sup>(١)</sup>.  
وأما المحاذير العقلية فكُلّها استبعادات محضة، إذ لا دليل على امتناع قيام الأرواح بأنفسها، لا سيما بعد ملاحظة ما ورد في كيفية خلقتها، ولا دليل أيضاً على امتناع النسيان، خصوصاً مع ورود أنّ الذكر من صنعه تعالى، وأنّه أنساهم رؤيته، كما مرّ في مبحث المعرفة الفطرية.

### التنبيه الرابع: عالم الأظلة والأشباح

قد ورد في عدّة من الروايات التي سنذكرها التعبير بالأظلة والأشباح. ولعلّ المراد منها هي الأرواح. ووجه التعبير وجود مناسبة بين الروح وبينهما. أمّا الظلّ فهو الهواء الفاقد للضياء، لا الصورة المحضة الخالية عن المادة، والروح من هذا القبيل، كما صرّح به في الروايتين المتقدّمتين<sup>(٢)</sup>.

نعم فرق بين الروح والظلّ، وهو أنّ الهواء في الظلّ المتحرّك يتبدّل، والروح لا تتبدّل. ولعلّ وجه التعبير بالظلّ كون الروح جسماً رقيقاً في قبال الجسد الذي هو

١. حكى عن ابن إدريس رحمته الله أنّه استشكل أيضاً في دلالة روايات الطينة بأنّها أخبار متشابهة يجب الوقوف عندها وتسليم أمرها إليهم رحمته الله؛ وأجيب عنه بأنّ هذه الأخبار قد ألقاها الأئمة رحمته الله إلى آحاد الشيعة للفتهم والتعليم وأن يعتقدوا معانيها كما ألقيت إليهم، ولعلّهم قد فهموا معانيها بقرائن الحال والمقال؛ انظر الأنوار النعمانية ١: ٢٩٣.

٢. الأولى ما في معاني الأخبار: ١٧ عن أبي جعفر رحمته الله: أنّ الروح متحرّك كالريح... الروح مجانس للريح... الخبر. والثانية ما في البحار: ٦١: ٣٤ عن الاحتجاج عن الصادق رحمته الله: الروح جسم رقيق قد ألبس قالباً كثيفاً... الروح بمنزلة الريح في الرقّ... الخبر.

جسم غليظ، بمنزلة الظلّ بالنسبة إلى الأجسام الغليظة الكثيفة، أو كونها فاقدة للنور الحقيقي وهو نور العلم. والتعبير بالشبح أيضاً يمكن أن يكون لبعض هذه الوجوه، ففي اللغة: شَبَحَ فلانٌ، أي ظهر ومثُل.

وبالجملّة لا وجه لحمل الأظلة والأشباح على الصور المحضّة بلا مادّة لطيفة، ولا على كون المراد منها سوى الأرواح، بل يظهر من الروايات أن المراد منها الأرواح. ففي العلل بسنده عن الحسين بن أبي العلاء، عن حبيب، قال: حدّثنا الثقة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق العباد وهم أظلة قبل الميلاد، فما تعارف من الأرواح اتتلف، وما تناكر منها اختلف<sup>(١)</sup>.

وفيه أيضاً بسنده عن حبيب، عمّن رواه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ما تقول في الأرواح أتها جنود مجنّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف؟ قال: فقلت: إنّنا نقول ذلك، قال: فإنّه كذلك، إنّ الله عزّ وجلّ أخذ من العباد ميثاقهم وهم أظلة قبل الميلاد، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ...﴾<sup>(٢)</sup>، قال: فمن أقرّ له يومئذ جاءت الألفة هاهنا، ومن أنكره يومئذ جاء خلافة هاهنا<sup>(٣)</sup>.

وعن الأمالي بسنده عن ابن محبوب، عن أبي زكريا الموصليّ، عن جابر، عن أبي جعفر، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: أنت الذي احتج الله بك في ابتدائه الخلق حيث أقامهم أشباحاً فقال لهم: ألسنُ بربكم؟ قالوا: بلى، قال:

١. علل الشرائع ١: ٨٤، وعنه البحار ٦١: ١٣٩.

٢. الأعراف (٧) ١٧٢.

٣. علل الشرائع ١: ٨٤، وعنه البحار ٦١: ١٣٩.



ومحمد رسولي؟ قالوا: بلى، قال: وعليّ أمير المؤمنين؟ فأبى الخلق جميعاً استكباراً وعتوّاً عن ولايتك إلّا نفر قليل، وهم أقلّ الأقلّين، وهم أصحاب اليمين<sup>(١)</sup>.

وعن البصائر بسنده عن حذيفة بن أسيد، قال: قال رسول الله ﷺ: ما تكاملت النبوة لنبيّ في الأظلة حتّى عُرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي، ومثلوا له فأقرّوا بطاعتهم وولايتهم<sup>(٢)</sup>.

وعن تفسير العياشي عن زرارة وحمران، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام، قالوا: إنّ الله خلق الخلق وهي أظلة، فأرسل رسوله محمداً ﷺ، فمنهم من آمن به، ومنهم من كذّبه. ثمّ بعثه في الخلق الآخر، فأمن به من كان آمن به في الأظلة، وجحد من جحد به يومئذ، فقال: ما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل<sup>(٣)</sup>.

وعن الكافي بسنده عن جابر بن يزيد، قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا جابر، إنّ الله أوّل ما خلق خلقاً محمداً وعترته الهداة المهتدين، فكانوا أشباح نور بين يدي الله. قلت: وما الأشباح؟ قال: ظلّ النور، أبدان نورانية بلا أرواح، وكان مؤيداً بروح واحدة وهي روح القدس، فبه كان يعبد الله وعترته، ولذلك خلقهم حلماً علماء بررة أصفياء، يعبدون الله بالصلاة والصوم والسيح والتهليل، ويصلّون الصلوات، ويحجّون ويصومون<sup>(٤)</sup>.

١. البحار ٢٦: ٢٧٢، عن أمالي الطوسي.

٢. البحار ٢٦: ٢٨١.

٣. البحار ٥: ٢٥٩. قوله: «ما كانوا...» إشارة إلى الآية الكريمة: «فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل» يونس (١٠) ٧٤.

٤. البحار ١٥: ٢٥، و٦١: ١٤٢.

توضيح الخبر: أتهم كسائر أفراد الإنسان في هذه الدنيا أبدان، واجد كل واحد منهم لروح مشخّصة هي جسم رقيق، وهي حيّة كسائر الأرواح ومؤيدة بنور مسمّى بروح القدس. وأمّا في عالم الأرواح فليسوا إلاّ تلك الأرواح الحيّة المؤيدة بذلك النور الواحد، لا روح لها سوى تلك الروح الواحدة. وحيث إنّها أجسام رقيقة مؤيدة بالنور الواحد فصحّ التعبير عنها بأنّها أبدان نورانيّة. قوله: بلا أرواح... أي من غير أن يكون لكل واحد منها روح مستقلّة كالأبدان في الدنيا، بل جميعها حيّة بروح واحدة هي روح القدس.

أقول: حمل هذه الروايات وأشباهاها على مجرّد الصور وإنكار كونها أرواحاً ناطقة مجيبة، وكذا تأويل سائر الروايات الدالة على سبق الأرواح كما مرّ عن المفيد رحمته بما لا ينبغي للمنصف.

#### التنبيه الخامس: لكلّ روح بدن يناسبها

ثمّ بعد خلق الأرواح بألّفي سنة وأخذ العهد والميثاق منها خلق الله تعالى من جزء آخر من المادة المذكورة - بعد جعله تراباً - لكلّ روح بدنأ متناسبأ، أي خلق للروح المخلوقة من عليّين ومن العذب الفرات بدنأ من عليّين، وللروح المخلوقة من سجنين والملح الأجاج بدنأ من سجنين، كما تدلّ عليه معتبرة جابر، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في هذه الآية: ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ <sup>(١)</sup>، يعني من جرى فيه شيء من شرك الشيطان. ﴿عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ يعني على الولاية في الأصل عند الأظلة حين أخذ الله ميثاق بني آدم. ﴿أَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾: يعني لكنا وضعنا

أظلتهم في الماء الفرات العذب<sup>(١)</sup>.

ثم مزج بين الطيتين فمسح بكلّ بدن مخلوق من عليّين مسحة من سجين، وبكلّ بدن مخلوق من سجين مسحة من عليّين، وخلق منهما الأبدان الذريّة، وصار هذا الامتزاج والمسحة موجباً لصدور العصيان من المؤمن، والحسنة من الكافر<sup>(٢)</sup>، وفيه جبر لكسر وقع لأصحاب الشمال في خلقهم من سجين والملح الأجاج ومزيد محنة لأصحاب اليمين يوجب زيادة أجرهم في الطاعات لوجود مقتضى العصيان فيهم أيضاً. ويستفاد من رواية العليل أنّه لم يفعل بطينة الأئمة عليهم السلام ما فعل بطينة المؤمنين من الامتزاج والمسحة<sup>(٣)</sup>.

### التنبيه السادس: أخذ الميثاق في عالم الذرّ

بعد أن خلق الله تعالى الأبدان الذريّة المتعلّقة بالأرواح المخلوقة قبلها فلا يبعد أن يكون حياة كلّ بدن بسبب تعلّق الروح الواحدة لنور الحياة والعلم به، وموته بانفصال الروح عنه، كما يمكن أن يكون حياته بوجدانه مستقلاًّ النور المذكور<sup>(٤)</sup>. وعلى هذا

١. البحار ٥: ٢٣٤، عن تفسير القمّي.

٢. المقصود من هذه العبارة إيجاب الامتزاج صدور المعصية والحسنة بنحو الداعي والمقتضى لا بنحو العليّة التامة، لضرورة ثبوت الاختيار في الأفعال. ويشهد به العقل والنقل، مضافاً إلى أنّ أصل الطينة إذا كان تأثيرها على سبيل الاقتضاء - كما تقدّم في التنبيه الثالث - فالمسحة والامتزاج بالأولوية تكون كذلك. ولا يخفى أنّ المؤلف رحمته الله عبّر بالحسنة دون الطاعة، ولعلّ وجهه أنّ الكافر لعدم اعتقاده بالله تعالى لا تصدق إطاعة الأمر على ما يعمل من الخير وليس له حسن فاعليّ وإيّا حسنة فعليّ ولذا عبّر عنه بالحسنة.

٣. البحار ٥: ٢٤٢، ٢٤٧.

٤. وقد أشرنا سابقاً إلى ما يدلّ على شهادة الجمادات ونطقها الدالّة على إمكان إفاضة نور العلم

الاحتمال تكون حياة الأبدان نظير حياة الأرواح المخلوقة قبلها فإنها أيضاً بالنور. وبالجملة بعد صيرورة الأبدان الذرية حية عالمة صالحة للتكليف المناسب لها، وبعد إسكانها في فضاء الأرض عرّف الله تعالى إياهم - ثانياً أو ثالثاً - نفسه ونبيه وحججه، وأخذ من جميعهم الإقرار بربوبيته ورسالة رسوله وولاية أوليائه المتجبين صلوات الله عليهم. والظاهر أن آدم عليه السلام وحواء كانا من جملتهم مع البدن الذريّ قبل خلقه الجسد المعهود.

ولعلّ ذلك العالم هو المراد من الذرّ الأوّل في رواية عليّ بن معمر عن أبيه، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذْرِ الْأُولَى﴾<sup>(١)</sup>، قال: إنّ الله تبارك وتعالى لما ذرأ الخلق في الذرّ الأوّل فأقامهم صفوفاً وبعث الله محمداً عليه السلام، فأمن به قوم وأنكره قوم فقال الله: هذا نذير من النذر الأولى، يعني به محمداً عليه السلام حيث دعاهم إلى الله عزّ وجلّ في الذرّ الأوّل<sup>(٢)</sup>.

### التنبيه السابع: امتحان الناس في عالم الذرّ

يظهر من بعض الروايات أن الله ابتلى الخلق في بدء الخلقة قبل ابتلائهم في هذه الدنيا، بأن أجيح ناراً فأمرهم بدخولها، فدخل فيها قوم فصارت عليهم برداً وسلاماً، ولم يدخلها قوم، فرتب الله تعالى على تلك الطاعة والعصيان آثاراً في طينتهم وأخلاقهم توجب التوفيق والخذلان وشدة المحنة في دار الدنيا.

ففي رواية زرارة عن أبي جعفر عليه السلام، قال: لو علم الناس كيف كان ابتداء الخلق لما

عليها، راجع التنبيه الثاني ص ٢٩٦.

١. النجم (٥٣) ٥٦.

٢. تفسير القميّ ٢: ٣٤٠، وعنه البحار ٥: ٢٣٤.

اختلف اثنان، فقال: إن الله تبارك وتعالى قبل أن يخلق الخلق قال: كن ماءً عذباً أخلق منك جنتي وأهل طاعتي، وقال: كن ماءً ملحاً أجاجاً أخلق منك نارِي وأهل معصيتي. ثم امتزجا، فمن ذلك صار يلد المؤمن كافراً، والكافر مؤمناً. ثم أخذ طين آدم من أديم الأرض، فعركه عركاً شديداً، فإذا هم كالذر يدبون، فقال لأصحاب اليمين: إلى الجنة سلام، وقال لأصحاب النار: إلى النار، ولا أبالي. ثم أمر ناراً فأسعرت، فقال لأصحاب الشمال: ادخلوها، فهابوها، وقال لأصحاب اليمين: ادخلوها، فدخلوها، فقال: كوني برداً وسلاماً. فقال أصحاب الشمال: يا رب أقلنا، فقال: قد أقلتكم فادخلوها، فذهبوا فهابوها، فتمّ ثبتت الطاعة والمعصية، فلا يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء، ولا هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء<sup>(١)</sup>.

وفي تفسير علي بن إبراهيم بسنده عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر عن آبائه عليهم السلام، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه، قال - في خبر طويل - : قال الله تبارك وتعالى للملائكة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ \* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. قال: وكان ذلك من الله تقدمةً في آدم قبل أن يخلقه واحتجاجاً منه عليهم، قال: فاغترف ربنا تبارك وتعالى غرفةً بيمينه من الماء العذب الفرات - وكلتا يديه يمين - فصلصلها في كفه فجمدت، فقال: منك أخلق النبيين والمرسلين، وعبادي الصالحين، والأئمة المهتدين، والدعاة إلى الجنة وأتباعهم إلى يوم الدين، ولا أبالي ولا أسأل عما أفعل وهم يسألون. ثم اغترف غرفةً أخرى من الماء المالح الأجاج، فصلصلها في كفه فجمدت، ثم قال لها: منك

١. البحار ٥: ٢٥٢، عن المحاسن. وسبق بيان لذيل الحديث في ص ١٦٨ - ١٦٩ الهامش ٢.

٢. الحجر (١٥) ٢٨، ٢٩.

أخلق الجبارين والفراعنة والعتاة وإخوان الشياطين والدعاة إلى النار إلى يوم القيامة وأشياعهم، ولا أبالي ولا أسأل عمّا أفعل وهم يُسألون. قال: وشرط في ذلك البدء، ولم يشترط في أصحاب اليمين. ثم خلط الماءين جميعاً في كفه، فصلصَلهما، ثم كفأهما قدام عرشه وهما سلالة من طين ... الخبر<sup>(١)</sup>. ورواه الصدوق رحمته الله في العلل بسند آخر عن جابر مثله<sup>(٢)</sup>.

١. تفسير القمي ١: ٣٦، البحار ٥: ٢٣٧.

٢. علل الشرائع ١: ١٠٤. تذكاران: ١- وقع في سند رواية الصدوق في العلل عمرو بن أبي المقدم وفي سند رواية القمي في التفسير هو وأبوه ثابت الحداد، وهما لم يوثقا في كتب الرجال ولهذا ضعفهما بعض في تعليقه البحار، لكن يمكن إثبات وثاقتها بسبب وقوعهما في سند التفسير - على ما قرّر في محلّه - وبعضها قول النجاشي في عمرو بن أبي المقدم: له كتاب لطيف (رجال النجاشي: ٢٩٠). ٢- لا دلالة في هذه الرواية على ما ذكر في عنوان التنبيه من وقوع الامتحان بدخول النار، فلعل وجه إيرادها هنا ذكر بعض التفاصيل فيها في خلقة أصحاب اليمين وأصحاب الشمال حيث لم ترد في الرواية السابقة، منها ما ورد في ذيلها من أنّ الله شرط البدء لأصحاب الشمال والمراد أنّه تعالى قد يغيّر بمشيئته الكاملة طبيعتهم ويزيل آثارها فيبدّل خدلاهم بالتوفيق وإن كان هذا الخذلان ناشياً من العصيان، بخلاف أصحاب اليمين فلا يمنع الله منهم الطافه ولا يسلبهم التوفيق الذي حصل لهم بسبب طاعتهم؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ مريم (١٩) ٧٦، وقال أيضاً حاكياً عن أهل الجنة: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ الذي أحلّنا دار المقامة من فضله﴾ فاطر (٣٥) ٣٤، فكأتمهم يقولون: لولا أنّ ربنا غفر ذنوبنا بالتوبة وشكر طاعتنا بالتوفيق لما دخلنا الجنة، فهو بفضلها أحلّنا إيّاها. ولا يتنافى ذلك استحقاق أصحاب اليمين للعقاب إذا ارتكبوا المعصية بسوء اختيارهم، بل يمكن أن يقال إنّ العقاب على المعصية مع وجود التوفيق للطاعة أكثر وأشدّ من العقاب عليها في صورة عدم التوفيق، لسهولة ترك المعصية في الصورة الأولى دون الثانية؛ وبها ذكرنا يظهر معنى ما روي عن الصادق عليه السلام: إنّ

وفي تفسير العياشي عن زرارة: أنّ رجلاً سأل أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>. فقال وأبوه يسمع: حدّثني أبي أنّ الله تعالى قبض قبضة من تراب التربة التي خلق منها آدم، فصبّ عليها الماء العذب الفرات، فتركها أربعين صباحاً، ثم صبّ عليها الماء المالح الأجاج، فتركها أربعين صباحاً، فلمّا اختمرت الطينة أخذها تبارك وتعالى فعركها عركاً شديداً، ثم هكذا - حكى بسط كفيه - فخرجوا كالذرّ من يمينه وشماله، فأمرهم جميعاً أن يقفوا في النار، فدخل أصحاب اليمين، فصارت عليهم برداً وسلاماً، وأبى أصحاب الشمال أن يدخلوها<sup>(٢)</sup>.

وفي العلل بسنده عن ابن أذينة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كنّا عنده فذكرنا رجلاً من أصحابنا، فقلنا فيه حدّة، فقال: من علامة المؤمن أن تكون فيه حدّة، قال: فقلنا له: إنّ عامّة أصحابنا فيهم حدّة، فقال: إنّ الله تبارك وتعالى في وقت ما ذرأهم، أمر أصحاب اليمين - وأنتم هم - أن يدخلوا النار، فدخلوها، فأصابهم وهج، فالحدّة من ذلك الهج. وأمر أصحاب الشمال - وهم مخالفوهم - أن يدخلوا النار فلم يفعلوا، فيمنّ ثمّ لهم سمّت ولهم وقار<sup>(٣)</sup>.

---

الله تبارك وتعالى ينقل العبد من الشقاء إلى السعادة ولا ينقله من السعادة إلى الشقاء. (التوحيد: ٣٥٨)، فإنّه ناظر أيضاً إلى مسألة البداء وأنّ السعادة والشقاوة غير ذاتيتين.

١. الأعراف (٧) ١٧٢، وفي تعليقة التفسير: هذه إحدى القراءات في الآية، والقراءة المشهورة: ذرّيتهم، كما في رواية البحار عن تفسير العياشي.

٢. تفسير العياشي ١: ٣٩، البحار ٥: ٢٥٧، ورواه بتفاوت يسير في تفسير البرهان ٢: ٤٦ عن الكافي بسند صحيح عن زرارة أنّ رجلاً سأل أبا جعفر عليه السلام.

٣. علل الشرائع ١: ١٥، البحار ٥: ٢٤١.

والروايات التي تفيد المقصود لا تنحصر فيما أوردناه، فراجع البحار [ج ٣] الباب ١١: الدين الحنيف والقطرة وصبغة الله والتعريف في الميثاق. و[ج ٥] الباب ١٠: الطينة والميثاق. و[ج ٥٨] الباب ٤٣ في خلق الأرواح قبل الأجساد.

وكيفية السؤال والجواب في عالم الذرّ والأرواح، وكذا كيفية تأثير النار في الطبائع غير معلومة لنا، لكن أصول المطلب غير قابلة للإنكار، ودلالة الروايات على سبق خلقه الأرواح زماناً ووقوع التكليف من الله تعالى وإطاعة بعض المكلفين وعصيان آخرين في الأزمنة السالفة واضحة جداً، لا سيما لمن لاحظ مجموع ما ورد عنهم صلوات الله عليهم في مبدأ الخلقة وكيفيةها.

#### التنبيه الثامن: موقف آدم ﷺ في عالم الذرّ

يمكن القول بمقتضى جمع الروايات: إن الله تعالى بعد ما أخذ العهد والميثاق من الأرواح التي أحياها بنور العلم، وبعد ما أخذ العهد أيضاً من الأبدان الذرية ذوات الأرواح الواجدة لنور العلم، خلق بعد ذلك جسد آدم ﷺ من الطين على ما وُصف في الروايات<sup>(١)</sup>. ولا يبعد كون هذا الجسد مشتملاً على البدن الذريّ المخلوق قبل ذلك - كما أن أبداننا كذلك - فجعل الطين الذي هو مجموع الأبدان الذرية في ظهر آدم عند خلقه بما له من الكبر، على ما في بعض الروايات<sup>(٢)</sup>. ثم أحياه بنفخ الروح المخلوقة من قبل، الواجدة لنور الحياة والعلم، ثم أمر الملائكة بالسجود له. وبعد ما أكل من الشجرة وأخرج من الجنة وهبط إلى الأرض، أخرج الله تعالى ذريته من ظهره بوادٍ بين مكة وطائف يسمّى بالرّوحاء، وأخذ منهم العهد والميثاق، كما أخذه قبل ذلك. وهو

١. البحار ١١: ٩٧.

٢. البحار ١١: ٩٧.



الذرة المتأخر بالنسبة إلى الذرة المذكور في رواية معمر المتقدمة<sup>(١)</sup>.

ففي البحار عن تفسير العياشي عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إن الله تبارك وتعالى هبط إلى الأرض<sup>(٢)</sup> في ظلل من الملائكة على آدم، وهو بوادٍ يقال له الروحاء، وهو وادي بين الطائف ومكة، قال: فمسح على ظهر آدم، ثم صرخ بذريته وهم ذرة، قال: فخرجوا كما يخرج النحل من كورها، فاجتمعوا على شفير الوادي، ... فقال الله: يا آدم، هؤلاء ذريتك أخرجتهم من ظهرك لأخذ عليهم الميثاق لي بالربوبية، ولمحمد ﷺ بالنبوة، كما أخذه عليهم في السماء. قال آدم: كيف وسعتم ظهري؟ قال الله يا آدم، بلطف صنيعي ونافذ قدرتي. قال آدم: يا رب، فما تريد منهم في الميثاق؟ قال الله: أن لا يشركوا بي شيئاً، قال آدم: فمن أطاعك منهم يا رب، فما جزاؤه؟ قال: أسكنه جنتي، قال آدم: فمن عصاك فما جزاؤه؟ قال: أسكنه ناري. قال آدم: يا رب، لقد عدلت فيهم، ولبعصيتك أكثرهم إن لم تعصمهم<sup>(٣)</sup>.

وعن العليل مسنداً عن هشام بن سالم، عن حبيب السجستاني، قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن الله عز وجل لما أخرج ذرية آدم عليه السلام من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق بالربوبية وبالنبوة لكل نبي، كان أول من أخذ عليهم الميثاق (بالنبوة)<sup>(٤)</sup> نبوة محمد بن عبد الله ﷺ. ثم قال الله جل جلاله لأدم عليه السلام: انظر ماذا ترى؟ قال: فنظر آدم

١. في آخر التنبيه السادس. ص ٣٠٧.

٢. أي نزل وحبه وأمره، راجع ما قاله العلامة المجلسي في بيان الحديث. ص ١٦٢.

٣. البحار ٥: ٢٥٩.

٤. موجود في المصدر الآتي من البحار وليس في العليل وفي الكافي: فكان أول من أخذ له عليهم الميثاق

بنوة محمد بن عبد الله ﷺ.

إلى ذرّيته وهم ذرّ وقد ملأوا السماء، فقال آدم: يا ربّ، ما أكثر ذرّيتي! ولأمر ما خلقتهم؟ فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم؟ قال الله عزّ وجلّ: يعبدونني ولا يشركون بي شيئاً، ويؤمنون برسلي ويتبعونهم... الخبير<sup>(١)</sup>.

### التنبيه التاسع: دلالة الآيات والأحاديث على عدم تجرّد الروح

قد مرّ جملة مما يدلّ من الآيات والروايات المباركات على عدم تجرّد الروح. ويدلّ عليه زائداً على ما سبق قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكَ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى...﴾ الآية<sup>(٢)</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

وعن الكافي مسنداً عن عمرو بن أبي المقدم عن أبي عبد الله عن أبيه عليه السلام: قال: والله، ما من عبد من شيعتنا ينام إلا أصد الله عزّ وجلّ روحه إلى السماء فيبارك عليها؛ فإن كان قد أتى عليها أجلها جعلها في كنوز رحمته، وفي رياض جنته، وفي ظلّ عرشه. وإن كان أجلها متأخراً بعث بها مع أمّنته من الملائكة ليردّوها إلى الجسد الذي خرجت منه لتسكن فيه... الحديث<sup>(٤)</sup>.

وعن مجالس الصدوق بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال إنّ العباد إذا ناموا خرجت أرواحهم إلى السماء، فما رأت الروح في السماء فهو الحقّ، وما رأت في الهواء فهو

١. علل الشرائع ١: ١٠٠، والبحار ٥: ٢٢٦، الكافي ٢: ٨.

٢. الزمر (٣٩) ٤٢.

٣. النحل (١٦) ٧٠.

٤. البحار ٥٨: ٥٤، عن الكافي وأمالي الصدوق.

الأضغاث ... الحديث<sup>(١)</sup>.

وفي رواية: أن عمر بن الخطاب قال: العجب من رؤيا الرجل أنه يبيت فيرى الشيء الذي لم يخطر له على بال، فيكون رؤياه كأخذ باليد، ويرى الرجل الرؤيا فلا يكون رؤياه شيئاً! فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: أفلا أخبرك بذلك يا أمير المؤمنين؟ إن الله يقول: ﴿اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، فالله يتوقى الأنفس كلها، فما رأت وهي عنده في السماء فهي الرؤيا الصادقة، وما رأت إذا أرسلت إلى أجسادها تلقتها الشياطين في الهواء، فكذبتها وأخبرتها بالأباطيل، فكذبت فيها، فعجب عمر من قوله<sup>(٢)</sup>.

وفي المناقب: مما أجاب الرضا عليه السلام بحضرة المأمون صباح بن نصر الهندي وعمران الصابي عن مسائلهما، قال عمران: العين نور مركبة أم الروح تبصر الأشياء من منظرها؟ قال عليه السلام: العين شحمة وهو البياض والسواد، والنظر للروح - إلى أن قال عليه السلام - : الروح مسكنها في الدماغ، وشعاعها منبث في الجسد، بمنزلة الشمس: دارتها في السماء، وشعاعها منبسط على الأرض ... الخبر<sup>(٣)</sup>.

وعن العلل والحصل مسنداً عن أبي بصير ومحمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه، قال: لا ينام (الرجل)<sup>(٤)</sup> وهو

١. البحار ٥٨ : ٣١.

٢. البحار ٥٨ : ١٩٣، عن الدرّ المشور للسيوطي.

٣. المناقب ٤ : ٣٥٣، البحار ٥٨ : ٢٥٠.

٤. في العلل والحصل: المسلم.

جُنُب، ولا ينام إلا على ظهور، فإن لم يجد الماء فليتيّم بالصعيد، فإنّ روح المؤمن (تُرفع)<sup>(١)</sup> إلى الله تبارك وتعالى، فيقبلها ويبارك عليها، فإن كان أجلها قد حضر جعلها في (كنوز)<sup>(٢)</sup> رحمته، وإن لم يكن أجلها قد حضر بعث بها مع أمثائه من ملائكته، فيردونها في جسدها<sup>(٣)</sup>.

وفي البحار عن معاني الأخبار بسنده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام، قال - في رواية - : إنّ الروح متحرّك كالريح، وإنّما سمّي روحاً لأنّه اشتقّ اسمه من الريح، وإنّما أخرجه على لفظ الريح لأنّ الروح مجانس للريح ... الخبر<sup>(٤)</sup>، ورواه أيضاً عن الكافي<sup>(٥)</sup>، والاحتجاج<sup>(٦)</sup>.

وعن الاحتجاج عن هشام بن الحكم عن الصادق عليه السلام قال، في جواب مسأله<sup>(٧)</sup>:  
والروح جسم رقيق قد ألبس قالباً كثيفاً - إلى أن قال - : أفيتلاشى الروح بعد خروجه عن قلبه أم هو باقٍ؟ قال عليه السلام : بل هو باقٍ إلى وقت يُنفخ في الصور، فعند ذلك تبطل الأشياء وتفتنى، فلا حسّ ولا محسوس، ثمّ أعيدت الأشياء كما بدأها مدبرها ...

١ . في العلل: تروح .

٢ . في العلل: مكنون .

٣ . البحار ٥٨ : ٣١، عن العلل والخصال .

٤ . معاني الأخبار: ١٧ .

٥ . الكافي ١ : ١٣٣ .

٦ . الاحتجاج ٢ : ٥٧، البحار ٦١ : ٢٨ .

٧ . كذا في البحار ٥٨ : ٣٣، لكن في الاحتجاج: من سؤال الزنديق الذي أتى أبا عبد الله عليه السلام ...،

وهشام بن الحكم غير المذكور فيه، كما في البحار ٦ : ٢١٦ .

الخبير<sup>(١)</sup>.

وعن الكافي بسنده عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا حيل بينه وبين الكلام أتاه رسول الله صلى الله عليه وآله ومن شاء الله، فجلس رسول الله عن يمينه، والآخر عن يساره، فيقول له رسول الله: أما ما كنت ترجو فهو ذا أمامك، وأما ما كنت تخاف منه فقد أمنت منه. ثم يفتح باب إلى الجنة، فيقول: هذا منزلك من الجنة، فإن شئت رددناك إلى الدنيا ولك فيها ذهب وفضة. فيقول: لا حاجة لي في الدنيا، فعند ذلك يبيض لونه، ويرشح جبينه، وتقلص شفاته، وتنتشر منخراه، وتدمع عينه اليسرى، فأبى هذه العلامات رأيت فاكتف بها. فإذا خرجت النفس من الجسد فيعرض عليها كما عرض عليه<sup>(٢)</sup> وهي في الجسد، فتختار الآخرة، فتغسله فيمن يغسله، وتقلبه فيمن يقلبه. فإذا أدرج في أكفانه ووضع على سريره خرجت روحه تمشي بين أيدي القوم قدماً، وتلقاه أرواح المؤمنين يسلمون عليه ويبشرونه بما أعد الله له جل ثناؤه من النعيم. فإذا وضع في قبره رد إليه الروح إلى وركيه، ثم يسأل عما يعلم، فإذا جاء بما يعلم فتح له ذلك الباب الذي أراه رسول الله صلى الله عليه وآله، فيدخل عليه من نورها (وضوئها) ويردها وطيب ريحها...<sup>(٣)</sup>.

وعن الكافي بإسناده عن حبة العرنى<sup>(٤)</sup>، قال: خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى

١. الاحتجاج ٢: ٩٦.

٢. النفس مؤنث إن أريد بها الروح كما هنا، لكن نسخ الكافي في تذكير الضمائر والأفعال وتأنيثها في هذه العبارة مختلفة (الكافي ٥: ٣٤٣-٣٤٤، طبعة دار الحديث).

٣. الكافي ٣: ١٢٩، البحار ٦: ١٩٦.

٤. هو أبو قدامة العرنى اليميني، من أصحاب أمير المؤمنين والحسن عليهما السلام، شهد الجمل وصفين وقاتل الخوارج، وعن ابن عقدة وغيره أنه من الصحابة وروى حديث الغدير، توفي سنة ٧٦ -

الظهر<sup>(١)</sup>، فوقف بوادي السلام كأنه مخاطب لأقوام، إلى أن قال: ثم طرحت الرداء ليجلس عليه فقال لي: يا حبة، إن هو إلا محادثة مؤمن أو مؤانسته. قال: قلت: يا أمير المؤمنين، وإتهم لكذلك؟ قال: نعم، ولو كشف لك لرأيتهم حلقاتاً حلقاتاً محبتين<sup>(٢)</sup> يتحادثون. فقلت: أجسام أم أرواح؟ فقال: أرواح... الخبر<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إن الأرواح في صفة الأجساد في شجرة في الجنة تعارف وتساءل... الخبر<sup>(٤)</sup>.

وعن يونس بن ظبيان عن أبي عبد الله عليه السلام قال في رواية: فإذا قبضه الله عز وجل صير تلك الروح في قالب كقالبه في الدنيا، فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا<sup>(٥)</sup>.

وعن أبي ولاد الحنّاط عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك، يزورون أن أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش! فقال: لا، المؤمن أكرم على الله عز وجل من أن يجعله في حوصلة طير، ولكن في أبدان كأبدانهم<sup>(٦)</sup>.

وعن قرب الإسناد بسنده عن مسعدة بن زياد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام قال: إن روح آدم لما أمرت أن تدخل فيه كرهته، فأمرها أن تدخل كرهاً وتخرج

٧٩. (مستدركات علم رجال الحديث ٢: ٢٩٠؛ الغدير ١: ٢٤).

١. يعني: ظهر الكوفة وهو ما وراء نهر الفرات إلى النجف.

٢. احتسب بالثوب: اشتمل، أو جمع بين ظهره وساقه بعمامة ونحوها.

٣. الكافي ٣: ٢٤٣، البحار ٥٨: ٥١.

٤. الكافي ٣: ٢٤٤، البحار ٦١: ٥٠.

٥. الكافي ٣: ٢٤٥، البحار ٦١: ٥٠.

٦. الكافي ٣: ٢٤٤، البحار ٦١: ٥٠.

كرهاً<sup>(١)</sup>.

وفي بصائر الدرجات والكافي وعلل الشرائع روايات متعدّدة تدلّ على أنّ طينة رسول الله والأئمة صلوات الله عليهم خلقت من عليّين، وقلوبهم من طينة فوق ذلك، وخلقت قلوب شيعتهم ممّا خلق منه أبدانهم<sup>(٢)</sup>.

### التنبيه العاشر: استقلال الروح

قد ذكرنا سابقاً أدلة سبعة على عدم تجرّد النفس بالمعنى المصطلح، وهو التجرّد عن المادّة ولو احقها، فراجع<sup>(٣)</sup>.

والغرض هنا بيان مطلب آخر يستفاد من الدليل السادس، وهو: وجدان الإنسان أحياناً نفسه وإنيته يميء ويذهب خارجاً عن البدن، ويعرضه العوارض ولو احق المادّة. وقد حصل ذلك لبعض الأعظم اختياراً ولبعض قهراً، ويحصل ذلك لكلّ أحد عند منام البدن وكونه ملقياً بلا حركة ولا شعور. والروح - وهي النفس - ترى ما ترى من أنواع الرؤيا ويعرضها السرور والحزن والخوف وأنواع اللذات. والدليل السابع: الأدلة النقلية من الآيات والروايات المباركات، وقد مرّ ذكر جملة منها.

فإنّه يستفاد منها - مضافاً إلى عدم تجرّد النفس بالمعنى المصطلح - تجرّدها عن البدن، بمعنى أنّها غير البدن وغير أجزاء البدن، بل هي أمر متشخص مستقلّ له الحركة والذهاب والأياب يدخل في البدن ويخرج منه، نظير دخول النار أو النور المحسوس في الأجسام. وكما أنّ حياة البدن ليست بذاته بل بولوج الروح والنفس فيه،

١. البحار ٦١ : ٣٠.

٢. بصائر الدرجات: ١٤، ١٩، الكافي ٢ : ٢، علل الشرائع ١ : ١٠٤، وراجع البحار ٥ : ٢٢٥.

٣. ص ٥١ - ٥٢.

وموته بخروج الروح عنه، كذلك حياة الروح ليست بذاتها، بل بوجودها نور العلم الذي هو حقيقة الحياة، وموتها بسلب النور عنها، أي بفقدها إياه، وإن كان ذلك النور محيطاً بها.

التنبيه الحادي عشر: أدلة القائلين بتجرّد النفس، والجواب عنها

استدلّوا لتجرّد النفس بأمر:

منها: أن النفس تدرك وتعقل الصور العقلية المشتركة بين كثيرين، وهي الكليات الصادق كلّ منها على أفراد كثيرة. والكلّي ليس له مقدار معين، ولا وضع معين، ولا أين معين، وإلا لم يكن صادقاً على أفراد مختلفة المقدار والوضع والأين، فهو مجرد عن جميعها. وحيث إن إدراك النفس إياها قيامها بها فتجرّدتها مستلزم لتجرّد محلّها، وإلا لزم أن يكون للكلّي تتبع النفس مقدار معين، ووضع معين، وأين معين، وما هو كذلك لا يكون مشتركاً صادقاً على كثيرين، وهو خلف.

وأجيب - على تقدير تسليم تجرّد الكلّي لإمكان دعوى أن الكلّي ليس إلا الجزئي مع قطع النظر عن مشخصاته<sup>(١)</sup> - بإمكان منع كون علم النفس بالشيء عبارة عن قيام المعلوم بها قياماً حلولياً، كي يلزم من تجرّده تجرّدها، بل هو قيام صدوريّ بالنور المجرّد الخارج عن النفس، والنفس تدرك ذاتها بذلك النور، فلا يلزم من تجرّده تجرّدها.

---

١. محطّ البحث هو الكلّي الطبيعيّ، فقال بعض: إن له وجوداً في الخارج بوجود أفرادها، وقال آخرون: لا واقعية له سوى واقعية أفرادها وإن الكلّي هو الجزئيّ مع غصّ النظر عن خصوصياته الفردية. وأمّا الكلّي المنطقيّ (وهو مفهوم ما لا يمتنع صدقه على كثيرين مجرداً عن كلّ مادة مثل الإنسان والحيوان وغيرهما) والكلّي العقليّ (مثل الإنسان بها هو كلّي) فلا خلاف في أنّهما من المعاني الذهنية التي لا موطن لها في الخارج.



ومنها: أنّ النفس تقدر على الأفعال غير المتناهية، فإنّ إدراك الكليّ إدراك لأفعال غير متناهية، والإدراك هو فعل النفس، والقوى الجسمانية وغير المجرد متناهي التأثير. وأجيب - على تقدير تسليم استلزام القدرة على إدراك الكليّ القدرة على الأفعال غير المتناهية<sup>(١)</sup> - بأنّ قدرة النفس إنّما هي بالنور الخارج عن ذاتها، كما مرّ.

ومنها: أنّ النفس تدرك الأمر البسيط الذي يستحيل عليه القسمة، كصرف الوجود، وحيث إنّ إدراك النفس عبارة عن قيام المعلوم بها قياماً حلولياً فيلزم من بساطة الحال وتجرده بساطة المحلّ وتجرده.

وأجيب أولاً: بأنّ النفس تدرك الأمور المركّبة أيضاً، ولازم هذا الدليل تركّب النفس، ولا يقول المستدلّ به قطعاً، وثانياً: أنّ إدراك النفس ليس بقيام المعلوم بها قياماً حلولياً، بل بوجدان النور الخارج عن ذاتها الكاشف عنها وعن معلومها.

ومنها: أنّ النفس مجمع صور كلّ الموجودات والمتقابلات من دون تدافع بينها، ومورد الميول المتضادّة والأُمور المتخالفة، وليس الجسم كذلك.

وأجيب بأنّ الأجسام مختلفة في قبول الخصوصيات والأعراض، فمن عدم اتّصاف سائر الأجسام بها تتّصف به النفس لا يلزم خروج النفس عن الجسميّة، لإمكان اتّصافها - مع الجسميّة - بخصائص تختصّ بها، مضافاً إلى إمكان القول بأنّ الصور الذهنيّة محلّها السيال العامّ المحيط بالنفس لا ذات النفس، بل هي تشاهدها بنور العلم. والميول والأهواء المختلفة منشؤها الأجزاء المختلفة المؤلّف منها البدن

١. لعلّ المراد أنّه على فرض تحقّق الكليّ بتحقيق أفراده يرد الإشكال بأنّ إدراك الكليّ إدراك لأفعال غير متناهية بالقوّة ومتناهية بالفعل، فإذا قيل بكفاية عدم التناهي بالقوّة لإثبات المطلوب قلنا بأنّ قدرة النفس على إدراكها إنّما هي بالنور الخارج عن ذاتها.

والزمان والمكان والأُمور المقارنة لها، والنفس تدركها بنور العلم، فلا يلزم من اختلافها وتضادها خروج النفس من سنخ المادّيات.

ومنها: أنّ القوى الجسائيّة تكلّل وتعيى بكثرة الأفعال، والنفس لا تكلّل بكثرة الإدراكات، وليس ذلك إلّا لتجرّدها عن أوصاف الجسائيات.

وأجيب بأنّ إدراك النفس ليس بذاتها بل بالنور الخارج عنها، كما مرّ.

ومنها: أنّ كمال النفس وهو الفكر موجب لجفاف الدماغ وهزال البدن، فلو كانت النفس جسماً كان كمالها كمال البدن.

وأجيب بأنّ ذلك لا يوجب إلّا مغايرة النفس للبدن وتجرّدها عن الموادّ الكثيفة التي فيه، ونحن نقول به.

وبالجملة: جميع ما استدلّوا به على تجرّد النفس، بمعنى خروجها عن دائرة المحسوسات بالكلية لا يدلّ إلّا على وجود شيء مجرد في ناحية النفس، وأمّا أنّه هي فلا. وحيثّ لا مانع من أن يقال - كما أشرنا إليه غير مرّة - أنّ المجرّد هو النور القويّ القاهر الخارج عن حقيقة النفس، والخالق المتعالى يعطيه ويفيضه عليها - كما قد يمنعه ويسلبه منها - وقوّة النفس وغناها وسائر كمالاتها من جهة هذا النور لا من ذاتها.

وأما الأدلّة النقلية التي تمسّكوا بها لإثبات تجرّد النفس بذاتها فقد ذكرها في الأسفار، قال: فلنذكر<sup>(١)</sup> أدلّة سمعية لهذا المطلب حتّى يعلم أنّ الشرع والعقل متطابقان في هذه المسألة كما في سائر الحكميات. وحاشا الشريعة الحقّة الإلهية البيضاء أن تكون أحكامها مصادمة للمعارف اليقينية الضرورية، وتباً لفلسفة تكون قوانينها

١. من هنا إلى قوله: لا يصعد من السماء إلّا من نزل منها، عبارة الأسفار ٨: ٣٠٤، ولبعض

الأحاديث مستند آخر نشير إليه في الهامش.

غير مطابقة للكتاب والسنة.

أما الآيات المشيرة إلى تجرد النفس فمنها قوله تعالى - في حق آدم ﷺ وأولاده - :  
﴿وَتَفَخَّتْ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾<sup>(١)</sup>.

وفي حق عيسى ﷺ : ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾<sup>(٢)</sup>، وهذه الإضافة تنادي على شرف الروح وكونها عرية عن عالم الأجسام.

وفي حق شيخ الأنبياء إبراهيم الخليل ﷺ : ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله حكاية عنه : ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾<sup>(٤)</sup>، ومعلوم أن الجسم وقواه ليس شيئاً منها بهذه الصفات السنية من رؤية عالم الملكوت والإيقان، والتوجه بوجه الذات لفاطر السموات. والحنيفية، أي الطهارة والقدس.

ومنها قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

ومنها قوله تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

١ . الحجر (١٥) ٢٩، ص (٣٨) ٧٢.

٢ . النساء (٤) ١٧١.

٣ . الأنعام (٦) ٧٥.

٤ . الأنعام (٦) ٧٩.

٥ . المؤمنون (٢٣) ١٤.

٦ . يس (٣٦) ٣٦. قال السبزواري في تقريب الاستدلال بهذه الآية في حاشيته على الأسفار ٨ :

٣٠٤ - ٣٠٥ : الزوجية في ما لا يعلمون بعلاوة ما هو الظاهر باعتبار النفس والبدن الأخرى،

والوجود والماهية، ووجه الله ووجه النفس. فإن ما لا يعلمون الذي هو معادهم يشمل الملكوت

وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنِّةُ \* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي الحقيقة جميع هذه الآيات المشيرة إلى المعاد وأحوال العباد في النشأة الثانية، دالة على تجرّد النفس لاستحالة إعادة المعدوم، وانتقال العرض وما في حكمه من القوى المنطبعة.

وأما الأحاديث النبوية فمثل قوله ﷺ: مَنْ عرف نفسه فقد عرف ربه<sup>(٤)</sup>.

وقوله ﷺ: أَعْرِفْكُمْ بِنَفْسِهِ أَعْرِفْكُمْ بِرَبِّهِ<sup>(٥)</sup>. وقوله: من رآني فقد رأى الحق<sup>(٦)</sup>.

وقوله: أنا النذير العريان<sup>(٧)</sup>. وقوله: لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا

والجبروت.

١. فاطر (٣٥) ١٠.

٢. التين (٩٥) ٤.

٣. الفجر (٨٩) ٢٧.

٤. البحار ٢: ٣٢ عن مصباح الشريعة، ورواه الأمدى في غرر الحكم ١: ٢٣٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام بتفاوت يسير.

٥. روضة الواعظين (للقتال النيسابوري): ٢٠.

٦. قال ابن الأثير في النهاية ١: ٣٧٤: الحق ضد الباطل، ومنه الحديث: «من رآني فقد رأى الحق» أي رؤيا صادقة ليست من أضغاث الأحلام، وقيل فقد رآني حقيقة غير مثبته. أقول: رواه الهيثمي أيضاً في مجمع الزوائد ٧: ١٨١، بتفاوت في باب رؤية النبي عليه السلام في النوم، وللعلامة المحدث النوري - في دار السلام في ما يتعلق بالرؤيا والمنام ٤: ٢٧٤، ٣١٠ - تحقيق مبسوط حول هذا الحديث، وعلى ما ذكرنا لا مجال للاستدلال بهذا الحديث لإثبات تجرّد النفس.

٧. صحيح مسلم ٤: ١٧٨٨. أقول: نورد الحديث بتمامه ونذيله ببيان ليتضح أنه - كسابقه - لا مناسبة

نبي مرسل<sup>(١)</sup>. وقوله: أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني.

فهذه الأخبار وأمثالها تدل على شرف النفس وقربها من الباري إذا كملت، وكذا قوله: رب أرني الأشياء كما هي. ومعلوم أن دعاء النبي ﷺ مستجاب، والعلم بالأشياء ذوات السبب كما هي لا يحصل إلا من جهة العلم بسببها وجاعلها، كما برهن في مقامه، والمراد بالرؤية هو العلم الشهودي.

وكذلك دعاء إبراهيم الخليل عليه السلام كما حكى الله عنه في قوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّمُ الْمَوْتَى﴾<sup>(٢)</sup>. ورؤية الفعل لا تنفك عن رؤية الفاعل، وليس في حدّ الجسم ومشاعره أن يرى ربّ الأرباب ومسبب الأسباب.  
وقوله ﷺ: قلب المؤمن عرش الله<sup>(٣)</sup>.

بينه وبين مسألة تجرد النفس: روى مسلم بسنده عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: يَا قَوْمِ، إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بَعِينِي وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعَرَبِيَّانَ، فَالْجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأُدْجِلُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهْلَتِهِمْ، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاكَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ». وجاء في تعليقة الكتاب (لمحمد فؤاد عبد الباقي): قال العلماء: أصله أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيداً منهم ليخبرهم بما دهمهم، وأكثر ما يفعل هذا ربيثة قومه وهو طليعتهم ورفيقهم.

١. روي مرسلًا في البحار ١٨ : ٣٦٠، بتفاوت.

٢. البقرة (٢) : ٢٦٠.

٣. في البحار ٥٥ : ٣٩: روي أن قلب المؤمن عرش الرحمن.

وقوله: قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمان<sup>(١)</sup>.

ومعلوم أن ليس المراد هذا اللحم الصنوبري، ولا أيضاً إصبع الله جارحة جسمانية، بل القلب الحقيقي هو الجوهر النطقي من الإنسان، والأصبعان هما العقل والنفس الكلّيان، أو القوتان: العقلية والنفسية.

وقوله: المؤمن أعظم قدراً عند الله من العرش. ومعلوم أن هذه الأعظمية ليست بجسمية، ولا لقوة محصورة في عضو من أعضائه.

وقوله: خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفي عام<sup>(٢)</sup>.

وقول أمير المؤمنين وإمام الموحدين عليه السلام حين سأله خبر من الأحبار: هل رأيت ربك حين عبدته؟ فقال: وملك ما كنت أعبد رباً لم أره، وقال: كيف رأيت، أو كيف الرؤية؟ فقال: وملك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان<sup>(٣)</sup>. والرؤية العقلية لا يمكن بقوة جسمانية.

وقوله في الجواب حين سئل عنه: كيف قلعت باب خير؟ قلعته بقوة ربانية، لا بقوة جسمانية<sup>(٤)</sup>.

وعنه أنه قال: الروح ملك من ملائكة الله، له سبعون ألف وجه<sup>(٥)</sup>.

وقال روح الله المسيح بالنور الشارق من سرادق الملكوت: لن يلج ملكوت

١. في البحار ٧٢: ٤٨ عن العليل: ... فإنّ القلوب بين إصبعين من أصابع الله ...

٢. البحار ٥٨: ١٣١.

٣. البحار ٤: ٤٤، عن التوحيد.

٤. ورد مضمونه في البحار ٢١: ٢٦ عن أمالي الصدوق، والبحار ٤٠: ٣١٨ عن الخرائج.

٥. الدرّ المشور ٤: ٢٠٠.

السموات من لم يولد مرتين. وقوله: لا يصعد إلى السماء إلا من نزل منها.

أقول: شرافة الإنسان وعظمته وأعظميته وقدرته وقوته ورؤيته الأشياء كما هي ومشاهدته إياها كلها ورؤيته عالم الملكوت وصيرورته عرش الرحان إلى غير ذلك مما لا يناسب الجسم والقوى الجسمانية، كلها بالأنوار الإلهية من العلم والقدرة والقوة الربانية الخارجة عن ذاته، كما أن رؤيته ربه إنما هي بربه لا بذاته، فلا دلالة في شيء منها على تجرد النفس الحاملة لتلك الأنوار.

فيعرف الإنسان نفسه أنه شيء قائم بالغير، وأن الغير مُشَيِّهٌ وقيوم ذاته أنا فأنا، وأنه مباين ذاتاً لقيومه الذي هو الشيء بحقيقة الشيئية القائمة بذاته أزلاً وأبداً، وأنه حقيقة مظلمة عاجزة ذاتاً، وأن كماله التي لا تناسب المادية إنما هي بوجدانه لتلك الأنوار، من غير أن يصير شيء منها داخلاً في ذاته، وأنه في بقاءه وبقاء كماله محتاج أنا فأنا إلى قيومه، وأن ذاته ونفسه المشار إليها بلفظ «أنا» زمانية مكانية معروضة للعوارض واللواحق المادية والجسمانية، كما مر سابقاً، وسنذكره في التنبيه الآتي إن شاء الله تعالى.

فبعر فان الإنسان نفسه بالصفات المذكورة من الفقر والظلمة والحاجة، وأن ما له من النعم إنما هو بالغير .. يعرف ربه بالغنى والقيومية وسائر الصفات الكمالية.

وليس رجوعهم إليه تعالى بمعنى فئاتهم واندكاكهم فيه، أو عرفان أنهم شؤون لذات واحدة وتطورات لحقيقة فاردة، كما مر في كلمات المستدل.

بل لعله بمعنى رجوع العبد إلى محضر مولاه راضياً عنه مرضياً له، نظير ما حصل للأنبياء ولموسى عليه السلام، ولنبينا صلى الله عليه وآله وسلم في مقام الوحي والمكالمة.

فبملاحظة أن الله تعالى كتم جميع خلقه برهم وفاجرهم وردوا عليه الجواب - كما

دلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾، المفسّر في الروايات الكثيرة بما ذكر - يظهر صحّة إطلاق الرجوع إليه تعالى على ما يقع لهم من عرض أعمالهم عليه ومن الخطاب منه تعالى لهم ليريبهم ما أعدّ لهم من الثواب، كما أنّ رجوع الكفّار والفسّاق إليه إنّما هو بمعنى توقيفهم في موقف المحاسبة والعتاب عليهم وإراءة ما أعدّ لهم من جزاء أعمالهم.

قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً ۖ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۖ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾<sup>(٤)</sup>.

ومن مصاديقه ما رواه في البحار عن تفسير القميّ، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن الثمالي، عن أبي جعفر صلوات الله عليه، قال: قال رسول الله ﷺ: لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي الله حتّى يسأله عن أربع خصال: عمرك في ما أفنيته؟

١. الأنعام (٦) ١٠٨.

٢. يونس (١٠) ٧٠.

٣. البقرة (٢) ٢٨١.

٤. الفجر (٨٩) ٢٧ - ٣٠.



وجسدك في ما أبليته؟ ومالك من أين كسبته، وأين وضعته؟ وعن حبنا أهل البيت<sup>(١)</sup>.  
وما رواه فيه عن أمالي الصدوق بإسناده عن رسول الله ﷺ أنه قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام: إذا كان يوم القيامة يؤتى بك يا عليّ على نجيب من نور، وعلى رأسك تاج قد أضاء نوره، وكاد يخطف أبصار أهل الموقف، فيأتي النداء من عند الله جلّ جلاله: أين خليفة محمد رسول الله؟ فتقول: ها أنا ذا، قال: فينادي (المنادي): يا عليّ، أدخل من أحبك الجنة، ومن عاداك النار، فأنت قسيم الجنة وأنت قسيم النار<sup>(٢)</sup>.

وما رواه الكليني في الكافي مسنداً عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عزّ وجلّ يلتفت يوم القيامة إلى فقراء المؤمنين شبيهاً بالمعتذر إليهم، فيقول: وعزّي وجلالي ما أفقرتكم في الدنيا من هوانٍ بكم عليّ، ولتروا ما أصنع بكم اليوم، فمن زود أحداً منكم في دار الدنيا معروفاً فخذوا بيده فأدخلوه الجنة...<sup>(٣)</sup>.

وما رواه القمي بإسناده عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه في ذيل قوله تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، قال: ويؤتى بالمؤمن الغني يوم القيامة إلى الحساب، يقول الله تبارك وتعالى: عبدي، قال: لبيك يا رب. قال: ألم أجعلك سمياً وبصيراً، وجعلت لك مالا كثيراً؟ قال: بلى يا رب، قال: فما أعددت للقاتي؟ قال: آمنت بك، وصدقت رسلك، وجاهدت في سبيلك. قال: فماذا فعلت فيما آتيتك؟ قال: أنفقت في طاعتك. قال: ماذا ورثت في عقبك؟ قال: خلقتني

١. البحار ٧: ٢٥٩.

٢. البحار ٣٩: ١٩٩، وما بين القوسين من المصدر (أمالي الصدوق: ٢٩٥).

٣. الكافي ٢: ٢٦١، البحار ٧: ٢٠٠.

٤. الزخرف (٤٣) ٦٧.

وخلقتهم، ورزقتني ورزقتهم، وكنت قادراً على أن ترزقهم كما رزقتني فوكلت عقبي إليك. فيقول الله عزّ وجلّ: صدقت، اذهب، فلو تعلم ما لك عندي لضحكت كثيراً. ثمّ يدعى بالمؤمن الفقير فيقول: يا عبدي، فيقول: لبيك يا ربّ، فيقول: ماذا فعلت؟ فيقول: يا ربّ هديتني لدينك، وأنعمت عليّ، وكففت عني ما لو بسطته لخشيتُ أن يشغلني عمّا خلقتني له. فيقول الله عزّ وجلّ: صدقت عبدي، لو تعلم ما لك عندي لضحكت كثيراً. ثمّ يدعى بالكافر الغنيّ، فيقول: ما أعددت للقائي؟ فيعتلّ، فيقول: ماذا فعلت في ما آتيتك؟ فيقول: ورثته عقبي، فيقول: من خلقتك؟ فيقول: أنت، فيقول: من خلق عقبك؟ فيقول: أنت، فيقول: ألم أك قادراً على أن أرزق عقبك كما رزقتك، فإن قال: «نسييت» هلك، وإن قال: «لم أدر ما أنت» هلك، فيقول الله عزّ وجلّ: لو تعلم ما لك عندي لبكيت كثيراً. ثمّ يدعى بالكافر الفقير فيقول: يا ابن آدم، ما فعلت في ما أمرتك؟ فيقول: ابتليتني ببلاء الدنيا حتى أنسيتني ذكرك، وشغلتنني عمّا خلقتني له، فيقول: فهلاً دعوتني فأرزقك، وسألتنني فأعطيك! فإن قال: «يا ربّ نسييت» هلك، وإن قال: «لم أدر ما أنت» هلك، فيقول له: لو تعلم ما لك عندي لبكيت كثيراً<sup>(١)</sup>.

وما رواه في البحار عن أمالي الشيخ بسنده عن محمّد بن مسلم، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>، فقال عليه السلام: يُؤْتِي بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتى يقام بموقف الحساب، فيكون الله تعالى هو الذي يتولّى حسابه، لا يُطلع على حسابه أحداً من

١. تفسير القميّ ٢: ٢٨٧، البحار ٧: ١٧٤.

٢. الفرقان (٢٥) ٧٠.

الناس، فيعرفه ذنوبه، حتى إذا أقر بسيئاته قال الله عز وجل للكتابة: بدلوا حسنات وأظهورها للناس. فيقول الناس حينئذ: ما كان لهذا العبد سيئة واحدة! ثم يأمر الله به إلى الجنة، فهذا تأويل الآية، وهي في المذنبين من شيعتنا خاصة<sup>(١)</sup>.

### التبيه الثاني عشر: الفارق بين الروح والبدن أعراضهما

تحصل مما ذكرنا أن أرواح البشر وأبدانهم كليهما من أجزاء المادة المخلوق منها جميع الأشياء، والفارق بينهما اللطافة والكثافة وغيرهما من الأعراض، فيمكن تغلظ الأرواح بحيث ترى بالأعين العادية، كما في الجان والملك<sup>(٢)</sup>. ويمكن تلطف الأبدان حتى لا ترى. ومما يدل عليه رواية محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام، ورواية الاحتجاج عن الصادق عليه السلام<sup>(٣)</sup>. وما ورد من أن الله تعالى خلق قلوب الشيعة أو أرواحهم - على اختلاف التعبير في الروايات - مما خلق منه أبدان الأئمة عليهم السلام<sup>(٤)</sup>.

ثم إن كون روح الإنسان جسماً لطيفاً كالهواء المتحرك - كما هو المصرح به في الخبرين المتقدمين - لا ينافي اشتغالها على خصوصيات مادية محيرة للعقول، نظير اشتغال البدن الذي لا شك في جسمانيته على خصائص عجزت الحكماء والأطباء الفحول عن

١. البحار ٧: ٢٦١.

٢. يعني يحصل التغلظ لهما في بعض الأحوال. كما روي في الاحتجاج ٢: ٨١ أنه سئل الصادق عليه السلام: كيف صعدت الشياطين إلى السماء وهم أمثال الناس في الحلقة والكثافة، وقد كانوا يبنون لسليمان بن داود من البناء ما يعجز عنه ولد آدم؟ قال عليه السلام: غلظوا السليمان كما سخروا، وهم جسم لطيف وغذاؤهم النسيم ...، وسيأتي في أحوال البرزخ تنبيه وتوضيح. (منه ع).

٣. انظر التنبيه التاسع ص ٣١٥.

٤. الكافي ٢: ٢؛ علل الشرائع ١: ١٠٤؛ البحار ٥: ٢٢٥.

إحصائها ودرك حقيقتها، ولا ينافي أيضاً اشتغالها على أمور لا تناسب المادية، فإن ذلك ناشئ من إفاضة نور العلم والقدرة وغيرهما - مما ليس من سنخ المادة وعوارضها ولا جزءاً منها، ولا صادراً ومتولداً عنها - عليها. وهذا هو الفارق بين روح الإنسان وبين غيرها من سائر الأجسام اللطيفة والكثيفة، وكفى به فارقاً. وقد مرّ أنّ هذا النور يجده الإنسان إجمالاً، وكذا مغايرته إيّاه.

وقد مرّ أيضاً في مبحث العلم أنّ من طرق التنبيه إلى وجود هذه الحقيقة - أي النور العلمي - وأنه خارج عن حقيقة الإنسان ولا تصير جزءاً منها أبداً، فقداننا إيّاه عند المنام وعند عروض الغشوة بعد وجدانه، وكذا وجداننا بعد الفقدان، فإنّ هذا الوجدان والفقدان وتداوم ذلك في جميع أفراد الإنسان ينهنا على أنّ حقيقة الإنسان مظلمة ميّنة بالذات، وأنّ حياته وشعوره من أول العمر إلى آخره إنّها هي بركة هذا النور الخارج عن حقيقته، فعند الوجدان يحصل العلم للإنسان، وعند الفقدان يجهل أو يحصل له النسيان، وكلّ ذلك لا بنحو المازجة، ولا البعد والمفارقة.

وبعد وضوح مغايرته لهذا النور نقول: مغايرة سائر الأشياء المعلومة بالحواسّ الظاهرة لهذا النور أوضح، فإنّ كلّ ما يدرك بالحواسّ الظاهرة من الجوهر والعرض مظلم ذاتاً، والعلم المظهر له ذاته النور، ومباينة نورّي الذات مظلم الذات ظاهرة.

هذا في المعلومات الخارجيّة، أي المحسوسات بالحواسّ الظاهرة، وأمّا المعلومات النفسية أي المتصورات فحالتها في كونها ظاهرة بنور خارج عن ذات العالم بها واضحة أيضاً لمن عرف نور العلم.

وقد مرّ أنّ الدليل على ما ذكرنا كلّهُ هو نفس نور العلم الظاهر بذاته المعرف لغيره، ولا بدّ للمعلّم أن يذكر به المتعلّم، ولا طريق له عادة إلا ذلك.

### التنبيه الثالث عشر: يمكن لكل ذرة وجدان العلم والإدراك

قد مرّ أيضاً أنّ ما ذكرناه جارٍ في كلّ شيء بل كلّ ذرة من ذرات عالم المادّة، أي يمكن أن تدرك تلك الذرة كلّ أمر يدركه الإنسان، فإنّ توقّف علم الإنسان على سلامة دماغه وبنيتّه إنّما هو من السنن التي أجراها مسبّب الأسباب بمشيئته، وهي وإن لم تتخلّف غالباً وبحسب العادة إلا أنّ له تعالى شأنه إفاضة نور العلم على كلّ جزء يصدق عليه أنّه شيء دون الجزء المجاور له بدون تلك الأسباب، كما شاء وأذن لكلّ شيء أن يستبح بحمده وإن لم يفقه الناس تسيّحه. وحمله على خصوص التسيّح التكوينيّ أي بلسان الحال لا موجب له، كما سبّح الحصى في كفّ رسول الله ﷺ حتّى سمعه الناس<sup>(١)</sup>. وتقدّم ذكر الآيات الدالّة على شهادة الأيدي والأرجل وغيرها يوم القيامة بما فعله الإنسان في الدنيا<sup>(٢)</sup>، والروايات الدالّة على شهادة المكان وأمثالها كثيرة في المعجزات المنقولة عن الأئمّة عليهم السلام.

### التنبيه الرابع عشر: الإنسان يبقى على جسمانيّته

قد ظهر ممّا سبق أنّ الإنسان من مبدأ خلقته إلى منتهى ما يصل إليه من الكمال باقٍ على مادّيّته وجسمانيّته، وعلى فقره واحتياجه في بقاء ذاته وجميع كمالاته المادّيّة والمعنويّة إلى الله تعالى، ولا يدخل في حدّ التجرد المصطلح بأنّ تصير ذاته مجردة عن المادّة ولو احققها فانية في حقيقة الحقّ المتعالي، بل هو في حال غناه - باستضاءته من الأنوار

١. رُوي في البحار ١٧: ٣٧٧ عن الخرائج عن أنس أنّ النبي ﷺ أخذ كفّاً من الحصى فسبّحن في يده ثمّ صبّهن في يد عليّ عليه السلام فسبّحن في يده، حتّى سمعنا التسيّح في أيديهما، ثمّ صبّهن في أيدينا فما سبّحت. (منه ج٢)

٢. انظر التنبيه الثاني من تنبيهات المعاد ص ٢٩٧.

الإلهية المنزهة دائماً عن لوث المادّية - باقي على فقره ومحدوديته ومادّيته، كما هو مشهود له في كلّ يوم وليلة غالباً، فينبغي للمؤمن أن يشكر الله تعالى دائماً على نعمائه التي من أعظمها نعمة الوجود - أي الثبوت والكون والحصول (وقد عبّر أمير المؤمنين صلوات الله عليه عن أوّل النعمة بقوله: أن خلقتني) <sup>(١)</sup> - والحياة والعلم والعقل والهدايات العامّة والخاصّة <sup>(٢)</sup>، وأن يتضرّع إليه تعالى لتبقي له تلك النعم ولا تُسلب منه - لإمكان زوالها في كلّ آن - ولطلب الزيادة. وهذا مما علّمنا الله تعالى بأمره في كلّ صلاة بقراءة قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ...﴾.

#### التنبيه الخامس عشر: زوال العلم والهداية بالكفر والظلم

من موجبات زوال نعمة العلم والهداية ومن موجبات الحرمان من الزيادة كفرانها بسبب الكفر بالله تعالى ورسوله، والتكبر، والظلم، والفسق، والكذب، وغير ذلك من المعاصي، كما قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ <sup>(٣)</sup>. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ <sup>(٤)</sup>. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

١. مصباح الزائر (للسيد ابن طاووس): ٩١ (دعاء الأمان لأمير المؤمنين عليه السلام)؛ البحار ٩٧: ٤٢٠؛

الصحيحة العلوية الثانية: ١٨؛ موسوعة الأدعية ٢: ٥٦.

٢. فالعامّة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ - الإنسان (٧٦) ٣،

والخاصّة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ - البقرة (٢) ٢،

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ - مريم (١٩) ٧٦ وتقدّم توضيحها في بعض تنبيهات المبدأ

ص ٧٨ - ٨٠.

٣. البقرة (٢) ٢٥٨، آل عمران (٣) ٨٦، المائدة (٥) ٥١، التوبة (٩) ١٩، ١٠٩، الصف (٦١) ٧،

الجمعة (٦٢) ٥.

٤. البقرة (٢) ٢٦٤.

الْفَاسِقِينَ ﴿١﴾. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ ﴿٢﴾. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ ﴿٣﴾. ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعَدَ إِيمَانِهِمْ﴾ ﴿٤﴾.

وبعد زوال النعم المذكورة قد يحصل الطبع والختم على القلب، كما قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٥﴾، وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿٦﴾، وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَرٍ جَبَّارٍ﴾ ﴿٧﴾، وقال تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ ﴿٨﴾.

### التنبيه السادس عشر: محل الأرواح والأبدان الذرية بعد أخذ الميثاق

لم يتبين لي من الروايات المباركات حال الأبدان الذرية بعد الإخراج من ظهر آدم وأخذ الميثاق منها في المرة الأخيرة، هل أعيد جميع أفرادها إلى ظهره ثم جعل في صلب من قدر الله من أولاده الذكور جملة مقدرة، ثم نقلها من صلب إلى رحم ومن رحم إلى صلب حتى انتهى كل واحد منها إلى صلب الأب، فصار بضم الأجزاء المتحصلة من الأغذية إليه واقعاً في منيته وانتقل منه إلى رحم الأم، فصار بعد الخلط بمنية الأم

١. المائدة (٥) ١٠٨، النوبة (٩) ٢٤، ٨٠، الصف (٦١) ٥.

٢. الزمر (٣٩) ٣.

٣. غافر (٤٠) ٢٨.

٤. آل عمران (٣) ٨٦.

٥. الأعراف (٧) ١٠١.

٦. يونس (١٠) ٧٤.

٧. غافر (٤٠) ٣٥.

٨. البقرة (٢) ٧.

وتغذیته بدم حیضها بصورة العلقۃ ثم المضغۃ إلى أن صار جثۃ سوئیة؟ وهل الجمیع بهذه کیفیة وبهذا الترتیب، أو كان بعضها بترتیب آخر؟

وكذا حال الأرواح التي أخذ منها الميثاق: هل صار جميعها بعد أخذ الميثاق منها میتة إلا من استثنى من أرواح النبی الأکرم والأئمة صلوات الله علیهم؟ وأین كان مكانها؟

وهل الأرواح التي تنفخ في رأس الأربعة أشهر في أبدان الأجنۃ، هي تلك الأرواح بعد صيرورتها حیة بنور الحیاة؟ أو كانت وهي میتة كامنة في تلك الأبدان؟ كما هو المحتمل من قوله عليه السلام: وفيها الروح القديمة<sup>(۱)</sup>، وأنه بها تتحول النطفة علقۃ ومضغۃ، فعليه يكون الذي يُنفخ فيه في رأس الأربعة أشهر روح الحیاة المجردة عن المادۃ وأوصافها، أو كان بعضها من قبيل الأول وبعضها من قبيل آخر؟

نعم، في الزيارة: أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشاخحة والأرحام المطهرة<sup>(۲)</sup>، وفي دعاء يوم عرفة لأبي عبد الله الحسين صلوات الله عليه: خَلَقْتَنِي مِنَ التُّرَابِ، ثُمَّ أَسْكَنْتَنِي الْأَصْلَابَ، آمناً لريب المنون واختلاف الدهور والسنين، فلم أزل ظاعناً من

---

۱. الكافي ۶: ۱۳ - ۱۴؛ البحار ۵۷: ۳۴۴؛ عبارة الرواية: «... ثم يبعث الله ملكين خلاقين يخلقان

في الأرحام ما يشاء الله، فيفتحان في بطن المرأة من فم المرأة، فيصلان إلى الرحم وفيها الروح القديمة المنقولة في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فينفخان فيها روح الحیاة والبقاء...». قال العلامة المجلسي رحمته الله: «الروح القديمة» أي الروح المخلوق في الزمان المتقادم قبل خلق جسده، وكثيراً ما يطلق القديم في اللغة والعرف على هذا المعنى كما لا يخفى على من تتبّع كتب اللغة وموارد الاستعمالات، والمراد بها النفس النباتية أو الروح الحيوانية أو الإنسانية.

۲. انظر البحار ۹۷: ۱۸۷، زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله؛ مفاتيح الجنان، زيارة الحسين عليه السلام المعروفة بزيارة



صلب إلى رحم في تقادم من الأيام الماضية والقرون الخالية، لم تخرجني لرأفتك بي وإحسانك إليّ في دولة أئمة الكفر الذين نقضوا عهدك وكذبوا رسلك ...<sup>(١)</sup>.

بل في رواية الكافي والعلل بسندهما عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لما أمر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ببناء البيت وتمّ بناؤه ... نادى: هلمّ الحجّ، فلبّى الناس في أصلاب الرجال: لبيك داعي الله، لبيك داعي الله عزّ وجلّ، فمن لبى عشرأً يحجّ عشرأً، ومن لبى خمساً يحجّ خمساً، ومن لبى أكثر من ذلك فبعده ذلك، ومن لبى واحداً حجّ واحداً، ومن لم يلبّ لم يحجّ<sup>(٢)</sup>.

#### التنبيه السابع عشر: علاقة الروح بالبدن

ظهر ممّا ذكرنا أنّ الطفل الخارج من بطن أمه مركّب من روح مخلوقة قبل الأبدان، كما في الرواية: خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام، ومن بدن مركّب من بدن صغير في غاية الصغر متشخّص ثابت من أوّل خلقته في الذرّ الأوّل - وكان هو الحافظ للوحدة والشخصيّة في جميع الأطوار والأزمان - ومن أجزاء متبدّلة، كما هو المشهود. ودعوى تبدّل أجزاء البدن بأسرها في كلّ أربعين يوماً أو أزيد مجازفة خالية عن الدليل.

وقد أُعمل في هذا البدن المركّب من اللطائف والدقائق ما حير عقول ذوي الألباب.

وجعل ذلك البدن بمنزلة المركّب والآلة للروح يعمل بها الأعمال المناسبة لعالم

١. الإقبال: ٣٤٠، البحار: ٩٥: ٢١٦.

٢. الكافي: ٤: ٢٠٦، علل الشرائع: ٤١٩، الوسائل: ١١: ١٠ - الباب ١ من أبواب الحجّ، الحديث: ٩.

الدنيا، وفي بعض الأخبار تمثيلها بالمقعد والأعمى<sup>(١)</sup>.

وتظهر المغايرة والمباينة بينهما بملاحظة حال النوم، فإنه وإن لم يعلم حقيقة العالم الذي هو فيه، والمرئيات التي يراها فيه، إلا أنه لا يشكّ في أنّ الرائي فيه هو نفسه أي شخصه المعبر عنه بالروح، كما لا يشكّ أنّ الرائي في اليقظة أيضاً هو نفسه وشخصه الوارد في البدن، ويجد أنه غير هذا الجسد الملقى على وجه الأرض.

ويحتمل قوتياً كون هذا العالم في باطن هذا الفضاء الواقع بين الأرض والسماء المسانخ للروح في الجسمية واللطافة، كما هو ظاهر غير واحد من الروايات المتقدمة في بعض التنبيهات السابقة. ويمكن تنظيره بالكهرباء والأشعة المخفية النافذة في الهواء، وفي سائر الأجسام اللطيفة والغليظة محجوبة عن الإنسان سوى ما يراه منها. وبالجملة: لم يثبت كون المرئي في النوم صورة محضة كما توهم، نظير توهم كون الرائي والمرئي في البرزخ مجرد صورة بلا مادة.

### فصل: في أحوال الروح في البرزخ

وهو ما بين الموت ويوم القيامة:

لا إشكال في حياة الروح في البرزخ، ويدلّ عليه من الآيات المباركات:  
قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ \* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

١. رواه أبو نُعَيْمٍ في حلية الأولياء ١: ٢٠٥ عن سلمان بن عبد الله، والظاهر أنّ المراد من هذا التمثيل تشبيه الروح والبدن بهما في حاجة كلّ منهما إلى الآخر، ولعلّ المقصود تشبيه الروح بالأعمى من جهة أنّها بذاتها فاقدة للنور، وتشبيه البدن بالمقعد من جهة أنّه إنّما يتحرك بواسطة الروح.

٢. المؤمنون (٢٣) ٩٩، ١٠٠.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.  
 ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ \*  
 فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ  
 عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \* يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ  
 الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾<sup>(٣)</sup>.  
 قال الشيخ البهائي عليه السلام: ولا يجوز أن يراد به سوء الحال في الدنيا، لأن كثيراً من  
 الكفار في الدنيا في معيشة طيبة هنيئة غير ضنك، والمؤمنون بالضد، كما ورد في  
 الحديث: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر<sup>(٤)</sup> ... انتهى.

١. البقرة (٢) ١٥٤.

٢. آل عمران (٣) ١٦٩ - ١٧١.

٣. طه (٢٠) ١٢٤. قال الطبرسي عليه السلام: «فإن له معيشة ضنكاً» أي عيشاً ضيقاً، عن مجاهد وقتادة  
 والجبائي، وهو أن يقتّر الله عليه الرزق عقوبة له على إعراضه، فإن وسع عليه فإنه يضيق عليه  
 المعيشة بأن يمسكه ولا ينفقه على نفسه، وإن أنفقه فإن الحرص على الجمع وزيادة الطلب يضيق  
 المعيشة عليه، وقيل هو عذاب القبر، عن ابن مسعود وأبي سعيد الخدري والسدي، ورواه أبو  
 هريرة مرفوعاً... (مجمع البيان ٤: ٣٤)؛ وفي البحار ٦: ٢١٨، عن أمالي الطوسي، فيها كتب  
 أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن أبي بكر: يا عباد الله، ما بعد الموت لمن لا يغفر له أشدّ من الموت،  
 القبر فاحذورا ضيقه وذنكه وظلمته وغرته... وإن المعيشة الضنك التي حذر الله منها عدوه  
 عذاب القبر...؛ وفي تفسير القمي ٢: ٦٥، عن أبي عبد الله عليه السلام: أنها للنصاب في الرجعة؛  
 فراجع.

٤. الأربعون حديثاً (للشيخ بهاء الدين العاملي): ٤٨٨، والحديث في معاني الأخبار: ٢٨٩.

وقوله تعالى في قوم نوح: ﴿أَغْرِقُوا فَأَذْخَلُوا نَارًا﴾<sup>(١)</sup>، فإنه لو كان المراد إدخالهم

النار يوم القيامة كان المناسب الإتيان بـ «ثم».

وقوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ

فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾<sup>(٢)</sup>.

فعلن أبي عبد الله عليه السلام: ذلك في الدنيا قبل يوم القيامة، لأن نار القيامة لا تكون

غدوًّا وعشيًّا، ثم قال عليه السلام: ألم تسمع قول الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا

آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ سُقِيَٰ وَسَعِيدٌ \* فَأَمَّا الَّذِينَ

شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ \* خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا

مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ \* وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا

دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُودٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا \*

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَهُمْ فِيهَا يَرْزُقُونَ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾<sup>(٥)</sup>.

ويمكن أن يقال - بقرينة الرواية المتقدمة - كما عن تفسير القمّي: إن هاتين الآيتين

أيضاً ناظرتان إلى الجنة والنار في البرزخ<sup>(٦)</sup>.

١. نوح (٧١) ٢٥.

٢. غافر (٤٠) ٤٦.

٣. البحار ٦: ٢٨٤، ٢٨٥ عن تفسير القمّي.

٤. هود (١١) ١٠٥-١٠٨.

٥. مريم (١٩) ٦١، ٦٢.

٦. تفسير القمّي ١: ٣٣٨، ٢: ٥٢.

وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾<sup>(١)</sup>.

قال السيّد شبر في تفسيره: وهو حبيب النجار، ... ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ قال: ذلك بعد موته أو قتله، بشره الرسل به، أو حين هموا بقتله فرفع إلى الجنة حياً، ... ﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ \* بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾، تمنى علمهم بحاله، ليرغبوا في مثله ... انتهى.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* اذْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً \* فَادْخُلِي فِي عِبَادِي \* وَأَدْخُلِي جَنَّتِي﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ \* فَارْجِعْهُ إِلَىٰ رَبِّكَ أَوْ كُنْ مِنَ الْعَائِدِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، فإن حرف الفاء الدال على التعقيب يدل على أن ذلك كان بعد موته.

وقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾<sup>(٤)</sup>، فإن الآخرة في مقابل الدنيا شاملة للبرزخ، كما يشهد عليه مناسبة هذه الآية لما يُلقن به الميت عند دفنه.

والروايات من طريق العامة والخاصة في حياة الروح في البرزخ وفي تفسير الآيات المذكورة بها متظافرة<sup>(٥)</sup>، ومقتضاها أنه بعد ما تخرج الروح من البدن ويدخل البدن

١. يس (٣٦) - ٢٠.

٢. الفجر (٨٩) - ٢٧ - ٣٠.

٣. الواقعة (٥٦) - ٨٨، ٨٩.

٤. إبراهيم (١٤) - ٢٧.

٥. قال الشيخ بهاء الدين العاملي رحمته الله: عذاب القبر وهو العذاب الحاصل في البرزخ - أعني ما بين الموت والقيامة - مما اتفقت عليه الأمة سلفاً وخلفاً، وقال به أكثر أهل الملل، ولم ينكره من المسلمين إلا شذمة قليلة لا عبرة بهم، وانعقد الإجماع على خلافهم سابقاً ولاحقاً، والأحاديث

القبر تُردّ روحه من رأسه إلى أوساط بدنه، فيأتيه الملكان ويسألانه<sup>(١)</sup>، وترد عليه الضغطة من قبره، وإن لم يُقبر فمن الهواء<sup>(٢)</sup>. وقلّ من يسلم منها<sup>(٣)</sup>.

والظاهر أنّ السؤال والضغطة بالنسبة إلى البدن بعد ولوج الروح فيه، إمّا على نحو لا يتحرّك معه شيء من أعضائه لانجماد دمه وإن لم أر فيه رواية - والمقصود بيان إمكانه - وإمّا أن يقعد - كما في رواية<sup>(٤)</sup> - بتصرّف في البدن والقبر أو في فضاء القبر، أو

الواردة فيه من طرق الخاصة والعامة متواترة المضمون، وهي أكثر من أن تحصى ... (الأربعون حديثاً: ٤٨٧).

١. البحار ٦: ٢٠٢ الباب ٨.

٢. البحار ٦: ٢٦٦.

٣. كما في البحار ٦: ٢٦١، عن الكافي.

٤. تدلّ عليه عدّة من الروايات، منها ما روي في البحار (٦: ٢٢٢) عن أمالي الصدوق بسنده عن موسى بن جعفر عن أبيه عليه السلام قال: «إذا مات المؤمن شيّعه سبعون ألف ملك إلى قبره، فإذا أدخل قبره أناه منكر ونكير فيقعدانه ويقولان له: من ربك ...»؛ ومنها ما فيه (ص ٢٤٢) عن رجال الكشيّ أنّه روى أصحابنا أنّ أبا الحسن الرضا عليه السلام قال بعد موت ابن أبي حمزة: «إنّه أقعد في قبره فسئل عن الأئمة عليهم السلام ...»؛ ومنها ما فيه (ص ٢٤٣) عن نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال في خطبة: «حتّى إذا انصرف المشيع ورجع المتفجع أقعد في حفرة نجياً لبهته السؤال وعثرة الامتحان ...»؛ ومنها ما فيه (ص ٢٦٣ - ٢٦٤) عن الكافي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ المؤمن إذا أخرج من بيته شيّعه الملائكة إلى قبره ... ويدخل عليه في قبره ملكا القبر وهما قعيدا القبر منكر ونكير فيلقيان فيه الروح إلى حقويه فيقعدانه ويسألانه ...»؛ قال المحقق الطريحي: في الحديث «إذا وضع الميت في القبر يقعدانه»، الأصل فيه أن يحمل على الحقيقة، ويحتمل أن يراد فيه التنبيه لما يسأل عنه والإيقاظ بما هو فيه بإعادة الروح إليه كالنائم الذي يوقظ، ومن الجائز أن يقال: أجلسته من نومه أي أيقظته من رقدته على المجاز والاتساع، لأنّ

في أعين الناظرين على نحو لا يرى أهل الدنيا ما هو فيه وما يرد عليه، ونظيره مروى في معجزات الأئمة عليهم السلام، ثم يعاد البدن على ما كان جسداً بلا روح. كما ورد في ضغطة القبر أنه بها تختلف أضلعه<sup>(١)</sup> (أي تتداخل)، وفي بعضها أن البدن يذاب من مرزبة الملكين على بعض الكفار<sup>(٢)</sup>، ويكون سائر أمور البرزخ بعد ذلك غالباً بالنسبة إلى الروح فقط.

وبالجملة فإنّ مما يجب الاعتقاد به بقاء الروح حيّاً في عالم البرزخ لغير واحدة من الآيات المتقدّمة، وللروايات المتواترة.

### تنبيه وتوضيح

الروح حيث إنّها جسم رقيق - كما مرّ الدليل عليه - يمكن أن يكون بقاؤها بعد الموت عبارة عن بقاء شخصها متمثلة، أي متشكّلة بشكل الجسد، كما هو ظاهر رواية الكافي بسنده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ الأرواح في صفة الأجساد في شجرة في الجنة تعارفٌ وتساءلٌ، فإذا قدمت الروح على الأرواح تقول: دعوها فإنّها قد أفلتت من هول عظيم، ثمّ يسألونها: ما فعل فلان؟ وما فعل فلان؟ فإن قالت لهم: تركته حيّاً، ارتجوه، وإن قالت لهم: قد هلك، قالوا: هوى، هوى<sup>(٣)</sup>. أقول: وفي رواية

---

الغالب من حال النائم إذا استيقظ أن يجلس فجعل الإجلال مكان الإيقاظ. (مجمع البحرين: ١٠٧١ «قعد»).

١. البحار ٦: ٢٢٤، عن تفسير القمّي، وص ٢٤٤ عن نهج البلاغة.

٢. البحار ٦: ٢٦٣، عن فروع الكافي.

٣. البحار ٦: ٢٦٩، ٢٧٠ عن فروع الكافي. «هوى»: سقط من علوّ إلى أسفل؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَجْلُلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَد هَوَى﴾ طه (٢٠) ٨١، وقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمَّهُ هَاوِيَةٌ﴾

أخرى عن أبي بصير عنه عليه السلام أنهم في حجرات في الجنة يأكلون [من طعامها] ويشربون [من شرايها]... الخبر<sup>(١)</sup>، وفي رواية أخرى عن أبي بصير عنه عليه السلام أنها في روضة، كهيئة الأجساد في الجنة<sup>(٢)</sup>، ففي كلّ واحدة منها ذكر حالة من حالات الروح تدلّ على جسمانيته.

ويمكن تغلّظها، كما ورد أنّ أبا بكر رأى رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاته<sup>(٣)</sup>، وأنّ الحسن ابن عليّ صلوات الله عليهما أرى بعض أصحابه أمير المؤمنين عليه السلام<sup>(٤)</sup>، وأنّ بعض أصحاب الأئمة رأى معاوية بصورة رجل في عنقه سلسلة<sup>(٥)</sup>، ورئي عمر بن سعد بصورة القردة<sup>(٦)</sup>، وغير ذلك، أوّرد كثيراً منها في المجلّد الثالث من البحار<sup>(٧)</sup>، في باب أحوال البرزخ والقبر وعذابه. فإنّ الروح كالملك، وقد ورد في رواية الاحتجاج عن

---

القارعة (١٠١) ٩، قيل: هي نار يهوي فيها على أمّ رأسه، (الصافي ٥: ٣٦٧)؛ ومعنى قول الأرواح: «هوى» أنّه سقط إلى دركات الجحيم إذ لو كان من السعداء لكان يلحق بنا، والمراد الهويّ إلى نار البرزخ، أو إلى نار القيامة، وجيء بالماضي باعتبار تحقّق وقوعه، أو المعنى أنّه سقط ورسب فيما امتحن الله به في دار الدنيا.

١. البحار ٦: ٢٦٩، ٢٧٠ عن فروع الكافي.

٢. البحار ٦: ٢٦٩، ٢٧٠ عن فروع الكافي.

٣. البحار ٦: ٢٤٧، عن البصائر.

٤. مدينة المعاجز: ٣: ٧٠، البحار ٤٣: ٣٢٨.

٥. البحار ٦: ٢٤٨، عن البصائر.

٦. البحار ٤٥: ٣١٢، عن كتاب التسلّي للنعمانيّ.

٧. المجلّد السادس من الطبع الجديد.





مأمورة، فكفّ الناس عنها، فأقبل الثعبان إلى عليّ عليه السلام حتّى وضع فاه على أذن عليّ عليه السلام، فقال له ما شاء الله أن يقول. ثمّ إنّ الثعبان نزل وتبعه عليّ عليه السلام، فقال الناس: يا أمير المؤمنين ألاّ نخبرنا بمقالة هذا الثعبان؟ فقال: نعم، إنّ رسول الجنّ، قال لي: أنا وصيّ الجنّ ورسولهم إليك، يقول الجنّ: لو أنّ الإنس أحبّوك كحبّنا إياك وأطاعوك كإطاعتنا إياك لما عذب الله أحداً من الإنس بالنار.

ورئي الشيطان بصورة شيخ كان أوّل من بايع أبا بكر على منبر النبيّ صلى الله عليه وآله <sup>(١)</sup>، وفي غير ذلك من المواطن.

ويمكن بقاء الروح بوجه آخر، وهو تعلّقها بيدن مثاليّ كتعلّقها في الدنيا بالبدن العنصريّ، كما هو ظاهر رواية أبي ولّاد الحنّاط عن أبي عبد الله عليه السلام: إتهم في أبدان كأبدانهم <sup>(٢)</sup>، وفي رواية ابن ظبيان: في قلب كقلبه في الدنيا فيأكلون ويشربون <sup>(٣)</sup>.

١. البحار ٢٨: ٢٦٣، عن كتاب سليم بن قيس.

٢. البحار ٦: ٢٦٨، عن فروع الكافي.

٣. البحار ٦: ٢٦٩، عن فروع الكافي. عبارة هذه الرواية: «فإذا قبضه الله عزّ وجلّ صيرّ تلك الروح في قلب كقلبه في الدنيا...». أقول: هذا التعبير يوافق الوجه الأوّل أيضاً؛ لاحتمال أن يكون المقصود صيرورة نفس الروح بصورة البدن الدنيويّ؛ ولا ينافي ذلك ذكر الأكل والشرب؛ لأنّهما كالأكل والشرب اللذين يراهما النائم في المنام. وقد وقع في الأخبار تشبيه حالة البرزخ وما يجري فيها بحالة الرؤيا وما يشاهد فيها (البحار ٦: ٢٤٣)، لكنّ العلّامة المجلسيّ رحمته الله نفى البعد عن تعلّق الروح بالأجساد المثالية عند النوم أيضاً (البحار ٦: ٢٧١).

هذا آخر ما أردنا - بتوفيق الله تعالى - تعليقه على بعض مباحث التنبيهات، فإنّ اهتديت فيما هداني ربّي وإن ضللت فإنّما هو من جهلي، وأتمس من القراء الكرام أن يذكروني، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم. اللهمّ إنّ هذه هديّتي إلى أستاذي ووالدي المؤلّف رحمته ورضوانك

نعم، لم يثبت كون البدن المثالي مجرد صورة بلا مادة، لاحتمال كونه أيضاً جسماً رقيقاً تتعلّق به الروح التي لعلّها أرقّ منه، كما تتعلّق في الدنيا بهذا البدن المألوف. وفي بعض الأفراد احتمال تعلّق الروح بعد الموت في بعض الأحيان بيدنه الذي كان فيه في الدنيا، كما عن كامل الزيارات بسنده عن عبد الله بن بكير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: حَجَجْتُ مع أبي عبد الله عليه السلام - إلى أن قال: - فقلت: يا ابن رسول الله، لو نُبِش قبر الحسين بن عليّ هل كان يصاب في قبره شيء؟ فقال: يا ابن بكير، ما أعظم مسائك! إنّ الحسين عليه السلام مع أبيه وأمه وأخيه في منزل رسول الله صلى الله عليه وآله، ومعه يُرْزَقون ويُجَبَرُونَ، وإنّه لعن يمين العرش متعلّق به يقول: يا ربّ أنجز لي ما وعدتني، وإنّه لينظر إلى زوّاره، وإنّه أعرف بهم وأسمائهم وأسماء آبائهم وما في رحالهم من أحدهم بولده، وإنّه لينظر إلى من يبكيه فيستغفر له ويسأل أباه الاستغفار ويقول: أيّها الباكي، لو علمت ما أعدّ الله لك لفرحت أكثر ممّا حزنت، وإنّه ليستغفر له من كلّ ذنب وخطيئة<sup>(١)</sup>.

ونسب إلى جماعة منهم الشيخ المفيد رحمته الله القول بأنّ النبيّ والأئمة من خلفائه يُنْقَلُونَ بأجسادهم وأرواحهم إلى السماء<sup>(٢)</sup>. وفي بعض الروايات أنّ بعض خلفاء بني مروان مُسَخَّ جسده بعد الموت وزغاً، وأنّ بني أمية يمسخون وزغاً بعد موتهم<sup>(٣)</sup>، وفي بعضها أنّ بعض الكلاب مَسَخ من الجنّ والإنس<sup>(٤)</sup>، ومرّ إمكان ذلك بالقاء البدن الأصليّ

---

عليه، فتقبّل منّي بأحسن قبول وتوفّني مسلماً وألحقني بالصالحين، والحمد لله ربّ العالمين.

١. كامل الزيارات: ١٠٣.

٢. البحار ٦: ٢٥٤، و٢٧: ٣٠١، عن المفيد في كتاب المقالات.

٣. الكافي ٨: ٢٣٢، البحار ٦: ٢٣٥، مرآة العقول ٢٦: ١٩٤، ذيل حديث ٣٢٣.

٤. البحار ٦٠: ٩٤، عن فروع الكافي.

الذريّ الباقي بعد موته في منيّ الكلب، فينتقل إلى رحم الأثى منه، فتتعلق به روح ذلك الإنسان، فيخرج بصورة الكلب مع تغيير في مشاعره، فيكون هذا مسخاً خفياً، وطرفاً من خزيه وعذابه في البرزخ، دون العذاب الأكبر في القيامة.

ومما ورد في الروايات أنّ في البرزخ جناناً ونيراناً، إحداهما في المغرب والأخرى في المشرق، تُنعم أو تُعذب فيها الأرواح في كلّ ليلة، وأنها تُردّ بعد طلوع الفجر إلى الأرض، إمّا إلى وادي السلام أو إلى برهوت وادي حضر موت أو إلى مقابرهم، وأنها تتلاقى في الهواء<sup>(١)</sup>، وأنّ عدّة منها يستخبرون عن أهاليهم في كلّ أسبوع أو أقلّ أو أكثر بصور العصافير ونحوها<sup>(٢)</sup>، بعد وضوح إمكان ذلك. وظاهرها أنّها ليست مجرد صور بلا مادة فضلاً عن كونها من مبدعات النفس، كما توهمه بعض المذاهب المنحرفة.

وفي الخبر أيضاً أنّ القبر إمّا روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران<sup>(٣)</sup>، وأنّ القبر يوسّع لبعض الأموات سبعة أو تسعة أذرع<sup>(٤)</sup>، أو مدّ بصره<sup>(٥)</sup>، أو مسيرة شهر، ونحو ذلك.

ومنشأ عدم إدراك حقيقة هذه الأمور: الجهل بما أودع الله تعالى في الأجسام من الخواصّ والقوى والعوائق والأشعة والأمواج والأستار الظاهرة والمستورة.

١. البحار ٦: ٢٩٠، عن فروع الكافي.

٢. البحار ٦: ٢٥٧، عن فروع الكافي.

٣. البحار ٦: ٢١٨، ٢٦٧، ٤١: ٢٤٩، ٧٥: ١٤٨.

٤. البحار ٦: ٢٢٤، ٢٦٢، عن تفسير القمّي وفروع الكافي.

٥. البحار ٦: ١٩٦، ٢٢٢، ٢٢٤، عن فروع الكافي وأمالي الصدوق وتفسير القمّي.

ويناسب هنا ذكر كلام المجلسي رحمته الله في البحار، فإن فيه ذكراً لبعض ما ذكرنا وزيادة عليه. قال: اعلم أن الذي ظهر من الآيات الكثيرة والبراهين القاطعة هو أن النفس باقية بعد الموت إما معذبة إن كان ممن محض الكفر، أو منعمة إن كان ممن محض الإيمان، أو يلهى عنه إن كان من المستضعفين، وترد إليه الحياة إما كاملاً أو إلى بعض بدنه، كما مرّ في بعض الأخبار، ويسأل بعضهم عن بعض العقائد وبعض الأعمال، ويثاب ويعاقب بحسب ذلك، وتضغط أجساد بعضهم، وإنما السؤال والضغطة في الأجساد الأصلية، وقد يرتفعان عن بعض المؤمنين، كمن لقن، كما سيأتي، أو مات في ليلة الجمعة أو يومها أو غير ذلك مما مرّ، وسيأتي في تضاعيف أخبار هذا الكتاب. ثم تتعلّق الروح بالأجساد المتألّية اللطيفة الشبيهة بأجسام الجنّ والملائكة، المضاهية في الصورة للأبدان الأصلية، فينعم أو يعذب فيها. ولا يبعد أن تصل إليه الآلام ببعض ما يقع على الأبدان الأصلية لسبق تعلّقه بها... انتهى<sup>(١)</sup>.

تنبيه: في دفع شبهتين أوردوهما من قديم الأيام في المعاد الجسمانيّ

إحدهما المعروفة بشبهة الأكل والمأكول، وبيانها بنحو الإجمال أنه لو اتفق أكل أحد الإنسائيّن ميتة الآخر لأجل المجاعة ونحوها، وصار جزءً منه بسبب الانحلال في معدة الأكل أو بسبب آخر كوصلة جزء من بدن أحدهما بيدن الآخر جزءً منه، فلو كان المعاد في القيامة بالأبدان أيضاً فكيف يكون الإعادة، وكيف الجزاء بدخول أحدهما الجنة والآخر النار!؟

هل يعاد مع روح أحدهما خصوصاً جزء لم يكن جزء البدن الآخر؟ وهذا لا

يكفي للترجيح المذكور، مع أنّ الجزء الآخر أيضاً جزء من بدنهما ووقعت الطاعة والعصيان بكلا الجزأين منهما.

أو يعاد كلّ واحد من البدنين مع تعلق كلّ من الروحين بكّل واحد منهما، ويلزم منه كون كلّ شخص منهما شخصين، وهذا لا يمكن الالتزام به جداً.

ويلزم أيضاً من تعلق كلّ واحدة من الروحين ببدن الآخر التناسخ المجمع على بطلانه. وعلى كلّ حال، كيف تكون مجازاتها بدخول الجنة أو النار، كما ذكرنا؟

وهذا أحد أدلة المنكرين للمعاد الجسماني، وهم الملاحدة، أو المؤولين له بأن المراد من الجسم هو الصورة الجسميّة الخالية عن المادّة (بتوهم صحّة القول بأن السرير سرير بصورته لا بخشبه، مع وضوح بطلانه بأن السرير سرير بكلا الأمرين، بل المادّة وهو الخشب عمدتها).

ويمكن دفع الشبهة بأن المراد بالإعادة إعادة كلّ فرد من الإنسان في القيامة بروحه وبدنه الذي شخصيّته في الدنيا به، وبه أطاع الله أو عصاه طول عمره، وهو البدن الواحد بالوحدة الشخصيّة الباقي من أوّل خلقته إلى آخر عمره في الدنيا أو البرزخ والقيامة، لا الأجزاء الحاصلة بالتغذية.

وحيث إنّ لكلّ روح بدنًا خصّه الله تعالى بها، فلا محالة يكون ذلك البدن محفوظاً من أن يصير بدنًا أصلياً لروح أخرى.

ومنه يظهر الجواب عن الإشكال بأن البدن الأصليّ الصغير غاية الصغير ربّها يصير جزءً من نطفة تخرج من الأكل ويتشكّل منها ولده، فيلزم ما ذكر من المحذورات.

ويُدفع بأن الله تعالى قادر على أن يحفظه من أن يصير جزءً من نطفة إنسان آخر، بل من أن تصير من الأجزاء الفضليّة أيضاً.

وبالجملة: الذي يتحقق به إعادة الأبدان للجزاء في القيامة - التي دلت عليها ضرورة الأديان - هو إعادة الأجزاء الأصلية الباقية من أول خلقها إلى آخرها، المحفوظ كل فرد منها من أن يصير بدنًا أصليًا لفرد آخر من الأرواح، وهو بمكان من الإمكان. ولا يضرّ بما ذكرنا الزيادة والنقصان والتبدّل في الأجزاء الفضلية التي هي بمنزلة الآلات والأدوات ليتمكّن الإنسان من الأفعال ويدرك بها اللذائذ والآلام.

ويستفاد ما ذكرنا من الروايات المتقدمة، منها ما عن الكافي بسنده عن عمّار بن موسى عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سئل عن الميت يبلى جسده؟ قال: نعم حتى لا يبقى له لحم ولا عظم، إلا طينته التي خلق منها، فإتّها لا تبلى، تبقى في القبر مستديرة حتى يُخلق منها كما خلق أول مرّة<sup>(١)</sup>.

أمّا الشبهة الثانية فهي أنّ للنفس في جوهرها قوّة الوصول إلى كمال تستغني به عن المادّة، بأن تصبح صورة محضة لا تحتاج في واقعيتها وفعاليتها إلى عروضها على شيء من المادّة، وفيها أيضاً كمال، وفوق الكمال المذكور، وهو الورود في نشأة العقول المجردة عن المادّة ولو احقها، فإذا حصل الكمال الذي هو برزخ بين الجسميّة المركّبة من المادّة والصورة وبين عالم العقول المجردة عنها يكون عودها ورجوعها القهقري إلى الجسميّة المذكورة رجوعاً عن مقام الفعلية إلى مقام القوّة، وهو من المحال.

وفيه: أنّ هذه الفكرة ليست إلا مجرد توهم خالٍ عن الحقيقة، فإنّ حقيقة الإنسان وإن كانت محيّرّة لعقول أعظم البشر حيث أُعمل فيها من الدقائق ولطائف الصنع التي قال الله تعالى في بيان خلقته إيّاها: ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، إلا أنّ روح

١. الكافي ٣: ٢٥١؛ البحار ٧: ٤٣.

٢. المؤمنون (٢٣) ١٤.

الإنسان - بمقتضى الروايات الواصلة عن أهل بيت الوحي النازل عن خالق الأشياء - جزء من المادّة التي خلق جميع الأشياء منها المعبر عنها مجازاً بالماء، وأنّ بدنه جزء آخر من تلك المادّة، والفرق بينهما - على ما نبّهنا عليه في التنبيهات السابقة - إنّها هو باللطافة والكثافة، وبعرض أعراض خاصّة على أحدهما، وأعراض أخرى على الآخر.

وحياة الروح - الحياة التي بها تكون حيواناً وإنساناً - بوجودها العلم والقدرة بما للوجدان من الدرجات. ونور العلم هو عين نور القدرة وعين سائر الكمالات النورية، من غير ممازجة بين الروح وبين تلك الكمالات، ومن غير أن تصعد الروح وترد في نشأة تلك الكمالات وتدخل فيها وتصير من نسخها، ومن غير أن تنزل تلك الأنوار وتصير من سنخ الروح، لتباين حقيقتها. وموت الروح بفقدانها لتلك الأنوار. وحياة البدن بولوج الروح الحية بالأنوار المذكورة فيه، وموته بخروجها - أي الروح - عنه ومفارقتها إياه مفارقة كاملة، ونومه بخروجها عنه مع بقاء علاقة بينهما - لا نعرف حقيقتها - على ما يظهر من الروايات.

وعود البدن حياً في القيامة بجمع الأجزاء المتفرقة المحفوظة عند من لا يعزب عنه مقال ذرة في الأرض ولا في السماء، والتثامها وتشكلها بالشكل الذي كان عليه في الدنيا، وتصوّره بصورة قبيحة أو حسنة، وولوج الروح الحية فيه كما كان عليه في الدنيا وحشره للحساب والثواب والعقاب جزاءً بما عمل في الدنيا. وكلّ ذلك بمكان من الإمكان.

وورد في الروايات المعتمدة ما يظهر بالتأمّل فيه أنّ الفعلية التي توهم استحالة الرجوع منها إلى القوّة، والاستدلال بذلك على استحالة عود الأبدان على ما كانت عليه في الدنيا لا موضوع لها، ولا أقلّ من عدم الدليل عليه، ولا يجوز الاعتقاد



بخلاف ما دلّت عليه الروايات.

بل إنّ وقوعها فينا في كلّ يوم وليلة أقوى دليل على إمكانه، فإنّنا - مع ما في أبداننا من الصنائع المحيرة للعقول - إذا نمنا بخروج الروح الحيّة عن البدن يسلب عن أرواحنا الشعور بنفسها، فضلاً عن غيرها - في النوم الذي لا نرى فيه شيئاً من الرؤيا - مع أنّ الروح لم تعدم، فيظهر أنّ نور العلم حقيقة وراء الأرواح والأبدان.

### وقع الفراغ

من تحرير التنبيهات

في الليلة السابعة والعشرين

من شهر رمضان المبارك من السنة

الرابعة عشرة بعد أربعمئة وألف من هجرة

النبيّ الأكرم ﷺ بيد أقلّ العباد حسن علي مرواريد،

غفر الله له ولوالديه. وما سنح بالبال وجرى على القلم من

استظهار الآيات والأحاديث وغير ذلك إن كان صواباً

فمن الله تبارك وتعالى، وإن كان خطأ فمن

نفسي، وأستغفر الله منه إنّه غفور رحيم.

ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ

العظيم. والحمد لله

ربّ العالمين

## فهرس الآيات المباركة

الآية	الصفحة	الآية	الصفحة
٢	٣٣٣	٢٦٠	٢٨٢-٢٨١
٦	٣٣٣	٢٦٠	٣٢٤
٢	٣٣٣	٢٦٤	٣٣٣
٧	٣٣٣	٢٨١	٣٢٧
٢٠	١٩٩	٧١	٢٢٣
٢٨	٢٢٣	٧٣	٢٠٣
٤٠	٢٧٢-٢٧١	٧٤	٢٠٣
٧٢	٢٨٢	٨٣	١٥٤
٧٣	٢٨٢	٨٦	٣٣٤
٧٩	٢٢٢	٨٦	٣٣٣
١١٧	٢٦٦	٩٩	٢٢٣
١٣٨	١٥١	١٢٩	٢٧٢
١٥٤	٣٣٨	١٤٢	١٩٤
١٧٠	١٦	١٤٢	٢٠١
٢٠٧	٢٧٣	١٦٩	٣٣٨
٢١٠	١٦٢	١٧٠	٣٣٨
٢١٣	١٥٢	١٧١	٣٣٨
٢١٣	٧٩	١٧٦	٢٣٢
٢٥٣	٢٣٢، ٢١٠	النساء	
٢٥٥	١٩٤	٤٠	٢٢٣
٢٥٥	٣٢	٥٦	٢٨٣
٢٥٨	٣٣٣	١٠١	٢٥٠
٢٥٩	٢٨٢-٢٨١	١٠٥	٢٤٨
		١٢٣	٢٢٢

الآية	الصفحة	الآية	الصفحة
١٧١	٣٢٢	١٧١	١٧١
١٧٤	١٢	١٧٤	١٧٤
<b>المائدة</b>			
١٥	٤٢	١٥	٤٢
١٦	٤٢	١٦	٤٢
١٨	٢٧٢	١٨	٢٧٢
٣٠	٢٢٢	٣٠	٢٢٢
٤١	٢٣٢	٤١	٢٣٢
٥١	٣٣٣	٥١	٣٣٣
٦٤	١٣٨	٦٤	١٣٨
٦٤	٣٥	٦٤	٣٥
٢٦٤، ٢٦١			
٦٤	٢٦٤	٦٤	٢٦٤
١٠٨	٣٣٣ - ٣٣٤	١٠٨	٣٣٣ - ٣٣٤
١١٦	١٨٩	١١٦	١٨٩
١١٩	١٨٩	١١٩	١٨٩
<b>الأنعام</b>			
٢٨	١٩٥، ١٦٩، ١٥٤	٢٨	١٩٥، ١٦٩، ١٥٤
٤٠	١٤٥ - ١٤٢	٤٠	١٤٥ - ١٤٢
٤١	١٤٥ - ١٤٢	٤١	١٤٥ - ١٤٢
٥٠	٢٥٨	٥٠	٢٥٨
٦٣	١٤٢	٦٣	١٤٢
٦٤	١٤٢	٦٤	١٤٢
٦٨	٥٩	٦٨	٥٩
٧٥	٣٢٢	٧٥	٣٢٢
٧٧	١٥٢	٧٧	١٥٢
٧٩	٣٢٢	٧٩	٣٢٢
٨٣	١٢	٨٣	١٢
٩١	٥٩، ٥٥	٩١	٥٩، ٥٥
٩٥	١٧٠	٩٥	١٧٠
٩٥	١٧١	٩٥	١٧١
١٠١	٩٦	١٠١	٩٦
١٠٣	٥٩	١٠٣	٥٩
٨٧، ٦٠			
١٠٧	٢١٠، ٢٠٩	١٠٧	٢١٠، ٢٠٩
١٠٨	٣٢٧	١٠٨	٣٢٧
١١٠	١٥٤	١١٠	١٥٤
١١٦	٢٢٢	١١٦	٢٢٢
١٢٢	١٧١	١٢٢	١٧١
١٢٥	٢٣٢	١٢٥	٢٣٢
١٣٧	٢١٠	١٣٧	٢١٠
١٤٩	١٢	١٤٩	١٢
١٦٠	٢٢٢	١٦٠	٢٢٢
<b>الأعراف</b>			
٢٤	٢٧٩	٢٤	٢٧٩
٢٥	٢٧٩	٢٥	٢٧٩
١٠١	١٥٤	١٠١	١٥٤
١٠١	٣٣٤	١٠١	٣٣٤
١٠٢	١٥٤	١٠٢	١٥٤
١٤٣	١٣٠	١٤٣	١٣٠
١٧٢	٣٢٧	١٧٢	٣٢٧
١٧٢	١٥٣، ١٥٨، ١٦٠، ١٦١، ١٦٣، ١٦٧	١٧٢	١٥٣، ١٥٨، ١٦٠، ١٦١، ١٦٣، ١٦٧
٣١٠، ٣٠٣، ١٦٩			
١٧٣	١٥٦، ١٥٣	١٧٣	١٥٦، ١٥٣
١٨٠	٣٣	١٨٠	٣٣
٢٠٣	٤٢	٢٠٣	٤٢

الآية	الصفحة	الآية	الصفحة
<b>الأنفال</b>			
٢٢	١٦	٧	٥٠
٢٣	١٩٤	٧	٢٩٥
٥٣	٢٧٢، ٢٢٢	٣٤	٢٣٢
<b>التوبة</b>			
١٩	٣٣٣	١٠٥	٣٣٩
٢٤	٣٣٣ - ٣٣٤	١٠٦	٣٣٩
١٠٦	٢٦٦	١٠٧	٣٣٩
١٠٩	٣٣٣	١٠٨	٣٣٩
١٢٢	٥٦	<b>يوسف</b>	
<b>يونس</b>			
٥	٧٠	١٨	٢٢٢
٦	٧٠	٤١	٢٢٤
١٢	١٤٣	١٠٨	٨٢
١٥	٢٥٨	<b>الرعد</b>	
٢٢	١٤٢	٨	١٩٥
٢٣	١٤٢	١٦	٢٤٣
٣٢	٢٢٣	١٦	٢٠٩
٣٥	٧٧	٣٨	٢٦١
٤٤	٢٢٠	٣٩	٢٦٩، ٢٦٤، ٢٦١، ١٩٠
٦٦	٢٢٢	<b>إبراهيم</b>	
٧٠	٣٢٧	١٠	٨١
٧٤	٣٠٤، ١٦١	٢٢	٢٢٢
٧٤	٣٣٤	٢٧	٣٤٠
٩١	١١٢	٤٢	٢٧٧
٩٩	٢١٠	٤٧	٢٧٧
١٠٠	٢٣٣، ٢١٠	٤٨	٢٨٦، ٢٨٥
١٠٠	١٥	<b>الحجر</b>	
		٢٤	١٩٥
		٢٨	٣٠٨

الآية	الصفحة	الآية	الصفحة
٢٩	٣٢٢، ٣٠٨	٤٤	٢٩٧
٨٥	٢٢٣	٤٥	٨٥
<b>النحل</b>			
١٠	٦٧	٦٦	١٤٢
١١	٦٧	٧٢	١٤٢
١٢	٦٧	٨٥	٧٣
١٣	٦٨	<b>الكهف</b>	
١٤	٦٨	٢٩	٢٨٥
١٥	٦٨	٤٩	٢١٩
١٦	٦٨	٧٩	٢٥٥
١٧	٢١٣، ٦٨	<b>مريم</b>	
٢٠	٢١٣	٣٧	٢٢١
٤٣	٢٦٠	٦١	٣٣٩
٥٣	١٤٢	٦٢	٣٣٩
٥٤	١٤٢	٦٧	٢٦٥
٥٥	١٤٢	٧٦	٣٣٣
٦٠	١٠٧	٨٥	٢٨٨
٦٥	٦٨	<b>طه</b>	
٦٦	٦٨	١٤	١٧٥
٦٧	٦٨	١٥	٢٧٧
٦٨	٦٨	٥٠	٧٩
٦٩	٦٩	٥٥	٢٨٠
٧٠	٣١٣، ٦٩	٨١	٣٤٢
٧٤	١٠٥، ١٠٧	٩٦	٣٤٤
٧٨	٢٦	١١٠	٨٧
<b>الإسراء</b>			
٤	٢٢٤	١٢٤	٣٣٨
٩	٤٢	<b>الأنبياء</b>	
٢٣	٢٢٤، ٢١٥، ١١١	١٦	١٣٨
		٢٢	٥٩

الآية	الصفحة	الآية	الصفحة
٢٤	١٢	٢٤	١٢
٥٠	٤٣	٥٠	٤٣
<b>الحج</b>			
٥	٢٧	٥	٢٧
١٠	٢٢٠	١٠	٢٢٠
١٧	٢٨٠	١٧	٢٨٠
١٨	٢٩٨	١٨	٢٩٨
١٨	٢٩٨	١٨	٢٩٨
<b>المؤمنون</b>			
١٢-١٤	١٩٠، ٧٠	١٢-١٤	١٩٠، ٧٠
١٤	٣٥٠، ٣٢٢	١٤	٣٥٠، ٣٢٢
١٨	٧٠	١٨	٧٠
١٩	٧٠	١٩	٧٠
٩١	٨٢	٩١	٨٢
٩٩	٣٣٧	٩٩	٣٣٧
١٠٠	٣٣٧	١٠٠	٣٣٧
١١٥	٢٧٧، ١٣٨	١١٥	٢٧٧، ١٣٨
١١٧	١٢	١١٧	١٢
<b>النور</b>			
٣٥	١١٨، ٧٧، ٣٠	٣٥	١١٨، ٧٧، ٣٠
٤٠	١٣٥، ٧٧	٤٠	١٣٥، ٧٧
<b>الفرقان</b>			
٤٥	١٣٧	٤٥	١٣٧
٧٠	٣٢٩	٧٠	٣٢٩
<b>النمل</b>			
٨	٨٢	٨	٨٢
٤٠	١٩٧	٤٠	١٩٧
٥٧	٢٢٥	٥٧	٢٢٥
٦٣	٧٧	٦٣	٧٧
٦٤	١٢	٦٤	١٢
٦٧	٢٨٠	٦٧	٢٨٠
٦٨	٢٨٠	٦٨	٢٨٠
<b>القصص</b>			
٣٢	١٢	٣٢	١٢
٥٦	٢٣٣، ٧٨	٥٦	٢٣٣، ٧٨
٦٨	٨٢	٦٨	٨٢
٨٨	١٢٢	٨٨	١٢٢
<b>العنكبوت</b>			
٦١	١٧٤	٦١	١٧٤
٦٥	١٣١	٦٥	١٣١
١٤١، ١٣٨		١٤١، ١٣٨	
٦٩	٧٩	٦٩	٧٩
<b>الروم</b>			
٣-١	٢٦٨، ٢٦٧	٣-١	٢٦٨، ٢٦٧
٤	٢٦٢	٤	٢٦٢
٤	٢٦٨	٤	٢٦٨
٥	٢٦٨	٥	٢٦٨
٢٠	٦٨	٢٠	٦٨
٢١	٦٨	٢١	٦٨
٢٢	٦٨	٢٢	٦٨
٢٣	٦٨	٢٣	٦٨
٢٤	٦٨	٢٤	٦٨
٢٥	٢٨٠، ٦٨	٢٥	٢٨٠، ٦٨
٢٧	١٠٧	٢٧	١٠٧
٢٧	٢٦٦-٢٦٥	٢٧	٢٦٦-٢٦٥
٣٠	١٥١، ١٥٠	٣٠	١٥١، ١٥٠
٤٠	٢٤٢	٤٠	٢٤٢

الآية	الصفحة	الآية	الصفحة
٣٤٠	٢٧	قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ	٢٧
٧٠	٣٣	وَأَيَّةُ هُمُ الْأَرْضِ الَّتِي أَخْبَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا	٢١٣
٧٠	٣٤	وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ	٢١٣
٧٠	٣٥	لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا	٩٣
٣٢٢، ٧٠	٣٦	سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا	١٤١
٧٠	٣٧	وَأَيَّةُ هُمُ اللَّيْلِ تَسْلُخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَيَا	١٩٥
٧٠	٣٨	وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ هَا ذَلِكُمْ تَقْدِيرٌ	
٧٠	٣٩	وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ	
٧٠	٤٠	لَا الشَّمْسُ يَنْبُغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ	
٢٨١	٥١	وَتُفْخِ فِي الصُّورِ فَيَا هُمُ مِنْ	
٢٨٩-٢٨١	٥٢	قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ	
١٥	٦٢	أَقَلَمَ تَكُونُوا تَعْمَلُونَ	
١٧١	٧٠	لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحْيِيَ الْقَوْلَ	
٢٨٠	٧٨	وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَتَسَىٰ خَلْقَهُ قَالَ	
٢٨٠	٧٩	قُلْ لِحُبِّيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ	
٩٤	٨٢	إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ	
<b>الصفات</b>			
٢٨٠	١٦	أَنذًا مِتًّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَا	
٢٨٠	١٧	أَوَابَاؤُنَا وَالْأَوْلَادُونَ	
٢٨٠	١٨	قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ	
٢٨٠	١٩	فَيَأْتِيهَا هِيَ زَرْحَةً وَاحِدَةً فَيَا هُمُ	
٢١٢	٩١	فَرَاغَ إِلَىٰ آلِيهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ	
٢١٢	٩٢	مَا لَكُمْ لَا تَنْظِفُونَ	
٢١٢	٩٣	فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَرْبًا بِالْيَمِينِ	
٢١٢	٩٤	فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُوفُونَ	
٢١٢	٩٥	قَالَ أَنْعِبُدُونَ مَا تَنْجُبُونَ	
٢١٢، ٢٠٩	٩٦	وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ	
٨٢	١٥٩	سُبْحَانَ اللَّهِ	
٢٩٢، ٥٩	١٨٠	سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا	
		<b>لقمان</b>	
١٠	٢١٣	خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا	
١١	٢١٣	هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرْوِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ	
٢٨	٩٣	مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعُنْكُمْ إِلَّا كَتَفْسٍ وَاحِدَةٍ	
٣٢	١٤١	وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلْمِ دَعَا اللَّهَ	
٣٤	١٩٥	إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ	
		<b>السجدة</b>	
٤	٩٥	اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ	
٧	٢٢٣	الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ	
٧	٢٦٦	وَبَدَأَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ	
١٨	٢٧٦	أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا	
		<b>سبأ</b>	
٦	١٧٠	وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُتِرَ	
٧	٢٨١	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ	
٨	٢٨١	أَفْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ	
		<b>فاطر</b>	
١	٢٦٦، ٢٦١	يَرِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ	
١	٩٦	فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ	
٣	٢١٠	هَلْ مِنْ خَالِقِ غَيْرِ اللَّهِ	
١٠	٣٢٣	إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ	
١١	٢٦٦	وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِضُ مِنْ	
٣٤	٢٨٨	الْحَمْدِ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ	
٣٤	٣٠٩	إِنَّ رَبَّنَا لَعَفُورٌ شَكُورٌ	
٣٥	٣٠٩	الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ	
٤٤	١٩٩	وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي	
		<b>يس</b>	
٢٠	٣٤٠	وَجَاءَ مِنَ الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ	
٢٦	٣٤٠	قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ	
٢٧	٣٤٠	بِمَا عَفَّرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ	

الآية	الصفحة	الآية	الصفحة
٦١	اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا	٢٧	وَيُلِّ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ
٦٩	اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا	٢٨	أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
٦٩	هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ	٧٢	وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي
٦٩	اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا		
٨٠	وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتُلَوعُوا عَلَيْهَا حَاجَةً		
٦٩	وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ		
	<b>فصلت</b>		
١٠	وَقَدَّرَ فِيهَا أَمْوَانَهَا	٣	إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ
٢٢٥، ٢٢٤		٥	خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ
١١	فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آتِنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا	٦	خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ
١٢	فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ	٦	مَخْلُوقَكُمْ فِي بَطُونٍ أُمَّهَاتِكُمْ خَلَقًا
٢٢٤		٦	فَأَنَّى تُضْرَفُونَ
١٦	لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ	٧	إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا
١٩	وَيَوْمَ يُخْتَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ	٨	وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا
٢٨٠	حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ	١٧	فَنَسَرَ عِبَادَ
٢٨٠	وَقَالُوا الْجُلُودُ دِهْمٌ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا	١٨	الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ
	<b>الشورى</b>	٤٢	اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ ١٣٢-١٣٣، ٣١٣، ٣١٤
١١	لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ	٤٩	فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا
١٣	اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ	٦٢	اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى
٥٢	وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا	٦٧	وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ
٥٢	وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ	٦٨	وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَصَوِّعُ مَنْ فِي
	<b>الزخرف</b>	٦٩	وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ
٦٧	الْأَجْلَاءُ يُومِتُهُمْ لِيُغْضِبَ عَذَابًا		
٨١	قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ	٧	الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ
٨٢	سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ	١٣	هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ
١٠٧، ٣٥	رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ	١٧	الْيَوْمَ نُخْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ
	<b>الجاثية</b>	٢٠	وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ
٢١	أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَوْا السَّيِّئَاتِ	٢٨	إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ
٢٢	وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ	٣٥	كَذَلِكَ يَطْمَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَرٍ
٢٢٢	الْيَوْمَ نُخْزُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ	٤٦	النَّارِ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا
٢٩	هَذَا كِتَابُنَا يَنْطَلِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ	٤٦	وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ



الآية	الصفحة	الآية	الصفحة
٢٩	١٩٥	٥٢	٢١٠
إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ		وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ	
<b>الأحقاف</b>			
١٠	٧٩	٥٣	٢١٠
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ		وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُنْتَظَرٌ	
<b>الواقعة</b>			
		٨٨	٣٤٠
		فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ	
١٤	٢٧٢	٨٩	٣٤٠
يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ		فَرُوحٌ وَرِجَاجٌ وَجِنَّةٌ تَعِيمُ	
<b>ق</b>			
٣	٢٨١	٨	١٥٤
أَبَدًا بَشَرًا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ		وَمَا لَكُمْ لَأْتُمُونُوا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ	
٤	٢٨١	<b>المجادلة</b>	
فَدَعَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ		٧	١١٩-١١٨، ٣٢-٣١
١٥	٢٨٦	مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَافِعُهُمْ	
١٦	١١٨	٢٢	١٥٠
وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ		أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ	
٣٧	٤٠	<b>الحشر</b>	
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ		٥	٢١٠
٤٢	٢٨١	مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً	
٤٣	٢٨١	٧	٢٥٨، ٢٤٧، ٢٤٢
يَوْمَ تَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ		فَأَنْتَهُوا	
٤٤	٢٨١	٢٣	٨٢
إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ		سُبْحَانَ اللَّهِ	
٤٤	٢٨١	<b>الصف</b>	
يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ		٥	٣٣٤
<b>الذاريات</b>			
٥٤	٢٦٦	٧	٣٣٣
فَقَوْلٌ عَنْهُمْ فَمَا أُنْتِ بِمَلُومٍ		وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ	
٥٥	٢٦٦	<b>الجمعة</b>	
وَذَكَرَ فَإِنِ الذَّكْرَى تُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ		٥	٣٣٣
<b>الطور</b>			
٢١	٢٢٢	وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ	
٤٣	٨٢	<b>التغابن</b>	
كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهينٌ		٢	١٥٨
<b>النجم</b>			
٢٨ و ٢٣	٢٢٢	٨	٤٢
إِن يَشِيعُونَ إِلَّا الظَّنُّ		فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الْبَدِيِّ	
٤٢	٦٠	<b>الطلاق</b>	
٥٦	٣٠٧، ١٥٨، ١٥٤	١٢	٥٤
هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ		اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ	
<b>القمر</b>			
٦	٢٨٠	٣	٢٢٣
فَقَوْلٌ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ		مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ	
٧	٢٨١-٢٨٠	٢٣	٩٦
خَشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنْ		قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ	
٨	٢٨١-٢٨٠	<b>الملك</b>	
مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَاذِبُونَ			
٤٩	٢٢٤		
إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ			

فهرس الآيات المباركة ٣٦١/

الآية	الصفحة	الآية	الصفحة
		<b>القلم</b>	
٣٥	٢٧٦	أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ	١٩٠
٤٣	٢١٦	وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ	١٩٠
		<b>الحاقة</b>	
١٧	٣٣	وَنَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةَ	٧٧
		<b>نوح</b>	
٢٥	٣٣٩	أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا	٧٧
		<b>الجن</b>	
١٦	٣٠٥، ١٥٩، ١٥٤	وَأَنْ لِيُاسْتَفْهَمُوا عَلَى	٧٧
		<b>المدثر</b>	
١	٨٢	يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ	٣٤٠، ٣٢٧
٢	٨٢	قُمْ فَأَنْذِرْ	٣٤٠، ٣٢٧
٣	٨٢	وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ	٣٤٠، ٣٢٧
٣١	٢١٠	كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ	٧٩، ٧٧
		<b>الإنسان</b>	
١	١٥٤	هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ	٣٤٠، ٣٢٧
٣	٣٣٣	إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا	٧٧
٣٠	٢١٠	وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ	٧٧
		<b>المرسلات</b>	
٢٠	١٩٠	أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ	٣٢٣
		<b>النازعات</b>	
١٠	٢٨٩	أَنبَأَ لِرُودُونَ فِي الْحَاغِرَةِ	٢٧٧
١٤	٢٨٩	فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ	٢٧٧
٢٥	١١٢	فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْأَجْرَةِ وَالْأُولَى	٢٧٧
		<b>عبس</b>	
١١	٤٣	كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ	٣٤٢
		<b>التكوير</b>	
٢٧	٤٣	إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ	٣٤٢
٢٩	٢١٠	وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ	
		<b>الطارق</b>	
٥	٥	فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ	١٩٠
٦	٦	خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ ذَافِقٍ	١٩٠
		<b>الأعلى</b>	
١	١	سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى	٧٧
٢	٢	الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى	٧٧
٣	٣	وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى	٧٧
		<b>الفجر</b>	
٢٧	٢٧	يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ	٣٤٠، ٣٢٧، ٣٢٣
٢٨	٢٨	ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً	٣٢٣، ٣٢٧، ٣٤٠
٢٩	٢٩	ادْخُلِي فِي عِبَادِي	٣٤٠، ٣٢٧
٣٠	٣٠	وَادْخُلِي جَنَّتِي	٣٤٠، ٣٢٧
		<b>البلد</b>	
١٠	١٠	وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ	٧٩، ٧٧
		<b>الضحى</b>	
٦	٦	أَلَمْ نَجِدِكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ	٧٧
٧	٧	وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ	٧٧
		<b>التين</b>	
٤	٤	لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ	٣٢٣
		<b>الزلزلة</b>	
٦	٦	يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا	٢٧٧
٧	٧	فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ	٢٧٧
٨	٨	وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ	٢٧٧
		<b>القارعة</b>	
٨	٨	وَأَمَّا مَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ	٣٤٢
٩	٩	فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ	٣٤٢

## فهرس الأحادس

٤٩	اعقلوا الخبر إذا سمعتموه	١٩١	ابتدأتس نعمتك قبل أن أكون شئناً مذكوراً
٢١٨	أفرايت ما افترض الله علينا	٢٨٨	أبشر وبشر فليس على شيعتك حمسة عند
٤٧	أفضل طبايع العقل العبادة	٣٢٤	أبيت عند ربس يطعمني
٥٥	أفضلكم إيماناً أفضلكم معرفة	٢٢٠	أظنّ أنّ الذي نهاك دهاك
٢١١	أفعال العبادة مقدّرة في علم الله	٢١٤	أجل يا شيخ فوالله ما علوتم تلعمة
٢٥٥	اقرا متي على والدك السلام وقل له	٦٠	إحاطة الوهم
٢١١	الأعمال على ثلاثة أحوال: فرائض...	٦٥	احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار
٣٥	الأمر أعظم من ذلك وأوجب	٢٧٤	أحدث الله شكرأ فقد أحدث فيك أمرأ
٢٢٥	الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية	٢٩	إحفظ عني ما أقول لك
٢٣	ألا ومثل العقل في القلب	٩٧	أخبرك أنّ الله علا ذكره
٤٦	التجرّع للغصّة ومداهنة الأعداء	١٥٨	أخرج من ظهر آدم ذرّيته إلى يوم القيامة
٨٩	التوحيد أن لا تتوهمه	٢٧٣	أدع ولا تقل إن الأمر قد فرغ منه
٤٧	الجهل في ثلاث: الكبر	٢٨٤	إذا أراد الله أن يبعث الخلق أمطر السماء
١٤١	الحقيقة كشف سبجات	٤٧	إذا أردت أن تختبر عقل الرجل
٢٤٤	الحمد لله الذي اختار لنا	٤٩	إذا تمّ العقل نقص الكلام
٨٤	الحمد لله الذي أعجز الأوهام	٣١٦	إذا جيل بينه وبين الكلام أناه رسول الله
٧٥	الحمد لله الذي بطن خفيات الأمور	٢٣٩	إذا كان يوم القيامة وجمع الله
٩٨	الحمد لله الذي كان في أوليته	٣٢٨	إذا كان يوم القيامة يؤتى بك يا علي
٩٨	الحمد لله الذي لا من شيء كان	٤٠،١٥	استرشدوا العقل ترشدوا
٦٠	الحمد لله الذي لا يُجس ولا يُجس	٣٣٥	أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشاخة
٦١	الحمد لله الواحد الأحد... فليست له	١٢٢	أصدق شيء قاله شاعر كلمة لبيد
٩٦	الحمد لله خالق العبادة	٥٣،٣٢٣	أعرفكم بنفسه أعرّفكم بربه
١٤٦	الحمد لله على ما عرفنا من نفسه	١٧	اعرفوا العقل وجنده

فهرس الأحاديث/ ٣٦٣

٣٢٥	المؤمن أعظم قدراً عند الله من العرش	٢٢٩	الدعاء يرذ القضاء وقد أبرم إبراماً
١٤٨	إلهي اطلبني برحمتك	٧٦	الذي ابتدع الخلق على غير مثال امثله
١٤٨	إلهي ترددي في الآثار	٣١٤	الروح مسكنها في الدماغ
٦١	إلهي ... ولم تجعل للخلق	٣٢٥	الروح ملك من ملائكة الله
٢٢١، ٨٨	أما التوحيد فأن لا تحوز ...	١٣٣	الرؤيا على ثلاثة: منها تخويف
١٣٢	أما الكاذبة المختلفة يراها الرجل ...	٤٧	العاقل من رَفَضَ الباطل
٦٥	أمصنوع أنت أو غير مصنوع؟	٢٩	العالم كمن معه شمعة تُضيء للناس
٢٢١	إن أساس الدين التوحيد	٣٢	العرش في وجه: هو جملة الخلق
٥٤	إن أفضل الفرائض وأوجها	٣٣	العرش ليس هو الله والعرش اسم علم
٦٥	إن الأبصار لا تدرك إلا ما له لون	٤٦	العقل العمل بطاعة الله
٣٤٢، ٣١٧	إن الأرواح في صفة الأجساد	١٥	العقل دليل المؤمن
٧٦	إن الجهال جهلوا الأسباب والمعاني	١٦	العقل شرع من داخل
٢٧٤	إن الدعاء يرذ ما قُدر وما لم يُقَدَّر	٤٩	العقل غطاء ستير
٢٨٢	إن الذي أنشأه من غير شيء	٢٣	العقل منه الفطنة والفهم
٣١٥	إن الروح متحرك كالريح	٤٠	العقل نور في القلب
٣١٣	إن العباد إذا ناموا خرجت أرواحهم	١٥	العقل يعرف به الصادق على الله
٣٩	إن العقل عقول من الجهل	١٦	العقول أئمة الأفكار
٨٣	إن العقل يعرف الخالق من جهة توجب ...	٣١٤	العين شحمة وهو البياض والسواد
١١٦	إن القول في أن الله واحد ...	٣١	الله عز وجل حامل العرش والسموات
٢٤٧	إن الله أدب رسوله حتى قومه على ما أراد	١٤٣	الله هو الذي يتأله إليه
٢٣٠	إن الله إذا أراد شيئاً قدره	١٧٦	اللهم اجعلنا ممن اصطفيه لقربك وولايتك
٢٤٤	إن الله أقدرنا على ما نريد	٥٧	اللهم اجعلنا ممن يعنصم بحبله
٦٤	إن الله أعلى وأجل وأعظم من أن	١٦٢	اللهم إني أسألك بأن لك الحمد
٣٠٤	إن الله أول ما خلق خلق محمدأ وعترته	٢٣٠	المشيئة الاهتمام بالشيء
٣٠٣	إن الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق العباد	٢٠١	المشيئة محدثة

## ٣٦٤/ تنبيهات حول المبدأ والمعاد

٢٩	إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَجْمَعُ الْعُلَمَاءَ	١٥	إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَشَّرَ
٢٩	إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لِلْعُلَمَاءِ	١٢٦، ٨٨	إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ مِنْ خَلْقِهِ
٣٢٨	إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَلْتَفِتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	١٦٣	إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَّمَ أَنَّ الْأَرْوَاحَ
٢٤٤	إِنَّ اللَّهَ فَوَّضَ الْأَمْرَ إِلَى مَلَكٍ	٢٤٢	إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَوَّضَ إِلَى نَبِيِّهِ
٢٤٨	إِنَّ اللَّهَ فَوَّضَ إِلَى نَبِيِّهِ أَمْرَ خَلْقِهِ	٣١٠، ١٧٢	إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي وَقْتٍ مَا ذَرَأَهُمْ
٢٦٩	إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا فِيهِ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ	٢٩٩	إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
٢٦٤	إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْدُ لَهُ مِنْ جِهَلٍ	٣٠٧، ١٥٨	إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا ذَرَأَ الْخَلْقَ
٢٠٥	إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْبِرْ أَحَدًا عَلَى مَعْصِيَتِهِ	٨٤	إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَاحِدٌ
٢٣٠	إِنَّ الْمَشِيئَةَ الذِّكْرَ الْأَوَّلَ	٣١٢، ١٦١	إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَبِطَ إِلَى
٣٤٤	إِنَّ الْمَلَكَ لَا تَشَاهِدُهُ	٢٨٧	إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا بَعَثَ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
٣٣٢	إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَ كَفًّا	٣١٠	إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَبْضَ قَبْضَةٍ مِنْ تَرَابِ التُّرْبَةِ
١٦٢	إِنَّ النُّطْفَةَ تَكُونُ فِي الرَّحِمِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا	١٩٩	إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُنْسَبُ إِلَى الْعَجْزِ
١٤٦	إِنَّ أَمْرَ اللَّهِ كُلَّهُ عَجِيبٌ	٢٤٣	إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْأَجْسَامَ
٥٥	إِنَّ أَوَّلَ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ	١٩٥	إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْعَالَمُ بِالْأَشْيَاءِ
٢٩٤	إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْوَاحَنَا	٧٥	إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجْتَلِي عَنِ الْأَيْنِ
٢٩٣	إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا خَلَقَ مِنْهُ كُلَّ	٢٦٤	إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ أَخْبَرَ مُحَمَّدًا ﷺ
٢٩٣	إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ نُورَ النَّبِيِّ	٢٥٧	إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ حَرَامًا وَأَحَلَّ حَلَالًا
٦٠	إِنَّ أَوْهَامَ الْقُلُوبِ أَكْبَرُ مِنْ أَبْصَارِ الْعَيُونِ	٢٩٦	إِنَّ اللَّهَ حَمَلَ دِينَهُ وَعَلِمَهُ الْمَاءَ
٣١٧	إِنَّ رُوحَ آدَمَ لَمَّا أَمُرَتْ أَنْ تَدْخُلَ فِيهِ كَرِهَتْهُ	٣٠٠، ٤٩	إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْأَرْوَاحَ قَبْلَ الْأَجْسَادِ
٢٣	إِنَّ ضَوْءَ الرُّوحِ الْعَقْلَ	٣٠٤، ١٦١	إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ وَهِيَ أَظْلَمَةٌ
١٤٤	إِنَّ قَوْلَكَ: اللَّهُ، أَعْظَمُ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ	٢٢	إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْعَقْلَ
٨٩	إِنْ كُنْتُمْ إِنَّمَا تَرِيدُونَ بِالْبِنَاةِ	١٦٩	أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَخَذَ قَبْضَةً مِنْ تَرَابٍ
٣٤	إِنَّ لِلْعَرْشِ صِفَاتٍ كَثِيرَةً مُخْتَلِفَةً	٣٠٣	إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَخَذَ مِنَ الْعِبَادِ
٤٢، ١٦	إِنَّ اللَّهَ عَلَى النَّاسِ حَاجَتَيْنِ	١٩٧	إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَمَلَ دِينَهُ وَعَلِمَهُ الْمَاءَ
٢٤٠	إِنَّ اللَّهَ إِرَادَتَيْنِ وَمَشِئَتَيْنِ	١٥٢	إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ النَّاسَ عَلَى الْفِطْرَةِ
٢٦٧	إِنَّ لِهَذَا لِتَأْوِيلًا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ	١٧٠	إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ بَعَثَ

فهرس الأحاديث/ ٣٦٥

٥٦	أول الدين معرفته	٩٠	إن من وضع دينه على القياس
١٥٩	أول من سبق من الرسل إلى (بلى) رسول الله	١٣٠	إن موسى لما أن سأل ربه ما سأل
١٢٧	أي فحش أو خناء أعظم من قول	٥٧	إن هذا القرآن هو النور المبين
٦٢	إياكم والتفكر في الله	٣١٧	إن هو إلا محادثة مؤمن أو مؤانسته
٢٢٠	أيدلك على الطريق ويأخذ عليك المضيق	٣٢٣	أنا النذير العريان
٥٦، ٤٥	بالتعليم أرسلت	٢٨٩	أنا أول من ينفض التراب عن رأسه وأنت
٢٤	بالحق عرف الحق	١١٩	أنا خلفك وأمامك
٧٥	بصنع الله يستدل عليه	١٣٨	أنت الخالق وأنا المخلوق
٤٥	بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق	٣٠٣	أنت الذي احتج الله بك في ابتدائه الخلق
٥٥	بعضكم أكثر صلاة من بعض	١١٥	أنت الذي أنعمت، أنت الذي أحسنت
٤٧	بل هو مصاب إنهم المجنون من	٢٥٢	أتم أفقه الناس إذا عرفتم معاني كلامنا
١٣٠	بمجدك الذي تجليت به لموسى	١٥	إنها يُدرك الخير كله بالعقل
١٣٠، ٨٤	بها تجلى صانعها للعقول	٢٦٥	إنه إذا كان ليلة
٣٤٤	بيننا علي بن أبي طالب	١١٥	إنه رب خالق غير مربوب مخلوق
٢٨٥	تبدل خبزة نقيّة يأكل الناس منها	١١٩	أنه فوق كل شيء وتحت كل شيء
١٢١	تعرفت إليّ في كل شيء	٩١	إنه من يصف ربه بالقياس
١٤٩	تعرفه وتعلم علمه	٣٤٣	أنها في روضة كهيئة الأجساد
٨٩	تكلّموا فيها دون العرش	٣٤٥	إنهم في أبدان كأبدانهم
١٢٧، ٥٥	توحيدك لربك	٣٤٣	أنهم في حجرات في الجنة
١٢٦	توحيدهم تمييزه عن خلقه	٢٤٣	إني قد أمرت كل شيء بطاعتك
١٦١	ثبتت المعرفة ونسوا ذلك الوقت	٢٥٣	إني لأنكلم بالحرف الواحد لي فيه سبعون
٣٠	ثم إن رسول الله وضع العلم	٢٥٣	إني لأحدث الناس على سبعين وجهاً
١٢١	جعل الخلق دليلاً عليه فكشف به عن ربوبيته	١٩٣	أتى يكون يعلم ولا معلوم
١٦٣	جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه	٢٣٣	أنها بحر عميق
١٤٧	جل سيدي ومولاي والمنعم عليّ	٢٨٩	أوكل به ملائكة من ملائكتي

## ٣٦٦ / تنبيهات حول المبدأ والمعاد

٢٧٣	عليكم بالدعاء فإن الدعاء لله	١٧٥	حان وقت الزيارة والمناجاة
٣٣٠	عُظِّمُوا السُّلْبَانَ كَمَا سَخَّرُوا	١٥	حِجَّةَ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ النَّبِيِّ
١٩١	فَابْتَدَعَتْ خَلْقِي مِنْ مَتْنِي يُمْنِي	٢٥٢	حديث تدريبه خير من ألف ترويه
١٣١	فَأَبْدَى اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَعْضَ آيَاتِهِ	٢٤٨	حَرَّمَ اللَّهُ الْخَمْرَ بَعِينَهَا وَحَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ...
٢٣	فَإِذَا بَلَغَ كُنْثَفَ ذَلِكَ السِّرِّ	٢٤	حَرَّمَ كُلَّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ
٣١٧	فَإِذَا قَبِضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صَبَّرَ تِلْكَ الرُّوحَ	٣٢٥	خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْوَاحَ قَبْلَ الْأَجْسَادِ بِالْفَيِّ عَامٍ
٦٦	فَإِذَا كَانَ هَذَا الْمَحْتَاجَ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ	١١٩	خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فِي ظِلْمَةٍ
١٦	فَأَرَادَتِ الْمَلَائِكَةُ أَنْ تَدْفَعَهَا عَنْهَا بِحِرَابِهَا	٢٣	خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ
١٢١	فَأَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ	٩٨	خَلَقَ اللَّهُ الْمَشِيئَةَ بِنَفْسِهَا
٨٣	فَاعْلَمْ - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنَّ الْمَذْهَبَ الصَّحِيحَ	١٩١	خَلَقْتَنِي مِنَ التُّرَابِ ثُمَّ أَسْكَنْتَنِي
٣١٤، ١٣٣	فَاللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ كُلَّهَا	٢١٩	خَمْسَةَ لِأَنْطِقُوا نِيرَانِهِمْ
٢١٩	فَأَمَّا الْجَبْرُ الَّذِي يُلْزِمُ مَنْ دَانَ بِهِ الْخَطِيئَةَ	٢٣	دَعَاةَ الْإِنْسَانَ الْعَقْلَ
٨١	فَأَمَّا الْعَاصِي أَمْرَكَ	٦٢	دَعَا التَّفَكُّرَ فِي اللَّهِ
٢٨٩	فَإِنَّ الْقَوْمَ كَانُوا فِي الْقُبُورِ	٧٦	دَلِيلُهُ آيَاتُهُ وَوُجُودُهُ إِثْبَاتُهُ
١٧٩	فَأَنْسَاهُمُ الْمَعَايِنَةَ	٣٣٩	ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
١٢٢	فَأَنِّي ظَاهِرٌ أَظْهَرُ وَأَوْضَحُ	٤٨	ذَهَابَ الْعَقْلَ بَيْنَ أَهْوَى وَالشَّهْوَةِ
١٣٠، ١٢٤	فَتَجَلَّى لَخَلْقِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ بُرَى	٢١٨	رَأَيْتَ قَوْمًا يَنْكُحُونَ أُمَّهَاتِهِمْ
١٣٠	فَتَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ	٣٢٤	رَبِّ أَرْنِي الْأَشْيَاءَ كَمَا هِيَ
١٥١	فَطَرَهُمْ جَمِيعًا عَلَى التَّوْحِيدِ	٢٩٤، ٩٩	سَأَلْتِ فَافْهَمِ أَمَّا الْوَاحِدَ
١٣١	فَلَمَّا نَجَّيْ رَبَّهُ لِلْجَبَلِ بَأْيَةً مِنْ آيَاتِهِ	٢٤٤	سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لِلْإِمَامِ كُلِّ شَيْءٍ
١٢٦، ٨٨	فَلَيْسَ اللَّهُ عَرَفَ مَنْ عَرَفَ بِالنَّشْبِيِّ ذَاتَهُ	٦٢	سُبْحَانَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ أَوَّلٌ مُبْتَدَأٌ
٩٧	فَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ شَيْءٌ غَيْرُهُ	٢١٨	سَيَكُونُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ
٨٧	فَمَنْ الْمُبَلِّغُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ	٢٤١	شَاءَ وَأَرَادَ وَلَمْ يَجِبْ وَلَمْ يَرْضَ
٩٧	فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ مَرِيدًا شَانِيًا	٤٨	صِفَةُ الْعَاقِلِ أَنْ يَحْلِمَ عَمَّنْ جَهِلَ عَلَيْهِ
٧٣	فَمَنْ لَمْ يَدَلَّهُ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	١٥٨	عَرَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِيْمَانَهُمْ بِوَلَايَتِنَا
٢٨٤	فَنَبَتَتْ أَجْسَادُ الْخَلَائِقِ كَمَا تَبَتَّ الْبَقْلُ	٢٢٨	عِلْمٌ وَشَاءٌ، أَرَادَ وَقَدَّرَ

فهرس الأحاديث/ ٣٦٧

٢٠٤	قال الله تبارك وتعالى: ابن آدم	٢٠٤	لا تزول قدما عبد يوم القيامة
٣٠٨	قال الله تبارك وتعالى للملائكة	٣٠٨	لا تضبطه العقول
١٦٣	قد كلم الله جميع خلقه	٢٥٠	لا تُعَادُ الصلاة إلا من خمسة
٤٦	قُسِمَ العقل على ثلاثة أجزاء	٢٥٤	لا تقل هكذا يا أبا الحسن فإنك رجل ورع
٣٢٥	قلب المؤمن بين إصبعين من	٢٨٧	لا تنشق الأرض عن أحد يوم القيامة إلا
٣٢٤	قلب المؤمن عرش الله	٨٠	لا تنظروا إلى صغر الذنب
٣٢٥	قلعته بقوة ربانية	٢٣٣	لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين
٩٨	كان إذ لم يكن شيء	٤٨	لا غنى كالعقل
٢٩٨	كان الله تبارك وتعالى كما وصف نفسه	٢٦٤	لا من قال هذا فأخزاه
٢٦٥	كان الله قد وقت هذا الأمر	٤٩	لا نجاة إلا بالطاعة
٩٦	كان الله ولا شيء غيره	٢٤٨	لا والله ما فوّض الله إلى أحد من خلقه إلا
٢٧٢	كان في بني إسرائيل نبي وعده الله	١٣٧، ١٢٧، ١٠٤، ٨٨	لا يتغير الله بانغيار المخلوق
١٥٢	كان هذا قبل بعث نوح	٩١	لا يجوز في قضيته
٥٧	كتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل	١٩٨	لا يجوز أن يكون خلق الأشياء بالقدرة
٥٦	كتاب الله فيه بيان ما قبلكم من خبر	٣٢٦	لا يصعد إلى السماء إلا من
٢٤٣	كذب عدو الله	٢٢٩	لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى
٢٢٠	كل ما استغفرت الله منه فهو منك	٢٣٠، ٢١١	لا يكون شيء في الأرض ولا في
١١٦، ٨٩، ٦٦	كل ما ميزتموه بأوهامكم	٤٧	لا يُلسع العاقل من جحر مرتين
٣٣	كل محمول مفعول به مضاف إلى غيره	٣١٤	لا ينام الرجل وهو جنب
١٥١	كل مولود يُولد على الفطرة	١٢٩	لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم
٤٧	كمال العقل في ثلاث	٤٧	لسان العاقل وراء قلبه
٩٧	كنت قبل كل شيء	٢١٥	لعلك أردت قضاء لازماً وقدرأحتياً
١١٥	كنهه تفريق بينه	٢١٨	لُعنَت القدرية على لسان سبعين نبياً
١٢١	كيف يُستدلّ عليك بما هو في وجوده	٢٨٦	لقد خلق الله عز وجل في الأرض منذ
٣١٧	لا، المؤمن أكرم على الله عز وجل	٢٨٨	لَقنوا موتاكم لا إله إلا الله



٣٤٦	ما أعظم مسانلك	٩٦	لم يخلق الأشياء من أصول
٥٤	ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه	٩٧	لم يزل الله موجوداً ثم كَوْن ما أراد
٥٥	ما أقبح بالرجل يأتي عليه سبعون سنة	١٩٣	لم يزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته
٤٨	ما العاقل إلا من عقل عن الله	١٥٢	لم يكونوا على هدى
٢٦٥	ما أنكرت من البداء يا سليمان	١٦٠	لما أراد الله أن يخلق الخلق
٢٧٤	ما بدا لله بداء أعظم من بداء	١٤٦	لما أسري بي إلى السماء
٢٦٣	ما بدا لله في شيء إلا كان	٣٣٦	لما أمر إبراهيم وإسماعيل <small>عليهما السلام</small>
٢٦٢	ما بعث الله عز وجل نبياً حتى	٣٢٥	لن يلج ملكوت السماوات من
٢٦٢	ما بعث الله نبياً قط إلا بتحريم الخمر	٢٦٩	له الأمر من قبل
٦٥	ما تصور في الأوهام	٢٣٣	لو أحببتك فيه لكفرت
٣٠٤	ما تكاملت النبوة لنبي في الأظلة حتى	١١٩	لو أدليتكم بحبل على الأرض
٢٦٢	ما تنبأ نبي قط حتى يقره الله تعالى بخمس	١٥٩	لو استقاموا على الولاية في الأصل
١٢٠	ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله	٢١٧	لو خلقهم مطيعين لم يكن لهم ثواب
٢٠٣	ما شاء ربي كان	٣٠٧، ١٦٨	لو علم الناس كيف كان ابتداء الخلق
٢٦٢	ما عبد الله عز وجل بشيء مثل البداء	٢٦٢	لو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر
٤٦	ما عبد به الرحمن	٢٢٠	لو كان الزور في الأصل محتوماً
٩١	ما عرف الله من شبهه بخلقه	٢٦٩	لو لا آية من كتاب الله لحدتكم
٢٦٢	ما عظم الله عز وجل بمثل البداء	٢٦٨	له الأمر من قبل أن يأمر به
٢٩٢	ما قالوا شيئاً، أخبرك أن الله تبارك وتعالى	٩٨	له معنى الربوبية إذ لا مربوب
٤٩	ما كسب الإنسان أفضل من عقل	٣٢٣	لي مع الله وقت لا يسعني فيه
١٤٧	ما كنت أعبد رباً لم أره	٣٠، ٢٣	ليس العلم بالتعلم
٢٥٣	ما يريد سالم متي؟! أيريد أن أجيء ...	٤٩	ليس بين الإيمان وبين الكفر
١٢٦، ٨٨	مباين لجميع ما أحدث في الصفات	١٢٠	ليس بين الخالق والمخلوق شيء
١٣٠	متجلاً لا باستهلال رؤية	٨٥	ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه
٢١٦	مستطيعون للأخذ بها أمرأوبه	٤٥	ليستأدوهم ميثاق فطرته
١٢٣	مع كل شيء لا بمقارنته	٢١٩	ما استطعت أن تلوم العبد عليه فهو منه

فهرس الأحاديث/٣٦٩

١٥١	وابتعت فيهم رسله	٦٤	من أرضى الخالق لم يبال بسخط المخلوق
٣١٥	والروح جسم رقيق قد ألبس قابلاً كثيراً	٦٢	من تفكر في ذات الله الحد
٣٣	والعرش هو العلم الذي لا يقدر	٣٢٣	من رأي فقد رأى الحق
٢٤٤	والله ما خلق الله شيئاً إلا	٢٦٤	من زعم أن الله عز وجل يبدو له في
٣١٣	والله ما من عبد من شيعتنا ينم إلا	٢٢١	من زعم أن الله يجبر عباده
٢٣	وإن ضوء الروح العقل	٢٤٢، ٢٣٨	من زعم أن الله يفعل أفعالنا ثم
١٢٦	وانحسرت الأبصار عن أن تناله	١٥٠	من زعم أنه يعرف الله بحجاب أو بصورة
١٤٨	وأزير أبصار قلوبنا بضياء نظرها	١٢٦، ٦٠	من شبه الله بخلقه فهو مشرك
١٥٣	وأنسأهم الرؤية	٦١	من عبد الله بالتوهم فقد كفر
١٧٩	وأنسأ ذلك الميثاق وسيذكرونه بعد	٣٢٣، ٥٣	من عرف نفسه فقد عرف ربه
٣١	ويعظمته ونوره عاداه الجاهلون	٤٩	من عقل عن الله اعتزل عن أهل الدنيا
٧٥	وبالفطرة ثبت حُجته	٣١٠، ١٧٢	من علامة المؤمن أن تكون فيه جِدَّة
١٠٨، ٨٧	وتنزه عن مجانسة مخلوقاته	٦٢	من فكر في ذات الله تزندق
٨٧	وتوحيده تمييزه من خلقه	٣٠	من كان من شيعتنا عالماً بشريعتنا
٧١	وجود الأفاعيل التي دلت	٤٨	من لم يملك شهوته لم يملك عقله
١٥٢	وذلك أنه لما انقرض آدم	٨٩	من نظر في الله كيف هو هلك
٢٣٨	وشئته إذ شئت أن أشاءه	٢٣٣	منزلة بين المنزلتين في المعاصي
٢٤٩	وضع رسول الله ﷺ دية العين	٣٤٤	مهلاً يرحمكم الله فإنها مأمورة
١٧٦، ١٤٧	وقد رأوه قبل يوم القيامة	٣٥٠	نعم حتى لا يبقى له لحم ولا عظم إلا
١٩٣	وقع العلم منه على المعلوم	٨٣	نعم غير معقول ولا محدود
٩٣	وكان قادراً أن يخلقها في طرفة عين	١٤٧	نعم وقد رأوه قبل يوم القيامة
٦٠	وكل ما وقع في الوهم فهو بخلافه	١٥٧	نعم يا زرارته وهم دَرّ بين يديه
١٧١	وكلنا يديه يمين	٢١٥	نعم يا شيخ ما علوتم تلعة
٨٨	ولا إياه وحد من اكتنحه	٨٤	نعم يُخرجه من الحدين
٢٤٠	ولا يكونوا آخذين ولا تاركين إلا بإذنه	٤٩	نوم العاقل أفضل من سهر الجاهل

٣٧٠/ تنبيهات حول المبدأ والمعاد

٢٦٤	هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله	١٧٥	ولفأزك قرّة عيني ووصلك منى نفسي
١٤٩	هو الدالّ بالدليل عليه	٢٣٠	ولكن أقول: لا يكون إلا ما شاء الله
٤٨	هو الذي يضع الشيء مواضعه	٢٩٢	ولكنه كان إذ لا شيء غيره
١١٧	هو واحد ليس له في الأشياء شبه	٧٢	ولو فكروا في عظيم القدرة
٣٢٩	يؤتى بالمؤمن المذنب	١٧٣	ولولا ذلك لم يعرف أحد من خالته
٢٠٥	يا ابن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي	٦٤	وما توهمتم من شيء فتوهّموا
٩٧	يا ذا الذي كان قبل كل شيء	١٢٦	وما زال ليس كمثلته شيء
٨٧	يا فتكك الرقاب من النار	١٢٠	وملأ كل شيء نورك
١٤٨	يا من أذاق أحبّاءه حلاوة الموائمة	٢٠٤	ومن نسب إليه ما نبى عنه فهو كافر
١٢٣، ٨٧	يا من دلّ على ذاته بذاته	١٧٩	وَسُوا الموقف (وفي نسخة: الوقت)
٢٠٣	يا من يفعل ما يشاء	٢٨٧	وهو من كوفان وفيه يُنفخ في الصور
٢١٦	يا موسى إني خلقتك واصطفتيك	٣٢٨	ويؤتى بالمؤمن الغنيّ يوم
٢٨٧	يخرج شيعتنا من قبورهم على نُوقٍ بيض	٢٨٣	ويحك هي هي وهي غيرها
٤٨	يُستدلُّ بكتاب الرجل على عقله	٨٦	ويلك إن الذي ذهب إليه غلط
٤٦	يُعتبر عقل الرجل في ثلاث	٣٢٥، ١٧٦، ١٤٧	ويلك ما كنتُ أعبد ربّاً لم أره
٣٠٥، ١٥٩	يعني من جرى فيه شيء من شرك	٩١	ويُوحّد ولا يُبعّض
٢٩	يقول الله عزّ وجلّ للعلماء يوم القيامة	٧٤	هذا حصن مكنون له جلد غليظ
٢١٩	يكون في آخر الزمان قوم يعملون	١٤٤	هل ركبّت سفينة قطّ

## مصادر الكتاب

١. القرآن الكريم
٢. آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد جواد بن حسن البلاغي النجفي (ت ١٣٥٢ هـ ق)، مكتبة الوجداني، قم.
٣. أبواب الهدى: محمد مهدي بن إسماعيل الإصفهاني الغروي (ت ١٣٦٥ هـ ق)، المجمع الثقافي المنير، طهران، ١٣٨٧ ش.
٤. إحقاق الحق وإزهاق الباطل: السيد نور الله الحسيني المرعشي التستري (ت ١٠١٩ هـ ق)، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم.
٥. الأريعون حديثاً: بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي (ت ١٠٣١ هـ ق)، مؤسسة النشر التابعة لجامعة المدرّسين، قم، ١٤١٥ ق.
٦. إرشاد القلوب: حسن بن أبي الحسن الديلمي (ت ٨٤١ هـ ق)، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٤١٢ ق.
٧. الإرشاد: محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المفيد (ت ٤١٣ هـ ق)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٣٩٩ ق.
٨. أسد الغاية في معرفة الصحابة: عزّ الدين علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠ هـ ق)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩ ق.
٩. الأسفار العقلية الأربعة: صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي (ت ١٠١٥ هـ ق)، دار إحياء

## ٣٧٢ / تنبيهات حول المبدأ والمعاد

التراث العربي بيروت، ١٣٦٢ ش.

١٠. الاعتقادات: محمد بن علي بن حسين بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١ هـ ق)، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم، ١٤١٤ ق.

١١. إقبال الأعمال: السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤ هـ ق)، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٤٩ ش.

١٢. أمالي الصدوق: محمد بن علي بن حسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ ق)، مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧ ق.

١٣. الإمامة والتبصرة من الحيرة: أبو الحسن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٢٩ هـ ق)، مدرسة الإمام المهدي (عج)، قم، ١٣٦٣ ش.

١٤. الأنوار النعمانية: السيد نعمة الله بن عبد الله الموسوي الجزائري (ت ١١١٢ هـ ق)، مكتبة «حقيقت» و«بني هاشمي»، ١٤١٧ ق.

١٥. بحار الأنوار: محمد باقر بن محمد نقي المجلسي (ت ١١١١ هـ ق)، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣ ق.

١٦. البرهان في تفسير القرآن: السيد هاشم بن سليمان البحراني (ت ١١٠٩ هـ ق)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٩ ق.

١٧. بصائر الدرجات: أبو جعفر محمد بن الحسن الصفار القمي (ت ٢٩٠ هـ ق)، منشورات الأعلمي، طهران، ١٣٦٢ ش.

١٨. تاريخ علماء خراسان: ميرزا عبد الرحمان مدرس (ت ١٣٣٧ هـ ق)، تقديم وتكميل: محمد باقر ابن حسين الساعدي الخراساني، مكتبة «ديانت»، مشهد، ١٣٤١ ش.

١٩. ترجمة وشرح نهج البلاغة: السيد علي نقي فيض الإسلام الإصفهاني، طهران، ١٣٥١ ش.

٢٠. التفسير الصافي: محمد بن مرتضى المدعو بالمحسن الكاشاني (ت ١٠١٩ هـ ق)، المكتبة الإسلامية، طهران، ١٤١٠ ق.

٢١. تفسير العياشي: أبو النضر محمد بن مسعود السلمى السمرقندي (من علماء أواخر القرن الثالث)، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، ١٣٨٠ ق.

٢٢. تفسير القمي: أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي (من مشايخ الكليني المتوفى ٣٢٨ / ٣٢٨ هـ ق)، دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، ١٤٠٤ ق.
٢٣. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦ هـ ق) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠ ق.
٢٤. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: (ت ٢٦٠ هـ ق) مدرسة الإمام المهدي (عج)، قم، ١٤٠٩ ق.
٢٥. تفسير فرات الكوفي: فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي (من علماء الحديث في القرن الثاني)، المكتبة الحيدرية، النجف.
٢٦. التوحيد: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١ هـ ق)، مكتبة الصدوق، طهران، ١٣٩٨ ق.
٢٧. حق اليقين في معرفة أصول الدين: السيد عبد الله بن محمد رضا شبر (ت ١٢٤٢ هـ ق)، أنوار الهدى، قم، ١٤٢٤ ق.
٢٨. دار السلام في ما يتعلق بالرؤيا والمنام: حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠ هـ ق)، انتشارات المعارف الإسلامية.
٢٩. الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ ق)، مكتبة آية الله المرعشي، قم، ١٤٠٤ ق.
٣٠. رجال النجاشي: أبو العباس أحمد بن علي النجاشي (ت ٤٥٠ هـ ق)، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤١٦ ق.
٣١. رسالة في حدوث العالم: صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي (ت ١٠٥٠ هـ ق)، بنیاد حکمت اسلامی صدر، طهران، ١٣٧٨ ش.
٣٢. رسائل فلسفی: صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي، دفتر تبليغات اسلامی، قم، ١٣٨٧ ش.
٣٣. روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: السيد محمد باقر الموسوي الخوانساري (ت ١٣١٣ هـ ق)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٣١ ق.

٣٤. روضة الواعظين: محمد بن الفتال النيسابوري (ت ١٢٨١ هـ ق)، منشورات الرضي، قم، ١٣٨٦ ق.
٣٥. سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ ق)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣ ق.
٣٦. شرح أحاديث طينت: جمال الدين محمد بن الحسين الخوانساري (ت ١١٢٥ هـ ق)، «نهضت زنان مسلمان» طهران، ١٣٥٩ ش.
٣٧. شرح أصول الكافي: صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي (ت ١٠٥٠ هـ ق)، پژوهشگاه علوم انسانی و فرهنگي، ١٣٨٣ ش.
٣٨. شرح المنظومة: ملا هادي بن مهدي السيزواري (ت ١٢٨٩ هـ ق)، منشورات بيدار، قم، ١٤٢٨ ق.
٣٩. شرح الفصوص (مطلع خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم)، داود بن محمود القيصري (ت ٧٥١ هـ ق)، أنوار الهدى، ١٤١٦ ق.
٤٠. شرح حكمة الإشراف (سهروردي): قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازي (ت ٧١٠ هـ ق)، مكتبة بيدار، قم.
٤١. الشفاء: أبو علي الحسين بن سينا (ت ٤٢٧ هـ ق)، دفتر تليغات اسلامي، قم، ١٣٧٦ ش.
٤٢. شواهد التنزيل: الحاكم أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني (ت ٤٩٠ هـ ق)، مؤسسه چاپ و نشر، ١٤١١ ق.
٤٣. الشواهد الربوبية: صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي (ت ١٠٥٠ هـ ق)، ناشر مركز نشر دانشگاهي، ١٣٦٠ ش.
٤٤. الصحاح (صحاح اللغة): إسماعيل بن حماد الجوهري النيسابوري (ت ٣٣٣ هـ ق)، دار العلم، بيروت، ١٤٠٧ ق.
٤٥. صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ ق)، دار القلم، بيروت، ١٤٠٧ ق.
٤٦. صحيح مسلم: أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ ق)، دار احياء التراث العربي، بيروت.

٤٧. الصحيفة العلوية الثانية: حسين بن محمد بن تقي الطبرسي النوري (ت ١٣٢٠ هـ ق)، مكتبة نينوى، طهران.
٤٨. الطوائف في معرفة مذهب الطوائف: السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤ هـ ق)، مطبعة الخيام، قم.
٤٩. عارف وصوفى چه مى گویند؟: الميرزا جواد آقا الطهراني (ت ١٤١٠ هـ ق)، مؤسسة البعثة، طهران، ١٣٦٩ ش.
٥٠. العرشية: صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي (ت ١٠٥٠ هـ ق) انتشارات مولى، طهران، ١٣٦١ ش.
٥١. علل الشرائع: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١ هـ ق)، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٨٥ ق.
٥٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ ق)، انتشارات جهان، طهران.
٥٣. الغدير في الكتاب والسنة والأدب: عبد الحسين بن أحمد الأميني النجفي (ت ١٣٤٩ ش)، مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، طهران، ١٣٩٣ ق.
٥٤. غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد بن محمد التميمي الأمدي (ت ٥١٠ هـ ق)، دفتر تليغات اسلامي، قم، ١٣٦٦ ش.
٥٥. الفتوحات المكية: محيي الدين محمد بن علي المعروف بابن العربي (ت ٦٣٤ هـ ق)، دار صادر، بيروت.
٥٦. فرائد الأصول: مرتضى بن محمد أمين الأنصاري (ت ١٢٨١ هـ ق)، مجمع الفكر الإسلامي، قم، ١٤١٩ ق.
٥٧. فصول العقائد (معرب فصول نصيرية): محمد بن محمد بن الحسن الطوسي (ت ٦٧٢ هـ ق)، قم، ١٣٩٣ ق.
٥٨. فقه الرضا عليه السلام: المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام (ت ٢٠٣ هـ ق) مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤٠٦ ق.



٥٩. الفوائد المدنية: محمد أمين بن محمد شريف الأسترآبادي (ت ١٠٣٣ هـ ق)، مؤسسة النشر التابعة لجامعة المدرسين، قم، ١٤٢٦ ق.
٦٠. القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٦ هـ ق)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣ ق.
٦١. قُرب الإسناد: أبو العباس عبد الله بن جعفر الحميري (من علماء أواخر القرن الثالث الهجري)، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤١٣ ق.
٦٢. الكافي (الأصول والفروع والروضه): أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٨ / ٣٢٩ هـ ق)، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٣ ش.
٦٣. كامل الزيارات: جعفر بن محمد بن قولويه القمي (ت ٣٦٧ هـ ق) المكتبة المرتضوية، قم، ١٣٥٦ ش.
٦٤. الكامل في التاريخ: عز الدين علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠ هـ ق)، دار صادر، بيروت، ١٣٨٦ ق.
٦٥. كشف المراد في شرح تمهيد الاعتقاد: جمال الدين حسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي (ت ٧٢٦ هـ ق)، مؤسسة النشر التابعة لجامعة المدرسين، قم، ١٤١٥ ق.
٦٦. كفاية الأصول: محمد كاظم المروي الطوسي الخراساني (ت ١٣٢٩ هـ ق)، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤٠٩ ق.
٦٧. كفاية الموحدين: السيد إسماعيل بن أحمد النوري الطبرسي النجفي (ت ١٣٢١ هـ ق)، انتشارات العلمية الإسلامية، قم، ١٤٠٠ ق.
٦٨. الكلام يميز الكلام: السيد أحمد الزنجاني القمي (ت ١٣٩٣ هـ ق)، مكتبة «حق بين»، قم، ١٣٥١ ش.
٦٩. كثر العمال: علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي (ت ٩٧٥ هـ ق) مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩ ق.
٧٠. گنجينه دانشمندان: محمد شريف الرازي، المكتبة الإسلامية، طهران، ١٣٢٥ ش.

٧١. لسان العرب: أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت ٧١١ هـ ق)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٢٦ ق.
٧٢. مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (من علماء القرن السادس)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٩ ق.
٧٣. مجمع البحرين: فخر الدين الطبرجي (ت ١٠٨٥ هـ ق)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٣٠ ق.
٧٤. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ ق)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨ ق.
٧٥. المحاسن: أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ٢٧٤-٢٨٠ هـ ق)، دار الكتب الإسلامية، قم، ١٣٦٩ ق.
٧٦. مدارك الأحكام في شرح شرائع الإسلام: السيد محمد بن علي الموسوي العاملي (ت ١٠٠٩ هـ ق)، مؤسسة آل البيت للإحياء التراث، قم، ١٤١٠ ق.
٧٧. مدينة المعاجز: السيد هاشم بن سليمان البحراني (ت ١١٠٩ هـ ق)، مؤسسة المعارف الإسلامية.
٧٨. مرآة العقول: محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (ت ١١١١ هـ ق)، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٣٥ ش.
٧٩. مستدرك الوسائل: حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠ هـ ق)، مؤسسة آل البيت للإحياء التراث، قم.
٨٠. مستدركات علم رجال الحديث: علي بن إسحاق النهدي الشاهرودي (ت ١٤٠٥ هـ ق)، مطبعة شفق، طهران، ١٤١٢ ق.
٨١. المشاعر: صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي (ت ١٠٥٠ هـ ق) مكتبة ظهوري، ١٣٦٣ ش.
٨٢. مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار: السيد عبد الله بن محمد رضا شبر (ت ١٢٤٢ هـ ق)، مكتبة بصيرتي، قم.
٨٣. مصابح الزائر: رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤ هـ ق)، مؤسسة آل

البيت للإحياء التراث، قم، ١٤١٧ ق.

٨٤. مصباح الشريعة: المنسوب إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام (ت ١٤٨ هـ ق)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٠ ق.

٨٥. مصباح الفقاهة (تقرير أبحاث آية الله الخوئي): محمد علي التوحيد التبريزي، مؤسسة الخوئي الإسلامية، ١٤٣٠ ق.

٨٦. مصباح المتهجد وسلاح المتعبد: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ ق)، تحقيق: إسماعيل الأنصاري الزنجاني، قم.

٨٧. معاني الأخبار: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١ هـ ق)، دار التعارف، بيروت، ١٣٩٩ ق.

٨٨. مفاتيح الإعجاز في شرح گلشن راز: شمس الدين محمد اللاهيجي (ت ٩١٢ هـ ق)، انتشارات سعيد، طهران، ١٣٧١ ش.

٨٩. مفاتيح الغيب: صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي (ت ١٠٥٠ هـ ق)، مؤسسة تحقيقات فرهنگي طهران، ١٣٦٣ ش.

٩٠. مفردات ألفاظ القرآن: حسين بن محمد الراغب الإصفهاني (ت حدود ٥٠٢ هـ ق)، المكتبة المرتضوية، قم، ١٣٦٢ ش.

٩١. مقاس الهداية في علم الدراية: عبد الله بن محمد حسن المامقاني (ت ١٣٥١ هـ ق)، منشورات دليل ما، قم، ١٣٨٥ ش.

٩٢. مناقب آل أبي طالب: محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني (ت ٥٨٨ هـ ق)، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٧٦ ق.

٩٣. منتخب التواريخ: محمد هاشم بن علي الخراساني (ت ١٣٢٥ هـ ق)، مكتبة العلمية الإسلامية، طهران.

٩٤. نية المرید: زين الدين بن علي الشهيد الثاني (ت ٩٦٦ هـ ق)، مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩ ق.

٩٥. المواهب السنية والعنايات الرضوية: محمد مهدي بن إسماعيل الإصفهاني الغروي

- (ت ١٣٦٥ هـ ق)، مخطوطة في ضمن مجموعة جمعها السيد محمد باقر النجفي، ١٤١١ ق.
٩٦. موسوعة الأدعية: جواد القيومي الإصفهاني، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ١٤١٨ ق.
٩٧. ميزان الطالب: الميرزا جواد آقا الطهراني (ت ١٤١٠ هـ ق)، مؤسسة در راه حق، قم، ١٣٧٤ ش.
٩٨. الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ ق)، منشورات جماعة المدرسين، قم.
٩٩. النجاة في الحكمة الإلهية: أبو علي الحسين بن سينا (ت ٤٢٧ هـ ق)، المكتبة المرتضوية، قم.
١٠٠. نقباء البشر: محمد محسن الرازي المدعو بأقا بزرگ الطهراني (ت ١٣٩٥ هـ ق)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٣٠ ق.
١٠١. نور البراهين (أنيس الوحيد في شرح التوحيد): السيد نعمة الله بن عبد الله الموسوي الجزائري (ت ١١١٢ هـ ق)، ١٣٨٣ ش.
١٠٢. نور الثقلين: عبد علي بن جمعة العروسي الحوزي (من علماء أواخر القرن الحادي عشر)، إسماعيليان، قم ١٤١٥ ق.
١٠٣. نهاية الحكمة: السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ ق)، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤٢٧ ق.
١٠٤. النهاية في غريب الحديث والأثر: (ابن الأثير) مجد الدين مبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦ هـ ق)، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٦ ق.
١٠٥. نهج البلاغة: السيد الشريف الرضي محمد بن أبي أحمد (ت ٤٠٦ هـ ق)، تحقيق الدكتور صبحي صالح، بيروت، ١٣٨٧ ق.
١٠٦. نهج الحق وكشف الصدق: حسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي (ت ٧٢٦ هـ ق)، دار الهجرة، قم، ١٤٢١ ق.
١٠٧. مهج الدعوات ومنهج العبادات: السيد علي بن موسى بن جعفر بن محمد الطاووس (ت ٦٦٤ هـ ق)، مكتبة سنائي، طهران.
١٠٨. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ ق)،

مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم، ١٤١٢ ق.

١٠٩. هداية الأمة إلى معارف الأئمة: أبو جعفر محمد جواد بن المحسن الخراساني (ت ١٣٩٧ هـ ق)،

مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٦ ق.

١١٠. هدية الرازي: محمد محسن الرازي المدعو بأقا بزرگ الطهراني (ت ١٣٩٥ هـ ق)، مكتبة

المیقات، طهران، ١٤٠٣ ق.

## الفهرس

كلمة الناشر .....	٣
<b>تنتهات فف المبدأ</b>	
(١١ - ٢٧٤)	
ضرورة البرهان .....	١١
البرهان فف القرآن الكرهم .....	١٢
الحجة الذاتية هو العلم والعقل .....	١٣
الإنكار أو التشكك فف حجة العقل من بعض الأخبارفن .....	١٣
الجواب عن مقالهم بذكر بعض الآفات والأحادف .....	١٥
العقل والنفس عند الفلاسفة، وفف الكتاب والحدف .....	١٧
بعض ما ورد من الروايات المباركة فف شأن العقل وحققته وأحكامه .....	٢٢
العقل حقيقة نورفة مغايرة للقلب .....	٢٤
حقيقة العلم هو النور الظاهر بذاته المظهر لغيره .....	٢٤
تذكرة فف حقيقة الكشف .....	٢٦
تذكرة أخرى .....	٢٦
تذكرة أخرى .....	٢٦
نظرٌ فف تقسفف العلم وتعرفه .....	٢٧
فف ذكر بعض الروايات الظاهرة فف أنّ العلم هو النور .....	٢٨
فف أنّ الروايات فف باب العلم والعقل إنما هي تذكرة .....	٢٨
من وجوه الفرق بفف النور الحققف والنور المحسوس .....	٢٨
اطلاق النور على ما هو السبب لوجدان النور الحققف .....	٢٩
حقيقة العقل من حقيقة العلم وهي الكاشفة للحسن والقبح .....	٣٦
أنّ العقل لفس من مراتب النفس .....	٣٨
بفان بعض الأعظم فف معنى قول الصادق ؑ : إنّ الله خلق العقل من أربعة أشياء .....	٣٩

- ٣٩ ..... مغايرة العقل للعاقل .
- ٤٠ ..... مغايرة العقل للمعقولات .
- ٤١ ..... في عدم اختصاص العقل بإدراك الكليات .
- ٤٢ ..... توصيف القرآن بالنور .
- ٤٣ ..... خطأ العاقل لا ينافي عموم حجّية العقل .
- ٤٣ ..... القطع حالة نفسانية قد تخالف الواقع .
- ٤٣ ..... من أحد الأدلة على أنّ العقل خارج عن حقيقة الإنسان .
- ٤٤ ..... في بيان حقيقة حكم العقل .
- ٤٥ ..... في أنّ سنة الله تعالى جرت على حصول الكشف بالأسباب .
- ٤٥ ..... تنبيه في علامات العقل في الروايات المباركة .
- ٤٩ ..... تجرّد نور العلم وعدم تجرّد النفس .
- ٥٠ ..... بيان العلامة المجلسيّة حول القول بالتجرّد .
- ٥١ ..... الأدلة السبعة على عدم تجرّد النفس .
- ٥٢ ..... معرفة النفس، ومعرفة الله تبارك وتعالى .
- ٥٤ ..... تنبيه في أنّ أشرف المعارف معرفته تعالى وفي لزوم التمسك بالقرآن وحمله علومه .
- ٥٦ ..... التحذير من طلب الهداية من غير القرآن وحمله علومه .
- ٥٧ ..... إشارة إلى أنّ كل ما ورد في التمسك بالقرآن يدل أيضاً على التمسك بالعترة .
- ٥٨ ..... نصيب العقل في باب معرفة الله تعالى أن يخرج عن حدّ النفي والتشبيه .
- ٦٥ ..... المعرفة بالآيات: ظهور مصنوعية الأشياء، والتصديق بأنّ لها صانعاً .
- ٦٦ ..... معنى قوله (عليه السلام): كل ما ميّزتموه بأوهامكم .
- ٦٧ ..... الآيات والروايات المذكورة بوجود الصانع .
- ٧٧ ..... تنبيه: في أنّ الله تعالى هو الهادي إلى ذاته وصفاته .
- ٧٨ ..... تنبيه: في الهداية العامة والخاصة .
- ٨١ ..... توضيح الأمر الثاني وهو أنّه تعالى لا يشبه شيئاً من المخلوقات .

- ٨٢..... الآيات والروايات الواردة في أنه تعالى خارج عن الحدّين
- ٨٥..... توضيح قوله ﷺ: ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه
- ٩١..... قواعد من مصاديق القياس الممنوع
- ٩١..... المسألة الأولى: وجوب السنخية بين العلة والمعلول
- ٩٢..... المسألة الثانية: الواحد لا يصدر منه إلا الواحد
- ٩٢..... المسألة الثالثة: امتناع انفكاك العلة التامة عن معلولها
- ٩٥..... الآيات والروايات الدالة على وقوع التفكيك بين الخالق والمخلوق
- ٩٦..... الروايات الدالة على أنّ خلقه تعالى لا من شيء
- ١٠٠..... المسألة الرابعة: بساط الحقيقة كلّ الأشياء وليس بشيء منها
- ١٠٢..... كلام بعض المتأخرين في بيان اعتبارات الماهية
- ١٠٣..... بيان أنّ في دار التحقّق حقيقتين
- ١٠٥..... تقريب دفع شبهة التركيب بذكر مثالين
- ١٠٦..... تنبيهات فيها فذلّة
- ١٠٦..... في معنى المثل وتوصيف نور العلم بالمثل الأعلى
- ١٠٩..... بيان قول ملاً صدرا أنّ العالم متوهّم ورده
- ١١٠..... عبارات ابن عربي والقيصري في وحدة الوجود
- ١١٦..... في دلالة حديث أمير المؤمنين ﷺ على نفي الإنقسام والتركيب وبيان أقسام التركيب
- ١١٨..... عمدة ما استدّل به من الآيات والروايات للقائلين بوحدة الوجود والموجود والجواب عنها
- ١٢٣..... عمدة ما استدّل به لذلك من طريق البرهان العقلي والجواب عنه
- ١٢٧..... تنبيه في أنّ فعله تعالى وفاعليته ليس بالرشح والفيضان
- ١٢٨..... كلام في التجلّي وبيان أقسامه
- ١٣١..... استدلال القائلين بوحدة الوجود والموجود بالمكاشفة وبيان عدم اعتبارها
- ١٣٥..... كلام ملاً صدرا ﷺ في بيان مقصود العرفاء الشاخصين
- ١٣٦..... بيان المؤلف ﷺ في ردّ مقال الشاخصين



- المعرفة الفطرية..... ١٣٩
- بيان في حديث الحقيقة المنسوب إلى كميل بن زياد عن أمير المؤمنين عليه السلام ..... ١٤١
- في الآيات التي أرشدت إلى المعرفة الفطرية واحتجّت بها على الكفار والمشركين..... ١٤١
- في ذكر حديث يغتينا علو مضمونه عن التكلم في سنده ..... ١٤٣
- التجلي الخاصّ منه تعالى في قلوب المؤمنين ..... ١٤٥
- روايتان في أنّ الله تعالى لا يعرف إلّا به ..... ١٤٩
- في معنى روح الإيهاض وصيغة الله ..... ١٥٠
- ظهور أثر الفطرة ببعث الرسل والأنبياء ..... ١٥١
- في بيان منشأ المعرفة الفطرية أخذ الميثاق في العوالم السابقة ..... ١٥٣
- أخذ الميثاق في عالم الأظلة وعالم الذرّ ..... ١٥٥
- فوائد التعريف وأخذ الميثاق مرّة بعد مرّة ..... ١٥٥
- الأدلة النقلية على سبق خلقه الأرواح وأخذ الميثاق ..... ١٥٦
- بيان العلامة المجلسي رحمته الله في الجواب عن إشكالات الشيخ المفيد رحمته الله ..... ١٦٥
- في أنّ روايات الفريقين متفقة على ثبوت عالم الذرّ ..... ١٦٧
- ثبوت الطاعة والعصيان قبل هذه الدنيا ..... ١٦٧
- معنى قوله عليه السلام: لو علم الناس كيف كان ابتداء الخلق ما اختلف اثنان ..... ١٦٨
- معنى قوله عليه السلام: «فلا يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء» ..... ١٦٨
- وجه التسمية بأصحاب اليمين وأصحاب الشمال ..... ١٧٠
- عدم رجوع المعرفة الفطرية إلى المعرفة بالآيات ..... ١٧٢
- تنبيه وتفرّيع في أن المعرفة الفطرية توجب إتمام الحجّة ..... ١٧٣
- ظهور المعرفة الفطرية في حال الانقطاع عن غيره تعالى ..... ١٧٤
- تنبيه لا بدّ منه جدّاً: ظهور المباينة في تلك المكاشفة ..... ١٧٧
- تحليل في دعوى الفناء في الله وبيان امتناعه ..... ١٧٧
- الإشكالات الواردة في ثبوت عالم الذرّ والجواب عنها ..... ١٧٨

- ١٨٠..... معنى التناسخ الذي قامت الضرورة على بطلانه.
- ١٨١..... كلام ملاً صدرا في امتناع تعلق الروح ثانياً بالبدن مطلقاً والجواب عنه
- ١٨٢..... كلام العلامة الطباطبائي رحمته الله في تفسير الميزان والجواب عنه
- ١٨٨..... الإشكالات الواردة في إثبات عالم الذرّ والجواب عنها
- ١٩٢..... تنبيه: استغناء نور العلم في كشفه عن وجود المعلوم
- ١٩٦..... تنبيه: في أنّ حقيقة العلم نور مغاير لذواتنا
- ١٩٦..... معنى قول العلماء بنفي الصفات الزائدة عنه تعالى
- ١٩٦..... من الكمالات: القدرة
- ١٩٦..... تنبيه: في حقيقة نور العلم وأنّ القدرة من كمال هذا النور
- ١٩٨..... في أنّ الكمالات عين ذاته تعالى والاستدلال على نفي التركيب
- ١٩٨..... تنبيه: في بيان أنّ القدرة لا تتعلق بالمتنع
- ٢٠٠..... تنبيه: أدلة القائلين بالجبر والجواب عنها
- ٢٠٠..... تفسير المشيئة في الخالق والمخلوق وبيان المرجح لها
- ٢٠٣..... شبهات أوردها في المقام والجواب عنها
- ٢٠٩..... ما استدلّ من الأدلة السمعية على القول بالجبر والجواب عنها
- ٢١٤..... الأدلة النقلية على نفي الجبر
- ٢٢٤..... معاني القضاء والقدر
- ٢٢٥..... في معنى تعلق القضاء والقدر بالأفعال الاختيارية
- ٢٢٦..... تنبيه: كلام العلامة الحلي رحمته الله في ردّ الأشاعرة
- ٢٢٧..... حقيقة المشيئة والإرادة ومراحل صدور الفعل
- ٢٣١..... تنبيه: في عدم تعلق مشيئة الله تعالى بذات العمل الصادر منّا
- ٢٣١..... في ما يدلّ على نفي التفويض عقلاً
- ٢٣٢..... في الآيات الدالة على نفي التفويض
- ٢٣٤..... نفي الجبر والتفويض، وإثبات الأمر بين الأمرين

- ٢٣٦..... تنبيه: توضيح آخر للأمر بين الأمرين ولمعنى المشيئة والإرادة.
- ٢٤١..... تنبيه: في معنيين آخرين للتفويض.
- ٢٤١..... الروايات الدالة على نفي تفويض الخلق والرزق إلى الأئمة عليهم السلام.
- ٢٤٣..... في أنّ الله تعالى أقدرهم على ما يريدون.
- ٢٤٦..... في بيان تفويض أمر الدين إليهم عليهم السلام.
- ٢٤٦..... في أقسام الأحكام التي تفويضها من شؤون الولاية التشريعية.
- ٢٥٢..... في الروايات الدالة على أنّ كلمة آل محمد عليهم السلام تنصرف إلى سبعين وجهاً.
- ٢٥٤..... في ردّ ما توهمه بعض المنحرفين.
- ٢٥٨..... في أنّ الروايات الواردة في علاج المتعارضين من الموسعات.
- ٢٦١..... تنبيه: في مسألة البداء وبعض ما يدلّ عليه.
- ٢٦٣..... البداء في اللغة.
- ٢٦٣..... البداء في الآيات والروايات.
- ٢٦٩..... توضيح الأمر في البداء يتوقّف على بيان أمور.
- ٢٧٣..... تنبيه: في بعض الروايات الواردة في الحثّ على الدعاء.
- ٢٧٤..... تنبيه: في الجواب عن الروايات الواردة في وقوع البداء في أمر الإمامة.
- تنبيهات في المعاد**  
(٢٧٥ - ٣٤٨)
- ٢٧٥..... المعاد على ثلاثة معان.
- ٢٧٥..... الدليل العقلي والنقلي على ثبوت المعاد.
- ٢٧٨..... المعاد الروحاني والجسماني.
- ٢٧٩..... الآيات والروايات الدالة على المعاد الجسماني.
- ٢٨٥..... معنى قوله تعالى: «يوم تبدّل الأرض غير الأرض».
- ٢٩٠..... فصل: حقيقة الإنسان وما خلّق منه.
- ٢٩٠..... في وجوب الرجوع إلى أقوال المعصومين عليهم السلام.

- ٢٩١..... التنبيه الأول: المادة الأصلية للعالم جوهر مسمى بالماء
- ٢٩١..... في عدم امتناع تبديل الأنواع ووقوع المسخ
- ٢٩٣..... في بيان الجمع بين الروايات المختلفة في أول ما خلق الله تعالى
- ٢٩٦..... التنبيه الثاني: المادة الأصلية فاقدة للعلم والحياة
- ٢٩٧..... كلام في تسيح الموجودات
- ٢٩٨..... التنبيه الثالث: انشعاب تلك المادة إلى: عليّين وسجّين
- ٢٩٩..... بيان منشأ التقسيم المذكور وأن اختلاف الطينة لطف منه تعالى على أصحاب الطيبتين
- ٣٠١..... دفع ما استشكله الشيخ المفيد عليه السلام على روايات سبق خلقه الأرواح
- ٣٠٢..... التنبيه الرابع: عالم الأظلة والأشباح
- ٣٠٢..... بيان مناسبة الروح والظلّ والفرق بينهما
- ٣٠٣..... الروايات التي يظهر منها أنّ المراد من الأظلة والأشباح هي الأرواح
- ٣٠٥..... توضيح رواية جابر بن يزيد في تفسير الأشباح
- ٣٠٥..... ردّ حمل هذه الروايات على مجرد الصور
- ٣٠٥..... التنبيه الخامس: لكلّ روح بدن يناسبها
- ٣٠٦..... التنبيه السادس: أخذ الميثاق في عالم الذرّ
- ٣٠٧..... التنبيه السابع: امتحان الناس في عالم الذرّ
- ٣١١..... التنبيه الثامن: موقف آدم عليه السلام في عالم الذرّ
- ٣١٣..... التنبيه التاسع: دلالة الآيات والأحاديث على عدم تجرّد الروح
- ٣١٨..... التنبيه العاشر: استقلال الروح
- ٣١٩..... التنبيه الحادي عشر: أدلة القائلين بتجرّد النفس، والجواب عنها
- ٣٢١..... الأدلة النقلية التي تمسّكوا بها لإثبات تجرّد النفس
- ٣٢٣..... الجواب عن الأدلة النقلية
- ٣٣٠..... التنبيه الثاني عشر: الفارق بين الروح والبدن أعراضها
- ٣٣١..... أفاضة نور العلم والقدرة وغيرهما على الروح

- ٣٣٢..... التنبيه الثالث عشر: يمكن لكل ذرة وجدان العلم والإدراك
- ٣٣٢..... التنبيه الرابع عشر: الإنسان يبقى على جسمانيته
- ٣٣٣..... التنبيه الخامس عشر: زوال العلم والهداية بالكفر والظلم
- ٣٣٤..... التنبيه السادس عشر: محلّ الأرواح والأبدان الذرية بعد أخذ الميثاق
- ٣٣٦..... التنبيه السابع عشر: علاقة الروح بالبدن
- ٣٣٧..... فصل: في أحوال الروح في البرزخ
- ٣٣٨..... تفسير قوله تعالى: « فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً »
- ٣٤١..... في آن السؤال والضغط بعد ولوج الروح في البدن
- ٣٤٢..... تنبيه وتوضيح في كيفية بقاء الروح بعد الموت وإمكان تغلّظها
- ٣٤٣..... في الروايات التي تدل على تغلّظ الملك والجنّ
- ٣٤٨..... تنبيه في دفع شبهتين أوردوهما من قديم الأيام في المعاد الجسماني
- ٣٥٣..... فهرس الآيات المباركة
- ٣٦٢..... فهرس الاحاديث
- ٣٧١..... مصادر الكتاب

